الجزء الأول والثاني ٢٤٣، ٢٤٤ المجلد الحادي والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٦ م
صفر وشهر ربيع الأول سنة ١٣٦٥ هـ

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي



دمشق
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً وفي جميع الأقطار ١٠٠٠ « «

مطبعة الترقي بدمشق



تحميل كتب http://abbassa.wordpress.com

أغلاط الافرنج

من نظر في كتب من يعالجون من الافرنج مسائل المسلمين والاسلام يقع فيما دونوه على أغلاط مستغربة قد تدعو الى سوء الظن ببحثهم ودرسهم . وتكثر هذه الأغلاط وتقلّ بحسب بعد المؤلف وقربه من ديار الاسلام . وأقل الكاتبين غلطاً في هذا المعنى علماء المشرقيات فانهم ينصرفون الى دراسة بعض لغات الشرق وقد يعاشرون بعض العرب والمسلمين ويرحلون الى اصقاعهم فيعرفونها معرفة لا بأس بها ويبتعدون عن ارتكاب الفاحش من الأغلاط ، وخاصة اذا لم يكن لهم ضلع في السياسة .

وتنقسم هذه الأغلاط الى أقسام منها الغلط اللفظي ومنها الغلط الفكري او الحسي . ومنها ما ينشأ عن جهل الكاتب موضوعه كأن يرجع الى كتب ضعاف المؤلفين عندهم من مثل ارباب الرحلات المرتجلة والقصص الملفقة وكتابات المؤرخين المستأجرين والصحافيين المهرجين ممن يهمهم قبل كل أمر ان يحملوا الى قرائهم كل غريب فان لم يجدوا اخترعوا ما تمليه عليهم مخيلاتهم وأوردوه في معرض الحقائق . ومنها الخطأ العمد وهذا يسوق اليه التعصب الديني أو الغرض السياسي أو كلاهما معاً . وهذا الضرب من الأغلاط يكثر في الأُمم اللاتينية أكثر من غيرهم وهي منبعثة فيهم عن احقاد قديمة متوارثة ونتيجة لازمة لقلة عنايتهم بالتحقيق والتدقيق . ولا يتأتى في هذه العجالة استقصاء ما حملته كتبهم ومجلاتهم من هذا القبيل ولذلك نجتزيء بإيراد أمثلة منها يستدل الناظر البصير على مبلغ مؤلفيها من البحث .

فمن أقدم هذه الأغلاط محاولة الصاق حريق مكتبة الاسكندرية بعمر بن الخطاب ليذهبوا من ذلك الى ان الاسلام دين تخريب . وهذه الخزانة أُحرقت بالتحقيق قبل الاسلام بقرنين ، وكان واضع هذه الأُسطورة السمجة راهب شرقي فتلقفها دعاة التعصب في الغرب كأنها رحمة نزلت عليهم من السماء . وقد

رد هذه الفرية جهابذة النقد من الغربيين لعهدنا بعد ان راجت قروناً عند عامتهم ومن في حكمهم من المؤلفين ·

ومن أغلاط الفكر المتعمدة ماروجه الآباء اليسوعيون للحط من قدر الاسلام وكانوا كيف داروا يختلقون ما لا أثر له إلا في أدمغتهم · وقد رددنا على بعض أغلاطهم فيما آزرنا فيه من المجلات وفي بعض ما ألفناه من الكتب · وفي مقدمة من كتب له التميز في هذا الباب عميدهم الأب هنري لامنس فانه صرف عمراً طويلاً في الطعن في الاسلام والعرب حتى دعوه في أوربا المؤرخ المتخرب وأصبح العارفون هناك يأخذون كل قول له بتحرز شديد لأن الغرض ظهر على كل ما كتب · وقد نقدنا في المجلد الثاني والسادس والسابع من هذه المجلة ما ارتكبه من الأغلاط في تأليفه موجز تاريخ سورية (بالفرنسية) وأتينا على تزييف ما شوه به وجه معلمة الاسلام Encyclopédie de l'Islam من المقالات النابية عن حد العقل والعدل · ومن قرأ مقالاته في هذه المعلمة وهي من أصح ما كتبه علماء المشرقيات في الشرق الاسلامي وعارضها بما كتبه غيره ممن لا مأرب لهم غير ذكر الواقع يعرف مبلغ افتئاته على تاريخنا وشرعنا وصاحبه وصحابته ، وكأنه آلى على نفسه أن يهدم ولا يبني ، وينكر ولا يثبت ، ويهرج ولا يمحص ·

ومن أغلاط الفكر الناشئة بالضرورة عن تعصب متأصل قول مؤلف تاريخ اسبانيا Walteufel : Esquisse de l'histoire d'Espagne ان هؤلاء العرب المتعصبين الذين أمرهم نبيهم ان يحملوا على الكفار ويذبحوهم ليرضى عنهم خالقهم ! قد ساروا مع النصارى من سكان ابيريا (أهل اسبانيا) بتسامح عجيب فأطلقوا لهم الحرية في دينهم وكانوا يحترمون معابدهم ويحفظونهم في أموالهم وأنفسهم ، وهو مثال من الحكم قلما جرى عليه الفاتحون ويكفي أن نذكر ما أتاه النورميون النصارى اصحاب غليوم الفاتح واتباعه حتى القرن الرابع عشر من ظلم السكسونيين اهل دينهم وما ارتكبوه في اخلافهم من الفظائع ·

هذا ما قاله ونحن نرى انه كذب في حكمه على الرسول وصدق في قوله بأن المسلمين في الأندلس عاملوا نصاراها معاملة لم يقع لغالب ان عامل بها المغلوبين ، والأرجح أنه بنى حكمه في صاحب الرسالة على ماتلاه في بعض كتب رهبان القرون الوسطى وعما انتقل اليه في الدم من اجداده الذين كان من أهم مظاهرهم بغضة الاسلام وانكار فضل العرب . وحكم على تساهل المسلمين في الأندلس بأقوال المؤرخين المعاصرين وكان في حكميه مقلداً . ثم عاد لمكان التعصب من نفسه فأخذ بعد فقرات قليلة يصغر من شأن العرب في الأندلس ويقول انه لم ينشأ منهم سوى قليل من النبغاء من عيار ابن رشد . وليته قال لنا كم من فيلسوف اخرجت اسبانيا النصرانية في طويل عمرها ، واظن أمماً كثيرة وكبيرة لم تخرج نصف عيار ابن رشد . ولو قرأ المؤلف كتاباً واحدا من الكتب المعتمدة في التاريخ لخجل ان ينسب ما نسب الى محمد بن عبد الله الرسول العربي الأُمي من الشدة على غير أهل دينه ولعلم انه أوصى بأهل الذمة في كل فرصة ، وكذلك فعل اصحابه بعده ومن بعدهم . ولو كان حض على ارهاق النصارى وذبحهم كما زعم ذاك المؤلف كيف يجسر اخلافه ولو بعد قرون ان يخالفوا هديه ويعمدوا الى محاسنة النصارى ؟ هراء أملته عقول ضيقة لا تستحق ان انصفنا ان يُرد عليها . وما ورد في الكتاب العزيز من الحث على قتال الكفار فانه قصد بهم مشركي العرب لا أهل الكتاب كما هو ظاهر لمن يقرأ القرآن ويفهمه .

ومن أغلاط الحس المنبعثة من استقراء ناقص ولا يليق صدوره من فيلسوف مثل رنان — وهو الرجل الذي طالما أعجب بمدنية العرب وما في الاسلام من فضائل وود لو يسلم لما رأى خشوع المسلمين في صلاتهم — ما اصدره من حكم جائر على المسلمين كافة في كتابه بعثة فينيقية Mission de Phénicie لما جاء الشام سنة ١٨٦٠ ليجري حفريات في جزيرة ارواد فرأى من سكانها بعض غلظة فقال ان المسلمين كلهم مخطون وكال لنا بالكيل الوافي بما شاهده من سوء معاملة صيادين فقراء أساءوا معاملته على ما ادعى .

ومن الغلطات الناشئة عن جهل على ما يظهر قول توفنر في كتاب فلسفة الحضارة Towner : Histoire de la civilisation ان خلفاء المغرب (يعني بني أمية في الأندلس) ساروا على مذهب عليّ رابع خلفاء محمد (أي كانوا علويين !) . والغالب انه نقل هذا عن جيون في كتابه عظمة المملكة الرومانية وانحطاطها . ومما أخذ عنه توفنر ايضاً ان علياً كان وزير محمد وهو شاب لم يتجاوز الرابعة عشرة من سنه . ولتوفنر هذا غلطات غير مقصودة نشأت فيما رأينا من ضعف استنتاج مثل قوله ان الفاتحين من العرب في ديار الغرب كانوا من أبناء النصرانيات اللائي تزوجن من غير المسلمين فأخذوا منهن أطهر ما في الدم المسيحي ، ولئن دانوا بالاسلام وهم عرب بألسنتهم واسمائهم وأصول آبائهم فانهم لم يكن في دمهم من الدم العربي غير واحد من ستة عشر فقط . ومثل هذا قوله ان المسلمين على ارجح الظن صلوا الى شمالي افريقية ألفوا شرب الخمر وزاد غرامهم بالخمرة لما بلغوا اسبانيا . وأغرب من هذا وذاك دعواه ان المسلمين لما كانوا يتعاطون الخمور فتحوا العالم فلما استعاضوا عنها بشرب القهوة تراجع أمرهم !

ولو درس هذا المؤلف تاريخ المسلمين كما درسه صاحب حاضر العالم الاسلامي لوثروب ستودارد الأميركي ولم يكتب كتابه حتى تلقى تاريخ الاسلام بضع سنين على أستاذ يحسن أخذ التاريخ من الكتب العربية مباشرة لكان ادرك انه لم يكن احد من المسلمين يجرأ على تعاطي الخمر في القرن الأول وبعده إلا في سر ذلك لأن الشدة في إقامة الحدود كانت بالغة المبالغ وهذا النوع من المبالغة مثل مبالغته فيما نقله عن بوانغ من ان الجيش الاسلامي الذي غزا فرنسا سنة ٧٣١ م كان خمسمائة الف على الأقل ، وهذا العدد لم تصل اليه دولة من دول العرب لأن الجيش العربي الذي فتح الأندلس كلها لم يتجاوز الاثني عشر ألفاً ومهما غلونا في تقدير جيش العرب يوم بوانيه فلا يتأتى لنا إبلاغه الى خمسين ألفاً . على أن سينوبوس المؤرخ يقول في كتابه التاريخ السليم للأمة الفرنسية Seignobos : Histoire sincère de la nation Française

ان أخبار انتصارات شارل (مارتيل) على المسلمين في بواتيه لم تصل الينا إلا من طريق ضعيفة الثقة وليس من المؤكد كما زعموا انه أنجى اوربا من غارة العرب والعرب ما كانوا يريدون الاقامة إلا في الجنوب وجاءوا بواتية آيبين من غزوتهم في تور وقد حالت الحرب الأهلية التي نشبت بين العرب والبربر دون هذه الاقامة .

ومن أغلاط اللفظ أو الترجمة ما قاله صاحب كتاب المرامي الاستقلالية في اوربا Les aspirations autonomiques en Europe عند الكلام على المغلوبين على أمرهم في الصرب انه تتألف منهم الرعية وفسر الرعية بالماشية وقال انها مواشي حقيرة وجديرة بالاحتقار . وليس من المعقول ان تطلق دولة على رعاياها اسم الماشية او السائمة فان المترجم اختار اصل المعنى اللغوي وبنى عليه وهو غير صواب . وفي « اللسان » الرعية (والجمع الرعايا) الماشية الراعية أو المرعية والراعي الوالي والرعية العامة . وهذا هو المقصود ، وقد جرت على الألسن كلمة الراعي والرعية مقرونين معاً عندما يراد اطلاق هذين اللفظين على الرئيس والمرؤوس والحاكم والمحكوم عليه .

ومن مضحكات المفوات ما ارتكبه مؤلفا التاريخ العام ومؤازروهما Lavisse et Rambaud : Histoire générale بقوله ان الأتراك أبناء رومية Rome اختلط على الكاتب لفظ الروم برومية والفرق بينهما كبير جداً فان الأتراك كان يقال لهم ابناء الروم او الروم اي سكان آسيا الصغرى وبقي هذا الاسم يطلق عليهم الى عهد قريب وكان يطلق على انبراطورية القسطنطينية مملكة الروم ولما فتحها العثمانيون بقي اسمها على ما كان أيام بني سلجوق أصحاب الأناضول قبل العثمانيين وكان يقال لهم أيضاً سلاجقة الروم ولما فتح الترك العثمانيون ممالك البلقان اطلقوا عليها اسم روم ايلي . وأطلق علماء الجغرافيا من العرب اسم بلاد الروم على شبة جزيرة الأناضول . فالأتراك العثمانيون ليسوا إذاً أبناء رومية العظمى كما قال هؤلاء المحققون .

وفي هذا التاريخ أيضاً عند الكلام على حال جزيرة العرب في القرن الماضي (ص ٥٥١ ج ١١) ان محمد بن عبد الوهاب دعا في نجد الى اسقاط المذاهب المعتمدة عند اهل السنة (الحنفي والحنبلي والشافعي والمالكي) وقضى الا يعمل الا بالكتاب والسنة اي لا يقتدى إلا بمحمد وصحابته الأربعة مما ورد في الحديث وان مذهبه كاد ان يكون مذهب اعتزال جديد وأشار الى تحريمه شد الرحال لزيارة القبور والتوسل بغير الله الخ .

وقوله ان محمد بن عبد الوهاب خرج على مذهب احمد بن حنبل كما خرج على المذاهب المعروفة غير صحيح لأن ابن عبد الوهاب لم يدع الى مذهب جديد ابتدعه بل دعا الى مذهب احمد بن حنبل . وهذا المذهب كسائر المذاهب يشتد في انكار البدع فمذهبه لم يخرج عن المذهب الحنبلي في شيء وانما كان هذا المذهب ميتاً في نجد فأحياه وأعاد قومه الى حجر التوحيد وكرّه اليهم الشرك بالله . وأهل نجد لا يحبون ان يدعوا «وهابية» نسبة لمرشدهم الجديد ويفضلون ان يقال لهم سلفيون اي قائلون بمذهب السلف او حنابلة وهو الأقرب الى الواقع فان داعيتهم ما أخذ عن غير ابن حنبل ومن قال بقوله كابن تيمية وتلميذه ابن قيّم الجوزية (راجع مقالتنا أصل الوهابية في مجلة المقتطف المجلد ٢٥ ص ١١٢)

وفي هذا التاريخ أمور ظهر عليها جهل يستغرب صدوره في سفر تعاورت أيدي كبار مؤرخي فرنسا على تأليفه وعدوه مثال الاجادة في التأليف وسلكوه في سلك مفاخرهم ولكن أنى يتجرد هؤلاء المؤرخون عن تربيتهم وهم اعداء كل ما يخالف ما اعتقدوه هم وآباؤهم ؟ . ان ما كتبوه في الجزء الأول من هذا الكتاب في سيرة الرسول يخجل من كتبه اجهل الناس لبعده عن حقيقة الرسول كثيراً ولايليق بمؤرخ تدوين مثل هذه الهنات في أعظم شخصية عرفها التاريخ ؛ وليست حياته الشريفة بالمجهولة وهي في متناول كل من أحب معرفتها وحكم عقله واستشرف انصافه ولكن من مؤرخي اللاتين من يكتبون تواريخهم الى اليوم بعوامل سياسية وعوامل دينية مع الأسف .

ومن أعجب ما يدون ان سينوبوس أكبر مؤرخي فرنسا في العهد الأخير ، وهو الرجل الذي قضى أكثر من ستين سنة يتعلم التاريخ ويعلمه ، لم يستطع ان يتحرر مما انتقل اليه من التعصب الموروث فقد قال في كتابه تاريخ الحضارة ان صاحب الرسالة كان رجلاً جباناً سوداوياً تنتابه عوارض من الحمى وتعروه نوبات عصبية وان المسلمين اعتادوا منذ القرن العاشر ان يغالوا ببلاغة القرآن ، ولم يكن هذا الاعجاب ببلاغته مألوفاً للعرب في القرون الوسطى ، ويرى احد العارفين (دوزي) ان معظم آيات القرآن قد كتبت بلغة عربية تكاد تكون الى الركاكة ! وقد رددنا على هذا الهذيان في المجلد السابع من مجلة المقتبس وفي الجزء الأول من كتاب الاسلام والحضارة العربية .

ومعلوم ان اعدى اعداء الرسول لم يجرأ أن يصمه بالجبن وهو الذي طالما تعوذ بالله من الجبن والبخل والكذب كما ورد في الصحيح . وهل لسوداوي ان يؤثر ما أثره محمد عليه الصلاة والسلام في أمته وغير أمته ؟ ومن نشل الانسانية المعذبة كما نشلها ، ومن أخرج الناس من الظلمات الى النور كما كان منه ؟ اما القول في غلو المسلمين ببلاغة القرآن فضرب من السخافة . ومن الغريب ان يقول دوزي ان معظم القرآن كتب بلغة تكاد تكون الى الركاكة . مع كل ما طعن به اليسوعيون في الاسلام فقد أقروا ان ليس له غير بلاغة كتابه ، ودوزي لم تقو المدنية الأخيرة ان تحرره من قول السخف في القرآن .

وقد اعتذر نولدكه الألماني صاحب كتاب تاريخ القرآن عن أغلاط ارتكبها في شبابه بقوله ان آثار تهور الشباب لا يمكن محوها كلها إلا بإعادة النظر فيما كتبوا او الابتداء بوضع تآليف جديدة تعفي أثر القديمة فان كثيراً من المسائل التي كنت أعتقد بصحتها قليلاً أو كثيراً استبانت لي فيما بعد أنها غير أكيدة . ولعل دوزي لو جاء لاعتذر بمثل هذا العذر وكذلك بعض من خلطوا في الكلام على الاسلام وهم لا يعرفونه وما كان خلطهم عن قصد سيء .

وللمؤرخ سنيوبوس على جلالة قدره في فنه غلطات في الاسلام لا تصدر

عن أقل الكاتبين بضاعة منها قوله في كتابه نبذة في التاريخ المقابل للشعوب الاوربية Seignobos:Essai d'une histoire comparée des peuples de l'Europe حال دون تقدم النصارى في الأندلس غارة مؤلفة من أهل نحلة جديدة سميت بالمرابطين جاءت من مراكش واخضعت لسلطانها عامة اسبانيا الاسلامية ·
وما كان المرابطون أهل نحلة اي دين جديد بل كانت لهم طريقة ودُعوا المرابطين لأنهم أخذوا على أنفسهم العهد ان يرابطوا في سبيل الله ومذهبهم كمذاهب المسلمين في عهدهم وكان مذهب مالك ·

ومن أغلاط الافرنج الفكرية المنبعثة من جهل بالجغرافيا ما جاء في معجم السياسة أو الدبلوماسية ، وهو كتاب كتب في أوله انه تأليف معظم رجال السياسة في الأرض أو ٢٧ رئيس حكومة و ٤٧ وزير خارجية و ٥١٢ سفيراً ووزيراً مفوضاً وكلهم أعضاء مشتركون بهذا بالعمل ينوبون عن ٧٣ دولة · تقول هذه المعلمة او دائرة المعارف السياسية أو المعجم السياسي ان حكومة العلويين تقع بين جبل الدروز ولبنان الكبير على البحر المتوسط وان سكانها ٢٦ ألفاً وعاصمتها اللاذقية في حين ان اللاذقية وحدها يبلغ سكانها نحو اربعين الفاً وجبال العلويين لا تقل نفوسها كثيراً عن خمسمائة الف ، وجبل الدروز يبعد أكثر من مئتي كيلو متر عن جبال العلويين فهو في أقصى جنوبي شرقي سورية وأرض العلويين في الشمال الغربي من الديار الشامية ·

وعلى ذكر العلويين لا بأس أن نفكه القراء بما جاء في كتاب دولة العلويين لمؤلفه بول جاكو P . Jacquot : L'Etat des Alaouites من ان النصيرية والاسماعيلية شعبان مختلفان ودينان متباينان ليسا من الاسلام في شيء وقد بقيت في أرضهم العبادات الفينيقية القديمة حيث وجد الدينان الباطنيان النصيرية والاسماعيلية اشد اشياعها غيرة وحماسة ·

وعجيب ان يفوت المؤلف — وقد عاونه في تأليفه ثلاثون رجلاً على ما ذكر في فاتحة كتابه — ان النصيرية والاسماعيلية شيعتان من شيع المسلمين

ويحاول ان يخرجها من الاسلام وجميع علماء الملل والنحل يقولون بأنها طائفتان اسلاميتان بأصلها وشعائرهما وعقائدهما فمن أين هذه الفصاحة في أنهم بقايا الفينيقيين وهم معروفون من أين أتوا وكيف تديروا تلك الأرجاء . وهذه أغلاط تمليها السياسة الخرقاء .

وقد حاول بعض من كتبوا في أخبار لبنان من الافرنج ان يخرجوا الأمير فخر الدين المعني الثاني من أهل السنة ويلحقوه بالدروز ومنهم من جهد ليقول إنه دان بالنصرانية . ولا يلزم من يحكم ولاية ان ينتحل مذهب أهلها . وفي رواية الصفدي مؤرخ الأمير فخر الدين هذا بلاغ لمن ينصف فقد قال ان الأمير فخر الدين لما ذهب الى طسقانة ونزل على أميرها كان معه إمامه في جملة من حمل من حاشيته وانه بنى جامعاً ومأذنة في البلد الذي نزله في ايطاليا يدعو الى الصلاة في الأوقات الخمسة ويصلي جماعة مع إمامه وانه ماتت له ابنة فأبقاها في تابوت حتى اذا عاد الى وطنه نقل رفاتها معه لتدفن في ديار الاسلام .

هذه أمثلة طفيفة عرضنا لذكرها ليأخذ منهـا الباحث فكرة عن العابثين بالحقائق من المؤلفين في الغرب . والمأمول ألا تغتر ناشئتنا بضخامة الألقاب التي يحملها بعض المؤلفين فقد ينشأ الغلط من الكبار ويكون أطول مقياساً مما هو في الصغار وفي القرباء أكثر منه في البعداء وفيمن يسمونهم بالعلماء أكثر من غيرهم من الطبقات .

وبعد فكثيراً ما وددت لو قام بعض أرباب الكفاءة منا فنشروا في القاهرة أو دمشق أو بغداد مجلة تعنى برد ما ينشر من هذا القبيل في الكتب والمجلات الافرنجية تدفع به هذه الأباطيل المقصودة عن تاريخنا ومقدساتنا وتنقي العلم من هذا الزؤان والزغل فعصرنا عصر دعاية ومن لا يدعو لما يهمه لا يهتم له أحد ويظل التباين بينه وبين من يريد أن يكون معهم على وئام متأصلاً .

محمد كرد علي

بقايا الفصاح

اذا قابلنا بين لغتنا العامة في هذه الأيام وبين ماتناهى الينا من بعض بقايا اللغة العامة في ايام بني العباس وجدنا ان لغتنا العامة اعلى طبقة من اللغة العامة في ذلك العصر ، فمن آثار تلك اللغة ما جاء في الاغاني في كلام صاحبه على ابراهيم الموصلي ، قال : ذكر ابن خرداذبه وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمنه كتبه ان سبب نسبة ابراهيم الموصلي الى الموصل انه كان اذا سكر كثيراً مايغني على سبيل الولع :

أناجت منطرق موصل أحمل قلل خمريا
من شارب الملوك فلا بد من سكريا

أفلا نرى ان هذه التراكيب العامة دون تراكيبنا العامة في عصرنا ، فمن قول العامة في دمشق : ماشبعت منه ، اي من النظر اليه ، اما لفرط جماله أو لطفه ، واما لحسن هيأته او غير ذلك ، وقد جاء في ذيل الامالي مايلي : قال الحجاج لثابت بن قيس الأنصاري : ارثِ ابني أبان ، فقال له : اني لأجد به ماكنت أجده بحسن (ابن ثابت) قال : وما كنت تجد به ، قال : مارأيته قط فشبعت من رؤيته ...

فهذه لغة لاتخلو من آثار اللغة الشعرية ...

ومن قول العامة في دمشق : ركّبوها عليه ، وهم يريدون بذلك أنهم نسبوا اليه كلمة او مسألة إما من باب الافتراء وإما من باب الظرف ، فاذا قالوا : ركبوا عليه كذا او كذا ... ارادوا مرة الافتراء المطوي على شيء من الأذى ومرة السخرية المطوية على شيء من الظرف ، جاء في الامامة والسياسة لابن قتيبة في كلام على خروج علي من المدينة ان أخاه عقيلاً كتب اليه كتاباً جاء فيه : واني خرجت معتمراً فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووهما وهم متوجهون الى البصرة ، قد أظهروا الخلاف ونكسوا البيعة وركبوا عليك قتل عثمان ...

فان عقيلاً يريد بالتركيب في هذا المقام الافتراء المشتمل على الأذى ، وقد اشتقت عامتنا من هذه المادة اسم المرّة فقالت : تركيبة ، اي مسألة ملفقة .

وانتقل الآن الى كتاب الأغاني ، فاستخرج منه طائفة من التراكيب الفصيحة التي لاتزال تجري على السنة عامتنا ، واني لأعتقد ان كتاب الاغاني اذا خلد في تاريخ أدبنا على تعاقب العصور فان من جملة أسباب خلوده هذه اللغة السهلة التي لانزال نرى بقاياها في عامة أهل الشام ...

من قولنا في دمشق : اجعل طريقك عليه ، أي مرّ به ، وهذا من كلام العامة والخاصة ، جاء في الأغاني ، في أخبار اسحق بن ابراهيم مايلي : حدث الزبير بن حماد قال : دخلت يوماً على الفضل بن الربيع مسلماً ، فقال لي : قد عزمت غداً على الصبوح ، فصر اليّ بكرة ، فكنت أنا والصبح كفرسي رهان ، فلما اصبحت من غدٍ جعلت طريقي على اسحق بن ابراهيم ..

ومن قول العامة : فلان سقط من عيني ، وهم يريدون بذلك انه عمل عملاً قبيحاً اما انه كذب أو سرق أو احتال أو غير ذلك ، وهذا تركيب فصيح ، فقد نقل صاحب الأغاني في أخبار يحيى المكي ونسبه كلاماً عن محمد ابن أحمد بن يحيى المكي الذي قال : عمل جدي كتاباً في الاغاني وأهداه الى عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذ شاب حديث السن ، فاستحسنه وسرّ به، ثم عرضه على اسحق ، فعرّفه عواراً كثيراً في نسبه ، لان جدي كان لا يصحح لأحد نسبة صوتٍ البتة ، وينسب صنعته الى المتقدمين وينحل بعضهم صنعة بعض ضناً بذلك على غيره ، فسقط من عين عبد الله ، وبقي في خزانته ... فالضمير في سقط يرجع في هذا المقام الى الكتاب لا الى يحيى المكي فالكتاب سقط من عين عبد الله بن طاهر لان فيه تخليطاً كثيراً .

ومن هذا القبيل قول العامة : مارأيت اسقط من فلان .. والمادة الواحدة تدل على شيء من الازدراء والاحتقار ، فقد جاء في الاغاني في أخبار بصبص جارية ابن نفيس مايلي :

فقبلها وغنته ثم قـالت : أبا اسحق : أرأيت اسقط من هؤلاء ، يدعونك ويخرجونني اليك ولا يشترون ريحانًا بدرهم ...

ومن تراكيب العامة في دمشق : لاتدخل بيني وبينه ، وهو مفهوم ، وقد جاء هذا التركيب في الاغاني في اخبار اسحق بن ابراهيم ، فقد نقل عون ابن محمد حديثًا عن اسحق ، قال اسحق : لاعبت الفضل بن الربيع بالنرد، فوقع بيننا خلاف ، فحلف وحلفت ، فغضب علي وهجرني ، فكتبت اليـه أبياتًا وعرضت الأبيات عليه فلما قرأها ضحك وقـال : أشد من ذنبك انك لاترى لنفسك بذلك الفعل ذنبًا ، والله لولا انني ادبتـك أدب الرجل ولده وان حسنك وقبيحك مضافان الي لأنكرتني ، فاصلح الآن قلب عون ، وكان يحجبه ، فخاطبته في ذلك ، فكلمني بمـا كرهت ، فقلت : أتدخـل بيني وبين الأمير ، اعزه الله ...

ومن قول العامة في دمشق : ما له معنى ، أي مالهذا الامر او العمل سبب أو حاجة أو مقتضى أو ما شابه ذلك ، وقد جاء في الأغاني في أخبار ابراهيم الموصلي خبر طويل ذكره حماد بن اسحق عن أبيه ، وهو يتعلق بشراء الرشيد لجارية من ابراهيم الموصلي بستة وثلاثين الف دينار ، وقـد طلب الرشيد الى الفضل بن الربيع ان يتوسط بينه وبين ابراهيم الموصلي حتى يحط له ابراهيم من ثمنها ستة آلاف دينار، فحط اثني عشر الف دينار ، قال اسحق لابنه حمـاد بعد هذه الحطيطة : وكنت قد أتيت جدك فقلت : ما كان لحطيطة هذا المال معنى ، وما هو بقليل ، فتغافل عني وقال : أنت أحمق ، أنا أعرف الناس به ، والله لو أخذت المال منه كمـلاً ماأخذته الا وهو كاره ، ويحقد ذلك علي ، وكنت أكون عنده صغير القدر ، وقد مننت عليه وعلى الفضل ...

ومن التراكيب الفصيحة التي تستعملها العامة قولهم : عليه موعد ... وقد جاء في الأغاني في اخبار ابن مسجح ونسبه في خلال قصة طريفة تتعلق بقبض عامل الحجاز لمال ابن مسجح ونفيه مايلي : ثم قال : يافتيان ! هل فيكم من

يضيف رجلاً غريباً من اهل الحجاز ، فنظر بعضهم الى بعض ، وكان عليهم موعد ان يذهبوا الى قينة يقال لها برق الأفق !

ومنها : كبسوا بيته ... وهو مفهوم تريد العامة بذلك انهم دخلوا بيته وفتشوه وقد جاء في الاغاني في اخبار ابراهيم الموصلي حدثت لحماد بن اسحق عن جده ابراهيم قال : فلما ولي موسى الهادي الخلافة استتر جدي منه ولم يظهر له ، بسبب الايمان التي حلفه بها المهدي ، فكانت منازلنا تكبس في كل وقت ...

ومن قول العامة في دمشق : عفت حياتي .. وليس في كلام يأس مثل مافي هذا الكلام فاذا عاف الرجل حياته فما يطيب في نظره شيء من الدنيا ، وقد جاء هذا التركيب في شعر ابراهيم الموصلي ، قاله لموسى الهادي :

ولقد عفت في هواك حياتي وتغربت بين أهلي ومالي

ومن آثار اللغة الشعرية التي بقيت في عامة دمشق قولهم : الله أوصى بالجار ... وقد ورد هذا التركيب في شعر الأحوص اذ قال :

ثنتان لاأدنو بوصلهما عرس الخليل وجارة الجنب

اما الخليل فلست فاجعه والجار أوصاني به ربي

ومن لغة الطعام قولهم : حطوا على السفرة لونين أو ثلاثة أو اربعة ألوان ، وهم يريدون بذلك أنواع الطعام ، وقد جاء في الاغانى في أخبار أبي العتاهية مايلي : قال مسلم بن الوليد : كنت مستخفاً بشعر ابي العتاهية ، فلقيني يوماً فسألني أن اصير اليه ، فصرت اليه ، فجائني بلون واحد فأكلنا ...

* * *

أظن ان هذه التراكيب التي ذكرتها في هذا المقال وفي مقالات متقدمة أفصح من التركيب الآتي :

أناجت من طرق موصل أحمل قلل خمريا

أفلا نرى كل يوم دليلاً على ان دمشق حفظت من آثار لغتنا الفصيحة مالم تحفظه غيرها من المدن .

شفيق جبري

القضاء اللبناني[1]

الوضع الاجتماعي

— ٣ —

مضت كلمتنا في القضاء اللبناني من الوجهة التاريخية . وهذه كلمتنا فيه من الوجهة الاجتماعية ، نوطئ لها بهذا الموجز من القول :

كنت أريد ، والمؤتمر — مؤتمر المحامين — ان ينحصر البحث في أمر الاشتراع ، فلا يتعداه الى السياسة . غير ان من الخطباء من أبوا الا ان يجعلوا من السياسة تمهيداً للبحث في القانون ، كأنهم أرادوا ان يقيموا من الحدود السياسية المصنعة بين الأقطار العربية ، حدوداً اشتراعية ثابتة بين المحاكم العربية .

وقد أفاض احد الخطباء في ما يقوم في وجه الوحدة السياسية من عوائق ، افاضة مطولة مسهبة — والموضوع لم يك موضوعها ، ولا المجال مجالها — حتى خيّل الى السامعين ان من وراء ذلك فكرة معينة ، تسترت لحة ثم عادت فانكشفت عن حقيقتها ، فعاد معها الحديث عن الاشتراع حديثاً عن السياسة ، لأن السياسة كانت الهدف الأول في الموضوع ، لا مباحث الشريعة ولا مطالب القانون[2] .

قال الخطيب : « لكن المعروف أيضاً ، هو ان اختلاف الأسس بين شعب وشعب ، وبين دولة ودولة ، وبين جار وجار ، يوجد من الفوارق الأساسية ما لا يساعد على التوحيد والوحدة » .

وضرب على ذلك مثلاً : الفارق في الدستور . فقال : « ان دستوري سورية ولبنان . شكل الحكم فيهما جمهوري ، وفي دساتير مصر ، والمملكة السعودية ، والعراق ، واليمن ملكي ، وفي شرق الأردن امارة .

---

(١) تتمة ما هو مدرج في الجزء الحادي عشر من السنة العشرين . وهو ملخص المحاضرة التي القيت في مؤتمر المحامين ١٢/٨/١٩٤٤

(٢) أجبنا عن ذلك في محاضرتنا ، بالكلمة التي اتسع لها المقام يومئذ ولا نرجع اليها هنا مرة ثانية .

وفي دستور لبنان فصل الدولة عن الدين ، ولكنها جمعا في دساتير سورية ، ومصر ، والعراق ، وشرقي الأردن » .

نقول : الفارق في الدستور لا يقضي حتماً بفرق في القوانين ، ولا هو مما لا يساعد على التوحيد ، والوحدة في الاشتراع .

فكم من دولة انتقلت من ملكية الى جمهورية . ومنها ما انتقل شكل الحكم فيها من ملكية ، الى امبراطورية ، ثم الى جمهورية ، وظلت قوانينها هي إياها ، إلا ما اتصل منها مباشرة بشكل الحكم نفسه ، وهو شيء خاص ينحصر في الدستور خاصة ؛ بل في بعض مواده ، ولا يتعداه الى سائر القوانين . وما يتبدل من القوانين — عدا ذلك — انما يتبدل تبعاً للزمن والحاجة ؛ لا للتبدل في شكل الحكم .

بل كم من دولة أخذت قوانينها وشرائعها عن دولة أخرى ، وبين الدولتين من الفوارق الدستورية هوة سحيقة .

ولا نبعد كثيراً بل نضرب من أنفسنا مثلاً ، فلقد كانت الدولة العثمانية خلافة مطلقة « اوتوقراطية » فلم يمنعها هذا من ان تأخذ معظم قوانينها عن فرنسة وهي جمهورية شعبية (ديموقراطية) ثم انسلخ عن هذه الامبراطورية العثمانية من انسلخ من الشعوب والأقطار ، فألفوا حكومات ودولاً ، منها الملكية ، ومنها الجمهورية ، ومنها العسكرية ، ومنها الأميرية ، وكانت سورية ولبنان ، في جملة هذه الولايات المنسلخة ، وقد ظلت قوانين هذه البلدان وشرائعها واحدة ، حقبة من الزمن غير قليلة .

لا ! ان الفارق الدستوري ليس بالذي يحتم التفريق في التشريع ، هذه واحدة . واخرى هي ان لبنان راعى الطائفية مراعاة شديدة دقيقة ، وهو قائم كله — نقول هذا والألم يحز في نفوسنا — على أوضاع طائفية ، من اخمص قدمه حتى قمة رأسه ، فغير لبنان ، وغير اهل لبنان ؛ من حقهم ان يعترضوا على الطائفية .

نعم ! لقد قال الدستور السوري : « سورية جمهورية دين رئيسها الاسلام » ولم يقل الدستور اللبناني « لبنان جمهورية دين رئيسها المارونية » غير ان النصوص الفاظ جوفاء في ذات نفسها ، والقوانين والدساتير لاقيمة لها الا على قدر تطبيقها وتنفيذها .

فلبنان الذي لم ينص دستوره على دين بعينه يدين به رئيس جمهوريته ، لا يكون رئيس جمهوريته – من حيث الواقع – الا مارونياً . ولم يقف الأمر عند الرئيس الأعلى كما هو في سورية ، بل تناول سائر الرئاسات ، بل ما هو دون الرئاسات . فاذا كان رئيس الدولة في لبنان لا يكون إلا مارونياً ، فان رئيس الحكومة فيه لا يكون الا سنياً ، ووكيله ارثوذكسياً . ورئيس المجلس النيابي شيعياً . ولقد شهدنا من معارك التعيين والانتخابات لهذه المراكز ، ما كانت الغلبة فيها للطائفية أبداً . اما القول بأنه مع – اطلاق النص – « يمكن » و « يجوز » . فان « اليمكن » و « اليجوز » لا يصح الوثوق بها ، ولا الاعتماد عليها . فهي شيء موكول الى المستقبل ، وما قد يقع في المستقبل في لبنان ، قد يقع مثله وأكثر منه في سورية ، فكما ان السوابق قد تتحكم ؛ فان النصوص قد تتبدل . ثم اذا أبى آب ان ينزل السابقات المتبعة ، والعادات المرعية – وهي ما لها حكم القانون – منزلة القانون المكتوب ، فان المادة ٦ و٦ مكررة في الدستور اللبناني تنص نصاً صريحاً على الحقوق الطائفية في لبنان ، – أفليس في هذا النص تحديد وتخصيص ، وتوزيع للوظائف يتنافى في كثير من حالاته – هو وعلمانية الجمهورية التي يزعمونها ، ويحيي في الذاكرة الطائفية المقيتة ، بل يجعلها ابداً ماثلة للعيان ، وهو ما يشكو منه الأحرار في لبنان . فاذا كان يُشكى من الطائفية في سورية مرة ، فانه يشكى منها في لبنان مرات .

نعود فنقول : إذا كان الدستور السوري حصر رئاسة الجمهورية في رجل دينه الاسلام . فلقد كان ذلك لأسباب دقيقة يعرفها كل من رافق الحركة السياسية في سورية من مسلمين وغير مسلمين ، على ان الدستور والتعامل السوريين إذا كانا حصرا هذا المنصب الفرد حصراً دينياً ، فهما قد اطلقا ما عداه من المناصب في الدولة اطلاقاً حراً واسعاً فالوظائف في سورية من اكبرها حتى اصغرها مباحة – من حيث الطائفية – لكفاية السوريين . لا يفرق بينهم بين دين ودين ، حتى لنجدن من اقلية الأقليات من يتبوأ ارفع المناصب ، غير مدفوع منه ، ولا ممنوع عليه .

يقع هذا في سورية ، على حين يتنازعون في لبنان طائفياً بل مذهبياً على الوزير ، بل على الوزارة التي يجوز ان يقلدها الوزير بالنسبة الى مذهبه . بل يحصون حتى الشرطة والدرك والكتاب ، ثم يوزعونهم توزيعاً دينياً [1] .

ان اشتراط دين بعينه في رئاسة الدولة ، ليس له من سوء الأثر في احقاق الحق ، واقرار العدل ، ما لتوزيع الوظائف على الطوائف .

ثم هذه الولايات المتحدة التي تنادي بالحرية و « الديموقراطية » ألم يكن مذهب « اسمث » من اكبر العوامل في دفعه عن رئاسة الجمهورية في الانتخاب الأسبق .

بل هذه انكلترة نفسها الذي اخذ عنها العالم التمدن في القرون المتأخرة مبدأ الحكم النيابي ، يشترط في ملكها ان يكون على مذهب معين هو دين الدولة الرسمي .

وعاد الأستاذ ، وباسم العلم يبحث الفارق في الاشتراع المدني فيقول : « الشرعة المدنية أساس المجتمع ، وقد اجمعت القوانين الحديثة على تأسيس المجتمع على شرعة مدنية واحدة ... والاحوال الشخصية في الاشتراع المدني هي القاعدة التي يرتكز عليها كيان الهيأة الاجتماعية ، لأن الأحوال الشخصية بما فيه الزواج وتعدد الزوجات ، والسفور والحجاب ، وحقوق المرأة ، والوصية ، والارث ؛ هي اساس العائلة ؛ والعائلة اساس المجتمع » .

وان امرءاً يسمع هذه الحجة لا يستطيع الا ان يضحك منها بملء فيه . واضحك ما فيها انها اريدت ان تكون حجة دامغة ، تقوم على اساس من الحق والمنطق ... ومن العلم أيضاً .

حصر الأستاذ بحثه هنا في الأحوال الشخصية واعرض عن ذكر سائر القوانين ، وكأنه يحتج لهذا بأن « الأحوال الشخصية هي — كما قال — اساس العائلة ، والعائلة اساس المجتمع » فالقوانين في رأيه تقوم كلها على هذا الأساس . أو

(١) وفي لبنان ظاهرة انكى من هذا كله هي مداخلة الرؤساء الدينيين بشكل رسمي في الكبيرة والصغيرة من شؤون السياسة الخارجية والداخلية . وهو قل أن يقع مثله اليوم في بلد من البلدان .

كأنه رأى في قانون الأحوال الشخصية ، وفي ذكره « الزواج والطلاق وتعدد الزوجات والوصية والارث . . » وهْية يستطيع ان يجعل من توسيعها ، الشقة التي يريد ان يقيمها بين وحدة الاشتراع في بلاد العرب .

وذكره هذه الأمور على الشكل الذي ذكره ، يوهم ان في لبنان قانوناً خاصاً للأحوال الشخصية يجمع اللبنانيين كلهم تحت لوائه، ويجعلهم في وضع يختلف عن وضع اخوانهم العرب في سائر الأقطار العربية . وهذا غير الواقع ؛ فان لبنان ليس له قانون موحد للأحوال الشخصية ؛ بل له — كسائر بلاد العرب — قوانين هي في سورية وفي لبنان واحدة ؛ بل هي تكاد تكونها واحدة ، عند ابناء كل طائفة وأبناء كل مذهب ، من طوائف العرب ومذاهبهم الدينية ، في كل قطر من أقطارهم .

ونوضح ذلك فنقول : ان لبنان — على ظاهر احصائه — نصفه مسلمون ونصفه مسيحيون — وفي كل طائفة من هاتين الطائفتين مذاهب . ولكل مذهب من هذه المذاهب محكمته الروحية الخاصة ، وقانونه الخاص . وكل قانون من هذه القوانين يختلف عن قوانين سائر الطوائف بل سائر المذاهب في لبنان ، ويتفق هو وقانون ابنائه في خارج لبنان . فقانون الأحوال الشخصية (وهو قانون العائلة) عند المسلم السني في لبنان ، لا علاقة له بقوانين المذاهب اللبنانية الأخرى ، ولكنه هو هو القانون المرعي عند المسلم السني في سورية . وما يقال عن هذا عند السنة ، بل عند المذاهب الاسلامية كافة ، يقال مثله واكثر عن المذاهب المسيحية . ذلك ان الطوائف المسيحية مرجعها الديني الأعلى في سورية ولبنان واحد ، وهذا المرجع هو صاحب السلطة الروحية والكنسية ، والولاية العامة في الأحوال الشخصية

ولنا بعد ان نقول : ان الأحوال الشخصية التي جعلها المحاضر حاجزاً دون وحدة الاشتراع ، بل ارادها ان تكون عاملاً على فصم هذه الوحدة القائمة ، قد يجوز ان تكون كذلك بالنسبة الى لبنان نفسه ، أما بين سورية ولبنان فالأمر على العكس ؛ إذ الأحوال الشخصية هي العامل الأقوى ، بل العروة القانونية

الوثقى ،التي لا تزال تربط ما بين داخل الشام وساحله . فالمحاكم الشرعية ، والمحاكم المذهبية ، والمحاكم الكنسية ، على اختلاف مذاهبها ، هي هي في سورية ولبنان : شكلاً وتأليفاً وموضوعاً وشريعةً وقانوناً وتعاملاً .

وبعد ، فأين هو الاشتراع المدني الذي يزعمه المحاضر ؟ هذا الاشتراع الذي ينشده فريق كبير فلا يجاب اليه ، لأن الذين يعرفهم الأستاذ ، وخاصة صاحبه الذي يعمل تحت لوائه ، لا يريده ، احتفاظاً بسلطته الدينية ونفوذه الطائفي .

نعم ! انه لو صحت حجة الرجل ، بأن الأوطان تقوم وحدتها السياسية ووحدتها الاشتراعية على شرعتها المدنية وكيانها العائلي ؛ لكان خليقاً بلبنان ان يقسم على نفسه ، وحاله حاله من اختلاف الشرائع والقوانين .

واذا كان من مغمز في ذكر : « المرأة وحقوقها ، وتعدد الزوجات ، وقواعد الإرث . . » فالجواب عن هذا هين سهل . اما حقوق المرأة فلعله أصبح من الفضول ان نعود فنعدد للمرأة هذه الحقوق التي متعتها بها الشريعة الاسلامية ، والقوانين المتممة لها . فقد كثر فيها القول ، ووضعت لها الكتب . في العربية وفي غيرها من اللغات . والمرأة عندنا تتمتع الى اليوم في كثير من الحقوق ، تمتعاً كاملاً مستقلاً عن سلطة الرجل ، بما لا تتمتع به المرأة في كثير من البلدان الراقية .

وأما تعدد الزوجات ، والنظر به الى انه شرعة دينية لا تساير الرأي المدني اليوم ، وان اباحته معناه رجوع الى العصور المتأخرة ، وانه لا يتوافق وحال شعب يريد النهوض والانفلات من القيود الدينية في احواله الشخصية ، فهذا شيء يقال مثله في تحريم الطلاق . فهو شرعة دينية يتقيد بها بعض اللبنانيين الى اليوم على مخالفتها للرأي العام المتمدن ؛ انا نريد أن نسأل : عما اذا كان تحريم الطلاق يقوم على الشرعة المدنية التي يزعمونها ؟

وأما الارث فان معظم اللبنانيين يجرون فيه حتى يومنا هذا على حكم الشريعة الاسلامية . حتى الفريق الأكبر من الذين وضع لهم قانون الوصية ، فقد

أهملوه ، وظلوا على حكم الشريعة : ذلك لأن احكامها ولا سيما في هذه الناحية ، موافقة لميولهم وحاجاتهم ، مستمدة من طبائعهم وعاداتهم .

* * *

لا ! ليس بين الأقطار العربية عامة ، وبين سورية ولبنان خاصة ، ما يدعو الى الاختلاف في الاشتراع ، إلاّ رغبات سياسية جامحة ، ليست من مصلحة أحد ان تكون .

وقد ذكرنا الماضي وما فيه من وشائج وصلات ، فلماذا يراد تفكيك هذه الروابط ، بل تقطيع هذه اللحمة ، وفي سبيل من تفكك وتقطع ؟ وهل يجمع من في لبنان كلهم على تقطيعها وتفكيكها ؟ أم ينقسمون فيها على أنفسهم . فيقول قوم بوصلها ، ويقول قوم بفصلها ، ونعود لا سمح الله كما كنا ، طوائف وطرائق .

عارف النكدي



اسماء نباتات اعجمية

من أصل عربي

عندما كنت أجمع كلمات «معجم الألفاظ الزراعية» ، وأدقق في أصول أسماء النباتات التي اشتمل عليها ذلك المعجم ، وجدت ان بعض الأسماء الفرنسية والأسماء العلمية لعدد من النباتات الزراعية هي من أصل عربي ، اي انها مأخوذة من كلمات عربية النجار أو من كلمات معربة قديماً .

ولا يُظنن ان تقارب الاسمين العربي والفرنسي (او العلمي) هو ما جعلني أجزم كون الثاني ينتسب الى الأول . فتقارب الألفاظ وحده لا يكفي لبت وجود الصلات بين الاسماء . واتخاذ هذا التقارب وحده دليلاً قاطعاً على وجود صلات النسب بين الألفاظ العربية والألفاظ الأعجمية ليس من التحقيق العلمي بشيء ، بل هو تجنٍّ على العلم .

ثم ان للتحقيق العلمي قواعد يجب على الباحثين في مثل هذا الموضوع الشائك ان يتعلموها ، قبل ان يرسلوا الكلام على عواهنه في أن الكلمة الأعجمية الفلانية هي من أصل عربي ، او ان الكلمة العربية الفلانية هي من أصل أعجمي . وإطلاق الرأي جزافاً في موضوعات مهمة كهذه الموضوعات يسيء الى لغتنا الضادية ويدريننا في أعين العلماء ولا سيما الغربيين منهم .

فالأسماء الفرنسية والعلمية التي أتكلم عليها هي عربية النجار لا لأنها تشبه الأسماء العربية فحسب ، بل لأن الثقاة من علماء النبات وعلماء أصول الكلم الفرنسية قد جزموا انها من أصل عربي . وهؤلاء العلماء لا يجزمون أموراً كهذه الا بعد مراجعة المستندات المقنعة التي تبين واضع الاسم ، وتاريخ وضعه له ، وجريان ذلك الاسم على الألسنة ، والتبدلات التي قد تكون طرأت عليه الخ .

وبعد هاكم بعض هذه الأسماء مرتبةً على حروف المعجم :

Abelmosch — من حبّ المسك . وهو نبات من فصيلة الخبازيات تستعمل بزوره في صناعة العطور .

Artichaut — من الحَرْشَف . بقل معروف تسميه العامة إنكنار وأرضي شوكي . وهذه الكلمة العامية الأخيرة من أرتيشو الفرنسية . فانظر كيف ترد العامة الينا كلماتنا العربية الفصيحة مشوهةً ، وذلك شبيه بقول بعضهم في مصر الهمبرا بدلاً من الحمراء ، والكازار بدلاً من القصر .

Aubergine — محرفة عن كلمة « الباذنجان » العربية اي المعربة قديمًا . وكذا الاسم العلمي الدال على النوع وهو Melongena فهو أيضاً محرف من الكلمة العربية .
وقد ورد في الكتب النباتية الباحثة باسهاب عن اصول اسماء النبات وفي المعجمات الباحثة بإسهاب عن أصول الكلم الفرنسية ما فيه كفاية عن تتابع تحريف الكلمة العربية المذكورة على كر السنين في اللغة الفرنسية .

Azerole — ثمرة الزعرور . وهي من Acerola الاسبانية . وهذه من كلمة زعرور العربية .

Caféier — من قهوة العربية . وكذا الاسم العلمي Coffea . والقهوة في اللغة الخمر . وهي بمعنى البن مولدة . وكلمة البن أيضًا مولدة .

Cakile — من القاقُلّى . وهو غير القاقُلَّة أي الهال .

Caroubier — من الخروب . وهو شجر معروف .

Cat — من كلمة قات المعربة من الحبشية على ما يرجح .

Cheiranthus — اسم الجنس العلمي للمنثور Giroflée . واسم الجنس العلمي هذا من كلمة خِيرِيّ العربية . والخيري نوع من أنواع المنثور وهو المنثور الأصفر .

Colocase — من القلقاس . وكذا الاسم العلمي لجنس هذا النبات .

Cotonnier — من القطن .

Cuscute — من الكَشوث . وكذا الاسم العلمي . وهو النبات الطفيلي الذي يسمى الهالوك في مصر والشام .

Estragon — من Tarcon بلاتينية النباتيين . وهذه من طَرْخون المعربة قديماً .

Henné — من حِنّاء العربية . وهي جنبة صبغية مشهورة من فصيلة الحنائيات

Jasmin — من كلمة ياسمين . وهذه من اصل فارسي .

Ketmie — من الخِطْميّ . وتطلق الكلمة الفرنسية على بضع نبتات من فصيلة الخبازيات .

Lablab — من اللَّبلاب ، والكلمة الفرنسية هذه تطلق على نوع من اللوبيا . اما اللبلاب في العربية فكبيره يسمى Lierre والصغير Liseron .

Limonier — من اللَّيمون .

Lufla — من لُوف العربية . جنس نباتات معرشات للتزيين من القرعيات

Musa — الاسم العلمي لجنس الموز . وهو من العربية .

Nénuphar — من نيلَوفر و نَيْنَوفر العربيتين . وهما من كلمة فارسية ، وهذه من كلمة سنسكريتية .

Oranger — من نارنج المعربة قديماً ، وهي من أصل سنسكريتي . وقد حوَّر الفرنسيون معناها القديم ، فأصبحت تدل اليوم عندهم على البرتقال بدلاً من النارنج اي Bigaradier .

Pastèque — من بطيخ العربية .

Pistachier — هذا الاسم والاسم العلمي من فستق العربية .

Retama — من رَتَم العربية . وهو جنس جنبات للتزيين من القرنيات . وتطلق كلمة الرتم أيضاً على غير هذا النبات .

Safran — من Safranum اللاتينية . وهذه من زعفران العربية وهو جنس نباتات بصلية صبغية من السوسنيات . ويسمى الجادي أيضاً .

Scille — من إشقيل المعربة قديماً من اليونانية . وهو جنس العُنْصُل من الزنبقيات ، فيه انواع تزرع لزهرها .

Sesbane — هذا الاسم والاسم العلمي من سَيْسَبان المعربة قديماً • وهو جنس جنبات للتزيين من القرنيات •

Sophora — من صُفَيراء العربية · جنس شجر للتزيين من القرنيات الفراشية •

Suæda fruticosa — جنبة من السرمقيات مبذولة في بقاع الشام الشرقية ، يسميها الفلاحون والعربان السُوَّيد بتشديد الواو • وذكر الثقاة من علماء النبات ان اسم الجنس العلمي من اصل عربي • ولذا سميت النبات السُوَيداء والسُوَيد وإن لم أجدهما بهذا المعنى في معجماتنا ولا في المفردات •

Sumac — هو السُمَّاق بالعربية • والفرنسة من العربية

Tamarinier — من الاسم العلمي Tamarindus وهذا من التمر الهندي ، وهو اسم هذا النبات بالعربية •

هذه اثنتان وثلاثون كلمة أعجمية من أصول عربية لا شك فيها · وكلها تطلق على نباتات زراعية • وعندي في هذا الموضوع بعض اسماء ربما ذكرتها في فرصة أخرى •

مصطفى الشهابي



الكلمات اللغوية الطبية

وعدت القراء في مقالي السابق الذي جعلت عنوانه (حول المصطلحات الفنية) والمنشور في صفحة ٥١١ من مجلة السنة الماضية — بأن اكتب مقالاً خاصا في تفسير الكلمات اللغوية الطبية التي سردتها سرداً في ذلك المقال والتي تصلح ان تقوم في الاستعمال الطبي مقام الكلمات غير العربية . ولا يخفى ان التقاط الكلمات اللغوية الفنية من مظانها وتصنيفها ورد كل كلمةٍ منها الى جنسها ثم التعليق عليها وعرضها على ارباب الفنون ليأخذ كل منهم ما يناسبه ويتعلق بفنه منها — صنيع اللغوي هذا هو من أخص وظائفه وأبينها اثراً في تنمية اللغة العربية وخدمة الفنون العصرية . وقد اشار الى ذلك بعض كبار الكتاب المصريين فقال :

« ان من افضل ما تخدم به اللغة العربية اليوم جمع الالفاظ الفنية المتفرقة في « كتب اللغة وتدوينها في رسائل خاصة لتكون أساساً لما يوضع بعدُ بالاشتقاق « والنحت والتعريب ومعيناً على هذا الوضع » اه

وكنت منذ سنين خلت اهتديت من نفسي الى مشورة هذا الكاتب الفاضل فكنت اتقصىَّ الكلمات اللغوية التي تتعلق بالعلوم العصرية المختلفة وأدونها في دفاتر خاصة ومنها الكلمات المسرودة في المقال الآنف الذكر والتي عقدت هذا المقال من أجلها . وها هي ذي اذكرها واحدة واحدة وأعلق عليها ما قاله علماء اللغة في تفسيرها . وتحديد المعنى المراد منها . مع ما يعن لنا من الملاحظات والمقارنات .

(**العَلَز**) فسروه بقولهم هو ماينبعث من الوجع بعضه في إثر بعضٍ : كالمحموم يدخل على حمّاه السعال والصداع اه ، فهو إذن يؤدي معنى كلمة (Complication) الطبية وقد ترجمها أساتذة الطب السوريون منذ اكثر من نصف قرن بكلمة (الاشتراك) وغيرهم بالاختلاط . وقد تقرر في مجامعنا اللغوية اخيراً انه لاينبغي أن يصار في الاوضاع الى ترجمتها إلا بعد اليأس من وجود كلمة لغوية تؤدي

معناها . وهذه هي كلمة (العَاز) تؤدي هذا المعنى على مايفهم من معاجم اللغة . ويوجد في أطبائنا من يقول : ان كلمتي (الاشتراك) و (الاختلاط) شاعتا بيننا شيوعاً يصعب معه العدول عنهما فالاولى الابقاء عليهما مادامتا عربيتين .

(العِداد) ومثله (المعادّة) كلاهما مصدر (عادّ) من العدّ وهو الحساب . ومعناها في اللغة ان يزول المرض — كالحمى مثلاً — عن المحموم اياماً معدودة ثم يعود : يقال : بفلان (مرضُ عدادٍ) بالاضافة ويقال : (أكاتُ أكلةً ضارة مازالت تعادّني) اي مازال المرض الناشئ عنها يفارقني اياماً ثم يعود اليّ وقد وردت في كلام النبوّة بهذا المعنى .

(الأُبهر) عرق اختلفوا في تعيين موضعه من الجسد ، لكنهم لم يختلفوا في أنه اذا انقطع مات صاحبه ، وقال بعضهم ، هو عرق منشؤه الرأس ثم يتشعب في جميع البدن ، ولكل شعبة من شعبه اسم خاص : (وريد) (وتين) (أكحل) (نَسَا) (صافن) وهذا الاخير في الساق . أما (البائج) فهو عرق يطيف بالبدن أجمع ، فالاطباء وشأنهم في هذه الاسماء وفي تخصيص كل عرق بالاسم الذي يلائمه . أما الجغرافيون فيحسن ان يستعيروا اسم (البائج) للانهار الكبرى الكثيرة الشعب والفروع . وهذا كنهر الامازون في اميركة الجنوبية مثلاً فيصح ان يسمى (البائج) على التشبيه بالعرق المذكور .

(أثاب) من مرضه **و(أفاق)** . في اللغة كلمات بهذا المعنى قد تبلغ العشرين : منها الثقيل كفعل (اطرغشّ) و (تقشقش) ومنها الخفيف مثل : (أبلّ) و (نقه) ومنها مالم يشتهر استعماله مثل (أرَكَ) و (أفاق) (وثاب) . ومعناهما (اندمل) لكنهم عادوا فخصوا الأخير بشفاء الجروح والدمامل . اما الشفاء من وعكةٍ خفيفة ففعله الدال عليه (خطف) من باب علم وفسروه بأن يمرض الرجل مرضاً يسيراً ثم لايلبث ان يشفى ، فالخطف نقه خاص . ومثله فعل (أفرق) فأنه خاص بالنقه من مرض (لايصيب الانسان الا مرة واحدة في عمره كالجدرى والحصبة) وأهل دمشق يستعملون هذا الفعل ثلاثياً ويقولون (فرق فلان) يريدون

أنه عوفي من مرض حادّ ثقيل كالتيفوس مثلا : فهو في اصطلاحهم على الضد من فعل (خطف) الذي قلنا ان معنــاه ان يشفى من مرض خفيف ، والذي نقترحه على اطبائنا ان يحيوا فيما بينهم هذين الفعلين (خطف) و (أفرق) لخفتهما . ومثلهما في الخفة وجدارة الاستعمال (أرك) و (أفاق) (وأثاب) . أما (أطرغشّ) و (تقشقش) فلا نشير بهما .

(القرحان) : المقروح اسم مفعول مشتق من القرح ومعناه الذي به قروح . اما (القُرحان) فعلى العكس اذ ان معناه الذي لم يُصب بقروح او الخالص من القروح: فالقرحان غير مشتق من القرح وإنما اشتقاقه جاء على حدّ ماء قراح اي صاف خالص من الشوائب . وهكذا الانسان القرحان فهو خالص من شوائب القروح . وهو اسم عام يوصف به الفرد والجمع والمذكر والمؤنث يقال : صبيٌ قرحان ورجال قرحان ونساءٌ قرحان وامرأة قرحان . وجاء في حديث عمر رضي الله عنه ان الصحابة لما قدموا معه الشام وبها طاعون عمواس المشهور قالوا له : (ان معك من الصحابة قرحان فلا تدخلهم على هذا الطاعون) اي انهم خالصون من القروح لم يصابوا بها من قبل . فيفهم منه انهم لو لم يكونوا قرحاناً بل كانوا من قبل قد اصيبوا بقروح الطاعون ثم دخلوا كانوا غير معرّضين أو غير مستعدين لقبول الطاعون والإصابة بقروحه . ويفهم من الحديث ايضاً ان (القرحان) غير خاص بالسليم من الجدري — وان كانت عبارة اللغويين تفيد الخصوص — فانهم يقولون في تفسيره (القرحان من الصبية من لم يجدر) اي من لم تصبه قروح الجدري . وقال بعضهم (القرحان من لم يمسه قرح ولا جُدري ولا حصبة) ، وينبغي ان يزاد عليه (ولا طاعون) استنتاجا من خبر عمر الآنف الذكر فيمكن استعمال القرحان — (ونشتق منه مصدراً فنقول القرحانيّة) — في من كان مستعداً لامراض خاصة . حتى اذا أصيب بهــا واكتسب جسمه المناعة بسببها قيل انه غير قرحان وإنّ في جسمه (قرحانيّة) اي مناعة تقيه العدوى .

(**الحِقاءُ والطَّسَأُ**) أما الحقاء فهو اسم لوجع يأخذ الانسان في بطنه من أكله اللحم بحتاً ومن عوارضه الاسهال ويشتق منه فعل فيقال (حُقي فلان) إذا اصابه الحقاء . فهل يكون «الحقاء» مرض (الاسقربوط) ؟ وهل يصح ان يطلق الحقاء عليه او على نوع منه ؟

قلنا ان (الحقاء) ينشأ عن أكل اللحم بحتاً ومن عوارضه الاسهال . أما (الطسأ) فينشأ عن الاكثار من أكل الشحم والدسم : فيصاب المكثر منه بالتخمة وهذه التخمة تسمى (الطسأ) يقال فلان أطسأه الشحم .

وخلاصة القول ان اللحم المسبب للاسهال يسمى مرضه (حقاء) والدسم المسبب التخمة يسمى مرضه (طسأ) .

(**العثم**) بالثاء المثلثة يكون في العظم وفي الجرح . أما عثْم العظم فبأن ينكسر ثم ينجبر على غير استواء ، يقال عَثِمَ العظم اي ان تجبيره لم يكن محكماً . وبعضهم خص العثم بالكسر الذي يكون في اليد . هذا عثم العظم اما عثم الجرح فهو ان تعلو عليه الجُلبة وهي القشرة ولا يكون قد بريء .

(**الصمخ وأخواته**) الصمخ (بالخاء المعجمة) ان تصيب الشمس وجه الانسان فتترك فيه اثراً لايتعدى ظاهر الجسم يقال : (صمخته الشمس)اما الصمحُ بالحاء المهملة فان يتعدى أثر إصابة الشمس الى باطن البدن كالدماغ يقال صمحته الشمس ومثله(دمغته) و (رعنته) و (ضربته) كلها بمعنى انها آلمت دماغه فاسترخى وغُشي عليه و (ضربة الشمس) معروفة بين الاطباء ويسمونها ايضاً الرعن (بسكون العين . وفتحها خطأ) ولو سميت ضربة الشمس بالصمحة (بالحاء المهملة) لكان حسنا اما (الدمغة) فقد اشتهر لها معنى آخر

(**الحُماق والجدري**) الجدري مرض معروف وفعله (جُدِر) على البناء للمجهول والوصف منه مجدور . وهناك مرض آخر سماه العرب (الحماق) وقالوا هو شبه الجدري تتنفَّط بثوره وتتفرق في البدن . والمصاب به يسمى (محموق) . وقولهم شبه الجدري يدل على انه ليس به وانما بثور هذا تشبه بثور ذاك .

فلعل الحماق هو ما يسميه العامة (جدري المي) (الماء) وهو بثور تتنفط لكنها لا تميت ولا تشوه الجسم

(الدوام والدوار) الحالة التي تعتري الانسان فتجعله يشعر كأن رأسه يدور او كأنه هو يدور — تسمى (الدوار) (بضم الدال وتخفيف الواو) ومثله (الدوام) بالميم وزنا ومعنى . وفي (الدوام) ايضا معنى الدوران ومنه التدويم : يقال دوّمت الخمر شاربها اذا اخذه (الدوام) وتدويم الطائر دورانه وتحليقه في الفضاء . ومنه ايضاً (الدوامة) وهي لعبة للصبيان : يلفون عليها الخيط ويلقونها على الارض بشدة فتدوّم اي تدور طويلاً و (الدوخة) بمعنى الدوار ليست فصيحة اما فعلها وهو (دوّخ) ففصيح يقال : دوخ الوجع رأسه اذا اداره فاشتق العامة من هذا الفعل كلمة (دوخة) واصل معنى التدويخ التذليل والاخضاع ومنه تدويخ الفاتحين للبلاد . وهناك نوع من الدوام يصيب الانسان في البحر وقد سماه العرب (هُدام) قال ابن دريد الهدام [داء يصيب الانسان في البحر] ولا يريد بالداء الا هذا الدوار وربما كانت كلمة [داء] في عبارته محرفة عن [دوار] . فاذا خصصنا الهدام بدوار البحر فلنخصص [الدوام] بدوار الهواء كما اذا حصل شيء منه لركاب طائرات الجو . و [الدوخة] — اعتباراً بان لها اصلا في اللغة العربية — نخصها بما ينتج عن مرض او وجع او رائحة خبيثة . وتبقى كلمة [الدوار] عامة لكل انواع الدوار . على ان القول الفصل في ما ذكرنا راجع الى أطبائنا الافاضل .

(الأَطْم والأَسْر) : الامساك عن النجو والبول يقال له في اللغة [أَطَمٌ] و [ائتطام] فاذا قالوا ائتُطم على فلان بالبناء للمجهول كان المعنى انه حُصر بوله او نجوه . اما انحباس البول وحده فهو [الامر] وفعله [أُسر] بالبناء للمجهول ايضاً . و [أخذه الأُسر] اذا اصيب بهذا المرض . وضد الأُسر [السرح] وهو انفجار البول بعد انحباسه . وماء العين الفلانية مبولة :

اي تسبب ادرار البول . و[التفسرة] هي البولة ينظر اليهـا الطبيب فتفسر له المرض ويستدل بها على جنسه . واذا كان [الأسر] خاصاً بانحباس البول و[السرح] بضده فلنخص [الاطم والائتطام] بانحبـاس النجو . اما [التفسرة] فنعمم في كل نتيجة فحص طبي سواء أكان المفحوص البول او النجو او الدم او ضغطه أو أياً كان .

فلان (عميدُ وجعِ معدته او عميد وجعٍ في معدته)

يريدون بهذا التعبير ان الغالب على فلان او ان معظم السبب في مرضه هو معدته . قال ابن الأعرابي [وكذلك كل موضع غلب عليه وجعه] . واذا كان في معدته قيل عميد وجعه معدته وان كان في قلبه او كبده او وركه قيل كذلك . فابن الأعرابي — أحسن الله اليه — وسّع ولم يضيق

(**الثأب والتوصيم والثقل**) الثَّقَل بفتحتين اشتداد المرض وفعله من حدّ علم . أما ضد الخفة فمصدرها ثِقَل [بكسر ففتح] وفعلها من باب حَسُن . وقد يكون المرض خفيفاً فيشعر الانسان بفتور وتكسُّر واسترخاء في بدنه . وهذا الفتور يسمى في اللغة [توصيماً] و[ثأباً] وفعل ثأب [ثئِب] من باب علم . ومن الثأب اشتقت كلمة [الثُؤباء] لأنها أثر من آثار ثأب الجسم وتوصيمه . على ان كلمة [التوصيم] تصلح للاستعمال في علم النفس أيضاً : فان ضعف الإرادة اذا غلب على المرء شعر بتثاقل في جسمه . وهذا التثاقل أو الكسل يصح ان نسميه [توصيماً] بدليل ما قاله لبيد احد أصحاب المعلقات :

(واعصِ ما يأمرُ توصيم الكسَل)

وربما كان لبيد أول من نقل [التوصيم] من معنى فتور الأجسام مرضاً الى معنى فتور النفوس والأرواح خُلُقاً . ومهما يكن فان كلمة [التوصيم] قد يحتاج اليها او ينتفع بها في علم النفس .

(**الخُزَرَة**) على وزان هُمَزَة ويجوز ان تكون خَزْرة على وزن تمرة اي بفتح فسكون — هي الداء الذي يأخذ في مستدق الظهر . بفقرة القَطَن . والقطن آخرُ فقرات الظهر بين الوركين . وتسمى العَجْب وعجب الذنب . قال الشاعر:

(داوِ به ظهرك من توجاعه من خُزَراتٍ فيه وانقطاعه)

(**الرِزّ والرِزّيزي**) أصل معنى [الرزّ] بكسر الراء الصوت الخفي ثم نقلوه الى معنى [وجع البطن] ولعل الأمعاء في بعض أوجاع البطن يكون لها مثل هذا الصوت الخفي . وانما قلنا ان [الرِز] بكسر الراء لئلا يشتبه لفظها بلفظ [الرُز] وهو الحب المأكول فإن راءه مضمومة . والأفصح فيه [أرز] بهمزة في أوله

كتب ابو اسحق الصابيُّ الى الببغاء الشاعر المعروف أبياتاً في صفة طير [الببغاء] منها قوله :

زارتك من بلادها البعيدة واستوطنت عندك كالقعيدة
ضيفٌ قِراه الجوز والأرزّ والضيف في إتيانه يعزّ

فأجابه [الببغا] بأبيات وصفها فيها أيضاً منها :

ذات شَغًا تحسبه ياقوتا لا يرتضي غير الأرزّ قوتا
كأنما الحبة في منقارها حبابة تطفو على عُقارها

وقد استعمل الشاعران [الأرزّ] ولم يقولا [الرزّ] مع ان الببغا كان يمكنه ان يقول في البيت الثاني [كأنما الرزة في منقارها] مكان [كانما الحبة في منقارها] لكنه لم يقله . فهذا يشعر بأن قولنا اليوم [الرزّ والرزّة] غير فصيح . اما كلمة [الشغا] بالغين المعجمة فأصل معناه عدم التئام اسنان الانسان فيكون بعضها قصيراً وبعضها طويلاً وبعضها متقدماً وبعضها متأخراً . والوصف منه أشغى والمؤنث شغواء : فالببغا شغواء اي ذات شغا . وليس لها اسنان حتى تكون ذات شغا وانما هي ذات منقار . والشغا في منقارها ظاهر أتم الظهور : فان الشق الأعلى

منه أطول من الشق الأسفل . على ان استعمال الشغا في المنقار فيه تسامح أو توسع او ان فيه شيئاً من إلغاز .

نرجع الى ما كنا فيه من ان (الرِز) بمعنى وجع البطن . ومثله (الرزبزي) ويمكننا ان نصطلح على التفرقة بينهما فنسمي الوجع الخفيف بالرز والشديد بالرزبزي اقتداء بالعرب فان الكلمة اذا كانت قليلة الحروف دلت على شيء يكون قليلاً او صغيراً فاذا كان الشيء كبيراً او كثيراً زادوا في حروف الكلمة الدالة عليه وهذا كالشقدف وهو هودج الحجاج وفي سواد العراق هودج اكبر من الشقدف يسمونه (شقنداف) بزيادة نون والف قال الزبيدي في مستدركه : سمعت بعض مشايخي يقول : مر رجل على عراقي فقال : ماتسمون هذا عندكم؟ قال الشقنداف ، فقال : أليس هو الشقدف نفسه ؟ قال لا ، ألا تدري ان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى وشقندافنا اعظم من شقدفكم واوسع جرما اه .

(**شغا . رَتل**) مرَّ معنا آنفاً بمناسبة الارز ومنقار الببغا معنى الشغا . وقلنا إنه في الانسان عدم استواء اسنانه طولاً وقصراً وتقدماً وتأخراً ومثل [الشغا] او هو أشد منه [التشاخس] ، فالاسنان المتشاخسة تكون (عدا شغاها) متعوجة او متهتمة (اي متكسرة) او ساقط بعضها كما هي الحال في الشيوخ الهرمين ، وضد الشغا والتشاخس (الرَتل) وهو ان تكون الاسنان مستوية منسقة (لاترى فيها عوجا ولا أمتا) وأصل معنى [الرتل] في كل شيء ان يكون على استقامة وحسن تنضيد . والوصف منه [رتل] ككتف يقال ثغر رتل اي لاهو أشغى ولا متشاخس . ويقال كلام رتل اذا كانت الفاظه متناسقة مفصلة لاعجلة فيها فتفهم بسهولة [وَرَتِّلِ القرآنَ ترتيلاً] واستعمل الكتاب المعاصرون [الرَتل] اسماً لقطار السكة الحديدية من حيث ان العربات فيه مرتبة متناسقة تتتابع على استواء . واخيراً أخذ رجال التعليم

العسكري كلمة الرتل فسموا بها نوعاً من تصفيف الجنود وادخلوها في جملة اصطلاحاتهم وإيعازاتهم [أو أقول مكان إيعازاتهم صوادعهم] .

(الأسغال والأسغان) احداهما باللام والاخرى بالنون وكلتاهما بالغين المعجمة جمع سغل وسغن وفسروهما بالاغذية الردية . يقال في صدد وصف القوم بالعدم وسوء الحال : انهم يتعيشون بالاسغان . واذا تمادى بهم التعيش بالاسغان ضؤلت أجسامهم وأصابهم الضعف والهزال . واكثر مايستعمل (السغل) و (السغن) في امراض الخيل : يقال فرس سغل ككتف ، واستُعمل ايضاً في امراض الاطفال يقال : صبي سغل وسغن ووغل ، اذا كان سيء التغذية . وهذا بالطبع يؤدي الى الهزال وضؤولة الجثة [1]

* * *

انتهى ماالیه قصدنا من شرح الكلمات اللغوية التي لها علاقة بالطب والاطباء وقد رأى القاريء اننا لم نتعدَّ في التعليق الى مالا نعلمه من علم الطب وانما اقتصرنا على مارأينا علماء اللغة والادب قالوه في كتبهم . اما كيفية الانتفاع بهذه الكلمات واستعمالها وتطبيقها على ماوصلت اليه الحقائق الطبية في هذه الازمنة المتأخرة — فهو من وظائف الاطباء أنفسهم . والقول الفصل فيه لهم لاغيرهم .

المغربي

---

(١) شرحنا الكلمات الموعود بها كلها ماعدا مادلَّ منها على بعض الأمراض النسائية وهي المهاة والضهياء والفصع الخ فاننا لم نستحسن الافاضة في التعليق عليها اكتفاء بحرص من يهمه شأنها فان حرصه يحمله على مراجعة ماجاء في معاجم اللغة عنها ومافالوه في تفسيرها .

آراء وملاحظات

بشأن دروس العربية والمراقبة المدرسية

جاء في مأثور الكلام عند العرب قولهم : « لايكذب الرائد قومه » ، وانا احد رواد قومي بالشرق العربي في فن التدريس لاني زاولته منذ بلغت التاسعة عشرة من عمري الى ان نيفت على الستين وان كنت قد زاولت معه في القسم الاكبر من تلك السنين الكتابات الصحافية وغير الصحافية • ويطيب لي اليوم ان ادلي بآراء لي في هذا السبيل احسبها صواباً ولعل التجارب الطويلة لاتخونني في حسباني ولعل الفائدة التي اتوخاها من ورائها لاتفوت طلابها •

ولاجل حسن الاستيعاب وتمهيد الطريق امام القاريء اقول ان ماادلي به الساعة ينحصر في خمسة أوجه هي هذه : — تدريس قواعد البيان العربي — تاريخ الادب العربي ازاء غيره من علوم العربية — العناية بالانشاء الشفاهي والخطابة — ادخال درس جديد مستقل — ماالمعول الاكبر في مراقبة التدريس والمدرسين • —

* * *

الوجه الاول

تدريس قواعد البيان العربي

ان علم البيان عندنا المشتمل على فنونه الثلاثة المعاني والبيان والبديع قوامه بسط جزئيات لطيفة دقيقة في الانشاء مثل احكام القصر والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والفصل والوصل وحمل الكلام على خلاف مايقتضيه الظاهر ومثل تقسيم ضروب المجاز الى تشبيه وكناية واستعارة ومجاز مفرد ومجاز مركب يسمونه ايضاً التمثيل على سبيل الاستعارة ومثل الاشارة الى اساليب وقوالب رشيقة سموها محسنات بديعية وفي طليعتها حسناً التورية والمشاكلة والتلميح والطباق

والمقابلة والمغايرة والادماج ومراعاة النظير والاستخدام والمبالغة والطي والنشر والاحتراس والتهكم ٠ فهذه الابواب كلها لاتخرج عن كونها احوالاً جزئية للجملة فهي لاتعد من اركان البلاغة الكلية الاساسية مثل تنبيه الدارس على الشروط الجوهرية الواجب عليه مراعاتها في كل موضوع من موضوعات الكلام في المقالات والمباحث والخطب والرسائل وفي طليعة تلك الشروط حسن الالتفات الى مكان القول وزمانه واحوال الناس الذين يوجه اليهم الكلام ونسبة المتكلم اليهم ومقامه لديهم ومثل المواضع اللائقة بالاطناب او بالايجاز او بالمساواة واللائقة برشاقة الكلام ورقته او بجزالته وفخامته ، والنواحي التي يجب على البليغ ان يحرص عليها ويتسلح بها في كل مقام ومن تلك المقامات الرثاء والتعزية والتهنئة والمديح والمودة والغرام والهجاء والعتاب والاعتذار والشفاعة والحماسة والخضوع والندم والتوبة والشكر والمداعبة والأمل واليأس والتدين الخ ٠٠٠ فلا بد للمعلم ان يحرص على هذه الكليات الضرورية غير مكتف بتلك الامور الجزئية المدونة في كتب البيان عندنا ٠ ولا ننكر ان جزءاً من هذه الضروريات ورد استطراداً في بعض كتبنا البيانية ٠ولكنه مبعثر غير مجتمع الشمل ولا قريب المأخذ ولا مستوفي الايضاح والفائدة ولا مدعوماً بالامثلة والتمارين ٠ فلا بد لاستاذ البيان في مدرستنا ان يتدارك جهده مواضع هذا النقص والتقصير بلسانه ومذاكراته وتذليله ريثما ينهض جماعة من اكابر ادبائنا في هذه الايام فيؤلفون كتباً في البيان على النمط الجديد الجامع المانع مما أشرنا اليه هنا غير ناسين علاوة على ذلك ان ينبهوا الدارس على وجود اشتراك عظيم في بعض اساليب الكلام بين المعاني والبيان والبديع وقد اختلفوا في تسمية بعض هذه المشتركات واتفقوا في تسمية بعضها الآخر الامر الذي اشرت اليه في احد مؤلفاتي منذ عشر سنوات ٠ ثم في بحث نشرته لي مجلة المقتطف السنة الماضية ٠

ويترتب أيضاً على استاذ البيان والانشاء العربي عند كل فرصة سانحة —

اذا كان مطلعاً على احدى اللغات الافرنجية — ان يذكر لتلاميذه بالتدريج فوارق الانشاء العربي والانشاء الافرنجي لكي يقيهم من السقوط في كثير من قبح وسخافة الترجمة الى العربية الذي استفاض في اقلام معظم كتابنا وادبائنا هذه الايام الى حد شائن فظيع كاد يقلب محاسن ادبنا العربي رأساً على عقب وآخر ماوقفت عليه وغاظني من ترجماتهم المختلفة السخيفة قولهم المتواتر « الوطن الام » كما يقول الفرنسيون ولفظ الوطن عندهم مؤنث وهو عندنا مذكر ، فان لم نجد مندوحة من نقل هذا التعبير المجازي عندهم بقالبه الى لساننا فلنقل على الاقل « الوطن الاب » لا « الوطن الام » والا فلعلنا غداً او بعد غد نجاريهم ايضاً في هذا السبيل فلا نقول : « ان الوطنية هي امنا » حسبما تقضي به لغتنا . ولفظ الوطنية عندنا مؤنث . بل نضطر ان نجاريهم ونقول مثلهم : « ان الوطنية هو ابونا » ولِمَ لانسقط في هذه الهاوية الجديدة ، ولفظ الوطنية عندهم مذكر لامؤنث . وقد لايحول علينا الحول باذن الله حتى نقول مماشاة لهم في التذكير والتأنيث : « هذا الشمس قد طلع فكان جميلاً نافعاً » وهذه القمر قد أسفرت فكانت لطيفة مؤنسة ... » وحينئذ اسمح لنا ياشيخنا ابا العلاء المعري ان ننشد معك :

فياموت زر ان الحياة ذميمة ويانفس جدي ان دهرك هازل

* * *

الوجه الثاني

تاريخ الادب العربي

ان مدارسنا لقريبة العهد بهذا العلم الممتع « تاريخ علم الادب » فلم يدخل في برامجها الا منذ ثلاثين سنة او نحوها . وانما تنبهنا الى تكوينه علماً منظماً حسن الترتيب والتبويب في هذه السنوات الاخيرة . واظن المرحوم جرجي زيدان مؤسس الهلال كان أسبق المؤلفين الى هذا المضمار أو أحد السابقين منهم .

ولا ننكر ان أمم أوربا الحديثة هي أول من شق هذا الطريق في الوان العلم والأدب فحذونا حذوها وكان الصواب نصيبنا . ولم يكن مفقوداً بيننا من هذا العلم الا قالبه الفني على صورة تدريسية مجدية سهلة المنال . وأما مواده الأولى وعناصره الأصلية فكانت موجودة في أمهات كتبنا منذ عدة قرون . ويكفينا ان نذكر منها كتاب الفهرست لابن النديم . ووفيات الأعيان لابن خلكان . ويتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي . هذا فضلاً عن نبذ عديدة نفيسة تتخلل موضوعات أخرى أدبية في كتاب الأغاني للاصبهاني وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه . وغيرهما من الكتب القديمة القيمة . ولكن هذه العناصر الغالية من تاريخ علم الادب المبعثرة في عدة أماكن لم يكن ينتبه اليها ويحسن استخراجها والانتفاع بها الا أكابر الأدباء فيتمكنوا ان يضربوا بسهم صالح من هذا العلم على تردده بين عالم الشهادة وعالم الغيب . وأما الأدباء المتوسطو الدرجة وطلبة العلم والذين لهم شيء من العلم والثقافة من سائر الناس فلم يكونوا يحرزون من هذا العلم كثيراً ولا يسيراً . وكان الواحد منهم لا يستبعد منه ان يخلط بين عصر امرئ القيس وعصر المتنبي . ولا بين عصر جرير وعصر عبد الغني النابلسي ولا بين أئمة اللغة والأدب وبين علماء الرياضيات وبين رجال المنطق والفلسفة وبين المشتغلين بأحكام الدين والشريعة او المنصرفين الى تصنيف كتب السير والمغازي والرحلات والتاريخ العام وخطط البلدان وهو علم الجغرافية . وهذا قصور يحز في الصدور فالفضيحة والعار عن يمينه ، والجهل المطبوع عن يساره .

ان أول ما يترتب علينا في دراسة تاريخ الأدب العربي توقي هذا القصور مما يطالب به التلميذ ولو لم يجز صف الشهادة الابتدائية فاذا اجتازه مسافة قصيرة أو طويلة وجب عليه أن يتقدم على هذه النسبة في ميدان هذا العلم باطلاعه على تفاصيل متفاوتة ولكن على غير اسراف في الموازنة بين جماعة من مشاهير حملة الأقلام العربية مع الالتفات الى فوارق المجتمع عيشةً ومدنيةً وسياسةً وإدارةً مقرونة بعوامل أخرى خصوصية – اذا وجدت — وهذه الاعتبارات لا بد من

اتخاذها مقياساً صحيحاً عادلاً عند الحكم على أطوار تاريخ الأدب العربي وهي طور الجاهلية والمخضرمين والطور الأموي وهو طور صدر الاسلام ثم الطور العباسي وهو أطول الأطوار أمداً وأخصبها بالحوادث والكوارث ثم طور الانحطاط الذي انسلخت عنه نهضتنا الأدبية الحديثة ثم طورنا الحاضر ٠

قلت ينبغي لمدارسنا أن تضع بين أيدي طلابها امثال هذه المعلومات ولكن على غير اسراف ٠ وهذا الاستدراك هو بيت القصيد ونقطة المركز مما توخيناه هنا ٠ فان معظم مدارسنا أسرفت في الاتجاه الى هذا العلم اسرافاً مستغرباً ليس تحته كبير طائل مع ما يستلزمه من زيادة عناء واضاعة وقت بحيث يعوق الطالب عن حسن تحصيل غيره من علوم العربية ، كالاطلاع الكافي على أحكام الصرف والنحو والبيان وعلى طائفة كبيرة من أوضاع اللغة وعلى العروض والقافية ٠ فقد نرى هذه العلوم لا تمنح كلها معاً من الأوقات الدراسية إلا بقدر ما يجودون به على علم تاريخ الأدب وحده وهكذا تخرج ناشئتنا المدرسية قوية في هذا العلم وحده الى حد الحشو والفضول ضعيفة في تلك العلوم كلها وما أشبه الشاب منها حينئذ بمن يكتسي حلة ملؤها الخلل وعدم الذوق اذ ترى صدرته وحدها استغرقت نصف جسمه أي من عند عنقه الى منتصف بطنه ٠ أما معطفه فقد قصر عليه وشمر عنه الى منتصف ظهره وكذلك سراويله شمرت عنه الى ما فوق ركبتيه وبقي مع هذا الزي الغريب حاسراً حافياً ليس على رأسه طربوش أو قلنسوة ولا يستر قدميه جورب ولا حذاء ٠ فتأمل هذا المنظر الذي لا يصلح إلا لملاعب التمثيل في رواياتها الهزلية ٠ أو ليس من مبكيات الدهر ومضحكاته أن نرى هذا الفتى من فتيان المدارس يلقي عليك من محفوظه كل بادرة ونادرة من سيرة الفرزدق مثلاً ووجوه التعصب لأبي الطيب المتنبي ووجوه التعصب عليه ويسرد عليك أخبار مغامراته كلها لا يخرم منها الى ما يشبه هذه التفاصيل ثم تراه مقصراً في بقية علوم العربية تقصيراً لا يغتفره الاستاذ المخلص الخبير لمن هو دون هذا الشاب بثلاث سنوات في تحصيله العلمي ٠ سل هذا الشاب بناء اسم المفعول

من هاب فيقول « مهيوب » او يقال « مهاب » والصحيح « مهيب » بفتح الميم ، ثم سله مارأيك في لفظ تحابب وتضادد – بضم الباء الاولى والدال الاولى – فلا يجد فيها مطعناً . والصحيح أن يقال تحاب وتضاد بتشديد الباء والدال . اذ لايجوز فك الادغام في هذين اللفظين وامثالها . وهو لايجد نكيراً ان نقول من استقل استقلينا ، ومن استمد استمدينا . والصحيح استقللنا واستمددنا . كما يستصوب ان نقول له او يقول لنا شهور الشتاء وأشهر السنة . والصحيح أشهر الشتاء وشهور السنة . باستعمال كل من جمع القلة وجمع الكثرة في الموضع اللائق به ، كما انه يستصوب قول القائل : هذا النسيج أحمر من ذاك . والصحيح اشد منه حمرة .

فاذا انتقلنا بفتانا من هذه الشذرات الصرفية الى شذرات نحوية لم نجده فيها احسن حظاً ولا ارسخ قدماً . فهو لايعرف موضع الخطأ في قولهم : سبعة عشرة ورقة . والصحيح « سبع عشرة ورقة » ولا في قولهم : « المتعصبون تعصباً دينياً يلامون الا الجاهلون منهم » والصحيح « الا الجاهلين منهم » ولا في قولهم : انتم ذوو الغنى واليسار يجب عليكم اسعاف الفقراء والمحتاجين والصحيح « انتم ذوي الغنى واليسار الخ » لان هذا الموضع من مواضع الاختصاص المحسوب من فروع المفعول به وحظه النصب . ثم هو لايعلم الفرق بين قولنا سافر بكر وخالد ، باستعمال واو العطف . وقولنا سافر بكر وخالدا . باستعمال واو المصاحبة . والعبارة الاولى لاتعين ترافقهما او عدم ترافقهما في السفر ، واما العبارة الثانية فتعين الترافق . كما انه يجهل الفرق بين قولنا : عليك أباك . اي الزمه وارع حقه ، فعليك اسم فعل ، وبين قولنا عليك أبوك . أي أنه يؤاخذك او يعارضك في امر من الامور فعليك جار ومجرور . ومن هذا الباب قولنا : دونك زيداً . أي أقبل عليه . وقولنا دونك زيد . اي ان مرتبته تحت مرتبتك . بجعل دونك ظرف مكان متعلق بخبر مقدم محذوف وقد لايخطر لهذا المسؤول على بال وجود فرق بين قولنا « اجتزنا حقول القرية حتى

سواقيها » بفتح الياء من سواقيها ، وقولنا : « اجتزنا حقول القرية حتى سواقيها » باسكان الياء ، مع ان هناك فرقا لايجوز التغاضي عنه فالعبارة الاولى تفيد اننا اجتزنا السواقي كما اجتزنا الحقول ، فحتى في العبارة هي حرف عطف . والعبارة الثانية تفيد اننا لم نجتز السواقي بل توقفنا عن السير عندما بلغناها . فحتى فى العبارة الثانية هي حرف جر لانتهاء الغاية . ثم ان المسؤول لانظنه يحس بخطأ في قولنا « مهما يسعى المنافق تصيبه الفضيحة » مع ان في العبارة خطأين والصواب ان يقال : « مهما يسع المنافق تصبه الفضيحة » او ان يقال : « مهما سعى المنافق فتصيبه الفضيحة » او : فالفضيحة تصيبه . او مصيره أو عاقبته أو عقباه واذا سألنا احد الفصحاء : « أما سافر اخوك » فاجابنا نعم . أو أجابنا بلى . فنعم في مثل هذه الحال تفيد ان اخاه لم يسافر ، وبلى تفيد انه سافر . واذا قلنا « ماخنت عهدك ابداً » فهو خطأ صوابه « ماخنت عهدك قط » ومثله في الخطأ اذا قلنا : « لاأخون عهدك قط » وصوابه « لااخون عهدك أبداً » ومن الخطأ ان نقول : « لما يزورني ابن عمك اكرمه » والصحيح : حينما يزورني او عندما يزورني اكرمه ، ومن الخطأ الشائع في أعلام جمهور من كتاب هذه الايام قولهم : « سوف لااعول على فلان » والصحيح لن اعول على فلان » فهذه اللطائف كيف ينتظر من ناشئة مدارسنا ان يدركوها ويعرفوا اسبابها ، مادام درس تاريخ الادب يستغرق من اوقاتهم واوقات معلميهم ومن جهود الفريقين مايستغرق على غير ضرورة ولا فائدة ثقافية تستحق الذكر . ولعمر الحق لاأدري ماالغنيمة العلمية العظيمة التي يحرزها طالب العلم اذا اطلع على عشرة اخبار من اخبار للاخطل مثلا شاعر الدولة الاموية بحجة ان يستوعب المؤثرات الجوهرية على منظوماته في بعض نواحيه مع ان هذا الغرض نفسه يمكن بلوغه بالاطلاع على ثلاثة أو أربعة اخبار من سيرة هذا الرجل عوض الاطلاع على عشرة اخبار . والامر المهم الذي لايجوز ان يبرح ذهن احد انمن اراد من ناشئة المدارس التوسع في تاريخ علم الادب امكنه ذلك على اهون سبيل

بعد ما يفارق طور التلمذة بمطالعات كافية في كتب هذا العلم غير محتاج مطلقاً في سبيل هذا التوسع الى اعنات ذهن ولا الى ارشاد معلم . وهيهات ان يكون الأمر كذلك اذا احس هذا الفتى بتقصير في الاطلاع على أصول الصرف والنحو والبيان والعروض ولطائفها ووقائعها فان معظم ما يفوته من هذا القبيل يعوزه فيه إرشاد أستاذ ضليع مع كد ذهن واتخاذ تمرينات جمة الأمر الذي لا يتيسر له إلا وهو بين جدران مدرسته تحت أنظار معلميه ووسط طلاب علم مثله يذاكرهم ويذاكرونه حيناً بعد حين . واني لهذا المنكود الحظ اعادة فائت لم يحسن استغلال خيراته . ولماذا ؟ الجواب لكي يتفرغ تماماً لسيرة الأعشى وديك الجن الحمصي وامثالها فلا يكاد يفوته شيء من بركات غدواتهم وروحاتهم ....

فاذا انتقلنا بالفتى المسؤول من احكام علم النحو الى أحكام علم البلاغة اي المعاني والبيان لم نجده فيه ابهر نجاحاً ولا أحدّ سلاحاً . ولعله يشخص اليك ببصره حائراً مستنكراً اذا أخبرته ان قولنا : « اجاركم في بيتكم أم في بيته » تركيب خطأ والصحيح « افي بيتكم جاركم أم في بيته » وكذلك اذا حكمنا أمامه بالخطأ في سوء استعمال القصر ويسمى أيضاً الحصر عندما يسألنا سائل « أشاعر يوسف أم لا » فنجيبه « انما شاعر يوسف » وصوابه : « انما يوسف شاعر » واما العبارة الأولى « انما شاعر يوسف » فلا يعرج عليها البليغ الا اذا أراد تعيين الشاعرية بين يوسف وغيره من الناس .. ولا نظن التلميذ المقصود جس نبضه ادبياً يدرك المعنى المراد في بيت عمرو بن كلثوم التغلبي الجاهلي من معلقته :

ونشرب ان وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا

فالبيت يشتمل على معنى دقيق عن طريق الكناية وهي أحد أركان فن البيان . والذي أراده الشاعر أنه هو وقبيلته بني تغلب إذا وردوا الماء ومعهم دوابهم لم يجسر غيرهم من القبائل والعشائر أن يزاحموهم عليه فيردونه ويشربون ويسقون دوابهم ومياهه لا تزال صافية فاذا صدروا عن ذلك المنهل وقد اضطربت مياهه

بأقدامهم وبحوافر خيلهم وأخفاف ماشيتهم نغشيه الطين والوحل تقدم غيرهم فوردوا وشربوا . ففي البيت رشاقة تعبير وحسن تصوير . ولكن أبا تمام من شعراء الطور العباسي لم يحرز مثل هذا التوفيق وأن كان موفقاً في كثير من شعره حين قال :

لا والذي هو عالم أن النوى صبر وان أبا الحسين كريمُ

فا العطف في هذا البيت منافٍ للبلاغة لعدم وجود جامع موافقة أو جامع مضادة بين المعطوف والمعطوف عليه أي بين مرات الفراق وكرم أبي الحسين فالتركيب لا يقل سماجة عن قول القائل « فلان عالم والغراب طائر » .

فهذه الطرق البيانية أجنبية عن فتانا المراد امتحانه المولع بحركات وسكنات النابغة الذبياني وأبي عبادة البحتري ... والمنتظر أن تكون بضاعته من العروض والقافية ومتن اللغة أقل وأحط من بضاعته في الصرف والنحو والبيان فلا نظنه يعلم جوازات البحور ولا نظنه يحسن التمييز بين الأبحر التي يشتبه بعضها ببعض كالرجز والكامل والهزج ومجزوء الوافر ولا شك أنه يجهل عيوب القافية كما كما يجهل احدنا اراضي القطب الشمالي او القطب الجنوبي ، واما علم متن اللغة فهو علم لا يمكن حصره واستقصاؤه ، ولكن يطالب دارس العربية بحفظ نخب حسنة منه في الالفاظ المترادفة والمشتركة والاضداد والمثلثات ونخب من قيود الاصوات والاولاد والمنازل وترتيب درجات الساعات ليلا ونهاراً ودرجات الجبال والانهار والطرق والآثار والحب والبغض والخوف والحزن والسرور والكرم والبخل والعقل والجنون واطوار العمر البشري واشباه ذلك . وليس من نبل العلم ان يفوته مثلا في متن اللغة الفرق بين كسا وكَسِيَ فضَر وبين فضُل وبين رؤية ورأي ورؤيا ، وبين وجود ووجدان ووُجد وجدة وموجدة . وان انتمت كلها الى وجد بفتح الجيم ووجد بكسر الجيم . وبين اب ووالد ، وعام وسنة وحجة . وبين نظرت الشيءَ ونظرت اليه ونظرت فيه ونظرت لفلان ، وبين كتبت الى فلان وكتبت لفلان ، وبين ماأحب فلاناً الي ، وما أُحبه لي .

ان هذه القرائد في متن اللغة وتلك الاحكام في الصرف والنحو والبيان

والعروض لو وعتها ناشئة مدارسنا ودربت بها اذهانهم والسنتهم لساعدتهم فضلا عن فوائدها لذاتها حسن النظر وصحة الفحص والتمييز والحكم في الآثار الادبية نثراً ونظماً مساعدةً عظيمة لايتأتى لهم الا الشيء اليسير منها في حالتهم الحاضرة مع مايأخذون به انفسهم من التفصيل والتطويل في تاريخ علم الادب ٠

وهذا قدر كافٍ لتفنيد الخطة العوجاء العرجاء التي نجري عليها بالتوسيع على تاريخ علم الأدب في برامج التدريس والامتحانات مع التضييق على سائر علوم العربية ٠ خطة ان كانت نتيجة سهو وغفلة فالامر قبيح ٠ وان كانت نتيجة كسل وتطلب راحة — لان تاريخ علم الادب لايتطلب من العناء مايتطلبه درس القواعد — فالامر أقبح — ٠ وان كان نتيجة ضعف ثقة بمقدرة الاساتذة في دروس القواعد فالامر بالغ منتهى القبح ٠ وان كان الامر نتيجة للاسباب الثلاثة معاً فلا تحضرني عبارة لتصوير قبحه وفظاعته ٠

* * *

الوجه الثالث

العناية بالانشاء الشفاهي والخطابة

لابد من العناية تماماً بهذا المطلب وهو يقتضي تمريناً وتيقظاً وانتباهاً لاسيما في تقسيم كل موضوع الى اجزاء فرعية مع حسن ترتيب لها وفي حفظ المفردات والمركبات الممتازة بلاغة ودقة اداء حين يرى التلميذ هذه المفردات والمركبات جديدة على سمعه وهو يتلقاها من لسان استاذه او من القطعة التي عرضت على تلاميذ الصف لكي يترووها ثم يحتذوها بغير اختصار ولا تطويل وتفصيل او بالاختصار او بالتطويل والتفصيل حسبما يرى الاستاذ ويقترح عليهم ٠ واحياناً كثيرة حسبما يسمح به وقت الدراسة ٠ والانشاء الشفاهي يتناول المواضيع الخفيفة السهلة المأخذ وهو يصلح للصفوف الابتدائية والصفوف المتوسطة من رسائل وحكايات وملاحظات ٠ والخطابة تصلح للصفوف العالية وتتناول موضوعات

أسمى وابجاثا "هم . وفي كلا الغرضين الانشاء والخطابة لابد من رسم اجزاء الموضوع المطلوب على لوح الصف الكبير الأسود فاذا رأى الاستاذ ان تأسيس الموضوع يعسر على الطلاب تولى وحده تأسيسه أي رسم اجزائه كلها على اللوح واذا أحس أن تأسيسه غير عسير على جماعة من الطلاب . تمهل عمداً في هذا التأسيس أي في رسم الاجزاء وكلما رسم منه جزءاً سألهم ان يفكروا في جزء آخر الى منتهى العمل . فاذا فرغ من رسم الاجزاء عاد فتناولها على الترتيب واحداً واحداً مقترحاً على كل تلميذ ان يسرد ارتجالاً الجزء المطلوب او جانباً من هذا الجزء ثم يتناول على التعاقب الاجزاء التي تليه موزعة على تلميذ ثان فثالث فرابع طبقاً لما تقتضيه الحال . واخيراً يكلف احد المتقدمين من طلبة الصف القاء الموضوع باسره وربما استصوب ان يعقبه هو ايضاً فيعيد سرده كله بعبارات أنصع . ولا بد ان يحرص الاستاذ في اثناء هذا الدرس بوجه خاص على استعمال اللغة الفصحى هو وطلابه في كل سؤال وجواب وشرح واعتراض .

* * *

الوجه الرابع

ادخال درس جديد

نحن اليوم في بلاد الشرق العربي نخوض طور انتقال سياسي واداري واجتماعي طور انتقال جديد عظيم الشأن ولا سيما في تكوين قوميتنا وتعزيز وطنيتنا ومكافحة كل مايعاكس هذا المأرب الشريف او يعوق سيره من تقاليد وعادات وأوهام وادعاءات باطلة توارثناها منذ عصور . وقد حان لنا ان نبيدها قبل ان تبيد معزتنا وراحتنا وكرامتنا وأمانينا الذهبية . هذا الطور الجديد يتطلب درساً جديداً يتلقنه ناشئة المدارس يتعلق بهذا المأرب . وهذا الدرس الجديد يتطلب وضع كتاب بهذا الصدد عنوانه « القومية العربية » يتناول المباحث الجوهرية المتعلقة بها وفي مقدمتها موجبات هذه الوطنية ووسائلها ومحاسنها والمخاطر التي تتعرض

لها وأعظمها التعصب الديني والنعرات الطائفية . ولا بد ان يجعل الكتاب في ثلاثة مجلدات وجيز ومتوسط ومفصل ، يعين كل منها للصفوف التي يلائمها ، ويعهد بتصنيف الكتاب في مجلداته الثلاثة الى لجنة من كبار العلماء والادباء فتتقاسم ابوابه وفصوله ؛ واذا اخرجته المطابع وجب استخدامه فوراً وارصاد ساعة لدراسته في كل صف مرة كل اسبوع او كل اسبوعين حسبما تؤاتينا برامج لدروس واوقاتها .

واذا قدرنا ان اخراج هذا الكتاب يتطلب انتظار وقت غير يسير أي سنتين او نحوها فالاولى ان لانضيع الوقت هدراً بانتظاره بل يتولى تدريسه في كل مدرسة الاساتذة الذين هم اجدر به من سواهم فيلقنوا الطلبة فذلكات مفيدة من صميمه وذلك ريثما يظهر الكتاب المنتظر فيكون الدرس أتم نظاماً وأسهل تناولا .

* * *

الوجه الخامس

المعوّل الأكبر في مراقبة الدروس والمدرسين

الغالب ان يعول مدير المدرسة في مراقبة الدروس والمدرسين على الدفاتر التي ينظمها المعلمون لأجل صفوفهم فمنها دفتر تقسيم الدروس وذكر الفصل أو الباب الذي يفرض على الطلاّب يوماً فيوماً . ومنها دفتر علامات الدروس وعلامات حسن السلوك ورداءته . وثالثها دفتر الحضور والغياب . هذه هي الدفاتر الواجب اتخاذها وقد يضاف اليها رابع اذا رجا الأستاذ أو المدير من ورائه شيئاً من المدد والفائدة . ولكنه يكون دفتراً اختيارياً زائداً على مقتضيات النظام .

هذه الدفاتر هي وحدها تقريباً معول مدير المدرسة على معرفة نجاح الطلاب أو تقصيرهم واخلاص معلميهم في العمل أو عدم اخلاصهم . يلقي نظراً خفيفاً على هذه الدفاتر فاذا رآها نظيفة حسنة التنظيم فالمعلم قدير بصير أمين . والاّ فلا . وعلى هذه الخطة يجري المفتش حين يزور المدرسة مرة أو مرتين في السنة .

يطلع على دفاتر المعلمين وعلى دفتر مدير المدرسة وقد يفاوضه الحديث على خلوة ربع ساعة أو نصف ساعة بينهما . واستناداً الى هذه الظواهر السطحية ينظم تقريره الذي يرفعه الى رؤسائه . هكذا يظن المفتشون انهم قاموا بواجباتهم وهكذا يظن المديرون انهم أدوا مهمتهم . وشتان بين هذه الظواهر الخداعة وبين البواطن التي ملؤها الصواب والحقائق الراهنة . ان الدفاتر يجوز اتخاذها وسيلة استئناس وتنبه الى حد محدود . وأما لباب المراقبة فيتطلب وسائل ألصق وأضمن كدخول الصفوف حيناً بعد حين والاستماع الى شرح والقاء التلاميذ وتوجيه شيء من الأسئلة اليهم . والاطلاع ملياً على دفاترهم . ومكاشفة المعلمين في سياق حديث رصين آراءهم وخططهم ومبلغ نشاطهم وتهاونهم . هذا هو اللباب وما عداه قشر أو زخارف ومن منا يا ترى يحكم بالجودة أو بالرداءة على أرز مطبوخ بمجرد أن الطاهي أخبرنا عما دخله من أرز وسمن ولحم ولوز وصنوبر وحسبه صادقاً في ما قال فان المواد التي ذكرها تتفاوت درجاتها في النفاسة فالعبرة في المذاق والاختبار لا في تنميق الأخبار ومن لم يبالوا بموت الضمير فضمائرهم في عداد المرحومين من موتانا .

(اللاذقية) ادوار مرقص

دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها

— ٥ —

المجاميع

٨٧ [١] مجموعة [1] لتقي الدين ابي الحسن علي بن عبد الله الكافي بن تمام بن حماد السبكي (— ٧٥٦) [2] تحتوي على ما يأتي :

(١) رسالة في جواب سؤال وجه اليه عن حديث « أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي »

(٢) رسالة « الأدلة في إثبات الأهلة » وقد كتبها بيده بالمدرسة العادلية بدمشق سنة ٧٤٨

(٣) رسالة « بيان الأدلة في إثبات الأهلة »

(٤) رسالة « في تفسير قوله تعالى « لا جناح عليكم »

(٥) رسالة موجهة للحضرة النبوية في الرد على ماانكر عليه في نقده « كتاب العقل والنقل لابن تيمية » وقد كتبها بيده سنة ٧٥١

(٦) رسالة « شرح القصيدة النبوية المتضمنة الرد على الاشاعرة لابن القيم » وقد كتبها بخطه سنة ٧٤٩

(٧) رسالة « الاعتبار ببقاء الجنة والنار » كتبها بخطه سنة ٧٤٨

(٨) بعض فتاوى وفوائد بخطه

٨٨ [٣] مجموع [3] للجلال محمد اسعد الدواني الصديقي (— ٩٠٧) [4] فيه :

(١) رسالة التعليقات على المحاكمات

(٢) رسالة « في كلمة التوحيد » [5]

---

(١) برنامج : ٧١ (٢) بروكلمان ٢ : ٨٦ والذيل ٢ : ١٠٢ (٣) برنامج : ٧٢

(٤) بروكلمان ٢ : ٧١٧ والذيل ٢ : ٣٠٦ . (٥) ذكرها بروكلمان ٢ : ٢١٨ رقم [١٤]

(٣) شرح « هياكل النور السبعة للسهروردي[١]

(٤) رسالة « تعريف علم الكلام »[٢].

(٥) رسالة « في بعض التعليقات على كتاب طوالع الانوار »[٣]

(٦) شرح كتاب « التهذيب في المنطق »[٤]

(٧) شرح رسالة الطومي

(٨) شرح رسالة الزوراء وكلاهما للجلال [٥]

(٩) تنوير المطالع

(١٠) حل المغالطة

(١١) بعض تعليقات على اوائل حاشية مختصر المنتهى للسيد

٨٩ [٤] مجموع فيه :[٦]

(١) رسالة « نصرة المتأهلين » في التصوف لمحمد البركوي بن بير علي (— ٩٨١)[٧]

(٢) رسالة « نفيس المتجر بشراء الدرر » لابي الاخلاص حسن بن عمار الشرنبلالي (— ١٠٦٩)[٨]

(٣) رسالة « الدر الثمين في أحكام اليمين » لأبي الاخلاص حسن ابن عمار الشرنبلالي

(٤) رسالة « الحكم المسند بترجيح بينة غير ذي اليد » لمحمد بن ابي بكر ابن جماعة الكناني (— ٨١٩)[٩] وهي مكتوبة سنة ١١٠٤

(٥) « رسالة تحفة المجدين بنصرة خير الدين » الرملي لمحمد بن محمد الطيب المالكي التافلاتي مفتي القدس (— ١١٩١)[١٠] وهي مكتوبة سنة ١١٧٨

(١) بروكلمان ٢ : ٢١٨ رقم [٢٠] (٢) الذيل ٢ : ٢١٧ رقم [٤٣] (٣) بروكلمان ٢ : ٢١٨ رقم [٣٥] (٤) بروكلمان ٢ : ٢١٨ رقم [٣٣] (٥) بروكلمان ٢ : ٩٨ رقم [٢] (٦) برنامج : ٧٢ (٧) بروكلمان ٢ : ٤٤٠ (٨) بروكلمان ٢ : ٣١٣ (٩) بروكلمان ٢ : ٩٤ والذيل ٢ : ١١١ (١٠) المرادي سلك الدرر ٤ : ١٢٠ — ١٠٨

[٦] « رسالة الاسعاد بشرح تخميس بانت سعاد » لمحمد بن محمد الطيب المالكي التافلاتي
[٧] «رسالة الارشاد في احاديث البلاد » 〃 〃 〃 〃 〃
[٨] 〃 «تعذيب المقامة فيما ورد في الفصد والحجامة» 〃 〃 〃 〃 〃
[٩] 〃 «النفح المعنوي في المولد النبوي» 〃 〃 〃 〃 〃
[١٠] 〃 «مقامات الصفا بمعراج المصطفى» 〃 〃 〃 〃 〃
[١١] 〃 اسعاف ذوي الوفا بمولد المصطفى 〃 〃 〃 〃 〃
[١٢] 〃 حبور المهيمن في الكلام على اسمه تعالى المهيمن 〃 〃 〃 〃
[١٣] 〃 الاقلام المجملة في هواتف البسملة 〃 〃 〃 〃 〃
[١٤] رسالة «حسن البيان في مدلول القرآن » 〃 〃 〃 〃 〃
[١٥] الصلح بين المجتهدين في كلام رب العالمين 〃 〃 〃 〃
[١٦] « الحور العين » 〃 〃 〃 〃
[١٧] تحذير اعيان البشر من احاديث عكا وعينها المسماة عين البقر
[١٨] قطع اللسان عن تحريم الدخان 〃 〃
[١٩] تحرير المسطر في فروع المشتق وحكم المسحر 〃 〃
[٢٠] الفتح الاكبر في تأييد توجيه الشيخ الاكبر 〃 〃
[٢١] رسالة حسن الاستقصا لما صح وثبت في المسجد الاقصى 〃 〃
[٢٢] 〃 القول المقدس في شأن البيت المقدس

٩٠ [٦] مجموع فيه [١] رسائل لمحيي الدين بن عربي الطائي (— ٦٣٨) [٢]
[١] رسالة « النقباء والابدال »
[٢] رسالة « الحق » [٣]
[٣] رسالة « الفناء والمشاهدة »
[٤] رسالة « فيما تحوي عليه الجلالة من الأسرار »
[٥] رسالة « مقام القربة وفك الكربة »

(١) برنامج : ٧٢ (٢) بروكلمان ١ : ٤٤١ (٣) بروكلمان ١ : ٤٤٣ رقم [٢٤]

[٦] كتاب الياء وهو كتاب الهو [1]

[٧] كتاب الأزل

[٨] كتاب الأحدية [2]

[٩] كتاب الباء وهو مفتاح دار الحقيقة [3]

[١٠] الرسالة القدسية في أسرار النقطة الحسية لزكي الدين ابي العباس احمد الهمذاني [4] تلميذ صدر الدين ابي المعالي محمد بن اسحق الصوفي القونوي الذي كان في أواخر القرن السابع [5]

٩١ [٧] مجموع فيه [6]

[١] حاشية على شرح رسالة ابي الليث السمرقندي في الاستعارات [7] لمؤلف مجهول

[٢] مسعفة الحكام في الأحكام لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد التمرتاشي الحنفي الغزي (— ١٠٠٤) [8]

[٣] وصية الحسن البصري لعبد الرحيم بن انس [9]

[٤] الصحف الحديثة المنسوبة الى سيدنا موسى عليه السلام

[٥] رسالة «المنبهات على الاستعداد ليوم الميعـاد» لأحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيثمي المكي (— ٩٧٣) [10]

[٦] رسالة «الخير التام في ذكر الأرض المقدسة وحدودها وذكر أرض فلسطين وحدودها وأرض الشام» لصالح بن محمد [أحمد] بن عبد الله العمري التمرتاشي (— ١٠٥٥) وهي مكتوبة سنة ١١١٢ [11]

[٧] شرح القصيدة الخزرجية في العروض لعبد الله بن محمد الخزرجي (— ٦٢٦) والشارح مجهول وهي مكتوبة سنة ٩٩٩

(١) بروكلمان ١: ٤٤٦ رقم [٧٦] (٢) بروكلمان ١: ٤١٦ رقم [١٠٨] (٣) بروكلمان ١: ٤٤٥ رقم [٧٥] (٤) بروكلمان ١: ٤٥١ (٥) بروكلمان ١: ٤٤٩ (٦) برنامج: ٧٢ (٧) الذيل ٢: ٢٥٩ (٨) بروكلمان ٢: ٣١١ وكش ٢: ٤٢٩ (٩) الذيل ١: ١٠٣ (١٠) بروكلمان ٢: ٣٨٧ والذيل ٢: ٥٢٩ (١١) بروكلمان ٢: ٣٠٣

٩٢ [٨] مجموع فيه [١]

[١] ارجوزة الحج وهي المسماة «مرشدة الناسك لأداء المناسك» لتاج الدين هبة الله عبد الوهاب بن ابي نصر احمد بن عربشاه القرشي العثماني المؤرخ الأديب (— ٩٠١) [٢] وهي نسخة بخطه كتبها سنة ٨٩٨

[٢] القصيدة البديعية وهي المسماة بشفاء الكليم بمدح النبي الكريم لابن عربشاه وبخطه [٣]

[٣] تخميس قصيدة نظم اسماء الله الحسنى لسعد بن عبيد الله الحضرموتي(؟) خمسها ابن عربشاه وهي بخطه

[٤] تخميس قصيدة عز الدين الديري (؟) لابن عربشاه وبخطه

٩٣ [٩] مجموع لابن عربشاه السابق ذكره فيه [٤]

[١] مولد النبي ﷺ لسعد الدين الديري الحنفي (؟) بخط ابن عربشاه

[٢] تحرير تنقيح التبيان في تقرير توضيح مسائل خامس الأركان (الحج) لابن عربشاه

[٣] ترجمة الوالد وشيوخه وأبوه هو صاحب كتاب «فاكهة الخلفاء» المشهور [٥]

[٤] «تنزيه الموحد» لابن عربشاه وهي قصيدة لامية في التوحيد

[٥] «شرب رياض التعبيد في التوحيد» وهي قصيدة نونية

٩٤ [١٠] مجموعة فيها [٤]

[١] رسالة في المواعظ والنصائح المسجعة لخليل بن علي ولم اعرف شيئاً عنه واغلب الظن انه خليل بن علي المرادي مؤلف سلك الدرر والتاريخ المسجوع وعرف البشام فيمن ولي فتوى الشام [٦] وكله سجع أيضاً .

[٢] قطعة من كتاب الاشباه والنظائر للجلال السيوطي [٦] وهي الفن الرابع من الاشباه والنظائر في الالغاز والحيل والفروق والحكايات .

(١) برنامج : ٧٢ (٢) بروكلمان ٢ : ٢٩ والذيل ٢ : ١٣ (٣) بروكلمان ٢ : ٢٩ والذيل ٢ : ١٣ رقم [١] (٤) برنامج : ٦٣ (٥) الذيل ٢ : ١٣ رقم [١٥]
(٦) من الكتاب نسخة بخزانة آل الشطي بدمشق وأخرى بمكتبة الأستاذ خليل مردم بك .

[٣] القصيدة الموشحة بالاسماء المؤنثة للجمال أبي عمر عثمان بن عمر المشهور بابن الحاجب ٦٤٦[1]

[٤] رسالة « دفع المطاعن عن القرآن الكريم » لمؤلف مجهول

[٥] « في « بحور الشعر » « «

[٦] « في « تحريم شرب الدخان » « «

[٧] « في « الخلاف بين البصريين والكوفيين» « «

٩٥ [١١] مجموعة فيها[2]

[١] رسالة « الشهاب القابس في البيع والكنائس » لحمد بن فخر الاسلام الخيرى (؟) وهي مكتوبة ١٠٨٢ ، ولم اهتد الى صاحبها وانما ذكر الحاج خليفة رسالة اسماها « رسالة الكنائس والبيع » لأحمد بن محمد بن علي الشهير بابن الرفعة الشافعي (— ٧١٠) وهي تأليف حسن اولها « الحمد لله العلي الكبير اللطيف الخبير »[3]

[٢] رسالة « لعن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام » لعمر بن محمد بن الخليل السكوني (—٧٠٧)[4] وهي نسخة لطيفة مكتوبة ١٠٦٥

[٣] المدهش في المواعظ لابن الجوزي[5]

٩٦ [١٢] مجموع فيه[6]

[١] رسالة « في تعليق طلاق أحدى المرأتين على الاخرى » لمؤلف حنفي مجهول

[٢] شرح الصلوات المشيشية لعبد السلام بن مشيش الحسني الادريسي الصوفي (— ٦٢٥)[7] لمؤلف مجهول والنسخة مكتوبة ١٠٩٣

[٣] رسالة في التوفيق بين حديث « الصدقة ترد البلاء » وآية « اذا جاء أجلهم ... » لخليل بن سليم (؟) وهي مكتوبة ١١٨٢

---

(١) بروكلمان ١ : ٣٠٦ رقم [٦] (٢) برنامج : ٧٣ (٣) كشف ١ : ٥٦٣

(٤) بروكلمان ٢ : ٥٠٩ (٥) بروكلمان ١ : ٥٠٦ (٦) برنامج : ٧٣

(٧) الذيل ١ : ٧٨٧

[٤ً] تفسير سورة « اقتربت الساعة » لحقي افندي

[٥ً] رسالة في « البسملة واحكامها » للكرماني

[٦ً] رسالة في « المقدمات الاربع » لصدر الشريعة عبدالله بن مسعود [— ٧٤٧](١)

[٧ً] رسائل في « فضائل آية الكرسي » لمحمد كوزل حصاري

[٨ً] رسالة في «حق صدور كلمة الكفر» 〃 〃 〃

[٩ً] رسالة في « تحقيق كلمة التوحيد لمؤلف مجهول

[١٠ً] 〃 في «شرح كلمة التوحيد» لمحمد البركوي صاحب الطريقة المحمدية

[١١ً] 〃 « ايها الولد » لابي حامد الغزالي

[١٢ً] 〃 في « البسملة » لابي سعيد محمد بن محمد الخادمي [— ١١٧٦](٢)

[١٣ً] « شرح سورة الاخلاص» لابي سعيد الخادمي

[١٠ً] « شرح الرسالة البركوية في التوحيد» 〃 〃

[١٥ً] « شرح ديباجة كتاب منية المصلي» 〃 〃 للكرماني ويليه شروح لحمزة افندي [— ١١٢٤] وابن اطوى افندي واسماعيل الايوالي [— ١١٩٤] واحمد نوشي .

[١٦ً] رسالة الذكر لابي الحسن النقشبندي الصوفي

[١٧ً] 〃 في حكم التبليغ للمؤذن لاحمد بن محمد الحموي الحنفي [— ١٠٩٨]

[١٨ً] 〃 في « فضيلة العمامة » للعلاء محمد ابي الفضل البخاري (— ٨٤١)

[١٩ً] 〃 في « فضيلة القلنسوة » 〃 〃 〃 〃 〃

[٢٠ً] 〃 في « الطعام وطهارته » 〃 〃 〃 〃 〃

[٢١ً] 〃 〃 « الاسلام » محمد المرعشي ساجقلي زاده [— ١١٥٠](٣)

[٢٢ً] 〃 في « نظر الذمية الى المسلمة » لمجهول

[٢٣ً] 〃 فيمن قال عند التعجب « الله الله » لمجهول

(١) بروكلمان ٢ : ٢١٤ (٢) بروكلمان ٢ : ٣٥١ والذيل ٢ : ٣٦٣ (٣) بروكلمان ٢ : ٣٧٠ والذيل ٢ : ٤٩٨

[٢٤ً] رسالة في حياة الانبياء » لابي الحسن النقشبندي
[٢٥ً] 〃 «نشر اللطائف في قطر الطائف » لنور الدين على المدني
[٢٦] 〃 في « اقتداء الحنفي بالشافعي » لمجهول
[٢٧] 〃 « كشف الريب عن مفاتيح الغيب » لمجهول
[٢٨] 〃 في « وحدة الوجود » لعطاء الله المصري [؟] ومعها فتاوي لمحمد الكوراني [؟]

٩٧ [١٣] مجموع فيه [١]

[١ً] شرح ارجوزة في المعاني لمحي الدين بن تقي الدين (؟)
[٢ً] مباحث في ان الواحد نصف الاثنين لسليمان الزيات [؟]
[٣ً] شرح منظومة الفرائض لعمر بن المظفر بن الوردي [— ٧٤٩] الفه اسحق بن عمر بن سبط القلقشندي [؟]
[٤ً] شرح لاميـة الطغرائي [— ٥١٥] لعبد الله بن الحسين ابي البقـاء البكري [— ٦١٦] [٢]
[٥ً] رسالة الاستعارات لابي الليث السمرقندي
[٦ً] حاشية على شرح الايساغوجي لزكريا الأنصارى
[٧ً] ارجوزة في المعاني لناظم مجهول
[٨ً] المورد الأصفى في مولد المصطفى لناظم مجهول ولعله التافلاتي
[٩ً] النفح المعنوي في المولد النبوي للشيخ محمد التافلاتي [انظر رقم ٨٩]
[١٠ً] الجواب عن خمسة اسئلة سأل عنها اهل القدس الامام عبـد الغني النابلسي [١١٤٣] [٣]
[١١ً] رسالة في اقتداء الحنفي بالشافعي لمؤلف مجهول
[١٢ً] 〃 في الكلام فيما يثبت بالشهادة على الخط لسري الدين بن الشحنة الحنفي الحلبي .

(١) برنامج : ٧٣ (٢) بروكلمان ١ : ٢٤٧ رقم (٢) (٣) بروكلمان ٢ : ٣٤٥

[١٣ً] اصلاح الاسفار عن مخدرات الدر المختار للحسن بن ابراهيم الجبرتي [— ١١٨٨] بخطه كتبها ١١٧٨

[١٤ً] رسالة في النيات لمجهول

[١٥ً] « مايحل وما يحرم من الحيوان لنوح بن محمد السمناني

[١٦ً] حسن الاختصاص في تخصيص البيت الحرام بالمناسك والطواف لمحمد التافلاتي [انظر رقم ٨٩]

٩٨ [١٤] مجموع زهر البستان وانس الندمان [1] لسليمان بن عبد اللطيف الانصاري الخزرجي [؟] بخطه كتبها سنة ١٠٦٢ ولم اهتد الى شيء من أخبار المؤلف فيما بين يدي من مصادر ولا اعرف مكتبة اخرى فيها هذا الكتاب وهو مجموعة ادبية طريفة .

٩٩ [١٥] مجموع فيه [1]

[١ً] شرح المنظومة الدمياطية في القراءات لشمس الدين احمد بن محمد البناء الدمياطي [— ١١١٧] [2] شرحها الصالح محمد بن الحاج [؟]

[٢ً] رساله الالواح لافلاطون

[٣ً] منازل القمر للشيخ ابن زرّوق المغربي شهاب الدين احمد [— ٨٩٩] [3]

١٠٠ [١٦] انموذج العلوم طبقاً للمفهوم لمحمد شمس الدين شاه چلبي بن محمد الفناري [— ٨٣٩ [4]] وهي مجموعة بحث فيها عن مائة مسألة من مائة فن من فنون العلم ، وقيل ان الكتاب لوالده محمد الفناري ، والصواب ان الاصل للاب والشرح للابن كما ذكر الحاج خليفة ، وهي بطريق الالغاز الفها امتحانا لفضلاء عصره ولم يقدروا على تعيين فنونها فضلا عن حل مسائلها ، وفرغ منها سنة ٨٢٤ ونسختنا مكتوبة ٨٢٧ .

(١) برنامج ٧٣ (٢) بروكلمان ٢ : ٣٢٧ والذيل ٢ : ٤٥٤ (٣) بروكلمان ٢ : ٢٥٣
(٤) بروكلمان ٢ : ٢٣٤ والذيل ٢ : ٣٢٩ وكش ١ : ١٦١

١٠١ [١٧] مجموعة[1] لابن كمال باشا زاده محمد بن احمد بن سليمان [٩٤٠][2] فيها :

[١ً] تفسير سورة النبأ
[٢ً] ثلاثة شروح للاربعين النورية
[٣ً] تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية
[٤ً] تحقيق معنى كلمة الزنديق
[٥ً] مدح السعي وذم البطالة
[٦ً] تحقيق التغليب في النشر والتركيب
[٧ً] رسالة الفرائض
[٨ً] اسلوب الحكيم
[٩ً] شرح رسالة عضد الدين الايجي في بحوث الدلالة . ومن هذه الرسائل جميعها نسخ موجودة ذكرها بروكلمان ماعدا الرسالة الاخيرة .

١٠٢ (١٨) مجموعة[1] ثانية لابن كمال باشا زاده[2] فيها :

[١ً] شرح أربعة وعشرين حديثاً [٢] شرح بعض الاحاديث النبوية [٣] اقسام الاستعارة [٤] شهادة الزور وحكم صاحبها [٥] رسالة في الخضاب [٦] رسالة في التضمين [٧] رسالة في ان صاحب علم المعاني يشارك اللغوى [٨] رسالة تكوين الخضاب [٩] تحقيق التغليب في النشر والتركيب . وهذه الرسائل يذكرها بروكلمان الا الرسالة الاولى والثالثة والرابعة .

١٠٣ [١٩] مجموعة فيها[1]

[١ً] رسالة في علم الحساب لمحي الدين عبد القادر الدنجاوي (؟)
[٢ً] 〃 في أقسام الحديث الضعيف لمحمد بن خليفة الشوبري[2]
[٣] 〃 نظم مختصر المنار في الاصول الحنفية للمفتي محمد التافلاتي بخط يده
[٤ً] القصيدة الشاطبية في القراءات لابن فره الشاطبي

---

(١) برنامج : ٧٣ . (٢) بروكلمان ٢ : ٤٤٩—٤٥٣ (٣) لم اهتد الى ترجمته وانما ترجم المحبي ٣ : ٣٨٥ لمحمد بن احمد الشوبري (— ١٠٩٦)

[٥] الواضحة في تجويد الفاتحة لبرهان الدين ابي العباس ابراهيم بن عمر ابن خليل الجعبري (سنة ٧٣٢) [1]

[٦] حسن الاستقصا لما صح وثبت بالمسجد الأقصى للمفتي محمد التافلاتي ويليها بعض فتاوي وأجوبة وفوائد بخطه

١٠٤ [٢٠] مجموعة فيها [2]:

[١] اسئلة وأجوبة على عدة مسائل مهمة لنجم الدين محمد بن احمد بن علي الغيطي الاسكندري (— ٩٨١) [3]

[٢] قطعة من ديوان علي بن مراد العمري. الموصلي الشافعي امام الموصل ومفتي بغداد والموصل (— ١١٤٧) [4]

١٠٥ [٢١] مجموعة فيها: [5]

[١] شرح متن السلم المرونق في المنطق لعبد الرحمن بن محمد الصغير الجزائري الأخضري من رجال القرن العاشر

[٢] شرح الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة ألفه أكمل الدين البابرتي [6]

[٣] احراز السعد بانجاز الوعد بأبحاث (أما بعد) لغنيم الجوهري (؟)

[٤] أحوال السلف وطبقاتهم لابن كمال باشا زاده

[٥] رسالة في الحكم العقلي لعبد الحليم الشافعي (؟) [7]

[٦] ارجوزة بغية الطلاب في علم الاسطرلاب لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي يحيى الحباك (— ٨٦٧) [8]

[٧] تبييض الصحيفة بمناقب الامام ابي حنيفة لجلال الدين السيوطي [9]

[٨] أشرف المسالك في المناسك لنوح افندي الفقيه الحنفي

(١) بروكلمان ٢ : ١٦٥ رقم [٥] (٢) برنامج : ٧٣ (٣) بروكلمان ٢ : ٣٣٨ والذيل ٢ : ٤٦٧ (٤) سلك الدرر للمرادي ٣ : ٢٣١ (٥) برنامج : ٧٤

(٦) بروكلمان ١ : ١٧٠ رقم [٣] (٧) لعله الشيخ عبد الحليم بن عبد الله الشويكي الشافعي النابلسي (ــ ١١٨٥) الذي يترجمه المرادي ٢ : ٢٥٤ ويذكر له رسالة علم الكلام رد بها على معاصره أبي الحسن العاملي الرافضي وله شرح على السنوسية (٨) بروكلمان ٢ : ٢٥٥

(٩) بروكلمان ٢ : ١٥٧ رقم [٢٨٦]

١٠٦ [٢٢] مجموع فيه [١]

[١] حل مسألة في الحساب لمحمد بن علي الحميدي (— ١١٧٩) [٢]

[٢] رسالة في الطواحين وكيفيتها وأحكامها لزين العابدين بن ابراهيم ابن نجيم المصري (— ٩٧٠)

[٣] رسالة في «استبدال الوقف» لعلي چلبي بن أمر الله قنالي زاده (- ٩١٩) [٣]

[٤] رسالة في «أحكام الأوقاف» لمولانا يوسف بن حسين كرماستي (— ٩٠٦) [٤]

١٠٧ [٢٣] مجموع فيه [١]

[١] الكوكب الوقاد في الاعتقاد لأبي عمر عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم عز الدين بن جماعة الكناني (— ٧٦٧) [٥]

[٢] تسهيل الأعمال في تحصيل الأعمال في القراءات السبع لمؤلف مجهول

١٠٨ [٢٥] مجموع فيه [٦]

[١] برء الساعة في الطب لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (— ٣٢٠) [٧] وهي نسخة حسنة كتبها محمد بن عبد الله بن تغري ورمش

[٢] القصيدة الحائية المنسوبة للغزالي في التوحيد والتصوف

[٣] بعض الأدعية والمدائح النبوية لمؤلف مجهول

[٤] فضل مكارم الأخلاق لمؤلف مجهول

[٥] جواب على ما استشكله بعضهم في حكم تطويل الركعة الأولى لشمس الدين الفلكي الحنفي (؟)

[٦] رسالة تبحث في بعض الفوائد الأدبية واللغوية من أمور الحيوان والفلك وكرة الأرض والدهر والزمان والليالي والشهور واسماء البلاد ومسائل الطب لمؤلف مجهول .

اسعد طلس

(١) برنامج : ٧٤ (٢) بروكلمان ٢ : ٢٥٩ والذيل ٢ : ٤٨٧ (٣) بروكلمان ٢ : ٤٣٣
(٤) بروكلمان ٢ : ٢٣١ (٥) بروكلمان ٢ : ٧٢ والذيل ٢ : ٧٨ (٦) برنامج : ٧٤
(٧) بروكلمان ١ : ٢٣٤ رقم [٩]

مخطوطات ومطبوعات

المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري

من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

إذا أحببنا أن نطلق صفةً على عام ١٩٤٤ بالنسبة الى الحياة الأدبية في الشام فإننا لا نجد أكمل من هذه الصفة : عام أبي العلاء المعري ، فقد استطاع مجمعنا العلمي العربي بدمشق أن يصل في هذا العام الماضي بالحاضر أشدّ صلة ، فدلّ عمله هذا على ان وطننا الروحاني لا يعترضه شيء من العقبات المادية فلا الصحارى ولا الجبال ولا البحار وما شاكلها تعترض تقاليدنا وأفكارنا وعواطفنا الواحدة أو المتقاربة ، لقد حمل مجمعنا العلمي العربي رجال الأدب في هذا العصر من مصر وفلسطين وشرقي الأردن ولبنان والشام والعراق على تذكر مولد أبي العلاء بعد أن مرّ على هذا المولد ألف سنة ، فهبوا لهذا التذكر كأنهم جسم واحد وروح واحدة لم تباعد بينهم صحراء مديدة أو جبل ذاهب في السماء أو بحر لا يدرك أوله ولا آخره ، على الرغم من الحوادث السياسية التي مرّت على هذه البلاد العربية من مولد المعري إلى يومنا هذا .

يشتمل المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري على وصف المهرجان الذي أقامه مجمعنا في ٢٥ ايلول سنة ١٩٤٤ في دمشق وحمص وحماة ومعرة النعمان وحلب واللاذقية لذكرى مرور الف سنة على مولد أبي العلاء وقد دام المهرجان أسبوعاً ودوّنت في هذا الكتاب القصائد والخطب التي قيلت في المهرجان وصدّر الكتاب بمقدمة دقيقة للأستاذ خليل مردم بك .

اشترك في المهرجان أساتيذ من الطراز الأوّل فمن مصر اشترك الدكتور طه حسين وأحمد أمين والدكتور عبد الوهاب عزّام وعبد الحميد العبادي وأحمد الشائب وابراهيم مصطفى وابراهيم عبد القادر المازني ومن فلسطين محمد اسعاف

النشاشيبي وعزمي النشاشيبي ومن شرقي الأردن محمد الشريقي وأديب وهبة ومن لبنان عارف العارف وأنيس المقدسي وفؤاد أفرام البستاني والدكتور فيليب حتي ومن العراق محمد رضا الشبيبي ومحمد مهدي الجواهري ومعروف الرصافي وطه الراوي وكاظم الدجيلي والدكتور مهدي البصير ومن فارس عباس إقبال ومن سورية فخامة رئيس الجمهورية ووزير المعارف ورئيس المجمع العلمي العربي وستة أعضاء من المجمع وهم: عبد القادر المغربي ومحمد سليم الجندي وعارف النكدي ومحمد البزم والدكتور جميل صليبا وكاتب هذه الكلمة، ومن غير المجمع فخري البارودي والآنسة جهان الموصلي ومن حلب سامي الكيالي وعمر أبوريشة ومن اللاذقية بدوي الجبل ومن المستشرقين ألفريد غليوم وهنري لاوست .

لا يتسع هذا المقام للافاضة في وصف ما قيل في المهرجان من القصائد والخطب وحسبي الاشارة الى ان الخطباء تعرضوا لأكثر نواحي المعري الفنية والفلسفية والاجتماعية والسياسية والتأريخية والدينية فلا يفرغ القارئ من قراءة الكتاب إلا مملوء الذهن من صورة المعري في هذه النوحي نظراً الى تدقيق أصحابها فيها .

وقد تتفاوت قيمة هذه الخطب كما تتفاوت قيمة القصائد فقد اختلف مقدار إلمام الشعراء بتصوير المعري فمنهم من ظهرت على شعره صفات صورة المعري ومنهم من لم تظهر على شعره صفات هذه الصورة إلا قليلاً وكيف كان الأمر فما قيل في المهرجان من خطب وقصائد إنما هو من أحسن ما يقال في هذا الباب .

شفيق جبري



ذكرى أحمد تيمور باشا

في أول آذار سنة ١٩٤٥ أقيمت بدار الأوپرا الملكية في القاهرة حفلة لإحياء ذكرى العلامة أحمد تيمور باشا شملها برعايته حضرة صاحب الجلالة ملك مصر واشترك فيها جمهور كبير من العظماء ورجال السياسة والعلم والأدب في مصر

وبلاد العرب عامة وطائفة من السيدات والأوانس وشباب الجامعات ودور العلم ·

ألقيت في هذه الحفلة خطب وقصائد كثيرة منها خطب الدكتور محمد حسين هيكل باشا والشيخ خليل ثابت بك والاساتذة محمد كرد علي بك وأحمد امين بك ومحمد بك الشريقي وسامي بك السراج ومنها قصائد أحمد الزين وأحمد محرم ومعروف الرصافي والامير شكيب أرسلان ···

جلُّ ماشتملت عليه خطب الخطباء وقصائد الشعراء إجماع اصحابها على حب أحمد تيمور باشا للعلم وانقطاعه الى الكتب وحرصه على الدين واشتهاره بالأخلاق القويمة ·

ونظراً الى اواصر الاخاء المتينة التي انعقدت بين احمد تيمور باشا وبين الاستاذ العلامة محمد كرد علي بك استطاع الاستاذ الموما اليه أن يفيض في الكلام على صديقه فصوّره تصويراً كاملاً وكشف الغطاء عن نشأته وأخلاقه وغرامه بالكتب واحتفاله بجمعها وسعة علمه التي جعلته مرجعاً وضرب مثلاً لتهذيبه وأشار الى بعده عن الظهور وايثاره العزلة وحرصه على المصلحة العامة وتكلم على تآليفه

واذا فتش الانسان عن صفة يصف بها أحمد تيمور باشا بعد أن عرف من علمه وأخلاقه ماعرف فلا يجد الا الصفة الآتية : فقد ارتفع عن أفق البشر وعاش في أفق أعلى ، وهذه هي الحياة السامية بعينها ·

ش · ج

السلوان الكاذب

خير الدين الأيوبي

هذه صفحات نثر فيها الكاتب نتفاً من حياته ، يجد القارئ في بعضها وصفاً للطبيعة دون شيء من التصنع ، فالصور في هذا الوصف بسيطة وهذا ما حببها الى القلب ويجد في بعضها وصفاً للأهواء والعواطف يتبين له الصدق في كثير منه ، وتتخلل هذا كله روح رقيقة الشعور ·

ش · ج

أيها العرب اتحدوا

منير الشريف

موضوعات هذا الكتاب مختلفة : فيه أشياء عن العرب وبلادهم وعن الوحدة وعواملها وفوائدهـا وعن الأخطار المحدقة ببلاد العرب وغير ذلك ، فالكاتب ينتقل من التأريخ الى الاقتصاد الى الاجتماع وكل همه في هذا الانتقال أن يحضّ العرب على الوحدة وقد بيّن لهم في قسم من كتابه ما الذي يجب عليهم أن يعملوه في سبيل هذه الوحدة واذا خرج القارئ من كتاب : أيها العرب اتحدوا بنتيجة فانه يخرج بالنتيجة الآتية : وهي امتلاء قلب صاحبه من النزعة العربية التي يحاول أن يملأ كل واحدٍ منا قلبه منها .

ش . ج

سومر

(الجزء الثاني من السنة الاولى . تموز ١٩٤٥)

هي مجلة تبحث في آثار العراق القديمة . تصدرها باللغة العربية والانكليزية مديرية الآثار القديمة العامة في بغداد ، ويحررها نخبة من موظفي مصلحة الآثار العراقية وغيرهم من العلماء الاجانب . وهذه المجلة هي الاولى من نوعها التي تبحث المواضيع الاثرية باللغة العربية . ويحق للعراق أن يفخر بها . فقــد سبق في هذا المضمار غيره من الاقطار العربية . ومن يعرف حداثة عهد البلاد العربية في الدراسات الأثرية يقدر هذه البادرة الطيبة التي تبشر بمستقبل زاهر لهذه النهضة العلمية المباركة . ويجد المطالع في هذه المجلة امتع الابحاث عن آثار العراق ويقف منها على أصدق انبائها . ويدرك منها عناية ابناء بلاد الرافدين بتاريخ بلادهم العريقة بالمدنية . وحرصهم الشديد على حفظ تراث سلفهم المجيد . وقد جمعت هذه المجلة بين غزارة المادة وحسن الطباعة . ونرجو من القائمين على شؤونها زيادة العناية بطباعة صورها وتصحيح اخطائها المطبعية حتى لاتشوه

محاسنها . ومن هذه الاخطاء ماجاء في صفحة ١٥٧ خربة السفانة وصوابه خربة الصانع وفي ص ١٥٨ لأت وصوابه لألت . ونتمنى لهذه المجلة دوام النجاح ونرجو تعدد امثال هذه المجلة في بقية الاقطار العربية ونهنيء مديرية مصلحة الآثار القديمة في العراق على ماوفقت اليه من هذا العمل الجليل .

جعفر الحسني

تاريخ الأسطول العربي

تأليف الأستاذ محمد ياسين الحموي . نشره فؤاد هاشم الكتبي بدمشق عام ١٩٤٥ ، عدد صفحاته ١٤٧ من القطع الوسط

ماأحوج تاريخنا الى مثل هذه الابحاث القيمة التي تميط اللثام عن صفحات مجيدة من تاريخ الحضارة العربية . وقد رغب المؤلف ان يسد ثلمة من عورات تاريخنا فأقدم على هذا البحث الجليل الذي نقدر فائدته وندرك صعوبة مسالكه ولئن كان هذا السفر لم يحقق لنا جميع اغراضه لانه ذكر لنا اشياء كثيرة واغفل اشياء عديدة . فانه قد وفق في رسم الخطوط الرئيسية لهذا البحث القيم لتكون نواة ينسج حولها مافات ادراكه . ونرجو ان يكون ذلك من حظ المؤلف لانه احق من غيره بهذا الفضل . وقد عثرنا في هذا الكتاب على هفوات وأغلاط مطبعية يحسن الاشارة الى اهمها . منها ماذكره في ص ٨ في تحديده البحار التي تحيط بجزيرة العرب فقال : « البحر الشامي في الشمال ... » مع ان هذا البحر لايتصل بأي ناحية من جزيرة العرب . كما أنه أغفل ذكر حدها الشرقي الذي يشرف على خليج فارس . وفي ص ٣٧ شبارة داخلة وصوابه شبارة دجلة . وفي ص ٥١ bussola وصوابه bossala و campass وصوابه compass وقال في ٧٢ « ففي سنة ٩٣٥ استطاعت مراكب عبيد

الله المهدي الفاطمي ان تغزو جنوب فرنسا » مع ان وفاة عبيد الله هذا كانت في سنة ٣٢٢ ه الموافقة لسنة ٩٣٤ م . وفي ص ٧٢ منورفه وصوابه منورقة وفي ص ١٤٢ و١٤٣ الابريق . والاصح ان ترمم البريق لأن أصلها الافرنسي brick وفي الانكليزي brig .

فنشكر للاستاذ همته ونقدر جهوده فيما اتحفنا به من بحث جديدوعلم صحيح .

ج . ع



The Excavation at Dura - Europss, final report IV Part II - the textiles - by R . Pfister and Louisa Bellinger . Neu Haven 1954.

حفريات دورا ـ اروبس . القسم الثاني من التقرير الرابع النهائي . — المنسوجات —
تأليف ر . فيستر ولويزا بلنجر . طبع في نيوهافن عام ١٩٤٥
عدد صفحاته ٦٤ مع ٣٣ لوحة مصورة

هذا احد تقارير بعثة جامعة يال الامركية التي كانت تنقب عن آثار مدينة دورا ـ اروبوس (صالحية الفرات) في بلاد الشام حيث وجد في جملة ماعثر عليه من الآثار القديمة نماذج عديدة من منسوجات حريرية وقطنية وكتان وصوف نسجت في القرنين الثاني والثالث للميلاد . وتشهد لنا هذه النماذج على ازدهار هذه الصناعة في بلاد الشام وتكشف لنا عن مهارة الشاميين في صناعة النسيج وزخرفته وتلوينه ، ومن حسن الصدف انهم عثروا على منسوجات تحاكي زخارفها مانشاهده على بعض اشخاص صور كنيس دورا — اروبس ، مما يستدل منها أن مصور الكنيس قد استوحى صوره من المحيط الذي عاش فيه وقتئذ . فنقل لنا صوراً صادقة لقيافة معاصريه . وهذا البحث هو خدمة جليلة لتاريخ الصناعة الشامية نشكر المؤلف عليها .

ج . ع



نظرات في الصيام

تأليف الحكيم شوكة موفق الشطي

الاستاذ في معهد الطب والحائز على اجازة في الدراسات الصحية العليا

هذه نظرات موفقة يرسلها طبيب متشبع بروح الاسلام والصيام ، واقف على فوائد الصوم الصحية والنفسية ، قسم فيها الكاتب الحكيم موضوعات رسالته إلى اثنى عشر بحثاً ، عرف فيها الصوم وتاريخه ، وذكر من صام وشفي من اسقام لم يشفها الا الصيام ، وكون الصوم وسيلة الجسم الطبيعية لمقاومة بعض الامراض ، والوقاية منها ، وفسر في حكمة الصيام الطبية حديث : « صوموا تصحوا » وان الصحة هي العافية ، وهي المطلوب ؛ وغلط من فسرها بالسمن ، وهو متى زاد مرهوب ، كما خطأ من فسر الشبع بالامتلاء ، وشرح الامراض الكثيرة التي تشفى بالصيام ، وبعد ان فرغ الدكتور « الموفق » من فوائد الصيام الحسية وما يعالج به من الامراض الجسمية وما يتقى به منها ، أخذ يوضح تأثيره في الامراض والآلام النفسية ، فعدد كثيراً منها .

ثم عاد يرسل نظرات فنية في تراويح رمضان ، وفي طعام الصيام ، وتأثيرهما في صحة الاجسام ، وتطهير النفس من الآلام والآثام ، ولخص في البحث الحادي عشر تلك الفوائد والفرائد ، وختم رسالته بنصح القاريء من أي ملة ونحلة ، وتذكيره بأنه خاطبه بلغة التجارب والتاريخ وناقشه بآيات الخلقة وسنن الطبيعة ، وكلمه بحاجة البدن وخلاياه ، وردد على مسامعه بعض الحكم الدينية ومسايرتها لاحدث الآراء العلمية ، وكان أجمل شيء جوابه للمعترض القائل : « أما كفانا نبش هذه الاوراق الصفر التي تلابس أوراقها صفرة الموت ، ومداد كلماتها ظلام الجهل ، فقد أجاب بان في صفرتها لمعاناً يفوق لمعان الذهب الوهاج ، ويكمن في فحم مداد كلماتها تألق نفيس الماس ، ومظاهر دقة الاحساس ينبعث منه اشراق مبادىء عظماء الشرق وضاءة متلألئة ، خالدة في جبين الدهر وتاريخ البشر»

والمؤلف من بيت علم ودين ، يقول مايعتقد ، ويعمل بما يقول ، ولو وفق

كل كاتب توفيقه ، لما سمعنا جعجعة من دون أن نرى طحناً ، فنشكر له تحفته النفيسة ، ولدار اليقظة العربية طبعها ، ونحث القراء على مطالعتها فهي مصدر مهم لتطهير الجسم من الأمراض ، والروح من الآلام .

ونستدرك هنا ماسها عنه قلم الدكتور ، أو سقط أثناء الطبع ، ففي صفحة المقدمة : وبعد يلاحظ : فيلاحظ ، هانحن نقدم : ها نحن اولاء ص ٥ مالهم من دونه ولي : « من ولي » ص ٥٩ ويذكرنا بالحديث الشريف القائل « المعدة بيت الداء » : في المقاصد للسخاوي وغيره : لايصح رفعه الى النبي (ص) بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب ، أو غيره .

محمد بهجة البيطار



مسالك الى قلب آسيا

تأليف جورج ن . روريخ

مطبعة جامعة ييل الاميركية ١٩٣١ عدد الصفحات ٣٠٦

Trails to inmost Asia

قامت في عام ١٩٢٥ بعثة علمية برئاسة الفنان الروسي نيقولا روريخ Rœrich موفدة من قبل ادارة متحف روريخ في نيويورك لاستكشاف بلاد آسيا الوسطى التي كان قد ساهم في استكشافها علماء من روسية واليابان وانكلترا وفرنسا والمانيا ، واستمرت هذه البعثة في عملها مدة خمس سنوات تتنقل وتستكشف مختلف المناطق في قلب القارة الاسيوية ، وقد ارتادت اماكن قلما سلكها الغربيون من قبل ، واتحفت دنيا العلم بمعلومات عن تلك البقاع لها قيمة عظيمة من الوجهة الجغرافية والاجتماعية .

وكان جورج روريخ مؤلف هذا الكتاب يرافق والده رئيس البعثة ، وهو مستشرق درس وتثقف فى جامعات روسية وانكلترة وفرنسة قبل ان يتم دراسته في جامعة هارفرد الاميركية ، وقد كانت معرفته للغات الفارسية والسنسكريتية والتبتية والصينية مفتاحاً لتفهم اسرار تلك البلاد الغامضة ، ومساعداً لدخول

بعض المناطق والمباني والاديرة المحرمة ، والواقع ان آسيا الوسطى بجبالها المرتفعة وفيافيها الواسعة ، واوديتها وكنوز الحضارات القديمة فيها كانت قبلة لانظار المستكشفين ، ولم تنجح بعثة في كشف اسرار هذه الاراضي المحرمة نجاح البعثة التي ترأسها روريخ ، وقد ادى افراد هذه البعثة خدمة جليلة للعلم والفن بفضل جهودهم وتضحياتهم ورباطة جأشهم امام الخطر الذي كثيراً ما كان يهددهم وبفضل شجاعتهم تجاه الهجمات التي استهدفوا لها .

وفي هذا المجلد الضخم يصف لنا جورج روريخ سير اعمال البعثة وتنقلاتها حسب الترتيب الزمني ، ويعطينا صورة واضحة عن حياة تلك الهضاب المرتفعة وحضارتها وعن الاكتشافات التي تربط القبائل الرحل في تلك المناطق بحضارات اخرى ، ويخبرنا عن المهالك التي تعرضت لها البعثة ، ومما يزيد في قيمة هذا السجل الممتع الرسوم الفوتوغرافية الكثيرة التي اخذت من قبل البعثة فضلاً عن بعض الرسوم اليدوية التي رسمها رئيس البعثة . وقد أراد نيقولا روريخ بلوحاته الخمسمائة التي رسمها أن يضع سجلاً مصوراً لتلك المناطق ولحياة سكانها ، وهذه اللوحات معروضة في متحف روريخ في مدينة نيويورك .

بدأت البعثة رحلتها من موقع « دار جيلنج » في شرقي جبال الهيمالايا بين منطقتي بوتان ونيبال ، ومنها اتجهت نحو الغرب حتى كشمير ثم اتجهت شمالاً واخترقت تركستان الصينية وبلدانها مثل خوتان وكاشغر ، واستمرت نحو الشمال في أراضي زوزكاريا حتى وصلت سيبيريا وعادت الى الشرق فالجنوب حتى دخلت أورغا في منغوليا ، ثم اخترقت قسماً من صحراء غوبي ، وتوغلت في أراضي التيبت حتى عادت الى حيث بدأت . وقد كانت تنقلات البعثة اما عن طريق القوافل أو بواسطة السكك الحديدية والزوارق . ومن المناطق الجبلية التي ارتادتها ، عدا منطقة الهيمالايا ، جبال كركورام وتيانشان وألطائي ونانشان وهضاب التيبت المرتفعة .

وانك لتقرأ الشيء الكثير في هذا الكتاب عن الاحوال الجغرافية في بلاد أواسط آسيا ، كما أنك تفهم الشيء الكثير عن السلطات الحاكمة ، وعن الشعب وحياته وعاداته ، وعن حضارات تلك الأمم ، فضلاً عن أخبار المغامرات التي قام بها أفراد البعثة في بلاد محرمة صعبة مثل تلك البلاد .

ومما يجدر قوله ان هذا المجلد طبع على نفقة المؤسسة التذكارية التي أقامتها أرملة فيليب مكميلان في عام ١٩٢٢ لإحياء ذكرى زوجها وهو أحد خريجي جامعة ييل . وكانت قيمة المنحة التي وقفت لهذه المؤسسة مائة الف دولار وهذا الكتاب هو المجلد الرابع عشر الذي يطبع على نفقتها . **جورج حداد**



كتاب التبصر في الدين

وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين

تأليف أبي المظفر شاهفور بن طاهر الاسفرايني الشافعي المتوفى سنة (٤٧١) والكتاب في ١٢٢ ص بحجم كبير عدا مقدمته التي تبلغ ١١ ص وفهارسه التي في آخره ١٣ ص وخاتمته بصفحة واحدة .

عني بنشره وراجع أصله ووقف على طبعه السيد عزة العطار ، وعرف بالكتاب وترجم المؤلف وخرج أحاديث الكتاب وعلق حواشيه الأستاذ محمد زاهد الكوثري ويلي مقدمة الأستاذ الكوثري كلمة قيمة عن الصلة بين علم الفرق وغيره من العلوم بقلم الدكتور محمود محمد الخضيري . ويقول ناشر الكتاب في خاتمته : ان الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك وزير الأوقاف سابقاً للمملكة المصرية ذكره في تقريره المقدم الى مؤتمر الأديان في أوروبا حينما كان معاليه ممثلاً للجامعة الأزهرية بالمؤتمر المذكور .



لمؤلف هذا الكتاب منزلة سامية عند الفقهاء والشافعية والمتكلمين الأشاعرة وله اتصال مصاهرة وتلمذة بمؤلف كتاب الفرق بين الفرق الأستاذ عبد القاهر

البغدادي المتوفى سنة (٤٢٩) وأشار اليه مؤلف التبصر في ص (١٢٠) فأطنب في مدحه وبيان فضله وقيمة مؤلفاته . اذن فمؤلف (التبصر في الدين) اطلع على كتاب الفرق بين الفرق وتأثره فيه ظاهر واضح . ونشير على سبيل المثال الى الى بحث الباطنية في كتاب التبصر ص (٨٣) وفي كتاب الفرق بين الفرق ص (٢٦٥) نجد أن صاحب التبصر اقتفى أثر كتاب الفرق فأخذ أبحاثه بعد أن حذف كثيراً من الجمل التي يحسن الاستغناء عنها وأضاف إضافات أخرى قيمة .

وبالمقارنة بين الطبعتين تظهر لنا أغلاط كثيرة فاحشة في طبعة كتاب الفرق بين الفرق يمكن تصحيح كثير منها بالمقابلة مع كتاب التبصر .

فنشكر من عمل على تحقيقه وضبطه وآزر على نشره لتعم الفائدة منه .

محمد احمد دهمان

معالم الوحي

أو الرحلة الحجازية المقدسة

كتاب لطيف الحجم في ١٢٠ صفحة حسن الترتيب والتبويب ضمنه مؤلفه الأستاذ الشيخ محمد احمد عساف من علماء بيروت وصفاً لرحلته الى الحجاز لأداء فريضة الحج الشريف وذلك سنة ١٣٦٣ هـ وقد زينه بمختلف الرسوم التي تصف تلك المعالم الشريفة وضمنه طائفة كثيرة من الفوائد والملحوظات المتعلقة بمناسك الحج والمطوفين وغيرهم وبهذا كان الكتاب موفياً حاجة كل زائر لتلك البقاع المباركة فالشكر للمؤلف الفاضل على هديته لأمته . عبد القادر المغربي

مجموعة احصاآت عن سورية ولبنان

المجلس الأعلى للمصالح المشتركة

هذه المجموعة قد جمعت الشيء الكثير من الاحصاء عن بلادنا ، مما نحن في حاجة الى معرفته ، ومع أن أكثر ماجاء في هذه المجموعة من الاحصاء

هو تقديري لاحقيقي لمعرفته مفيدة . إن العالم قد تقدم كثيراً في امور الاحصاء . فأحصت كل امة ماعليها ومالها ، وكل مايجب احصاؤه ، وهذا ماافادها ، لانها أصبحت تعمل على نور الحقيقة ، أما في بلادنا فالاحصاء متأخر جداً ، وإذا أحصى القائمون على الحكم بعض الاشياء ، فانهم يبقونه في طيات اضبارات دوائرهم ، لاتعلم الامة عنه شيئاً .

إن هذه المجموعة قد ظهرت عامة باللغة العربية لاول مرة . وقد دون فيها حالة المناخ في سورية ولبنان في سنتي ١٩٤٢ و ١٩٤٣ : درجة الحرارة ، مقادير الامطار التي هطلت ، نسبة الرطوبة ، ودون فيها مساحة الاراضي ، وعدد السكان بحسب المذاهب ، والمواليد والوفيات ، وقد ظهر ان مساحة اراضي سورية في (سنة ١٩٤٣) ١٧١و١٠٤ كيلو مترات ، ونفوسها بحسب قيود الاحصاء ٢و٨٦٠و٤١١ نسمة ، أي ١٧ نسمة في كل كيلو متر ، ومساحة لبنان ١٠و١٧٠ كيلو متراً ، ونفوسه ١و٠٤٧و٧٤٥ نسمة ، أي ١٠٣ نسمات في كل كيلو متر .

وجاء فيها احصاء العرب البدو الرحل في سوريا ومواشيهم ، فكان عدد خيمهم ٢٦و٣١٢ ونفوسهم ١٥١و١٨٥ نسمة ، ومع ان كل ذلك تقديري ، ولكن يبين لنا ان اخواننا في هذه البادية في ضنك من العيش .

وذكر فيها حالة المدارس ، فظهر ان عدد التلاميذ في سوريا سنة ١٩٤٣ في المدارس الرسمية « لم تدخل تلاميذ اللاذقية وجبل الدروز في هذه الارقام » ٦٤و١٥٤ والخاصة ٣٨و٤٦٣ والاجنبية ٢٣و٩١٣ تلميذاً ، وفي لبنان : في المدارس الرسمية سنة ١٩٤٣ ، ٢٢٨٥٤ وفي المدارس الخاصة سنة ١٩٤٢ ، ٧٣٦٠٨ ، وفي المدارس الاجنبية سنة ١٩٤٣ ، ٤٦و٧٤٩ تلميذاً ، وهذا مايدلنا على ان عدد التلاميذ في سوريا ولبنان متقارب ، مع أن سوريا أكثر عدداً ، إن سوريا قد انفقت على التعليم سنة ١٩٤٣ ، ٦و٠٣٢و١٧٩ ليرة سورية ، أما في لبنان فقد بلغت النفقات في تلك السنة ١و٦٤٨و٢٥٢ ليرة فقط ، لان المدارس الحكومية هناك قليلة .

وجاء عن الحالة الصحية ان الاعتمادات المخصصة لحفظ الصحة والاسعاف العام سنة ١٩٤٣ في سورية ١٥٠٤١و١٨٨٤ ليرة ، وفي لبنان ١٧٩٦٥١٢و١ ومن هذا يتبين ان لبنان يهتم بأمر الصحة أكثر من سورية ، أما الوفيات فقد بلغت في تلك السنة في سورية ١٨و٧٩٢ نسمة ، وفي لبنان ٨٦٦٦٠ نسمة ، وهذا مايظهر ان الوفيات الكثيرة في سورية ، لم تسجل كلها في قيود الاحصاء .

وجاء في احصاء القضاء عدد الدعاوي التي قدمت ، والتي فصلت ، والتي أجلت ، ومراجعة تفصيل ذلك يفيد في دراسة الناحية الخلقية في البلدين ، ونشاط المحاكم .

وقد ورد احصاء عن الحالة الزراعية في سورية ولبنان ، ومنه يتبين ان المساحات المزروعة : حبوباً ، ومزروعات صناعية ، وبقولاً ، وخضاراً ، واشجاراً في سورية ، ١٦٤٨٦و٨٠٣ هكتارات . وفي لبنان ١٦٨٩٧٤٣ هكتاراً ، أي تسعة في المائة من مساحة البلدين ، وهذا ماأبقى الانتاج قليلاً ، لايسد خصاصتنا ، ولا يكفي لغذائنا إلا إذا قترنا على أنفسنا .

وجاء ذكر المواشي في سورية ولبنان ، فتبين ان مالدى سورية منها في سنة ١٩٤٣ ، ٤و٥٨٠و٢٠٠ رأس ، وفي لبنان ٤٨٦ الف رأس ، وهذا قليل جداً ، في ارض مساحتها ومراعيها واسعة ، وهذا ماجعل أسعار الماشية وانتاجها مرتفعاً في البلاد .

وفي بحث الانتاج الصناعي ظهر ان بعض أنواع الانتاج قد قل سنة ١٩٤٣ عما كان سنة ١٩٤٠ ، لان المواد الاولية قد نفدت ، وبعضه قد زاد نظراً للحاجة ، إن من المحقق ان منتجات حديثة قد ظهرت الى الوجود في سني الحرب فمن الضروري حمايتها وتزييدها ، وادخال التحسين عليها بالحماية الجمركية ، وإلا فإن المزاحمة الخارجية ستقضي عليها ، أو تبقيها طفلاً في المهد .

وجاء بحث الطرقات ، فظهر ان في سورية في غاية سنة ١٩٤٣ ، ٩٤ـ٦٦ كيلو متراً طرقاً منوعة ، وفي لبنان ٣و٠٢٩ كيلو متراً ، وهو رقم لابأس به ، انما نحن في حاجة الى اكثر . نعم ان السيارات في البلدين في غاية تلك السنة لم تكن سوى ٨و١٠٧ سيارات ، ولكنها كانت ضعف ذلك قبل الحرب .

اما الخطوط الحديدية فهي جد قليلة ، إذ ليس في سورية الا ماطوله ٨٥٤ كيلو متراً ، وفي لبنان ٢٠٩ كيلو مترات ؛ وقد كان من المستحسن تدخل الحكومتين لتزييد هذه الخطوط .

وجاء بحث الحالة التجارية في البلدين ، فظهر أن ما استوردناه في سني ١٩٣٦ — ١٩٤٣ قيمته ٥٠٣٦٧٢١٩٠٠٠ ليرة سورية ، وما صدرناه في تلك السنين قيمته ١٩٤٦٣٠٢٩٠٠٠ ليرة سورية ، أي اننا خسرنا ٣٠٩٠١٩٩٠٠٠ ليرة سورية ، وهذا مايدل ان العمل الاقتصادي عندنا كان أبتر .

ثم جاء بحث الاسعار بالجملة والمفرق ، للمواد الضرورية ، ولا بأس من معرفة هذه النسبة ، التي تبين ان الاسعار كانت في ارتفاع متواصل في سني الحرب ، لعدم وجود نظام للتقنين ، ولتحديد الاسعار ، وعدم الاهتمام في تزييد الانتاج ، وشراء المواد الاولية الضرورية من الخارج ، وهذا ماجعل ثلاثة في المائة من شرهي التجار المحتكرين يجمعون ثروة ٩٧ في المائة في خزائنهم .

وجاء بحث قيمة النقد والاسهم المالية واسعارها ، وهذا يفيد حامليها .

وبحثت عن حالة المصرف السوري فجاء فيها ان الاوراق المتداولة في سوريا ولبنان في غاية سنة ١٩٤٣ ، ٥و٢٧٢ مليون ليرة سورية ، وان تغطيتها من الاسترليني والدولارات الحقيقية والاحتياطية ٣١٣ مليون و٢٣٠ الف ليرة سورية .

وبحثت حالة موازنة الحكومتين السورية واللبنانية .

وصفوة القول ان هذا الاحصاء حسن مفيد . **منير الشريف**

الجزء الثالث والرابع من ربيع الابرار للزمخشري

وصفها : من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، يبلغ عدد صفحاتها ٩٠٨ صفحات ، بأبعاد ٢٤ × ١٧ سنتيمتراً ، حالها حسنة ، خطها مقروء ، ويبلغ عدد أسطر صفحتها ١٥ سطراً .

موضوعها : قال ملا كاتب چلبي في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : ربيع الأبرار ونصوص الأخبار في المحاضرات لابي القاسم محمود بن عمر جار الله

العلامة الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ ه أوله الحمد لله الذي استحمد الى عباده موجبات المحامد مما أسبغ عليهم الخ .. قال : هذا الكتاب قصدت به احمام خواطر الناظرين في الانكشاف عن حقائق التنزيل وترويح قلوبهم المتعبة ، ورتبه بعضهم الى اثنين وتسعين بابًا وقد انتخبه محيي الدين محمد بن خطيب قاسم المتوفى سنة ٩٤٠ ه قال : لما كان علم المحاضرات علمًا نافعًا من العلوم لاتدرك غايته استخرجت من بحث فوائده علي وجه الاختصار والحقت به ماعثرت عليه في كتب الادباء وسميته بروض الأخبار المنتخب من ربيع الابرار ، انتهى ورتبه على خمسين روضة ... واختصره رجل آخر أيضًا وسماه أنوار الربيع . اه

يحتوي الجزء الثالث من نسختنا المخطوطة على الأبواب الآتية : العلم والحكمة والأدب والكتاب والقلم وما يناسب ذلك ، الغزو والقتل والشهادة وذكر الحرب والأسلحة والهزيمة والسبي والغارة والشجاعة والجبن وما أشبه ذلك ، الغدر والخيانة والغش والفتك والسرقة والوشايات والنمائم وإفشاء السر ، الغموم والمكاره والشدائد والبلايا والخوف والجزع والبكاء ، الفخر والكبر والصلف واعجاب [illegible] ذكر [illegible] الأزار ، الفأل والزجر والطيرة والعيافة والكهانة [illegible] والعين واللغز والأحاجي ونحوها ، التفاضل والتفاوت [illegible] والاشتباه وما قارب ذلك وما داناه وضرب في طريقه ، الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر والسرور والتهاني والبشائر وما أشبه ذلك ، القرابات والانساب وذكر حقوق الآباء والامهات وصلة الرحم والعقوق وحب الأولاد وما يجب لهم وعليهم ، القصاص وما ورد من حكاياتهم وملحهم والمتصوفة وما جاء في أكلهم وصعقهم ، القضاء وذكر القضاة والشهود والديون والايمان والخصومات وما يليق بذلك ، الكذب والزور والبهتان والرياء والباطل والارجاف والتنبؤ وما أشبه ذلك ، الكرم والجوع واصطناع الاحرار وذكر الكرام والاجواد واولي المروآت ، اللؤم والشح وذكر اللئام وما جاء في ذمهم ، الالوان والنقوش والوشم والتصاوير وذكر الخضاب وما أشبه ذلك ، اللباس والحلي من القلائد والاسورة والخلاخيل والخواتيم وذكر البسط والمفارش والوسائد وما جانس ذلك ،

اللهو واللذات والقصف واللعب وذكر النبيذ وما يتصل به واتباع الشهوات والأمراض والعلل والعاهات والطب والدواء والعيادة ونحو ذلك .

واما أبواب الجزء الرابع فهي : المال والكسب والتجارة والنفاق والكساد والغلاء والغبن وذكر الغنى والفقر وما اتصل بذلك ، المدح والثناء وطيب الذكر والحث على اكتسابه وما مدح به من المساعي الكريمة والخصال الحميدة . الملح والمداعبات والمضاحك وما جاء من النهي عن المزاح والترخيص فيه ونحو ذلك ، الموت وما يتصل به من ذكر القبر والتعزية والمرثية والنعي وغير ذلك ، الملك والسلطان والامارة والسياسة والبيعة والخلافة وذكر الولاة وما يتصل بهم من الحجاب وغير ذلك ، المنطق وذكر الخطب والشعر والفصاحة والبلاغة والعي والافحام والايجاز والاستماع وما اتصل بذلك ؛ باب النساء ونكاحهن وطلاقهن وخطبتهن والاعراس بهن ومعاشرتهن وما يحمد ويذم منهن وما اتصل بذلك ، النصيحة والموعظة والزجر عن القبيح والشفقة والرحمة وما يجري مجراها ، النعمة وشكرها والاشادة بذكرها وغمطها وكفرانها والامتنان بها وما اتصل بذلك ؛ النوم والاحتلام والسهر والرؤيا وما جاء من عجائب التأويلات وما يتعلق بذلك ؛ الوفاء وحسن العهد ورعاية الذمم والامانة والثقة وكتمان الاسرار وما أشبه ذلك ؛ الوقاحة والسفاهة والجسارة وقلة المبالاة وذكر الغوغاء ونحو ذلك ؛ الهدية والرشوة وما جاء في الاهداء والاستهداء وذكر من ارتشى في الحكم وغيره ، اليأس والقناعة والرضا بما قسم الله ورزق والتوكل عليه والتفويض اليه والنزاهة عن المطامع ، الخيل والبغال والحمير وذكر الفروسية وما اتصل بذلك ، الابل والبقر والغنم وما يتصل بها وينسب اليها ، الوحوش من السباع وغيرها وذكر احوالها وما يصطاد منها ويتألف وما أشبه ذلك ، دواب البحر من السمك وسائر الحيوان المختلف فيه وما وضع الله فيها من العجائب ، الطير وما اوتيت من أعاجيب الالهام في حضنها وزقها ورفرفتها على فراخها وتدبير امرها ، البعوض والذباب والفراش والزنابير والجراد والجنادب وما أشبه ذلك ، والحشرات والهوام ونحوها من دواب الارض وما اتصل بها وذكر معها . عمر رضا كحالة

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م

الرقم	الاسم	البلد
١	السيد محمد كرد علي (رئيس المجمع)	دمشق
٢	الدكتور أسعد الحكيم	〃
٣	الأمير جعفر الحسني	〃
٤	الدكتور جميل الخاني	〃
٥	〃 جميل صليبا	〃
٦	السيد خليل مردم بك (أمين السر العام)	〃
٧	〃 سليم الجندي	〃
٨	〃 شفيق جبري	〃
٩	〃 عارف النكدي	〃
١٠	الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)	〃
١١	السيد عز الدين التنوخي	〃
١٢	〃 فارس الخوري	〃
١٣	〃 محسن الامين	〃
١٤	〃 محمد البزم	〃
١٥	الشيخ محمد بهجة البيطار	〃
١٦	الدكتور مرشد خاطر	〃
١٧	الأمير مصطفى الشهابي	〃
١٨	السيد معروف الارناؤوط	〃
١٩	〃 هنري لاوست	〃
٢٠	الشيخ راغب الطباخ	حلب
٢١	〃 عبد الحميد الجابري	〃
٢٢	〃 عبد الحميد الكيالي	〃
٢٣	الدكتور عبد الرحمن الكيالي	〃
٢٤	الشيخ محمد زين العابدين	حلب
٢٥	السيد سويريوس افرام	حمص
٢٦	الشيخ سعيد العرفي	دير الزور
٢٧	〃 ابراهيم منذر	بيروت
٢٨	السيد أنيس المقدسي	〃
٢٩	〃 بشارة الخوري	〃
٣٠	〃 بولس الخولي	〃
٣١	〃 عمر الفاخوري	〃
٣٢	الشيخ فؤاد الخطيب	〃
٣٣	الفيكونت فيليب دي طرازي	〃
٣٤	الدكتور نقولا فياض	〃
٣٥	السيد عيسى اسكندر المعلوف	زحله
٣٦	الشيخ احمد رضا	جبل عاملة
٣٧	〃 سليمان ظاهر	〃 〃
٣٨	السيد ادوار مرقص	اللاذقية
٣٩	〃 محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	〃
٤٠	〃 عبد الله مخلص	القدس
٤١	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	〃
٤٢	〃 محمد الشريقي	عمان
٤٣	الاب انستاس ماري الكرملي	بغداد
٤٤	الشيخ رضا الشبيبي	〃
٤٥	السيد طه الراوي	〃
٤٦	طه باشا الهاشمي	〃

٤٧ السيد عباس العزاوي بغداد
٤٨ الشيخ كاظم الدجيلي ″
٤٩ ″ محمد بهجة الاثري ″
٥٠ الدكتور داود الجلبي الموصل
٥١ السيد ابراهيم عبد القادر المازني القاهرة
٥٢ احمد أمين بك ″
٥٣ السيد احمد حسن الزيات ″
٥٤ الدكتور احمد عيسى بك ″
٥٥ أحمد لطفي السيد باشا ″
٥٦ السيد انطون الجميل ″
٥٧ ″ خليل ثابت ″
٥٨ خليل مطران بك ″
٥٩ السيد خير الدين الزركلي ″
٦٠ الدكتور طه حسين بك ″
٦١ السيد عباس محمود العقاد ″
٦٢ الدكتور عبد الوهاب عزام ″
٦٣ الشيخ محمد الخضر حسين ″
٦٤ السيد محمد لطفي جمعة ″
٦٥ الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ″
٦٦ الامير يوسف كمال ″
٦٧ السيد عبد الحميد العبادي اسكندرية
٦٨ ″ حسن حسني عبد الوهاب تونس
٦٩ ″ عبد الحي الكتاني فاس
٧٠ الامير شكيب ارسلان لوزان
٧١ السيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهند
٧٢ ″ عباس إقبال طهران
٧٣ ″ مارسه تونس

٧٤ السيد ماسه الجزائر
٧٥ ″ محمد الحجوي مراكش
٧٦ ″ كي بوليفيا
٧٧ ″ بوفا باريز
٧٨ ″ دوسو ″
٧٩ ″ كولان ″
٨٠ ″ ماسينيون ″
٨١ ″ آسين بلاسيوس (مجريط) اسبانية
٨٢ ″ لويس (لشبونة) البرتغال
٨٣ ″ هيس [illegible]
٨٤ ″ أرندونك [illegible]
٨٥ ″ [illegible] ″
٨٦ ″ كرينكو انكلترا
٨٧ ″ جيب (ه٠١٠٥ ر) ″
٨٨ ″ بروكلن المانية
٨٩ ″ هارتمان (ريشار) ″
٩٠ ″ سترستين السويد
٩١ ″ استروب الدانيمارك
٩٢ ″ موجيك فينا
٩٣ ″ ماهلر بودابست
٩٤ ″ موزل تشيكوسلوفاكية
٩٥ ″ كوفالسكي بولونية
٩٦ ″ كراتشكوفسكي لينينغراد
٩٧ ″ كرسيكو فنلاندة
٩٨ ″ فيليب حتي اميركة
٩٩ ″ هرزفلد ″
١٠٠ ″ سعيد ابو جمرة البرازيل

أعضاء المجمع العلمي الراحلون

الرقم	الاسم	البلد	الرقم	الاسم	البلد
١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق	٢٤	الأب جرجس شلحت	حلب
٢	« سليم البخاري	«	٢٥	« جرجس منش	«
٣	السيد مسعود الكواكبي	«	٢٦	السيد قسطاكي الحمصي	«
٤	« مالنجو	«	٢٧	الشيخ كامل الغزي	«
٥	« الياس قدسي	«	٢٨	السيد ميخائيل الصقال	«
٦	« أنيس سلوم	«	٢٩	الشيخ بدر الدين النعساني	«
٧	« جميل العظم	«	٣٠	السيد نخلة زربق	القدس
٨	« سليم عنحوري	«	٣١	الشيخ خليل الخالدي	«
٩	« عبد الله رعد	«	٣٢	« سعيد الكرمي	طول كرم
١٠	« رشيد بقدونس	«	٣٣	السيد محمود شكري الآلوسي	بغداد
١١	الشيخ عبد القادر المبارك	«	٣٤	« جميل صدقي الزهاوي	«
١٢	السيد أديب التقي	«	٣٥	« معروف الرصافي	«
١٣	« حسن بيهم	بيروت	٣٦	« أحمد الاسكندري	القاهرة
١٤	الأب لويس شيخو	«	٣٧	أحمد زكي باشا	«
١٥	الشيخ عبد الله البستاني	«	٣٨	أحمد شوقي بك	«
١٦	السيد جبر ضومط	«	٣٩	السيد أسعد خليل داغر	«
١٧	« عبد الباسط فتح الله	«	٤٠	حافظ ابراهيم بك	«
١٨	الشيخ عبد الرحمن سلام	«	٤١	السيد محمد رشيد رضا	«
١٩	السيد أمين الريحاني	«	٤٢	« مصطفى صادق الرافعي	«
٢٠	الشيخ مصطفى الغلاييني	«	٤٣	أحمد كمال باشا	«
٢١	السيد جرجي يني	طرابلس الشام	٤٤	أحمد تيمور باشا	«
٢٢	الشيخ سليمان أحمد	اللاذقية	٤٥	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	«
٢٣	الدكتور صالح قنباز	حماة	٤٦	الدكتور يعقوب صروف	«

٤٧	السيد اوجينيو غريفيني	القاهرة
٤٨	〃 رفيق العظم	〃
٤٩	〃 داود بركات	〃
٥٠	الدكتور أمين المعلوف	〃
٥١	الشيخ عبد العزيز البشري	〃
٥٢	الأمير عمر طوسون	الاسكندرية
٥٣	الشيخ محمد بن أبي شنب	الجزائر
٥٤	السيد رينه باسه	〃
٥٥	〃 ميشو بللير	طنجة
٥٦	〃 زكي مغامز	الاستانة
٥٧	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٥٨	السيد فران	باريز
٥٩	〃 كليان هوار	〃
٦٠	〃 جويدي	إيطاليا
٦١	〃 نللينو	〃
٦٢	السيد هومل	المانيا
٦٣	〃 ساخاو	〃
٦٤	〃 هوروفيتز	〃
٦٥	〃 مارتين هارتمان	〃
٦٦	〃 ميتفوخ	〃
٦٧	〃 مونته	سويسرا
٦٨	〃 سنوك هوغرنيه	هولاندة
٦٩	〃 مرجليوث	انكلترا
٧٠	〃 بفن	〃
٧١	〃 براون	〃
٧٢	〃 بوهل	الدانيمارك
٧٣	〃 بدرسن	〃
٧٤	〃 أغناطيوس غولدصهير	بودابست
٧٥	الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	زنجان
٧٦	السيد ماكدونالد	أميركا



الاستاذ الشيخ عبد القادر المبارك

ولد سنة ١٨٧٨ وتوفي في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥

فجع المجمع العلمي العربي بوفاة الأستاذ المبارك من أجل أعضائه وأقدمهم، رافق المجمع منذ تأسيسه وساعده بعلمه وعمله وفيما يلي موجز ترجمته :

أصله وأسرته : ولد الأستاذ السيد عبد القادر المبارك من أسرة معروفة من أشراف الجزائر هاجر جده منها الى دمشق حوالي سنة ١٨٤٠ اثر استقرار الافرنسيين في بعض أجزاء الساحل الجزائري وكان والده الشيخ محمد المبارك عالماً أديباً وصوفياً ومرشداً له تلاميذ وأتباع كثيرون وكانت له في اللغة والأدب مشاركة جيدة وقد قرأ عليه كثير من أدباء الشام المشهورين وله عدة رسائل أدبية نثرية وشعرية مطبوعة أشهرها بهجة الرائح والغادي في أحاسن محاسن الوادي .

دراسته وتحصيله : في هذا البيت المعروف بالعلم والفضل نشأ الأستاذ السيد عبد القادر حضر مجالس والده الأدبية والوعظية وتلقى عنه كثيراً من المعارف اللغوية والأدبية ودرس مدة قليلة في المدرسة الرشدية العسكرية ثم أتم دراسته على الطريقة القديمة فقرأ على شيوخ العصر كالشيخ أمين سويد والشيخ بدر الدين والشيخ عطا الكسم وغيرهم ثم عكف على دراسة اللغة بنفسه وصرف في ذلك وقتاً طويلاً من شبابه .

أعماله ووظائفه : وحوالي سنة ١٩٠٥ افتتح مدرسة خاصة في زقاق النقيب في حي العمارة وفي سنة ١٩١٠ جرت مسابقة لتعيين أستاذ للغة العربية للمدرسة السلطانية الأولى بدمشق (مدرسة التجهيز الآن) فكان الفائز فيها وبقي أستاذاً في هذه المدرسة يعلم اللغة العربية ثم كلف تدريس الدين أيضاً وتخرج على يده عدد ضخم من المثقفين في الديار الشامية وفي عهد الحكومة العربية الفيصلية انشئت المدرسة الحربية فعين فيها استاذاً للغة والدين والتاريخ العربي كما عين عضواً في لجنة التعريب التي كان لها أثر جليل في تعريب كثير من المصطلحات الادارية والعسكرية وغيرها الى العربية ثم عاد الى المدرسة السلطانية (مدرسة التجهيز) بعد أن أغلقت المدرسة الحربية بانقضاء العهد الفيصلي وكلف تدريس اللغة في مدرسة الأدب العليا التي أنشئت سنة ١٩٣٠ وفي سنة ٩٣٨، بلغ الستين فمددت خدمته سنتين ثم أحيل على المعاش (التقاعد) ١٩٤٠ وعهد اليه ثانية تدريس اللغة في دار المعلمين العليا التي أحدثت سنة ١٩٤٢

في المجمع العلمي العربي : أما صلته بالمجمع فقد كان من الأعضاء العاملين منذ تأسيس المجمع وقد شارك في أعماله فاشترك في كثير من لجان التصحيح والتعريب وكان الى ما قبيل وفاته عضواً في اللجنة التي ألفت لترجمة المصطلحات العسكرية وألقى في قاعة المجمع عدة محاضرات منها محاضرتان عن ابن خلكان وقصصه في تاريخه ومحاضرة عنوانها الشعر الخالد وأخرى فى المشجر في اللغة وغيرها .

علمه وثقافته : أبرز نواحي الشيخ (اللغة) فقد شغف بدراستها منذ حداثته واشتهر باطلاعه الواسع عليها وتفوقه فيها حتى عرف بالقاموس السيار وكان له ولوع خاص بالشعر الجاهلي والغريب من اللغة وقد عني في شبابه بشرح القصيدة اللغوية المشهورة بالمقصورة الدريدية وهو شرح كبير منسق ولا يزال محفوظاً غير مطبوع وكانت معرفته باللغة معرفة تحقيق وتدقيق فقد يستدرك على كتب اللغة والمؤلفين وأصحاب المعاجم فكان حجة في هذا الباب فلا تكاد تسأله عن لفظة حتى يذكر لك معناها وما ورد فيهـا من الشواهد من كلام العرب وما يدور حولها وبمناسبتها من النوادر والأخبار (*)

ومن نواحيه التي اشتهر بها أيضاً (السيرة وتراجم الرجال) فكان راوية حافظاً للأخبار والتراجم كثير الولوع بمطالعة كتب التاريخ والتراجم حتى يكاد يعرف ما ورد في ثناياها من الطرف والأخبار أمثال وفيات الأعيان ومروج الذهب وابن عساكر .

وأما ثقافته الدينية فلا تبلغ حد الاختصاص وانما هي من قبيل المشاركة .

وأما الثقافة الحديثة فلم يتلقفها عن المدارس النظامية إذ لم يمكث فيها إلا مدة وجيزة وانما هي نتاج المطالعة الخاصة والمجالسة لأهل العصر من الأدباء وقد أعانه على ذلك صحة في الطبع وقوة في الادراك .

آثاره : ليس للأستاذ آثار مكتوبة كثيرة فان أبلغ أثر تركه انما يظهر فيمن تخرجوا على يده من التلاميذ ممن نبغوا في الأدب والشعر وكان له الفضل في تشجيعهم وتسديد خطاهم وله في التدريس طريقة خاصة به تتجلى فيها الحيوية والنشاط يعرفها طلابه ويذكرون آثارها البارزة في أنفسهم .

وأما آثاره المكتوبة فقليلة والمطبوع أقل من ذلك فمنها : شرح المقصورة الدريدية في اللغة وهو مخطوط ، وفرائد الأدبيات العربية وهو مجموع نصوص أدبية مشروحة ، وكتاب المعلومات المدنية المنقول من التركية وهما مطبوعان .

(*) ولعل ميله اللغوي بوجه عام هو الذي حفزه الى تعلم اللغات فقد كان يحسن التركية ويلم بالانكليزية قراءة وفهماً وله إلمام قليل بلغات أخرى شرقية وغربية درسها ولم يتم دراستها .

وله قصائد كثيرة هي على الغالب أقرب الى شعر العلماء الا في القليل النادر مما ظهرت فيه الروح الشعرية .

ومما نظمه قصيدة في اللغة العربية وتاريخها ومطلعها :

شغفت بتذكار الشعوب الأوائل وما خلفوه في الديار الحوائل

ومنها قصيدة قافية مطبوعة عنوانها (احدى العبر بين البشر) وموضوعها النهضة الجديدة وأخرى عنوانها (بكر الشرق) في الحرية والدستور في العهد العثماني .

في المجتمع : وكان للأستاذ رحمه الله منزلة شعبية كبيرة ونفوذ في مختلف طبقات الأمة وكان مفزعاً للناس في أمورهم ومشكلاتهم وكثيراً ما انتدب لإصلاح ذات البين أو للخير العام وكان قوي النفوذ الى نفوس مجالسيه وكان محدثاً بارعاً حاضر البديهة متوقد الذهن بادي النشاط جهوري الصوت قوي النبرات فصيح اللسان جريئاً — رحمه الله — .



الألفاظ الغريبة

في شعر أبي فراس الحمداني

منها لفظة (العنقفير) بالعين المهملة المفتوحة والنون الساكنة والقاف المفتوحة والفاء المكسورة والمثناة التحتية الساكنة والراء آخر الحروف فقد وردت في قصيدة له من الروميات يقول فيها من الشعر القصصي :

ومسراة بكر بعد ضيق فرقوا جمع الأعاجم عن أنوشروان

أبقت لبكر مفخراً وسما لها (بها) من دون قومها يزيد وهاني

المانعين العنقفير بطعنهم والثائرين بمقتل النعمان

في القاموس في باب الراء فصل العين في مادة عقفر : العنقفير كزنجبيل الداهية والمرأة السليطة اه ويفهم من شرح ابن خالويه لديوان أبي فراس ان المراد بالعنقفير هنا ابنة النعمان بن المنذر وليس يدرى أن ذلك اسم لها أو لقب لقبت به تشبيهاً

لها بالداهية أو لكونها امرأة سليطة فان المعروف أن ابنة النعمان اسمها الحُرَقة كهمزة وهي التي بقيت الى الفتح الإسلامي وقصتها مع خالد بن الوليد مشهورة واحتمال أن يكون أبو فراس سماها بذلك بعيد . قال ابن خالويه في شرح ديوان أبي فراس : لما قتل كسرى النعمان بن المنذر طلبت ابنته العنقفير الجوار من كل العرب فأبوا أن يجيروها حتى دخلت بيت هانئ بن قبيصة بن مسعود ابن عامر بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان فأجارها فقعدت عنه قبائل بكر ابن وائل الا يزيد بن اصرم بن مسهر وأصرم بن ثعلبة بن سعد بن همام بن سعد ابن عجل فانهما قاما بنصره ومعونته فاجتمعا معه بذي قار فانتصروا على كسرى حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم : هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم اهـ وهذا يدل على تبحر ابن خالويه وسعة اطلاعه فصاحب القاموس الذي بلغ الغاية في الاطلاع على اللغة لم يزد في تفسير العنقفير على ما سمعت ولو اطلع على ما اطلع عليه ابن خالويه لما أهمله فقد قيل عن كتابه إنه ليس كتاب لغة فقط بل هو أيضاً كتاب جغرافيا وطب ورجال وغيرها وكذلك صاحب تاج العروس الذي دأبه الاستدراك عليه لم يذكر ذلك وتسمية الداهية بالعنقفير ربما يرشد الى قول من يقول بوجود المناسبة بين الألفاظ والمعاني والله أعلم .



محسن الأمين الحسيني

بقية ما ترك الأجداد

المنشورة في الجزء الثالث : من المجلد العشرين

قال الأستاذ الرئيس ما خلاصته : «ومن المكثرين في التأليف والمجودين فيه إمام أساء اليه المجتمع بقدر ما أحسن هو اليه . وهذا الإمام هو ابو حاتم محمد بن حبان البستي (المتوفى سنة ٣٥٤) الذي ألف تآليف لم يسبق اليها . هذا الامام لم يترجم له المحدثون ولا الفقهاء ولا المتكلمون ولا الأدباء ولا اللغويون ولا الأطباء ولا المنجمون ولو لا ما ترجم له ياقوت في مادة بست من معجم البلدان

لما عرفنا عنه شيئاً يذكر من الكتب ولا يبعد أن يكون أصحاب التراجم قد وفوه حقه ولكن الكتب التي وصلت الينا لم تشر الى ذلك» ٠

أقول سبق ياقوت في ترجمة الحافظ الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ في كتابه (الكفاية في معرفة أصول الرواية) وهو من مخطوطات المكتبة العثمانية بحلب وقديماً تصفحته وقرأت الكثير منه ونقلت عنه في تعليقاتي على كتاب علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح وشرحه (التقييد والايضاح) لشيخ الاسلام الحافظ العراقي وقد طبعتها معاً سنة ١٣٥٠ هـ وسنة ١٩٣١ م وذيلتهما بهذه التعليقات التي دعوتها (المصباح على مقدمة ابن الصلاح) ٠

وهذا الكتاب العظيم نقلت فهرس أبوابه وهو نحو ٣٨٠ صفحة قال في أواخره في (ص ٣٦٢) ذكر الرجال الذين يجمع حديثهم ثم جمع التراجم ثم جمع الأبواب ثم الأحاديث المسلسلة ٠ وقال في (ص ٣٦٥) وهذه تسمية كتب سبق المتقدمون اليها ويستحب لصاحب الحديث أن يخرج عليها ٠ وهنا يذكر مؤلفات الحافظ علي بن المديني ٠ وقال في هذه الصفحة : ومن الكتب التي يكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها به واضعها ٠ وهنا يذكر مؤلفات ابي حاتم محمد بن حبان البستي ويطيل الكلام في ترجمته ٠

وفي الظاهرية بدمشق نسخة نفيسة من هذا الكتاب رقمها ٣٩٣ وكنت قابلت الفهرس على نسخة الظاهرية فوجدت أن نسخة العثمانية تنقص أبواباً عن الظاهرية فحررت ذلك في هوامش الفهرس ٠

وهناك نسخ أخرى مخطوطة في مصر وغيرها لاأرى حاجة لذكرها بعد أن طبع الكتاب في الهند ٠ وعن الكفاية هذا ينقل لنا ياقوت صفحتين بالحرف في كتابه في الكلام على بست حيث يقول في ص (١٧٤) أخبرنا أبو اليمن زيد ابن الحسن الكندي شفاهاً قال أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي اذناً عن ابي بكر أحمد بن ثابت (وهو الخطيب البغدادي) كتابةً ٠ قال ومن الكتب التي يكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها به واضعها مصنفات محمد بن حبان

البستي الى قوله في الصفحة التي بعدها والله أعلم . وترجم البستي أيضاً الحافظ الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال (ج ٣ ص ٣٩) ومما قاله في ترجمته وقال الامام أبوعمرو ابن الصلاح وذكره في طبقات الشافعية (وربما [1] غلط الغلط الفاحش في تصرفه وصدق أبوعمرو الخ ودافع عنه دفاعاً مجيداً) .

وترجمه الحافظ الذهبي أيضاً في تذكرة الحفاظ (ج ٣ ص ١٢٥) ومما قاله . قال الحاكم كان بن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال قدم نيسابور فسمع من عبد الله بن شيرويه وغيره ورحل الى بخارى فلقي عمر بن محمد بن بُجير ثم ورد نيسابور سنة اربع وثلاثين وسار الى قضاء نسا ثم انصرف الينا سنة سبع فأقام بنيسابور وبنى الخانقاه وقرئ عليه جملة من مصنفاته ثم خرج من نيسابور الى وطنه سجستان عام اربعين وكانت الرحلة اليه لسماع كتبه . ثم ساق بأسانيده نحو ما ذكره في ميزانه ودافع عنه نحو دفاعه ثمة .

وترجمه الامام السبكي في طبقات الشافعية (ج ٢ ص ١٤١) ومما قاله فيه وقال الحاكم : كان ثقة نبيلا ودافع عنه دفاعاً حسناً وطعن في الطاعن فيه .

وآخر من ترجمه على ما رأيت العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ في شذرات الذهب (ج ٣ ص ١٦) ومما قاله : ان له ترجمة في طبقات الشافعية للأسنوي . وهو من مخطوطات الأحمدية بحلب والظاهرية بدمشق وذكره ابن الصلاح في المقدمة (ص ١٢٧) . من طبعتي التي أشرت اليها فقال : وقال أبوحاتم بن حبان البستي أحد المصنفين من أئمة الحديث الخ ويقصد العلماء بقولهم أحد المصنفين المكثرون من التأليف . واذا جمعت هذه التراجم جميعها يكون منها كتيب قيم جداً يعم نفعه ويعرف به هذا الامام العظيم وبمناسبة ذكر كتاب الكفاية للخطيب البغدادي أحببت ان أذكر له كتاباً آخر هو من هذا النوع وهو من (بقية ما ترك الأجداد) وهو كتاب (الجامع لآداب الراوي والسامع) قال الجلال السيوطي في أوائل كتابه التدريب : عمل الخطيب في قوانين الرواية كتاباً سماه

(١) التصحيح من ترجمته في تذكرة الحفاظ .

الكفاية وفي آدابها كتاباً سماه (الجامع لآداب الشيخ والسامع) قل من فنون الحديث الا وقد صنف فيه كتاباً مفرداً فكان كما قال الحافظ ابوبكر بن نقطة كل من انصف علم ان المحدثين بعده عيال على كتبه وهذا الكتاب موجود الآن في مكتبة المجلس البلدي بالاسكندرية ٠

قال في فهرس هذه المكتبة : هي محررة بقلم نسخ صحيح سنة ٥٠٠ ومعارضة على النسخة المنقولة عنها وعلى كل جزء منها سماع لأبي الحسن سعد الخير محمد ابن سهل الأنصاري وبناته فاطمة وزينب بحضرة السيدة ليلى ورابعة وفتاة نافع وكان ذلك على الشيخ ابي القاسم الشهرزوري بحق إجازته عن المصنف في سنة ٥٢٩ وهي جلد ١ رقم ٣٧١١

وفي الظاهرية بدمشق أوراق ضمن مجموع يظهر لي منها ومن مقدمة ابن الصلاح التي تجد فيها نقولاً كثيرة عنه ما فيه دروس في كيفية التعليم والتعلم وآداب ذلك فيكون منطبقاً على اسمه (الجامع لآداب الشيخ والسامع) ويكون ما نسميه الآن الطريقة الحديثة في التعليم قد سبقنا اليه المتقدمون بأحسن بيان ٠

(حلب) محمد راغب الطباخ

الأَصْفَقَانِيَّة

قرأت في النهاية لابن الأثير ، هذا الحديث : (١ : ٢٦٧) :

(س ٠ وفي كتاب معاوية) الى ملك الروم : « لأنزعنك من الملك نزع الأصفقانية ٠ — هم الخوَل ، بلغة اليمن ٠ يقال : صفقهم من بلدٍ الى بلدٍ أخرجهم منه قهراً وذلاً ٠ وصفقهم عن كذا ، أي صرفهم ٠ » اهـ ٠

فتعجبتُ من ان معاوية هذا العربي الصميم يكتب هذه الكتابة ، أي ان يكتب الى ملكٍ انه ينزعه من الملك نزع الخوَل ٠ ومعاوية يعلم — وهو السياسي الداهية في النهاية ، انه يستطيع نزع ملك من ملكه نزع الخوَل ٠ وليس نزع الخول أمراً هيناً ، لأنهم كثيراً ما يقاومون مولاهم إذ ربما نزعوه من ملكه قبل أن يطردهم من ملكه ٠

ولهذا لم أرجح رواية هذا الحديث ، وقلت : ان في الحديث تصحيفين : تصحيف في المبنى ، وتصحيف في المعنى . وما زلتُ انقِر عن صحيح الرواية . حتى أصبت في الكتاب نفسه في مادة (ا ص ط ف ل) ما يأتي :

«(س . في كتاب معاوية) الى ملك الروم : ولأنزعنك من الملك نزع الإصطفلينة ، أي الجزرة . لغة شامية . أوردها بعضهم في حرف الهمزة على أنها أصلية ، وبعضهم في الصاد على أنها زائدة . » اه .

قلنا . وجدنا عدة حقائق في وقت واحد : الأولى أن الهمزة هنا زائدة ، لانها جُلبت لعدم الابتداء بالساكن في لغتنا . الثانية ان الكلمة شامية ، لكنها يونانية ومعناها الجزرة البرية وتكتب في هذا اللسان هكذا : Staphulinos بالمعنى الذي أشير اليه . الثالثة : ان رواية معاوية الصحيحة في هذه ، لأن الجزرة تنزع نزعاً هيناً من مكانها . الرابعة : يجب أن تكون الكلمة في الرواية الأولى دالّة على نبت يسهل نزعه ليصحّ قول معاوية . الخامسة : الأصفقانية لم ترد في كتاب إلا في التاج وهي منقولة عن النهاية على ما يبدو لي . ولم أجدها في أي كتاب آخر في متن اللغة . السادسة : الكلمة يونانية الأصل أيضاً . وهي مخففة من اليونانية (أصفرقانية) ومعناها الهليونة . وهذه النبتة تنزع نزعاً هيناً ، كما تنزع الاصطفلينة . وقد سقطت الراء من الكلمة الأعجمية ، لأن الراء كثيراً ما تزاد أو تسقط في الفاظنا كما في الألفاظ المستعارة من الأغراب . فقد قال الأقدمون : العبرَب والعرَبرَب وهو السماق . وتبعص وتبعرص : اضطرب والخنوص والخرنوْص . وصرحت بقدحمة وقردحمة الى آخر ما عندهم ، وكفى بهذا القدر .

ومن كان له رأي مخالف فليبده ، ونحن نشكره عليه سلفاً .

(بغداد) الأب أنستاس ماري الكرملي

الطَّرْح ومترادفاتها

في التجارة العالمية ، كلمة كثيرة الاستعمال ، شائعة في كل قطر ومصر ، هي Tare في الفرنسية والانكليزية ، و Tara في البروفنسية والاسبانية ، والايطالية ، والبرتوغالية ، و Atara في الأندلسية ، و Tara في اللاتينية المولدة ٠

وكل لغوي غربيّ بحث في أصلها قال : انها من العربية (طَرْح) اي بطاء مفتوحة ، وراء ساكنة وفي الآخر حاء ويراد بها ما يُنبذ من وزن الإناء أو الظرف ، الذي تكون فيه البضاعة قبل أن تباع ٠ مثل إخراج وزن البراميل عند بيع الخمر أو الزيت ، وثقل البستوقة من وزن السمن ، والخيش من بيع الحرائر ٠

وأنت اذا بحثت عنها في دواويننا ، لا ترى شرحاً (للطرح) ، ولا تجد هذه الكلمة في المعاجم الافرنجية العربية ٠ وهذا في منتهى الغرابة !

أما أهل العراق فيسمون (الطرح) : (الترْك) بتاء مثناة مفتوحة ، يليها راء ساكنة ، فكاف في الآخر ٠ وهي من ترك الشيء : طَرَحهُ ويحتمل أن يكون الترك تخفيف الطرح ٠ إذ كثيراً ما تخفف الطاء بصورة تاء ، وهو أشهر من ان يذكر ، وتخفف الحاء كافاً ، كما قالوا في الحثحث والحابي والسُلَّح : الكثكث والكابي والسُلك ٠

وقد ذكر لنا المستشرقون مترادفاً آخر للطرح : (المَرْمِيّ) وهو اسم مفعول من رَمى ، لأن هذا العرَض ينبذ من الوزن عند تعيير المادة الأصلية ٠

أما الأقدمون الفصحاء من السلف ، فانهم كانوا يسمونه (القسر) ٠ قال في تاج العروس : « القشر ، بالكسر ، غشاء الشيء ، خاقةً أو عرَضاً ٠٠٠ وكل ملبوس : قِشر » اهـ ٠ فدخل في هذا ، غشاء أو غلاف التجارات بأنواعها ، من من سائلة وجامدة فاجتمع عندنا عدة أحرف للافرنجية Tare فيجب أن يكتب بازائها ما يأتي : طَرْح ، مَرْمِيّ ، تَرْك ، قِشر ٠

فعسى أن تصلح بعد هذا ، المعاجم الاجنبية والعربية ، ولا تبقى في غاية التقصير والتأخير ٠

أ ٠ م ٠ ك

فرقد الغرباء وسراج الأدباء

لجمال الدين الحسن الحانيني

ورد اسم هذه الرسالة الأدبية في مقال كتبه الأستاذ عبد الله مخلص في الجزئين ٣ و ٤ من المجلد ١٨ من هذه المجلة في التعريف بما حوته مكتبة آل المغربي من المخطوطات التي هي اليوم في حيازة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي وهذا ما جاء في التعريف بهذه الرسالة في مقال الأستاذ المخلص :

« فرقد الغرباء وسراج الأدباء لجمال الدين الحسن الشهير بالحانيني المتوفى سنة ١٠٣٥ ﻫ ١٦٢٥ م وهي مقامة على طراز مقامات الحريري لكنها أطول وأجمع للنكت العلمية والأدبية . كتبها علي بن أحمد الأكرم بالقدس سنة ١٠٨٠ ﻫ ١٦٦٩ م »

وقد رأيت من المفيد التعريف بصاحب هذه الرسالة وهو كما في كتاب أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل : الحسن بن علي بن أحمد العاملي الحانيني كان فاضلاً عالماً ماهراً شاعراً أديباً منشئاً فقيهاً محدثاً صدوقاً معتمداً جليل القدر . قرأ على أبيه وعلى جماعة من العلماء العامليين . منهم الشيخ نعمة الله بن أحمد بن خاتون . والشيخ مفلح الكونيني . والشيخ ابراهيم الميسي . والشيخ أحمد ابن سليمان . واستجاز من الشيخ حسن بن الشهيد الثاني . ومن السيد محمد بن أبي الحسن الموسوي بعد ما قرأ عليهما فأجازاه .

له كتب : منها كتاب حقيبة الأخيار وجهينة الأخبار في التاريخ ، وكتاب نظم الجمان في تاريخ الأكابر والأعيان ، ورسالة سماها فرقد الغرباء وسراج الأدباء ، ورسالة في الشفاعة ، ورسالة في النحو ، وديوان شعر يقارب سبعين ألف بيت بخطه وغير ذلك . ورأيت بخطه فرقد الغرباء . وعلى ظهره انشاء لطيف بخط الشيخ حسن يتضمن مدحه ومدح كتابه وترجمه المحبي في خلاصة الأثر فقال :

« حسن بن علي بن حسن بن احمد بن محمود العاملي الكونيني الشهير بالحانيني من من أهل الفضل والأدب جم الفائدة كان شاعراً مطبوعاً كثير النظم له فيه

الباع الطويل وكان مقيماً ببلدة (بيت حانين) من ضواحي صفد ، وأفتى مرة في حياة الشهاب احمد الخالدي . وقد وقفت له على أشعار كثيرة في مجموع جمع صاحبه فيه المدائح التي مدح بها الأمير فخر الدين بن معن » .

هذا مجمل ما ترجم له المحب في خلاصته والحر العاملي في أمله . أما الكتب التي سرد اسماءها له الثاني وديوان شعره الضخم ورسالته هذه فرقد الغرباء فمن المؤسف حقاً أنها مفقودة من البقية الباقية من المكتبة العاملية كما فقد ما لا يحصى من مؤلفات العلماء العامليين وتكاد تكون هذه الرسالة التي احتفظت بها مكتبة آل المغربي هي كل ما خلف من أثر وسلم من الغير . ومن النكبات التي كانت تنتاب جبل عامل وهو بين فكيها ونابيها ولهاتها . ووقود نارها المضطرمة في العهد الاقطاعي وهو بموقعه من الساحل الشامي وقربه من صيداء قاعدة ولاة ذلك العصر المضطرب بالفتن والحرب عرضة لكل ما تحمله من تدمير وما اليه من اصابة في الأرواح والأموال والنفوس والنفائس ومنها كتب العلم ومن يعلم أن الجزار في أواخر القرن الثاني عشر الهجري أوقد أفران عكاء سبعة أيام من كتب العامليين انتقاماً منهم ومن حكامهم الاقطاعيين لا يستغرب كيف ذهبت مؤلفات علمائهم الكثير عديدها والحروب ما زالت ولن تزال آفة العلم والعلماء ولا سيما إذا كانت من نوع تلك الحروب وفي مثل تلك العصور التي كان يغمر موقدي جذاها الجهل المطبق .

أما تقريظ الشيخ حسن ابن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني أستاذ المترجم له لرسالته فرقد الغرباء فقد عثر عليه في كتاب مخطوط لبعض علماء العجم وهذا نصه كما جاء في كتاب شهداء الفضيلة للأستاذ الشيخ عبد الحسين الأميني التبريزي :

« الحمد لله وحده . وقفت على مودعات هذه الأوراق التي لا يعرف حقيقتها إلا الحذاق . فوجدت جداول عباراتها تتدفق بمحاسن الآداب . ورياض معانيها تتضوع بنشر الفضل العجاب . وكنوز فوائدها تتعهد بإعطاء الاثراء لمن أملق في فنها من أولي الألباب . ورموز مقاصدها تشهد بالارتقاء في صنعتها الى اعلا

درجات الأدباء والكتاب فالله يحيي بفضل منشئها ما مات من آثار الفضل · ويمده من جوده الوافر وكرمه الواسع بهبات الانعام » ·

(مدينة بعلبك تنظم عقداً من أدباء عصر الحانيني هو واسطته)

عثرت على مجموعة منذ سنين بخط محمد صادق بن ابراهيم بن محمد الحريري الحرفوشي فرغ من كتابتها في غرة جمادى الآخرة من شهور سنة ١١٠١ نقل في مجموعته هذه من خط السيد نور الدين بن علي بن ابي الحسن ما يلي :

« انه مما اتفق من فلتات الزمان · وفريدات هذا الأوان · بعد أن ساعدت المقادير · وارتفعت على خلاف العادة المحاذير · ان جمعتنا جوامع الالتزام وألفتنا أسلاك الانسجام · في رواب قد رق بليلها · وراق أصيلها · وطابت بها النفوس وتولعت بكل مأنوس · فتجارينا بذكر الشعر والأدب وما اتفق في مطاويه من الطرائف والنخب · حتى عُد بعضه من الاعجاز · أو السحر المجاز · فانبعثت عليه الخواطر والفكر · ودعت اليه دواعي الفكاهة والسمر · حتى أن كلاً من الحاضرين وأجلاء الأدباء والمنادمين · صار ينظم ارتجالاً · ويجيد مقالاً · وكان رئيسهم الذي هو فريد الفنون · وفي هذا الشان غاية ما يكون · مولى الشعر والآداب · وجليل الفضلاء والأنجاب · ذو الجمال والمجد الرباني مولانا الشيخ حسن الحانيني · متعنا الله بطول أيامه · ولطائف الفاظه وأقلامه · فابتدأهم بنظم اول هذه القصيدة · ولهذا جاءت بالبراعة فريدة · وسلك الجماعة على منواله · و اقتفوا أثر اسجاله · وذلك ببلدة بعلبك العلية · التي لها بخصال الفضل أهلية » ·

أما القصيدة التي اشترك هذا الرهط الأدبي في نظمها ارتجالاً على بحر واحد وروي واحد فيبلغ عدد أبياتها ستة وعشرين بيتاً ·

وهذه اسماؤهم ومنهم المعروف والمترجم له في أمل الآمل وخلاصة الاثر وغيرهما من معاجم الرجال ومنهم من لم يترجم لهم ولم نعثر لهم على ترجمة ·

(١) الشيخ حسن الحانيني (٢) الشيخ محمد الحريري الدمشقي (٣) الشيخ بهاء الدين العفيفي (٤) الشيخ حسن الظهيري العاملي (٥) السيد محمد العامي

(٦) الشيخ عبد الرضا (٧) السيد احمد الحسيني الحسني (٨) الشيخ علي الحلبي (٩) السيد نور الدين الحسيني (١٠) محمد بن حماد .

أما قرية حانين المنسوب اليها صاحب الرسالة وقرية كونين فهما من قرى جبل عامل الجنوبية على مقربة من (بنت جبيل) من حواضر جبل عامل وعلى مسافة زهاء [١٥ ك م] من صفد . (النبطية) سليمان ظاهر

أبو حاتم البستي

قرأت في مفتتح العدد الثالث من المجلد العشرين من مجلة المجمع العلمي العربي قول الأستاذ الرئيس بصدد ترجمة الامام ابي حاتم محمد بن حبان البستي : «هذا الإمام الذي ألف تآليف لم يسبق اليها ورواها عنه الثقات الأثبات ، وانتظمت له الامامة في الدين فعُدَّ صحيحه في الحديث أصح من سنن ابن ماجة وعرف الى ذلك الطب والنجوم ، هذا الامام لم يترجم له المحدثون ولا الفقهاء ولا المتكلمون ولا الأدباء ولا اللغويون ولا الأطباء ولا المنجمون . ولولا ما ترجم له ياقوت في مادة (بست) من معجم البلدان لما عرفنا عنه شيئاً يذكر في الكتب ، ولا يبعد أن يكون أصحاب التراجم قد وفوه حقه ولكن الكتب التي وصلت الينا لم تشر الى ذلك» .

قرأت هذا فحفزني إلى الرجوع إلى ما لديّ من كتب التراجم فوجدت ترجمته في جمهرة منها — وجميعها مما طال عهد الأستاذ الرئيس بمطالعته — وها أنذا أذكرها على سبيل التذكير :

أنساب السمعاني الورقة ٨٠	شذرات الذهب ٣ : ١٦
طبقات الشافعية ٢ : ١٤١	الأعلام للزركلي ٨٨٠
الرسالة المستطرفة ١٦	قاموس الأعلام (تركي) ٦١٦
تذكرة الحفاظ ٣ : ١٢٥	ميزان الاعتدال ٣ : ٣٩
لسان الميزان ٥ : ١١٢	ابن عساكر (مخطوط)

(دمشق) أحمد عبيد

هديتان الى دار الكتب الظاهرية

— ١ —

أهدت وزارة المعارف المصرية الى دار الكتب الظاهرية بدمشق (٢٩٣) كتاباً مطبوعاً بين مجلد ورسالة انتخبت من كتب مستودعات هذه الوزارة وقد تفضل معالي الدكتور عبد الرزاق السنهوري بك وزير المعارف المصرية بهذه الهدية الثمينة تعزيزاً للصلات الثقافية بين القطرين الشقيقين المصري والسوري فله وللوزارة خالص الشكر.

— ٢ —

وأهدى غبطة بطريرك الروم الأرثوذكس الى دار الكتب المذكورة (٥٥) مجلداً بين مخطوط ومطبوع فدل بذلك على نفس سامية كريمة وحب لتنشيط العلم ودوره فله الشكر الجزيل.

تصحيح واستدراك

وقعت أخطاء مطبعية في (تصحيح أغلاط كتاب البخلاء) المنشور في المجلد العشرين، نذكر تصويبها كما يلي:

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٥	٩	بالقاء	بابقاء
١٥٧	٢٣	حمض	حمص
١٥٩	٩	لجم	لحم
١٦٠	١٤	٦٨ سر الآن! سر!	سر! فر الآن! فر! فر!
١٦١	١٤	يوضع خط أفقي بين كلمتي الدفاف والنقل	
١٦٢	٩	نجع	أنجع
٢٥٣	١٤	من	من من

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥٥	٢٥	في الناس	من الناس
٢٥٨	١٥	من [ثقاتهم]	[من ثقاتهم]
٣٥٠	٧	١٩٥ـ٥ يدي	١٩٦ـ٥ يدي
٣٥٠	٥	الايراد	الايرد
٣٥٢	٤	وديارجة	ودرياجة
٤٥١	٩	[ويرد]	[ويرد من]
٤٥٤	٣	غصن	غض
٤٥٨	٢	فيها	منها
٤٥٨	٢٣	أبار	أبآر

وفي ٣٥٢ — ٤ سميت السلة التي يحصر فيها السمك بالـ (اوهار) وأرى الآن أن أوهاراً عامية فصيحها (وِهار) بكسر الواو اسم آلة من وهر يهر وزان حزام ولجام.

(الموصل) داود الجلبي

الصفحة فهرس الجزء الأول والثاني من المجلد الحادي والعشرين

الجزء الثالث والرابع ٢٤٥ ، ٢٤٦ المجلد الحادي والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

آذار ونيسان سنة ١٩٤٦ شهر ربيع الثاني وجمادى الأولى سنة ١٣٦٥

القول في اتكالنا [1]

كان عرب الجاهلية المثل الأعلى في الاعتماد على النفس ، اشتهروا بمغامراتهم ورحلاتهم لغرض التجارة ، وكانوا اذا شحت عليهم مياهم وأقحطت أرضهم تنبهت فيهم غريزة حفظ النوع فلا يرون غير الاعتداء على جيرانهم ، يستلبون منهم ما يسد جوعتهم .

ولما جاء الاسلام وبطل الغزو والتعادي أصبحوا يتكلون على خالقهم كما كانوا يتكلون على أنفسهم ، وعُوّضوا عن الغصوب بما أتاهم به الحدث الجديد من المغانم ، وكانوا اذا فتحوا بلداً هبوا لاستعمار غَوْره ونجده ، فشادوا المدن ، وأحيوا الموات ، وفجروا الأنهار ، وأقاموا السدود ، وعمروا الرياض والغياض ، وبفرض العطاء أي الرواتب لأشرافهم ومن تبعهم ، وبتحريم الربا والبيوع الفاسدة ، وزعت الثروة فزادوا توسعاً في معايشهم أكثر من يوم كانوا فيه ولا قوة تحميهم في السفر والحضر .

تَشرُّع العرب موجز وسريع التنفيذ ، وتدابيرهم معقولة مقبولة حتى في الجاهلية ، وكانوا اذا صح عزمهم على أمر فيه صلاح معادهم أو معاشهم تجلى حزمهم وجِدّهم ، وهذه الصفات تقوى وتضعف فيهم بحسب العصور والأمصار . ومنذ فجر الاسلام أنشأوا يبنون جوامعهم ومساجدهم بأنفسهم ، وينصبون لها الخطباء والأئمة ، ويقومون

(١) من كتابنا الجديد « أقوالنا وأفعالنا » وهو الى الآن مخطوطة .

لشؤونها لا يرزأون بيت المال شيئاً ، كانوا يعرفون عالمهم وتقيهم وداهيتهم كما عرفوا في جاهليتهم شاعرهم وخطيبهم وكاهنهم ، وما كان العارف فيهم — وعلى كل واحد زاجر من نفسه — يتصدى لما ليس له بأهل ، فلا يقضي ولا يفتي ولا يعظ ويخطب الا اذا شهدله الثقات بالفضل حتى لا يضل به المهتدي ويزل المسترشد .

ولما نزع العرب في العصور التالية لاقامة رباطاتهم ومدارسهم ودور مرضاهم وضيافتهم وسائر مصانعهم حبسوا عليها من الأحباس ما يقوم بها على الأيام ، طيبة نفوسهم بما بذلوا ، والى هذا كانوا يعاونون حكوماتهم فيما يقيم المرابطين من مؤنة وخيل وسلاح ، لعلمهم بأن عزهم مناط عزة حكومتهم ، وسلامة أعراضهم وعروضهم فى دفع أذى أعدائهم عن ديارهم ، وكان يندر فيهم من من يحيد عن سنن الفضيلة ، يرون الأمانة أمراً طبيعياً ، والصدق فرض عين ، والبعد عن المأثم نبلاً ومروءة ، ولذلك خلا بعض أمصارهم في القرن الأول من السجون لندرة الجناة والمجرمين .

وقلّت ثروة العرب ، وضعفت مقومات حياتهم ، وغدا وعاظهم وحكاؤهم من الفريق الذي عزّ عليه تحصيل رزقه من أبواب المعاش المعروفة ، فلجأ الى دعوى خدمة الدين يبيع بضاعته من الراعي والرعية ، وأصبح قضاتهم يصانعون في قضائهم ، ويصادرون كما يصادر لصوص العمال ، فزال جلال القضاء لعدم الثقة بالأمناء عليه ، وما وصف الإمام أبو يوسف في رسالته الى الرشيد قضاة عصره الا وصف عارف بما هنالك اذ قال : « وما أظن كثيراً من القضاة والله أعلم يبالي بما صنع وكيفما عمل ولا يبالي أكثر من معهم أن يفقروا اليتيم ويهلكوا الوارث » ثم أخذ القضاة يبتاعون مناصبهم ممن كانوا يدعون ملوكاً فيجمعون أموال السحت وناهيك بها من سُبَّة .

ومع أن الفردية تغلب على العربي أكثر من الجماعية ، كان من العرب من يشتركون في مسائل تجارية كبرى ، ويقسمون الأرباح بينهم ، ويرضى كل واحد بما قسم له ، وقلّ أن يرجعوا في اختلاف ينشب بينهم الى صاحب السلطان ،

يفضون خلافاتهم بمعرفة أهل الرأي والتجربة منهم ، والى اليوم نرى في نجد مع بعدها عن العمران شركات تجارية جمعت رؤوس أموالها من الأغنياء والفقراء واشترك بها الأقوياء والضعفاء ، على مثال شركات الغربيين ، وفيها الأمانة ماثلة كثيراً .

كانت أعمال الأفراد في معظم العصور أكثر نتاجاً وأوفر عائدة مما تتولاه الدول ، ذلك لأن عمل الفرد تظهر فيه المسئولية فيحتاج الى التدقيق ، وفي عمل الدولة تختفي التبعات ، ويزيد الاسراف في النفقات ، ويتهاون بالجزئيات وأحياناً بالكليات ، ولذا رأينا السكك الحديدية والمعامل والمدارس وكل ما تديره الحكومات في الغرب والشرق من المشاريع أقل ربحاً وأكثر نفقة مما يديره الأهلون .

ومتى ضعفت ثقة الناس بعضهم ببعض ، تفتح للحكومات منافذ التدخل في أمور الرعية ، فتستتبع بعض طبقاتهم على ما تهوى ، ويقوى بذلك سلطانها ، وتتشعب فروع أعمالها ، وتتضاءل سلطة الفرد ، ويفنى في المجموع . واذا قلّ اعتماد الناس بعضهم على بعض يَكِلون الى ولاتهم أمورهم ، ويطلبون اليها العناية بما ليس من واجبها معاناته ، ويطالبونها أن تتولى منهم ما يتولاه الوصيّ من أمر اليتامى جعلوا تحت وصايته .

كلما عوّل الناس على أنفسهم وتركوا الحكومات وشأنها اغتنوا وسعدوا ، وقد يكون غير المسلمين من سكان هذا الشرق القريب أهنأ عيشاً من الكثرة الغامرة ، ومنهم من لم يتكلوا على الدولة في كل شيء ، يرحلون ويغامرون ويغتنون ويَنعَمون ، وشهدنا من مارسوا حرفهم من المحامين والأطباء والمهندسين ، مستقلين عن الحكومات ، أوفر غنى وهناء ممن تقلدوا القضاء ومسائل الصحة والعمائر ، واتكلوا على الدولة مكتفين بالرواتب المحددة . نعم كلما عظمت سلطة الدولة ينشأ في أبنائها الاتكال ويخفى الاستقلال ، وتوشك أن تظهر عليها أعراض الانحلال ، وان كثر سكانها واتسعت رقعة بلدانها .

القوة للرعية في الشعوب الانكلوسكسونية والدولة في الشعوب اللاتينية ، وأثر التربيتين الاستقلالية والاتكالية محسوس في أرض الفريقين وفي الأقطار التي

استعمروها . قال أحد وزراء الانكليز : أنا لا أقول ان الحكومات أبداً شؤم على الشعوب بل أقول وبل لأمة تترك المجال للحكومة تُنظِّم لها اليوم بعد اليوم من الطفولة الى الشيخوخة حركة أفكارها وما ينهض بها الى العلاء ، وقالت احدى المجلات الانكليزية مما خُصَّت به أرضنا من الميزات ميزة تعد في مفاخرنا ، وهي اننا ندير أمورنا بأنفسنا بدون تدخل الدولة . ومن أعظم البراهين على ما يعمل الاستقلال في الفكر والارادة ، وما ينجم عن الاتكال من الخلال وضعف ، ما حدث في تأسيس الولايات المتحدة الأميركية وكندا واوستراليا ، فان جماعات من الانكليز غضبت عليهم ديارهم لشقاوتهم فنفتهم ، أو غضبوا هم على الدولة لاضطهادهم في مذهبهم ، أو تعذر العيش عليهم في مساقط رؤوسهم فنزلوا تلك الأقطار البعيدة ، وما عتموا أن أسسوا معتمدين على انفسهم ممالك عظيمة جاءت في بعض مظاهرها أرقى من مواطنهم الأصلية .

وهذه طائفة المورمون في الولايات المتحدة ، وهي تقول بتعدد الزوجات الى ما لا حد له ، قد حاربتها حكومة تلك الديار في أول ظهورها حرب إبادة ، فجلا بقية السيوف من أبنائها الى صقع قاحل ، فما هي إلا اعوام قليلة حتى عمروه فأصبح كسائر الولايات المتحدة بمدنيته وصناعاته ورخائه ، ولو كان المورمون شعباً لاتينياً أو سامياً لانقرضوا لما لقوا من شدة ، أو لعاشوا عيش تَذَبُّبٍ في انتظار نجدة من دولة ، او منحة من جمعية ، او نفحة من غنيّ جواد .

ستون الف جندي وثلاثة آلاف موظف انكليزي اخضعوا بفضل اخلاقهم لسلطان بريطانيا العظمى نحو اربعمائة مليون من الهنود يساوونهم بذكائهم ، واستولى الاسبان على الولايات اللاتينية التي صارت بعدُ جمهوريات اميركا الجنوبية وما عهد فيها الا الفوضى ، والسبب في ذلك اخلاق الفاتحين . وحكمت اسبانيا جزيرة كوبا ثلاثمائة سنة فما كان فيها الا الشقاء والظلم فلما آل حكمها الى الولايات المتحدة اصبحت في ثلاثين سنة من اسعد الممالك .

يطلب الشرقي كل شيء من حكومته ، ولذلك يقل ابداعه ، ولا يطرد سير

حياته ، ولا تنمو ثروته ، ولا تدوم نعمته . الشرقي عبء ثقيل على ابيه وأمه ، وعلى أخيه وأخته ، وعلى مورّثه وأسرته ، وعلى من يعتقد فيهم القدرة من أهل حيه وبلده ودولته ، وعلى من يحبه ويعطف عليه ، وفيه شيء من النقص لا تجد مثله في صاحب التربية المستقلة وهذا لا ينتظر ارث ابيه ولا أمه ولا مورثه أياً كان ، ولا البائنة التي تأتيه بها زوجته ، ولا نصيبها من إرث أبيها ، يجمع ثروته بكده وجده ، ولا يتوقع مجيئها عفواً صفواً .

روى اصحاب الاخبار ان احد ابناء رؤساء جمهورية الولايات المتحدة شوهد غداة انتخاب والده للرياسة مبكراً الى معمله على عادته ، فقيل له : كان عليك ان تجعل من هذا اليوم عيداً لك ، وتنقطع عن العمل ، وقد غدا أبوك رئيس الامة فقال الرئيس أبي وأنا هنا عامل اشتغل لمستقبلي .

وهذه مصر ولا نمثل بغيرها هل تم لها الاستقلال في التربية مقدمة الاستقلال السياسي ام هو الاتكال لاشيء غيره ؟ الحق ان التربية الاتكالية بادية في مصر والاستقلال الشخصي كهلال الشك لايكاد يُرى . كأن التربية اللاتينية التي لقفتها مصر لاول نهضتها قد امرضتها فلم تسلم الى اليوم من تأثيراتها على ماعولجت به من طرق حديثة في التربية . ولو كان هناك خلق استقلالي ماشهدنا القوم يتهافتون على التوظف في الحكومة هذا التهافت المبكي .

ان أمة يتهالك المتعلمون من بنيها ليجعلوا منهم آلات تتحرك بحركات غيرهم ، ويعيشون كالحلمة الطفيلية بامتصاص خزانة الدولة ، والاعمال الحرة الرابحة كثيرة أمامهم يتركونها للنازل عليهم هي امة محكوم عليها باسوإ مايحكم به على مصاب بمرض عضال ، وأي مرض افتك في النفوس من مرض الاتكال الذي يقضي على فضائل جمة في الانسان ، ومنها عزة النفس والاقدام .

يقول الدكتور حافظ عفيفي باشا في كتابه على هامش السياسة : أما هذا التعليم الذي يحوّل جميع شبان البلاد الى موظفين ، يعملون دائماً ساعات محددة في النهار تحت اشراف رؤسائهم ، ويتناولون أجراً محدوداً يزيد في فترات معينة

بقدر معلوم ، ويقضون حياتهم على هذا النظام الميكانيكي الذي لاأثر فيه للمجهود الشخصي ، ولا يفتح بابًا للمجازفة والمغامرة او تحمل التبعات ، فهو تعليم محدود الغرض لايفيد الا في تخريج العدد اللازم من الشبان لملء وظائف الحكومة ، ولكنه مضر من جهات اخرى لأنه يفسد الغرائز الطبيعية في جميع الشبان الذين يزيدون عن هذه الحاجة .

وأنا اعتقد ان هذا التعليم يفسد غرائز المستخدمين وغير المستخدمين من الشبان ، ويقتل فيهم روح الاستقلال ، فيصبح الاتكال فيهم طبيعة ثانية ، وقد شاهدت اذكياء أتموا دراساتهم الثانوية او العالية ورجعت عليهم بعد سنين وقد اخملهم الاستخدام فصاروا الى خنوع ومسكنة ، واستولى عليهم القنوط والتشاؤم ، وامسوا لايفكرون إلا في تخطي الدرجات والحصول على العلاوات .

قال لي صديق انه كان في بعض العشايا في مقهى سان استيفانو بالاسكندرية ، فجاءه الغلام الرومي يقول له : ياسيدي الدكتور اجلس هنا فانه مكان اروح لنفسك ، وأشار الى مكان آخر لاتضربه الشمس ، فتعجب صاحبي من مناداة غلام المقهى له مناداة من يعرفه ، فسأله وهل عرفتني من قبل ؟ فقال له : وكيف لاأعرفك وانت الذي خدمت مصر بما املته عليك وطنيتك وكنت كيت وذيت . ثم اذا انا لم اعرفك فمن الواجب ان يعرفك ؟ أنا ياسيدي خريج مدرسة التجارة العليا في اثينة ، وتسألني لم امتهن هذه المهنة فأجيبك لاني اتربح منها وأنا في اول العمر اكثر مما اربح من غيرها . ولما روى له محدثي هذا وهو يعجب من حال الخادم قلت له : لاتعجب ياأخي فان القوم من اقدر الامم على الكسب ولو أحرز احد مواطنيك شهادة من مدرسة التجارة العليا ماكان هدفه الا ان يتقلد وظيفة صغيرة في المدرسة التي تخرج باساتذتها ، أو ان يعين في احدى دواوين الحكومة ، أو يقنع بشيء يتقنه اكثر منه من لايحمل مثل شهادته ، أو يبقى متعطلا خاملاً حتى يهيأ له رزق هين من عمل يعتقد هو انه شريف ، وهذا هو الفرق بين تعليمنا وتعليمهم

وتربيتنا وتربيتهم ، فلا عجب والأمر على ماذكر ان يترك الواحد منكم عشرات الالوف من الدنانير لاولاده فينفقونها في اسرع ما يمكن ، ويموت الرومي موسراً وكان في بدء امره فقيراً معسراً .

كثيراً ما كنت اسأل بعض الآباء عن اولادهم وما اختاروا لهم أو ما اختاروا هم لأنفسهم من مسالك لتحصيل رزقهم ، فكان معظمهم في جانب الاتكاليين لا الاستقلاليين ، أي انهم يؤثرون الاعمال الهينة المضمونة ، ولا ترتفع بهم هممهم الى بذل النشاط اللازم أول دخولهم معترك العالم ، ولو انك قرأت باب الوفيات في صحيفة يومية مصرية تذكر اسم المتوفى كما تبلغها أسرة الفقيد مشفوعاً باسماء انسبائه واولاده ووظائفهم لخيل اليك ان كل متعلم في هذا القطر موظف ، وكل مشهور ليس في ذوي قرباه إلا خدَمَة حكومة غالباً ، وقد يرزق الرجل بضعة بنين فلا يكون فيهم إلا عامل في الحكومة او أخ له يستعد في المدارس ليقفز الى الدواوين . وأخذ البنات في العهد الأخير يقتدين في هذا الشأن بالبنين . ولا يسع من يشهد هذا إلا ان يأسف للذكاء يثلم حده فيما تقل فائدته ، وللمواهب تضيع على غير طائل ، في قطر حوى جميع أسباب الراحة ، ولا ينعم فيه على الاكثر إلا المستخدمون أو من خلف لهم أهلهم الأطيان والعقارات والاموال المجموعة في المصارف ، وفيه كل شروط الغنى ولا يغتني فيه إلا الغريب او من يتصل بالحكومة بسبب .

ماعهدت أمة كالأمة المصرية تنفق معظم جبايتها على ترفيه موظفيها ، وهم فائضون عن حاجتها يكفيها نصفهم لو تدبرت ، ولو لم يكن الغرام بالتوظف مما عم الطبقات المستنيرة لوجهت الدولة شعبها وجهة اخرى على حين نرى اكثر ماتنصرف اليه همة من يأتون الى الحكم تعيين اعظم عدد ممكن في الادارة من حزبهم ، تخلق لهم اعمالاً ترضيهم بها ، ولو كانوا غير صالحين للاشغال ويختلف نواب الامة الى ابواب الوزارات يشفعون في توظيف ابناء اقاليمهم وادخال السرور على ذويهم بالعمل على ترقيتهم وترفيههم . وهل بعد هذا

برهان على انتشار الاتكال في مصر اصدق من هذا المثال ؟ ولو كان للتربية الاستقلالية السلطان الاكبر على نفوس المصريين لرأينا من تضيق بهم اسباب العيش يهاجرون الي بلد سحيق لكسب رزقهم كالشاميين والحضارمة تحلو لهم الهجرة ولو الى القطب الشمالي وخط الاستواء ·

تمركزت كل قوة في وادي النيل بالحكومة ، فربطت رعاياها برباط أضعف فيهم حرية التفكير الشخصي والعمل المستقل ، واصبح المصري على الأيام غريباً في اخلاقه ، لايرى الشرف الا ماجاء من طريق الحكومة ، ولا يسعد في رأيه الا من أسعدته الحكومة ، وعهدنا بالمدارس المصرية تخرج الالوف من الطلاب ، وما عهدنا انه انصرف منهم الى الاعمال الحرة الا من لم تكفِ شهاداتهم للاستخدام برتبات مقبولة ، والباقون وهم الصفوة توصد اليهم اعمال أصيبت بالاشباع والتضخم لكثرة ماينهال عليها من الطالبين ، فكأن المدارس في القطر المصري أنشئت لتخريج مستخدمين ، والراسب في فحوصها أو من لم يتمكن من اتمام دراسته لسبب من الاسباب تسوقه الحال الى انتحال مذهب من مذاهب المعاش ، يعمل فيه متكارهاً ويكون وسطاً او دون الوسط ، ولو نزع القائمون بالامر في مصر ايديهم من معاونة رعاياهم في كل شيء وتركوا الوطني والغريب يتنافسان برأسيهما في ميدان الأعمال ، لشهدت الدخيل يلقي بالأصيل جانباً فيتجلى للبصير آنئذ الفرق محسوساً بين تربية وتربية ·

وليس بعجيب بعد هذا ان يصبح معظم ماتم من المشاريع الجيدة في مصر من صنع الحكومة قام بايدي رجالها ، وكلف اضعاف مايساوي لانه عمل حكومي · ولو قدر ان تخلت حكومة مصر عن معاونة بعض الشركات الوطنية ، لأصابها فتور في حركتها ، ذلك لان السكان مااعتادوا ان يمشوا بدون دليل ، ولا غنية لهم عمن يهيمن عليهم من قريب او من بعيد ·

وأصدق شاهد على هذا ان تخلي للحكومة الجمعيتان اللتان قامتا احسن قيام بانشاء الجامعة القديمة وتأسيس مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية فأثبتتا عجزهما واتكالها

بعد ان أثبت المؤسسون الأول كفاءة عظيمة وفرح كل عاقل باستقلالهم المحمود.

وما أصدق ماقاله الاستاذ احمد فتحي زغلول باشا في مقدمة كتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين : «ضعفنا حتى أصبحنا نرجو كل شيء من الحكومة فهي التي نطالبها بحفظ حياتنا ، وخصب أرضنا ، وترويج تجارتنا ، وتحسين صناعتنا ، هي التي نطلب منها ان تربي الأبناء ، وتطعم الفقراء وترزق العجزة ، وتنفي اسباب البطالة وتحفظ الاخلاق ، وتلم شعث العائلات ، وتجمع اشتات القلوب ، هي التي نطالبها بتعويض مانقص من ارادتنا ، وتقويم ماأعوج من سيرنا وسيرتنا ، ورد هجمات المزاحمين عنا ، والسهر على مصالح كل واحد منا ، فاذا تأخرنا في عمل من تلك الاعمال باهمالنا ، رميناها بسوء الادارة واتهمناها بحب الأثرة ، والقينا عليها تبعة خمولنا كلها .

«لاريب اننا بهذا الزعم قد ضللنا السبيل ، فانما الحكومة وازع لايكلف الا مااقتضته طبيعته ، وشأن الحكومات في الأمم تأييد النظام ، وحفظ الامن وإقامة العدل وتسهيل سبل الزراعة ومعاهدة بعضهم بعضاً على مايضمن حرية التجارة ، ويشجع أهل الصناعات والحرف ، كما تقتضيه المصالح المشتركة ؛ وعلى قدر ماتسمح به الممكنات ، وبالجملة فالحكومة وازع عام لاواجب عليه الا الأمر العام ، مما يدخل تحته جميع الناس ، ولا ينفرد بالاستفادة منه واحد بخصوصه ، وعلى الامة بعد ذلك ان تستفيد من هذا النظام ، وتنتهز فرصة الامن والطمأنينة لتسعى وراء منافعها ، وتطلب الكمال في زراعتها وصناعتها وتجارتها ، وفي نشر المعارف واحياء العلوم ، وفي اداء الواجب والمحافظة على الحقوق .»

وبعد فقد نزع داء التوظف من كيان المصري صفات صالحة كان يشارك بها أرقى الأمم في حضارتها لو قُيِّضَ له من يعالجه ، وما دام أصحاب الخدمة هنا من اكثر عمال الامم رزقاً ورفاهية وأقلهم تعباً وتبعة ، فالمتعلمون من اذكياء المصريين لن يكون لهم مأرب في غير الاستخدام ، ولو في نطاق ضيق لايعود عليهم بكبير فائدة . ذكر الاستاذ محمد علي علوبه باشا في

كتابه مبادىء في السياسة المصرية انه اذا بحثت أمر كل وزارة ومصلحة هالك لأول نظرة ماعليه الادارة من كثرة الموظفين كثرة هائلة حتى أنك لتجد بعضهم يعترف لك اعترافاً صريحاً بان كثرة هؤلاء الموظفين عديمة الجدوى ، وأنها في أحايين كثيرة تعرقل العمل عرقلة مزرية ، واطالما لوحظ من بعض الموظفين انهم لايأتون الا عملاً تافهاً ، ويقتلون اوقات عملهم في قراءة الصحف وفي الحديث مع زملائهم او مع زائريهم مع استمرار الشكوى من عدم ترقيتهم او رفع علاواتهم . وبعد ان وصف المؤلف ذلك الجيش العاطل من الفراشين والسعاة والجنود على أبواب الدواوين وأقلامها وفي طرقاتها ومنافذها ممن لاعمل لهم الا تقديم القهوة والمرطبات وحمل بعض الأوراق من حجرة الى اخرى قال : : ولقد عمت الفوضى وساد التواكل والتكاسل من هذا النظام الذي يجب ان يزول اذ هو أثر من آثار الماضي يجب ان نتحرز من مساوئه ، ولا يمكن ان نصف مصر في وقتنا الحاضر إلا بانها بلد الموظفين وملجأ التوظف اهـ .

محمد كرد علي

ابو الهذيل العلاف

حياته وفلسفته

١ — تمهيد

كان من أثر اتصال العرب بالفرس والروم في العصر العباسي الأول أن انتشرت في الدولة الاسلامية ثقافات مختلفة لأمم مختلفة . وكان هناك كتاب وشعراء وفلاسفة وعلماء يدعون الى هذه الثقافات ويحببونها الى الناس . وكان هناك ديانات ومذاهب مختلفة تحاول أن تثبت دعوتها ، حتى اضطر الخلفاء العباسيون الى التدخل في المسائل الدينية ، وحث العلماء على وضع الكتب في الرد على المجوس والدهرية . وعمل المتكلمون ، وعلى رأسهم المعتزلة ، على نشر الدعوة الدينية ، والذب عن حياض الاسلام ، عن طريق العقل ، فاستعانوا بالمنطق اليوناني وصاغوا مسائلهم في قوالبه ، وعرفوا طرق الجدل والمناظرة ، ووضعوا لها قوانين وقواعد تقيدوا بها . ولقد بلغ من قوة العلماء في ذلك العصر أن أنفذ واصل بن عطاء اصحابه الى الآفاق ، وبث دعوته في البلاد ، فأجابهم الى ذلك خلق كثير . وكانت مدينة البصرة عاصمة هذه الحركة الفكرية العظيمة ، يجتمع فيها واصل بن عطاء بعمرو بن عبيد ، وعثمان الطويل ، فينازعون الثنوية والدهرية في أمور التوحيد ، ويناظرون المجبّرة في الجبر والاختيار ، والثواب والعقاب ، ويردون على المشبهة في صفات الله والتجسيم . وشجع الخلفاء العباسيون هذه الحركة الفكرية للرد على الملحدين فاختار المهدي رجلاً وكل اليه أمرهم سماه صاحب الزنادقة ، وأنفذ الهادي وصية أبيه المهدي فاشتد في طلبهم والتنكيل بهم ، وسلك هارون الرشيد سبيل من قبله من الخلفاء في تعقبهم ، وأمر المأمون بقتل من حمل اليه من زنادقة البصرة .

٢ – نشأة أبي الهذيل : مولده ونسبه وحياته

ففي هذا العصر المفعم بالحياة الدينية والفكرية نشأ أبو الهذيل العلاف وهو أبو الهذيل محمد بن عبد الله بن مكحول العبدي . ولد سنة خمس وثلاثين ومائة في مدينة البصرة في خلافة السفاح . كان مولى لعبد القيس . ولقب بالعلاف لأن داره كانت بالعلافين . ثم أخذ العلم عن عثمان الطويل وطبقته . وعثمان الطويل أخذه عن واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد . وقيل ان ابا الهذيل تزوج اخت عمرو بن عبيد . فدفعت اليه قمطرين من الكتب ، فأخذ عنها كثيراً من كلامه حتى بلغ فيه غاية ليس وراءها زيادة لمستزيد . ويظهر أن نبوغ ابي الهذيل ، لا يرجع الى ما قبسه من هذه الكتب ، ولا الى ما أخذه عن أستاذه عثمان الطويل فحسب ، بل يعود الى استعداده الفطري وذكائه الحاد . فقد اتفقت الروايات على ان نبوغه كان مبكراً ، وانه كان له أقل من خمس عشرة سنة أول ما تكلم قال ابو الهذيل :

« كنت أختلف الى عثمان الطويل ، صاحب واصل بن عطاء ، فبلغني أن رجلاً يهودياً قدم البصرة ، وقد قطع عامة المتكلمين فيها ، فقلت لعمي ، يا عم ، امض بي الى هذا اليهودي أكلمه ، فقال لي : يا بني ، هذا الرجل قد غلب جماعة متكلمي أهل البصرة ، فمن أخذك أن تكلم من لا طاقة لك بكلامه ؟ فقلت له : لا بد من أن تمضي بي اليه . وما عليك مني غلبني أو غلبته ، فأخذ بيدي ، ودخلنا على اليهودي فوجدته يقرر الناس الذين يكلمونه على نبوة موسى ، ثم يجحدهم نبوة نبينا . فيقول : نحن على ما اتفقنا عليه من صحة نبوة موسى الى ان نتفق على غيره فنقربه . قال فدخلت عليه ، فقلت له : أسألك او تسألني ، فقال لي يا بني ، أوما ترى ما أفعله بمشايخك ؛ فقلت له دع عنك هذا واختر ، اما أن تسألني ، أو اسألك . قال بل أسألك . خبرني . أليس موسى نبياً من أنبياء الله قد صحت نبوته ، وثبت دليله . تقر بهذا أو تجحده فتخالف صاحبك . فقلت له : ان الذي سألتني عنه من أمر موسى هو عندي على أمرين . أحدهما اني أقر بنبوة موسى الذي

أخبر بصحة نبوة نبينا ، وامر باتباعه ، وبشر به وبنبوته . فان كنت عن هذا تسألني فأنا مقر بنبوته . وان كان موسى الذي تسألني عنه لا يقر بنبوة نبينا محمد (ﷺ) ولم يأمر باتباعه ولا بشر به ، فلست أعرفه ولا أقر بنبوته ، بل هو عندي شيطان يخرق . فتحير لما ورد عليه ما قلته له . وقال لي : فما تقول في التوراة ، قلت امر التوراة أيضاً على وجهين ، ان كانت التوراة التي أنزلت على موسى النبي الذي أقر بنبوة نبي محمد فهي التوراة الحق ، وان كانت أنزلت على الذي تدعيه فهي باطل غير حق ، وانا غير مصدق بها . فقال لي احتاج الى ان اقول لك شيئاً بيني وبينك فظننت انه يقول شيئاً من الخير فتقدمت اليه ، فسارني فقال امك كذا وكذا ، وام من علمك . لا يكنى . وقدر اني اثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا علي فأقبلت على من كان بالمجلس فقلت اعزكم الله . اليس قد وقفتم على مسألته اياي وعلى جوابي قالوا لي نعم . فقلت أليس عليه واجب ان يرد علي جوابي . فقالوا نعم . قلت لهم فانه لما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني . وانما قدر ان اثب به فيدعي انا واثبناه وشغبنا عليه . وقد عرفتكم شأنه بعد انقطاعه . فأخذته الأيدي بالنعال . فخرج هارباً من البصرة وقد كان له بها دين كثير فتركه »[1] .

لم تنقض حياة ابي الهذيل كلها في البصرة ، بل رحل منها الى مكة وبغداد وسر من رأى . فقد جاء في أحد كتب ابي الهذيل ، انه لقي هشام بن الحكم في مكة عند جبل ابي قبيس . وذكر الخطيب البغدادي ، ان أبا الهذيل قدم بغداد سنة ثلاث ومائتين وقد نيف على المائة . وذكر المسعودي ان ابا الهذيل اتصل هناك بالمأمون . وكان المأمون في اول امره ، لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره ،

(١) الحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد او مدينة السلام . المجلد الثالث ص ٣٦٦ - ٣٧٠ راجع ايضاً . امالي السيد المرتضى : ص - ١٢٤ . نكت الهميان في نكت العميان ، لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، مصر . المطبعة الجمالية سنة ١٩١١ ص - ٢٧٧ - ٢٧٩ . عيون التواريخ . لمحمد بن شاكر الكتبي . الجزء السادس ، مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٦٧ ص ١٢٠ .

يستعمل النظر في احكام النجوم وقضائها ، وينقاد الى موجباتها ، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان . فلما كان من الفضل بن السهل ذي الرياستين ما اشتهر ، وقدم المأمون العراق انصرف عن ذلك كله ، واظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد وجالس المتكلمين وقرب اليه كثيراً من الجدليين والمناظرين كأبي الهذيل والنظام . والزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء . وكان يشاركهم في مناظراتهم ، ويردهم الى جادة الصواب عند خروجهم منها . ويروى ان المأمون قال لحاجبه يوماً : من في الباب من اصحاب الكلام . فخرج وعاد اليه فقال بالباب ابو الهذيل العلاف وهو معتزلي ، وعبد الله بن إباض الخارجي . وهشام بن الكلبي الرافضي ، فقال المأمون : ما بقي من اعلام جهنم احد الا وقد حضر .

واتصل ابو الهذيل في بغداد بيحيى بن خالد البرمكي وسهل بن هارون صاحب بيت الحكمة . فكان سهل بن هارون يظهر له الصداقة ويكن له العداوة . فقد استشفع ابو الهذيل به مرة على رجل في حاجة له فكتب سهل الى الرجل :

ان الضمير اذا سألتك حاجة لأبي الهذيل خلاف ما ابدي
فاذا اتاك لحاجة فامدد له حبل الرجاء بمخلف الوعد
والن له كنفاً ليحسن ظنه من غير منفعة ولا رفد
حتى اذا طالت شقاوة جده ورجا الغنى فأجبه بالرد
وان استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضر بأبلغ الجهد

واتصل ابو الهذيل في بغداد ايضاً بالحسن بن سهل وناظر بحضرته اصحاب النجوم ، دخل يوماً على الحسن بن سهل وعنده فتى قد رفع الحسن بن سهل مجلسه ، فقال ابو الهذيل من هذا الفتى الذي قد رفعه الأمير ، لنوفيه بمعرفته حقه . قال رجل من أهل النجوم ، قال من اهل صناعة الحساب ام الاحكام . قال الأحكام . قال ذلك عمل باطل . أفنسأله قال : سل . فأخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه . وقال آكل هذه التفاحة أم لا . قال تأكلها . فوضعها ابوالهذيل . وقال : لست آكلها . قال فتعيدها الى يدك ، وأعيد النظر . فوضعها وأخذ غيرها

فقال له الحسن : لم اخذت غيرها قال لئلا يقول لي لا تأ كلها ، فآكلها خلافاً عليه فيقول : قد اصبت في المسألة الأولى ٠

ثم ان ابا الهذيل انتقل من بغداد الى سر من رأى ونزل في غرفة بسيطة الى ان يطلب داراً تصلح له : قال سليمان الرقي فمررت به فقلت له يا أبا الهذيل اتنزل في هذا المنزل فأنشدني :

يقولون زين المرء يامي رحله الا ان زين الرحل يامي راكبه

وفي سر من رأى مات ابو الهذيل ٠ واختلفوا في تاريخ موته ٠ فزعم الخطيب البغدادي وابو المحاسن انه مات سنة ست وعشرين ومائتين في أواخر أيام المعتصم ٠ قال المسعودي مات ابو الهذيل سنة سبع وعشرين ومائتين ٠ وقال صاحب كتاب المصابيح لما مات ابو الهذيل بسر من رأى جلس الواثق في مجلس التعزية ٠ وهذا يدل انه مات في ايام الواثق ٠ وقال آخرون انه ادرك خلافة المتوكل ومات سنة خمس وثلاثين ومائتين ٠ ونحن نميل الى ترجيح هذا القول الأخير استناداً الى سائر اخباره ٠

هذه لمحة قصيرة من حياة ابي الهذيل العلاف جمعتها مما تبعثر من اخباره في كتب التراجم والتاريخ والفلسفة ٠ وفي كتب الأدب اخبار كثيرة عن ابي الهذيل تصور لنا اخلاقه خير تصوير وتبين لنا منزلته احسن تبيين ٠

٣ — أخلاق أبي الهذيل

لم تكن اخلاق ابي الهذيل مما يورث الحمد والثناء دائماً ٠ فقد قال الجاحظ ان ابا الهذيل كان ابخل الناس ٠ مثال ذلك انه اهدى الى مويس دجاجة ، وكانت دجاجته التي أهداها دون ما كان يتخذ لمويس ، ولكنه بكرمه وبحسن خلقه ، اظهر التعجب من سمنها وطيب لحمها ٠ فقال وكيف رأيت يا ابا عمران تلك الدجاجة ٠ قال كانت عجباً من العجب ، فيقول وتدري ما جنسها ، وتدري ما سنها ٠ فان الدجاجة انما تطيب بالجنس والسن ٠ وتدري بأي شيء كنا نسمنها ، فلا يزال في هذا ، والآخر يضحك ضحكاً نعرفه نحن ولا يعرفه

ابو الهذيل . فان ذكروا دجاجة قال : اين كانت يا ابا عمران من تلك الدجاجة . وان ذكروا بطة او جزوراً او بقرة . قال فأين كانت هذه الجزور في الجزر ، من تلك الدجاجة في الدجاج . وان ذكروا عذوبة الشحم قال عذوبة الشحم في البقر والبط وبطون السمك والدجاج . وان ذكروا ميلاد شيء او قدوم انسان ، قال ذلك بعد ان اهديتها لك بسنة . وما كان بين قدوم فلان وبين البعثة بتلك الدجاجة الا يوم . فكانت مثلاً في كل شيء ، وتاريخاً في كل شيء [1] .

ولعل البخل هو الصفة الجامعة لسائر صفات ابي الهذيل القبيحة ، لأن حرصه الشديد قد صيره عند بعضهم كذاباً . ولا بد للبخيل من ان ينافق ويصانع في التكسب والانتفاع وان يدعي ما ليس فيه . قال الجاحظ :

« قال ابو الهذيل لمحمد بن الجهم وانا عنده يا ابا جعفر : اني رجل مخرق الكف لا اليق درهماً . وبدي هذه صناع في الكسب ، ولكنها في الانفاق خرقاء . كم من مائة الف درهم قسمتها على الاخوان في مجلس ، وابو عثمان يعلم ذلك . أسألك بالله يا ابا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ قال يا ابا الهذيل ما اشك فيما تقول . قال فلم يرض ان حضرت حتى استشهدني . ولم يرض باستشهادي حتى استحلفني [2] » .

ولم يكن بخله الشديد الاصفة متممة لطمعه ، وحبه للظهور ، واهتمامه برأي الناس فيه . حتى قال بشر بن المعتمر : « لان يكون ابو الهذيل لا يعلم وهو عند الناس يعلم أحب اليه من ان يعلم ، وهو عند الناس لا يعلم : ولان يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية ، احب اليه من ان يكون من العلية ، وهو عند الناس من السفلة . ولان يكون نبيل المنظر سخيف المخبر ، احب اليه من ان يكون نبيل المخبر ، سخيف المنظر . وهو بالنفاق اشد عجباً منه بالاخلاص . ولباطل مقول احب اليه من حق مدفوع » [3] .

ويظهر ان الجاحظ كان شديداً على ابي الهذيل - فهو الذي وصفه بالبخل الشديد ،

---

(١) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٦٣ — ٦٤ (٢) الجاحظ ، كتاب البخلاء ، ص — ٦٤

(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جزء ٢١ ص ١٠٤ في الهامش .

وقال عنه مع ذلك انه كان اسلم الناس صدراً ، واوسعهم خلقاً واسهلهم سهولة . ولعل هذه الصفات كانت تشفع لأبي الهذيل في شيء من بخله . فقد رأيناه يصف الدجاجة التي اهداها الى مويس ويضحك الناس من كلامه ولا يعرف ابوالهذيل معنى ضحكهم وسخريتهم لسلامة صدره وسهولة اخلاقه . وقد رأيناه ينزل بسر من رأى في غرفة حقيرة ويتعجب اصحابه من ذلك فيقول لهم ان ظواهر المرء لا تدل على قيمته الحقيقية .

ولعل ميله الى الشهرة وطموحه واهتمامه برأي الناس فيه هو الذي دفعه الى مناظرة اليهودي في البصرة وهو لا يزال في الخامسة عشرة من سنه . وحب الظهور اذا اجتمع مع البخل في رجل واحد ، قد يدفعه في بعض الأوقات الى التظاهر بالتقشف والكرم في دائرة ضيقة . وقد يكون التظاهر بالكرم واسطة من وسائط الاصلاح والاقتصاد ، او وسيلة من وسائل دوام النعمة والثروة . حتى لقد ذكر صاحب المنية والأمل ان ابا الهذيل كان يأخذ من السلطان ستين الف درهم في السنة ويفرقها في بعض الأحيان على اصحابه .

ويبدو لنا من قراءة اخبار ابي الهذيل ان شخصيته كانت عجيبة ، لا بل متناقضة ، فقد كان بخيلاً ، سليم الصدر ، سهل الأخلاق ، محباً للظهور ، متقشفاً ، متظاهراً بالكرم ، موضعاً للاعجاب والسخرية معاً .

٤ — كتب أبي الهذيل

وليست هذه الصفات بقادحة في علم ابي الهذيل وقيمته الفكرية والفلسفية ، فقد كان شيخ المتكلمين في زمانه . ولم يتفق لأحد من شيوخ المعتزلة ما اتفق له من قوة الحجة ، ولطيف الكلام ، وقطع المخالفين له في المناظرة . فقد الف ستين كتاباً في الرد على المخالفين في رقيق الكلام وجليله . ولم يبق من هذه الكتب بين أيدينا الا مخطوط واحد محفوظ في المتحف البريطاني تحت رقم ١٢٣٨ عنوانه هذه مناظرة ابي الهذيل لمجنون الدير . ومجنون الدير هذا هو شخصية وهمية

تصورها ابو الهذيل للبحث في إمامة علي . أما اشهر كتبه الأخرى فهي :

١ — كتاب متشابه القرآن ذكره ابن النديم في الفهرس

٢ — كتاب ميلاس ، وكان ميلاس هذا رجلاً مجوسياً أسلم على يد ابي الهذيل. وكان سبب اسلامه انه جمع بين ابي الهذيل وجماعة من الثنوية فقطعهم ابو الهذيل فأسلم ميلاس عند ذلك .

٣ — كتاب القوالب في الرد على الدهرية

٤ — كتاب الرد على النظام

٥ — كتاب الحجج

٦ — كتاب الاعراض والانسان والجزء الذي لا يتجزأ .

وغير هذه الكتب كثير لم يبق الآن منها شيء . ولولا ما حفظ من فلسفة ابي الهذيل في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، والفرق بين الفرق للبغدادي ، والمواقف للايجي ، ومقالات الاسلاميين للأشعري ، والانتصار للخياط لكنا اليوم لا نعرف شيئاً عن فلسفة هذا الرجل العظيم .

٥ — ميزة أبي الهذيل

لم تقتصر حياة هذا الفيلسوف الفكرية على علم الكلام والجدل ، بل اشتملت ايضاً على علوم اخرى كعلم الحديث ، وعلم الأدب . فقد روى الحديث عن سليمان ابن مريم وروى عنه محمد الكاتب وابو يعقوب الشحام وابو العيناء وغيرهم . وانتقده أهل الحديث لخبث قوله وكذبه ومفارقته اجماع المسلمين . حتى قال الامام ابن قتيبة ان أبا الهذيل كان كذاباً أفاكاً . وشارك ابو الهذيل أيضاً في الأدب فحفظ كثيراً من أخبار العرب وأشعارهم . قال ابو حيان في المقابسات :

دخل ابو الهذيل مرة على الواثق . فقال له الواثق لمن تعرف هذا الشعر :

سباك من هاشم سبيل   ليس الى وصله سبيل

للحسن في وجهه هلال   لأعين الخلق لا يزول

وطرة ما يزال فيها   لنور بدر الدجى مقيل

فان يقف فالعيون نصب   وان تولى فهن حول

فقال ابو الهذيل يا أمير المؤمنين • هذا الرجل من أهل البصرة يعرف بأبي حيان الدارمي وكان يقول بامامة المفضول • ومن كلمة يقول فيها :

أفضله والله قدمه على صحابته بعد النبي المكرم
بلا بغضة والله مني لغيره ولكنه أولاهم بالتقدم

وقال النظام : ما أشفقت على ابي الهذيل قط في استشهاد شعر الا يوم قال له الملقب ببرغوث اسألك عن مسألة فرفع ابو الهذيل نفسه عن مكانته فقال برغوث :

وما بقيا علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال

ولم اعرف في نقيضه بيتاً يتمثل به • فبرز ابو الهذيل وقال لا بل كما قال الشاعر :

وارفع نفسي عن بجيلة انني اذل بها عند الكلام وتشرف

وكان القوم يجلونه ويعظمونه لسعة علمه وكثرة حفظه وسرعة خاطره • قال ثمامة وصفت ابا الهذيل للمأمون فلما دخل عليه جعل المأمون يقول لي يا ابا معن وابو الهذيل يقول لي يا ثمامة • فكدت اتقد غيظاً • فلما احتفل المجلس استشهد ابو الهذيل في عرض كلامه بسبع مائة بيت فقلت له ان شئت فكنني ، وان شئت فسمني • وذكر ابن النديم في ترجمة ثمامة بن اشرس انه بلغ المأمون ان ثمامة لا يقوم لطاهر بن الحسين ويقوم لأبي الهذيل ويأخذ ركابه حتى ينزل فسأله عن ذلك فقال ابو الهذيل أستاذي منذ ثلاثين سنة •

وفي وفيات الأعيان كلام لأبي الهذيل في العشق يدل على فصاحته وبلاغته • قال اجتمع عند يحيى بن خالد البرمكي جماعة من أرباب الكلام فسألهم عن حقيقة العشق فتكلم كل واحد بشيء وكان ابو الهذيل في جملتهم فقال : « أيها الوزير ، العشق يختم على النواظر ، ويطبع على الأفئدة ، مرتعه في الأجسام ، ومشرعه في الأكباد ، وصاحبه متصرف الظنون ، متفنن الأوهام ، لا يصفو له مرجو ، ولا يسلم له مدعو ، تسرع اليه النوائب ، وهو جرعة من نقيع الموت ، ونقعة من حياض الثكل ، غير انه من اريحية تكون في الطبع ، وطلاوة توجد في الشمائل ، وصاحبه جواد لا يصغي الى داعية المنع ، ولا يصيخ لنازع العذل » •

ومعرفة ابي الهذيل بجيد الكلام ، جملت المبرد يقول فيه : ما رأيت أفصح من أبي الهذيل والجاحظ ، ولئن كان الجاحظ أقدر على فنون الكتابة من ابي الهذيل لقد كان ابو الهذيل أحسن مناظرة منه . وقال الخياط في كتاب الانتصار ، كان ابو الهذيل نسيج وحده ، وواحد دهره ، في البيان ، ومعرفة جيد الكلام . وجميع المتكلمين الذين عاصروا ابا الهذيل كانوا يقرون له بالتقدم عليهم ، في حسن الجدل وقوة الحجة ، حتى لقد قال ابن النديم كان ابو الهذيل شيخ البصريين ومن اكبر علمائهم ، وقال ابن خلكان كان ابو الهذيل حسن الجدال ، قوي الحجة ، كثير الاستعمال للأدلة والالزامات . وذكروا ان النظام كان قد نظر في شيء من كتب الفلاسفة فلما ورد البصرة ، كان يرى انه قد اورد من لطيف الكلام ، ما لم يسبق علمه الى ابي الهذيل العلاف ، قال فناظرت ابا الهذيل في ذلك ، فخيل لي انه لم يكن متشاغلاً قط إلا به ، لتصرفه فيه ، وحذقه في المناظرة فيه . وكثيراً ما كان ابو الهذيل يناظر النظام ويقطعه ، ناظر النظامُ ابا الهذيل مرة في الجزء الذي لا يتجزأ فألزمه ابو الهذيل مسألة الذرة والنمل ، وهو أول من استنبطه فتحير النظام في ذلك فلما جنّ الليلُ نظر اليه ابو الهذيل ، واذا النظام قائم ، ورجله في الماء يتفكر ، فقال يا ابراهيم هذا حال من يناطح الكباش .

وكان ابو الهذيل يقطع خصمه بأقل كلام ، حكي انه لقي صالح بن عبد القدوس ، وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه . فقال له أبو الهذيل لا أعرف لجزعك عليه وجهاً ، إذ كان الانسان عندك كالزرع ، قال صالح : يا أبا الهذيل انما اجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ، فقال له وما هذا الكتاب يا صالح ، قال هو كتاب ، قد وضعته ، من قرأه ، يشك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، ويشك فيما لم يكن ، حتى يتوهم أنه قد كان . فقال له ابو الهذيل فشك أنت في موت ابنك ، واعمل على انه لم يمت ، وان كان قد مات ، وشكّ أيضاً في قراءته كتاب الشكوك ، وان كان لم يقرأه .

وقال ابو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله ، قلت فالبقر

قال ملائكة الله ، قصّ اجنحتها وحطّها الى الأرض ، يُحرث عليها ، فقلت فالماء قال نور الله ، قلت فما الجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاقته ، قلت من يحمل الأرض قال بهمن الملك قلت فما في الدنيا شرّ من المجوس اخذوا ملائكة الله ، فذبحوها ، ثم غسلوها بنور الله ، ثم شوَوْها بنت الله ، ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته ثم سلخوها على رأس بهمن أعز ملائكة الله ، فانقطع المجوسي وخجل .

وكان أقدر على اقناع العلماء منه على اقناع العامة . قيل له مرة إنك لتناظر النظام وتدور بينكما نوبات . واحسن احوالنا اذا حضرنا ان ننصرف شاكين في القاطع منكما والمنقطع ، ونراك مع هذا يناظرك زنجويه الحمالُ فيقطعك في ساعة ، فقال يا قوم ان النظام معي على جادة واحدة ، لا ينحرف أحدنا عنها الا بقدْر ما يراه صاحبه ، فيذكره انحرافه ، ويحمله على سَننه ، فأمرنا قريب ، وليس هكذا زنجويه الحمال ، فانه يبتدي معي بشيء ثم يَطفِرُ الى شيء آخر بلا واصلة ولا فاصلة ، وابقى ، فيحكم علي بالانقطاع ، وذاك لعجزي عن رده الى سَنن الطريق الذي فارقني فيه آنفاً .

وفي هذا القول اشارة الى شروط الجدل ، وضرورة التقيد بموضوع البحث ، وتحديد المعاني في السؤال والجواب ، والاقناع والبرهان . والجدل هو الطريقة التي سلكها ابو الهذيل ، واصحابه من المعتزلة في عرض فلسفتهم ، والدفاع عن آرائهم ، فتولد من هذه المناظرات فلسفة عامة مشتملة على نظريات مختلفة ؛ في حقيقة الاله والكون والانسان .

(يتبع) جميل صليبا



أقرب الموارد

اطلعت بنظرة مجملة على كتاب أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد لما رأيته أكثر الكتب اللغوية الحديثة تداولاً بين الأيدي لسهولة مأخذه وحسن ترتيبه ·

نظرت اليه هذه النظرة في بابي الهمزة والباء منه فرأيت فيه بعض مخالفات لما عرفته من كتب الأئمة السالفين الأثبات فأحببت عرضها على النحارير ليمحصوها فاذا صحّ نظري فيها تجنّبها الآخذون عنه ·

١ — في مادة (ا ب ب) الأَبُّ الكلأُ الذي تعتلفه الماشية ج الأُوُبُّ

هذا جمع غريب ولعله جمعه على أفعُل ثم اعلّ وابدل ولكنه لم ينص عليه صاحب التاج ولا صاحب اللسان مع جمعها لكل شاردة ولا ذكره صاحب المختار ولا الأساس ·

٢ — في (ا ب و) ابا ··· أَبَاوَةَ

هكذا أوردها بالفتح ونص القاموس إِباوةً بالكسر ·

٣ — في (اذن) المؤذِنة ··· طائر في القاموس بفتح الذال ·

٤ — في (ارق) أَرِق ··· ذهب نومه بالليل فهو أَرِق وآرِق وأُرُق الأخير لمن عادته الأَرَق ·

وفي اللسان فهو ارِق وآرِق وآرُق وأُرُق ، وضع أُرْق موضع آرُق كنَدُس كما وزنها في مستدرك التاج وأما ارْقٌ بالتسكين فلم أرها في مالدي من كتب الأثبات

٥ — في (ا ز ي) أَزِيَ ل يأزَى آزْيا أتاه من وجهه ليختله ·

في اللسان أزَيت لفلان آزِي أَزْياً اذا اتيتَه من وجه مأمنه لتختلَه وهذه عبارة الليث فهي إذاً من باب رمى ثم لِمَ حذف مأمنه والمراد لا يتم الا بها ·

٦ — في (ا ش ر) أشر الخشبة بالمنشار· ض· أشراً : نشرها اي من باب ضرب

عبارة القاموس اشر الخشبَ بالمنشار: شقه واذا أطلق صاحب القاموس الفعل الثلاثي كان من باب نصر ونص المصباح على انه من باب نصر وكذلك المختار ولم يقل احد فيما أعلم انه من باب ضرب ٠

٧ — (ا ش ف) الأُشَّفُ: صمغ نبات

صوابه الأُشّق بالقاف قال في التاج وهو المعروف في مصر بقناوشق ٠

٨ — (ا م ر) ٠٠ وآمر آخر أيام العجوز

آمر هو السادس منها ٠ وآخرها مؤتمر قال في اللسان وكأن الأول منهما يأمر الناس بالحذر والآخر يشاورهم في الظعن ٠ اهـ ٠

واذا احرزنا الترتيب من شعر ابي شبل الاعرابي كان آمرٌ رابعًا فليتأمل ولو قال صاحب اقرب الموارد كما قال صاحب القاموس وآمر ومؤتمر آخر أيام العجوز كان أسلم

٩ — (ا ن ح) الأَنِحُ ٠٠٠ المتنحنح بخلاً اذا سئل

هكذا ذكرها على وزن فَرِح وصوابه آنِح على وزن راكع كما وزنه صاحب القاموس

١٠ — (ا ن ف) انفه ٠ ض ٠ ل ٠ أنفًا ضرب انفه اي من باب ضرب وعلم صريح القاموس وشرحه انه من حد ضرب ونصر ٠

١١ — (ا ن ن) أنّ المريض ٠٠٠ وأنانا

هكذاوالصواب أُنانا بالضم كما هومنصوص عليه وهومن الاصوات كالصراخ والجؤار والنعاق

١٢ — البانورنج [كسر النون] والصواب فتحها

١٣ — (ب ب ر) البَبْرُ وزان قلب وكبِد الأسد الهندي دخيل

صوابه الببر بياءين ٠ وهذا غلط مطبعي اما انه بوزان كبد فلم أره لغيره وقد جاءت فيه لغة ثانية بكسر فسكون كما في الألفاظ الفارسية المعرّبة ٠

١٤ (ب ت ر) ٠٠٠ والبَتار ٠٠٠ السيف القاطع

هكذا بوزن سحاب وانما هو البُتار بضم ففتح فان فتحت الباء شددت التاء فقلت البَتّار ككتّان ٠

١٥ — (ب ح ث) البحث لعب بالبُحاثة أي التراب

تبع في هذا صاحب القاموس وصوّبه صاحب التاج بالبحث .

١٦ — [ب ذ ء] • بذأت الرجل بَذْءًا رأيت منه حالاً كرهتها (ض)

جعلها من باب ضرب ونص التاج والقاموس أنه من باب منع والقاعدة فيما كان عينه أو لامه حرف حلق ان يكون منه عند عدم النص على خلافه ولا أظن ان هناك نصاً والا لذكره صاحب التاج

١٧ — [ب ذ ق] البأذق بفتح الذال

الصواب ترك الهمز والذال تفتح وتكسر كما في القاموس

١٨ — [ب ذ م] فلان ذو بَذْم أي له رأي وحزم قال :

[كريم عروق النبعتين مظفر ويغضب مما منه ذو البَذم يغضب]

الصواب في معنى الرأي والحزم البُذم بالضم قال في اللسان قال الأصمعي اذا لم يكن للرجل رأي قيل ماله بُذْم • واما البَذْم فهو مصدر البذيم وهو العاقلُ الغضبِ من الرجال اي انه يعلم ما يأتيه عند الغضب كذا حكاه أهل اللغة وقيل يعلم ما يُغضَب له قال الشاعر :

كريم عروق النبعتين مطَهَّرٌ ويغضب مما منه ذو البَذْم يغضب اهـ

وجاء في الشاهد مظفر مكان مطهّر • وأنشد صاحب اللسان للمرّار :

قد طال ما عشت بغير بُذْم

وفسره صاحب التاج بغير مروءة وقد بَذُم بذامَة • اهـ •

١٩ — [ب ر د] • برْد الجراد والجندب جناحاه كقوله :

اذا تجاوب من بَرْديه ترنيم

هكذا ضبط بالشكل بَرْديه بفتح الباء والصواب ضمها والبيت لذي الرمة •

٢٠ — [ب ر ص] برص سامّ ابرص ج سوامّ ابرص وان شئت قلت برْصة

هكذا أورد برْصة باسكان الراء والصواب برَصة كعِنَبَة وأورد سوامّ ابرص بفتح الميم المشددة على نحو فتحها في المفرد وقد اوردها صاحب اللسان بضمها أكثر من مرة •

٢١ — [ب ز ل] امرأة بَزْلآء الرأي : جيدته

صحة العبارة ان يقول امرأة ذات بَزْلاء اي جيدة الرأي لأن بَزْلاء هنا اسم لا صفة وفي اللسان البزْلاء الرأى الجيد وانه لذو بَزْلآء اي رأي جيد وعقل وأنشد للراعي :

من أمر ذي بَدَوات لا تزال له بَزْلاء يعيا بها الجثّامة اللُبَدُ

٢٢ — [ب ش ك] ابتشك سلاه : انقطع

وفي القاموس انبشك سلكه : انقطع والأمر في ذلك سهل

٢٣ — بَطَل في حديثه بطالة

جعله من باب نصر كما هو سياق صاحب القاموس ولكن صاحب التاج قال والصواب انه من حدّ علم كما في الجمهرة .

٢٤ — [ب ع د] البَعِد : البعيد الهالك يستوي فيه الواحد والجمع يقال ما أنت منا بِبَعِد وما أنتم منا بِبَعِد .

هكذا جاء بيعد على وزان حَذِر والصواب بِبعَد بفتح العين وهو الذي يستوي الواحد والجمع لانه جاء على صيغة المصدر وفي اللسان وغيره ما أنت منا ببعَدٍ وما أنتم منا بِبعَدٍ أي بعيد .

٢٥ — [ب ع ر] بعِر الجمل بَعَراً القى بعره

صريح المختار والقاموس انه كمنع وهو ظاهر اللسان ولم أجد من نص على انه من باب فرح . وإنما بَعِر الجمل بعَراً اذا صار بعيراً .

٢٦ — [ب ع ر] البَعْرُ والبَعَرُ : رجيع ذوات الخف والظلف

كان عليه ان يقول الا البقر لأن رجيعَه ليس ببعر وقد استثناه الأئمة .

٢٧ — [ب ع ص] البَعْوُص والبَعَوُص

هكذا جاء به مفتوح الباء وصوابه ضمها اذا اسكنت العين .

٢٨ — [ب ق ع] الأبقع الغراب ج بِقعان

هكذا جاء بها بكسر الباء والصواب ضمها كما نصوا عليه وُفعلان يكاد يطرد فيما كان منه وصفاً كأحمر وُحمران واسود وسودان .

٢٩ [ب ق ل] ارض بقّالة : كثيرة البقل

تبع صاحب القاموس بالتشديد وصوّب صاحب التاج انه كسَحابة

٣٠ — ب ق ى • • وبقى ض بقياً : دام وثبت

أي انه كضرب [لغة فيه] وليس كذلك وانما اللغة الثانية بَقى يَبقى وهي لغة طيئ وقد وقع بهذا الوهم الشيخ أبو عبد الله الفامي المتوفى سنة ١١١٠ هـ وردّه صاحب التاج بأنه لا قائل به •

٣١ — [ب ك ء] در عينيَ قل دمعها فهي بكيّ وبكيئة بالهمز والتشديد

التشديد لا يكون مع الهمز وانما يكون بدونه ففي عبارته تسامح •

٣٢ — [ب ل ت] البَليت : الفصيح

هكذ وزان فصيح والمعروف عند النحارير البِلّيت كسِكّيت •

٣٣ — [ب ل ل] بَلال من اعلامهم •

هكذا ضبطه بالفتح والصواب بالكسر ككتاب كما هو صريح القاموس

٣٤ — [ب هـ ر] بُهراً له أي تعساً

هكذا ضبطه بالضم والصواب الفتح كما في لسان العرب ونصه «وبَهْراً له أي تعساً وغلبه» قال ابن ميّادة :

تفاقد قومي إذ يبيعون مهجتي بجارية بَهراً لهم بَعدَها بَهرا

وقال عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا تحبها قلت بَهراً عدد الرمل والحصى والتراب

هكذا كلها جاءت بالفتح •

٣٥ — [ب هـ ز] هم أبناء بَهزَة أي أولاد غَلَبَة

صوابه أبناء عَلّة يقول الزمخشري وهم ابناء بَهْزَة أي اولاد عَلّة الواحد ابن بَهْزَة اهـ • وهم الأخوة لأمهات شتى من أب واحد •

٣٦ — [ب هـ ز] تبهزت أشياء : عملتها

صوابه علمتها من العلم لا من العمل ونقل الصاغاني «ولو علمت ان الظلم ينمي لتبهّزت اشياء كثيرة» اي علمتها ٠

٣٧ — [ب و ق] البوْقة بالفتح دفعة من المطر شديدة أو منكرة يقال أصابتنا بَوقة ج بُوَق

هكذا ضبط البَوقة بالفتح وصوابه البُوقة بالضم وهي الدُفعة من المطر كما في الصحاح زاد غيره شديدة او منكرة ج بُوَق كصُرَد كذا جاء في التاج وعبارة صاحب اقرب الموارد هي بعينها هذه العبارة فلماذا نص عليها بالفتح والمنصوص عليها هنا الضم وفي اللسان والبَوْق والبُوق والبُوقة الدُفعة المنكرة من المطر وقد انباقت ٠

٣٨ — [ب ي ض] بياض الأظافر : أُصولها

في مستدرك التاج وبياض الكبد والقلب والظفر ما احاط بها وقد فسرها بأصولها فحرّفها أو انه اراد ان يقول ما حولها فحرفها الناسخ ٠

تعقيب

أنا معجب بجهد المؤلف وسهره لتجويد تأليفه ولا أواخذه بما رأيته من أغلاط لأنه لا يسلم من أمثالها كثير من النحارير والعصمة لله تعالى ٠

وإنما الذي أؤاخذه عليه انه لا يراعي الحرمة في سرده الشاهد من القرآن والحديث وربما غيّر لفظ الحديث الذي يستشهد به ٠ مثال ذلك يقول في مادة ث ق ل « ومنه اني تارك فيكم القرآن وعترتي » مع ان نص الحديث المستشهد به « اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » ويقول في اللسان كما في النهاية جعلهما ثقلين اعظاماً لقدرهما وتفخياً لهما فحذف الثقلين وغيّر كتاب الله ٠ وما هو الا ناقل وليس ما استشهد به من كلامه ليكون اعترافاً منه او حجة عليه ولو كان من كلامه لم يصح له الاستشهاد به وليس هو نص الحديث ليصح الاستشهاد به وانما الشاهد لا يغيّر ولا يبدل

وجاء فيه في مادة [ب ق ع] « ونادى موسى ربه في البقعة المباركة » وانما

الآية « فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ان ياموسى اني الله رب العالمين » .

وجاء في مادة [ا د ب] ان هذا الكتاب مأدبة الله في الأرض . ونص الحديث المستشهد به كما في النهاية « وفي حديث ابن مسعود ان هذا القرآن مأدبة الله في الأرض » . فجاء بالكتاب مكانه ليكون أعم ولكنه غير الشاهد . وتمام الحديث فتعلموا من مأدبته .

وجاء في مادة [ب ق ى] ولا تأتي الباقية مصدراً خلافاً لمن استظهر على ذلك بهذا الكلام « فهل ترى لهم من باقية » فقوله بهذا الكلام فيه من الجفاء وقلة الحرمة ما لا يليق بأمثال المؤلف .

على أن دعواه بأنها لا تأتي مصدراً جاءت بلا دليل وفي المصباح بقي الشيء يبقى من باب تعب بقاء وباقية دام وثبت وقول صاحب القاموس انها نزلت منزلة المصدر لا يستلزم انها لا تتأتى مصدراً كما جزم به صاحبنا وورود المصدر على فاعلة كثير كالعافية والطاغية والعاقبة .

ثم رأيته قليل العناية بضبط الشواهد من الشعر .

فمن ذلك بيت المتنخل الهذلي :

لا درّ درّي ان اطعمت نازلكم قرف الحطى وعندي البر مكنوز

أورده الحطي بالطاء وانما هو الحتى بالتاء وهو المقل أو سويقه . وقرفه قشره والمقل : صمغ الشجر .

وفي مادة [ب ر ع] :

فكبا كما يكبو فنيق تارزٌ بالخبت الا انه هو أبرع

والبيت أورده صاحب اللسان وصاحب التاج بالجنب أي بالجيم والنون بعدهما باء وفسره صاحب التاج اي سقط الثور . وسقوطه يقضي بأن يكون لجنبه

وفي مادة [ب س ر]

فصبّحها والشمسُ حمراءُ بسرةٌ بسابقة الأنعاء موتٌ مُفلس

ولم أهتد للمراد بسابقة الأنماء . وإنما البيت كما أورده صاحب اللسان بسائفة الأنقاء أي الأرض بين الرمل والجلد والبيت للبعيث .

وفي مادة [ا و ب]

قد جال بين دَرِيسيه مُؤَوِّبةٌ   مُسع لها في عضاهِ الأرض تهزيز

فتح مؤوّبة على صيغة المفعول وانما هي على صيغة الفاعل وضم ميم مُسع وهي ريح الشمال وهي مكسورة .

وقد أورد صاحب اللسان هذا الشاهد في مادة [ا و ب] ومادة [هـ ز ز] بما نصه :

قد حال بين دريسيه مؤَوِّبَةٌ   مِسعٌ لها في عضاهِ الأرض تهزيز

النبطية «جبل عاملة»   احمد رضا



المقصورة[1] التاجية

تقوم مصلحة الآثار السورية منذ ثلاث سنين باعمار قسم من الجدار الشمالي في الزاوية الشرقية في الجامع الأموي · وهذا الجدار ببنائه الحالي عمر في سنة (٥٠٣) كما تشير الى ذلك عدة كتابات منقوشة عليه · والظاهر انه تأثر بحريق سنة (٤٦١) فنقض وجدد بناؤه بعد اثنتين واربعين سنة من تاريخ الحريق او ثمان وعشرين عاماً من تاريخ تجديد بناء الجامع ولا يبعد ان يكون العمل استمر في الجامع الى سنة (٥٠٣) ·

على ان هذا الجدار تأثر بعدة زلازل كانت بعد هذا التاريخ أعظمها زلزال سنة (١١٧٣) الذي أحدث تخريبات عظيمة في دمشق والجامع الاموي · منها هذا الجدار الذي وقع قسم منه على أرض المسجد ودار بني الغزي في الجهة التي تجري فيها الاصلاحات الآن وامال هذا الجدار نحو الشمال (٦٥ سم)

وهذه الزاوية الشرقية الشمالية التي يجري فيها الاصلاح الآن كان لها ماض مجيد من الجهة الثقافية فكان فيها خزانة كتب وحلقة علم تمثل فيهما الحركة العلمية في دمشق بالعهد الأيوبي أحسن تمثيل وهي التي عرفت في كتب التاريخ « بالمقصورة التاجية » ·

مساحة هذه المقصورة : تبلغ مساحتها من الشرق الى الغرب خمسة أمتار و (٣٠ سم) ومن الشمال الى الجنوب مثل ذلك وشرقيها وشماليها جدارا الجامع · وفي الجدار الشرقي باب يدخل منه الى دار لطيفة فيها بعض حجرات كانت تابعة لهذه المقصورة يسكنها في عصرنا مؤذنو الجامع أما الغرب والجنوب فمفتوحان

---

(١) المقصورة في المسجد قسم منه يحاط بسياج من خشب مزخرف أو نحوه لا يدخلها إلا المختصون بها · ويحدثنا ابن جبير في رحلته حينما زار الجامع الأموي عن عدة مقاصير كانت فيه وانها تتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس وهي من جملة مرافق الطلبة ·

الى اروقة الجامع غير انه كان لها حواجز خشبية بصناعة مزخرفة لطيفة يوجد نموذج منها على مقربة من المقصورة في مسجد الحسين موضوعة على نوافذ كبيرة بين المشهد الخارجي والمشهد الداخلي · وقد اظهرت الحفريات الجديدة الاساس الذي كان يقوم عليه الحاجز الغربي للمقصورة التاجية ·

انشاؤها : لا نعرف كيف نشأت هذه المقصورة وفي أي زمن انشئت ولكن النعيمي في تنبيه الطالب [١] يفيد بأنها كانت تعرف بابن سنان ثم بالتاجية ثم بالسلارية فمن هو ابن سنان هذا وفي أي عصر كان ؟

يقابل هذه المقصورة من جهة الغرب مقصورة شافعية تعرف بالزاوية الغزالية [٢] لأن الغزالي الشهير نزلها ودرس فيها بعد الشيخ نصر المقدمي المتوفى سنة (٤٩٠) ووقف عليها صلاح الدين الأيوبي قرى بصيدا [٣] ·

فالظاهر ان المقصورة التاجية وهي حنفية انشئت في الجانب الشرقي لتناظر الزاوية الغزالية الشافعية في الغرب فكانت التاجية معقلاً علمياً للتكتل الحنفي يدعمها ملك دمشق (المعظم عيسى) ذو الحماسة الشديدة لمذهبه الحنفي [٤]

فتاج الدين الكندي استاذ الملك ، والمؤرخ الشهير بسبط ابن الجوزي الحنفي — صديق الملك — وكان من أعظم وعاظ عصره يعظ الناس قبلي هذه المقصورة بكرة النهار كل يوم سبت فكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع ويتركون

---

(١) نسخة خطية في المجمع العلمي بدمشق [١ : ٧٠٤] منها · وتؤيد الكتابات المنقوشة على الأحجار في هذه المقصورة هذا النص · وفي البداية والنهاية [١٣ : ٧٢] ما يفيد بأنها تدعى مقصورة ابن سنان الحلبية ، كما تدعى الحلبية فقط ، ويسميها ابن فضل الله العمري في مسالك [١ : ١٩٦ و ١٩٧] بالحلبية · (٢) كانت هذه المقصورة على هيأة قبة من خشب مطلي بدهان أخضر سكنها في الأزمنة المتأخرة مهاجرة الأفغان ثم أخرجوا منها سنة [١٣٣٤ هـ] تقريباً ورفعت هذه القبة وأتلفت حتى لا يعود اليها أحد · (٣) طبقات السبكي [٤:١٠٤] وتنبيه الطالب (٤) لمعرفة شدة حماسه للمذهب الحنفي يراجع ابن خلكان [١:٥٠١] النجوم الزاهرة [٦:٢١١] السهم المصيب في كبد الخطيب وهو من مؤلفاته للانتصار لابي حنيفة ·

البساتين في الصيف حتى يسمعوا ميعاده وكان تاج الدين الكندي وغيره من المشايخ يحضرون عنده تحت قبة يزيد[1] التي عند باب المشهد كما كان الملك المعظم يحضر دروسه في بعض الأحيان . ومحمد بن عروة الموصلي — وهو من خواص الملك المعظم — انشأ على مقربة من التاجية مقصورة اخرى اشتهرت بالعروية وقف فيها درس حديث وخزائن كتب .

فهذه أمور كلها تشير الى التكتل الحنفي الذي كان يغذيه الملك المعظم وينميه .

وكان لهذه المقصورة قيمة عظيمة في نظر الناس فحينما قدم قاضي القضاة صدر الدين الحنفي البصراوي الى دمشق من القاهرة وخرج الناس لتلقيه وهنؤه قرئ تقليده بالمقصورة الكندية في الزاوية الشرقية من جامع بني أمية[2] وأقدم وثيقة لدينا عنها هي الكتابة المنقوشة على الجدار الشمالي لجهة الغرب منها المتضمنة أوقافاً على هذه المقصورة من قبل ناصح الدين الغيدي ويرجع تاريخها الى سنة (٥٨٩) . وناصح الدين هذا لا نعرف عنه اكثر مما جاء في الروضتين[3] فقد ذكر مؤلفها في حوادث سنة (٥٨٣) ان صلاح الدين جمع الأسارى المعروفين وسلمهم الى والي قلعة دمشق الناصح الغيدي . وهناك وثيقة ثانية عنها هي اجازة تاج الدين الكندي المؤرخة سنة (٥٩٨) وهي تفيد قائمة عظيمة باسماء ستة وثمانين شخصاً من العلماء والأدباء والأمراء والأعيان وغيرهم الذين سمعوا على تاج الدين المذكور المجلدة الرابعة من شرح معاني الآثار للطحاوي في المقصورة المذكورة بالتاريخ المتقدم وبتاج الدين هذا عرفت هذه المقصورة فترجم لها النعيمي في تنبيه الطالب باسم الزاوية التاجية .

(١) البداية والنهاية [١٣: ١٩٤] وقبة يزيد هذه كانت تعرف قبل عصر ابن كثير بقبة زين العابدين ، وتعرف في عصرنا بقبة الساعات . وكانت قائمة على أعمدة كقبة المال القريبة من الزاوية الغزالية ولكنها سقطت في زلزال سنة [١١٧٣] فأعيد بناؤها على جدران . وهذه القبة هي المقابلة لباب مشهد الحسين المعروف في كتب التاريخ بمشهد علي .

(٢) البداية والنهاية ١٤ : ٦٣ . (٣) ٢ : ٧٩

مكتبة هذه المقصورة : كانت المكتبة ولا تزال جزءاً من أجزاء المدرسة لذلك كان من اللازم ان يكون لهذه المقصورة مكتبة يلجأ اليها الدارسون للمطالعة والدراسة . وقد أشار لهذه المكتبة عدد من المؤرخين ويحدثنا ابوشامة انه وجد فهرس هذه المكتبة بخط واقفها تاج الدين الكندي وان عدتها (٧٦١) مجلداً وهذا تفصيلها [١] :

(١٤٠) علوم القرآن و (١٩) الحديث و (٣٩) الفقه و (١٤٣) اللغة و (١٢٢) الشعر و (١٧٥) النحو والتصريف و(١٢٣) علوم الأوائل من طب وغيره

ويجب ان لا نغفل عن نص ابن خلكان الذي يقول فيه عن الكندي انه لما سافر الى مصر اقتنى من كتب خزائنها كل نفيس وما قاله ابن القفطي انه اقتنى من كتب خزائن الديار المصرية عند ما بيعت في الأيام الناصرية كل نفيس على قلة ما ابتاعه . ومن الواضح ان ابن القفطي يريد بهذه الخزائن خزائن الفاطميين وان المراد بالأيام الناصرية أيام صلاح الدين . ومن هذا نعلم قيمة هذه المكتبة القيمة رغم قلة عددها على ان ياقوت الرومي — وهو الخبير بالكتب وقيمها — يعظم من شأن هذه المكتبة فيقول عن تاج الدين الكندي : وكانت له خزانة كتب جليلة في جامع بني أمية [٢] .

ويقول أبو شامة : وكان معتقه نجيب الدين ياقوت قد هيأ لها خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان الحنفية المجاورة لمشهد زين العابدين بجامع دمشق ونقل اليها جملة من هذه الكتب ثم انها تفرقت وخرجت عن الخزانة وعدمت وبيع جملة منها سراً وجهراً [٣] .

ويترجم ابن كثير [٤] مولى تاج الدين الكندي فيقول : ياقوت ، ويقال له يعقوب بن عبد الله نجيب الدين مولى الشيخ تاج الدين الكندي وقد وقف اليه الكتب التي بالخزانة بالزاوية الشرقية الشمالية من جامع دمشق وكانت سبعمائة واحدى وستين مجلداً ، ثم على ولده من بعده ثم على العلماء فتمحقت هذه الكتب

(١) ذيل الروضتين (٢) معجم الأدباء ١١ : ١٧٥ (٣) ذيل الروضتين (٤) البداية والنهاية ١٣ : ١١٦

وبيع أكثرها وقد كان ياقوت هذا لديه فضيلة وأدب وشعر جيد وكانت وفاته ببغداد في مستهل رجب سنة (٦٢٣).

ورغماً عن مبالغة ابي شامة وابن كثير في تمزيق هذه المكتبة فاننا نجد ابن فضل الله العمري المتوفى سنة (٧٤٩) يشير الى ان مكتبة المقصورة كانت موجودة في عصره[1] على انه أنشيء الى جانب هذه المقصورة مكتبة ومقصورة علم كانت كالدعامة لها فقد أنشأ محمد بن عروة المتوفي سنة (٦٢٠) في مشهد الحسين الملاصق لهذه المقصورة خزانة كتب ودرس حديث[2] ويحدثنا ابن ابي أصيبعة[3] بأن أبا الفضل بن عبد الكريم المهندس اختصر الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني وكتب نسخة منه بعشر مجلدات ووقفها في الجامع الأموي مضافة الى الكتب الموقوفة في مقصورة ابن عروة.

كتابات المقصورة القديمة: في هذه المقصورة خمس كتابات بخط نسخي عادي منقوشة على أحجار في الجدران داخلها تعطينا فكراً عن نواح قيمة فيها. وقد تناثر كثير من حروف الكتابة فلم تظهر معالمها. ومن الغريب ان بعض الناس أخذ في قراءة هذه الكتابات فظهر له منها انها اسماء عقارات موقوفة على المومسات

الكتابة الأولى: على الجدار الشمالي في المقصورة (٦٣ × ٧٣) ونصها: (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الأمير (٢) ناصح الدين الغيدي بن محمود تقبل الله (٣) منه الربع من قرية دربل من الاقليم[4] (٤) وعمارة الفندق الذي أنشأه خارج باب (٥) شرقي على القراء الأخيار الحفاظ الحنفية (٦) يقرأ كل واحد سبعاً من القرآن بكرة كل (٧) يوم في هذه المقصورة ويلقن الصبيان المتعلمين (٨) لكتاب الله بها على ما ذكر في كتاب الوقف (٩) المقر لها وذلك في سنة تسع وثمانية[ن] وخم[سمائة].

---

(١) مسالك الأبصار ١: ١٩٦

(٢) تنبيه الطالب مخطوط والبداية والنهاية ١٣: ١٠١

(٣) عيون الأنباء ٢: ١٩١

(٤) الاقليم هو ما يسمى في عصرنا بقضاء وادي العجم

الكتابة الثانية : في الحائط الشرقي على يمين الداخل الى الدار المعروفة قديماً بالحلبية (٧٩ × ٥٥) ونصها : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الفقير الى رحمة الله تعالى (٢) الحاج الياس بن بشارة بن أبي الحسن[١] جميع البستان المحدو (٣) د الموصوف بقرية كفرسوسية ونصف وثمن الحقول (٤) التي تحت المنيب[ع][٢] على المقصورة الشرقية الحنفية المعروفة (٥) بمقصورة بن سنان وقفا على الخبز والكسوة بما يرآه النا [ظر] (٦) الى كتاب الوقفية وذلك في جماد الأول سنة احدى وستمائة للهجرة ٠

الكتابة الثالثة : على مقربة من الكتابة الأولى أسفل منها قليلاً (٩٠×٨٠) ونصها : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الفقير الى رحمة الله تعالى (٢) السلار اسماعيل بن سليمان بن ايداش[٣] عن الحاج الياس بن بشارة (٣) ابن ابي الحسن جميع ما ابتاعه بثلث ماله الذي أوصى به في ذلك وهو (٤) بدمشق وظاهر [ها] منه دار بدرب المحرزيين من ناحية درب (٥) الريحان[٤] ومنه أربعة اسهم وثلث وربع سهم من اربعة وعشرين سهماً (٦) من كل واحد من الثلاث الحوانيت بسوق الأ[سا كفة] العتق ومنه الثم[ن] من الفندق (٧) والعشر حوانيت و [منه] ٠ ٠ بالعقيبة تعرف ٠ ٠ ٠ [و] منه ثلث الثـ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ـه (٨) المعروفة بالطيرة [خارج السـ]ـور على الفقراء والمساكين ٠ ٠ ٠ ٠ (٩) ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ (١٠) ٠ ٠ ٠ ٠ خمس عشرة وستمائة ٠

الكتابة الرابعة : خلف الدعامة التي ترتبط بها أقواس الرواق الشمالي مع الرواق الشرقي وتجعل المقصورة مربعة الشكل (٨٣×٦٦) ونصها : — (١)

(١) هو أحد أصدقاء التاج الكندي وتلاميذه وسيأتي ذكره فيمن سمع عليه شرح معاني الاثار
(٢) المنيبع محلها قديماً مكان حارة الحلبوني اليوم (٣) اسماعيل بن سليمان بن ايداش ابو طاهر الحنفي ابن السلار حدث عن الصائن هبة الله وعبد الخالق بن أسد وتوفي في ذي القعدة سنة [٦٣٠] شذرات ٥ : ١٣٥ (٤) درب الريحان هو الدرب الذي شرقي البزورية قبيل خان اسعد باشا العظم وعلى صفه ويعرف اليوم بسوق التبن وفيه دار القرآن والحديث التنكزية المعروفة في عصرنا بالمدرسة الكاملية نسبة الى الشيخ كامل القصاب ٠

[بسم الله الرحمن الرحيم وما تفـ] علوا من خير يوف اليكم وانتم (٢) [لا تظلمون] هذا . . . بسر العبد الفقير الى غفران (٣) [ربه الا] مام العلا [مة] حجة العرب تاج الدين الكندي ابو اليمن زيد (٤) [ابن] حسن الكندي تقبل الله منه وأثابه الجنة اوقف (٥) . . . . بس تسعة اسهم من اربعة وعشرين سهماً من (٦) . . . . [فـ]ندق والحمام والعشرة حوانيت المعروفة (٧) . . . . . [فنـ]دق الحوانيت انشاء ابن اسرائيل تصرف (٨) في [ر]جب وشعبان ورمضان في ليالي الجمع (٩) . . . . . نسوة وغيره ودار جامعة في درب العجم[1] (١٠) و . . . . . بع مقرئين يقرؤن في كل ليلة بعد صلاة . . . (١١) . . . . . صف سبع من القرآن العـ[ظيم] فمن بدله (١٢) [بعد] ما سمعه فانما اثمه على الذين [يبدلـ]ونه (١٣) وعلى القراء حجرة طباق الزقاق[2] . . . (١٤) من ربيع الآخر سنة تسع وثلثين وستمائة[3] .

الكتابة الخامسة : على الجـدار الشمالي غربي المقصورة الى جانب الكتابة الأولى (٧٥ × ٧٣) ونصها : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الأمير . . . . . الدين (٢) . . . . . بن الأمير عز الدين ياقوت الـ . . . . العبدي (٣) رحمه الله جميع السهام الأربعة التي هي السدس شائعـاً من (٤) . . . من ضيا (٥) . . . . (٦) . . . . سبع وخمـ[ـسين] وستمائة .

☆ ☆ ☆

وبعد فلا نعلم الزمن الذي اضمحل فيه أمر هذه المقصورة والظاهر من كلام عبد الباسط العلموي المتوفى سنة (٩٨١) انها كانت معروفة في عصره . وحينما حصل زلزال سنة (١١٧٣) وحصل الخراب في هذه البقعة لم نجد أحداً يشير اليها مما يدل على أنها كانت غير معروفة في هذا التاريخ .

محمد احمد دهمان

(١) دبن أبو شامة في ذيل الروضتين مكان درب العجم بأنه في جيرون وجيرون هي شرقي باب الجامع الأموي الشرقي وتعرف اليوم بالنوفرة . (٢) هذا السطر ١ بعده ألحق إلحاقاً بخط دقيق (٣) توفي تاج الدين الكندي سنة [٦١٣] فتكون هذه الكتابة قد نقشت بعد وفاته بـ[٢٦] سنة .

الملك الظاهر بيبرس

لا ينتهي هذا العام أيها السادة حتى يكون المجمع العلمي قد انتهى من إصدار عشرين مجلداً من مجلته : تفجرت ينابيعها بالأبحاث المختلفة في اللغة وآدابها وما له اتصال بها ٠

وقد أخذ المجمع يفكر في تنظيم فهرست عام لهذه المجلدات العشرين ٠ يدني ليد المراجع بعيدها ويسهل عليه الرجوع الى ما خبيء فيها ٠

وقد احببت ان أنظم لنفسي فهرستاً يشتمل على بعض ما في هذه المجلدات العشرين من الأبحاث الخاصة : فأحصيت المقالات التي بحثت في الأوضاع اللغوية فوجدتها تبلغ ٣٠٠ مقالة ونيفاً ٠ ثم أحصيت ما فيها من تراجم الأعيان ومشاهير الرجال فكانت نحو ثمانين ترجمة منها (١٥) للمستشرقين وهناك ترجمة لبوذه معبود الصين ٠ واخرى لطاغور شاعر الهند ٠ وثالثة لأحمد باشا الجزار الوالي التركي المشهور بالظلم في تاريخنا الحديث ٠

هذا ما وجدته في العشرين مجلداً من تراجم الرجال ٠ أما محاضرات المجمع التي أُلقيت في هذه الردهة فربما بلغ عددها في الخمس والعشرين سنة ٢٥ محاضرة ٠ منها محاضرات خاصة بذكر مناقب رجال التاريخ حتى احمد باشا الجزار نفسه فان له محاضرة مستقلة وُصف فيها بسوء السيرة لكنها أحيت ذكره على كل حال ٠

لا أكاد أصل في إحصائي هذا الى ذكر (الجزّار) حتى أسمع صوتاً من ورائي وعلى بعد عشرين متراً من موقفي هذا ٠

في هذا الصوت عُجمة وارتضاخ لكنة وعليه مسحة من جلال الموت ووحشة القبور يقول : أقلقتم راحتي ٠ في هدأة رقدتي ٠ نحواً من خمسٍ وعشرين سنة ٠ وأنا اسمعكم من فوق منبركم هذا تخطبون وتحاضرون ٠ وأحياناً الى الغثّ من القول تستطردون ٠ ولم أسمعكم قط ذكرتم اسمي في كل ما نشرتموه في مجلتكم أو نوهتم بشيء من أعمالي في محاضراتكم ٠

أيكون لبوذه الصيني وطاغور الهندي والجزّار التركي نصيب من اهتمامكم في مجلتكم ومحاضراتكم ولا يكون لجاركم بيبرس البندقداري شيء من ذلك حتى كأن مآثري ذهبت هباء · أو أنني ربذة ملقاةٌ في الفناء لو لم يكن لي من جليل الأعمال إلا أني أكملت ما بدأه نور الدين وصلاح الدين ومهدت الطريق لرابعنا (قلاوون) وبذلك تم جلاء عدوّكم عن بلادكم — لكفاني فخراً وعجباً · ولسوّغ لي أن أوسعكم لوماً وعتباً · أين أنتم من مراعاة جواري · وحسن مجازاتكم لي على حلول داري ·

هذا ما تخيلت أني اسمعه — أيها السادة — من جارنا الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي رحمه الله · وقد خجلت يعلم الله منه · وأسرعت الى تدارك ما فرّط منا معشر المجمعيين فخصصته بهذه المحاضرة التي لا حسن فيها سوى براءةِ ذمتنا وأداء الحق الذي علينا لجارنا ·

حقاً أيها السادة إن في إغفالنا ذكر هذا الملك المنقذ بين من نوهنا باسمهم في مجمعنا شيئاً من نكران الجميل · وغمط الحق · أو هو ذنب لا يغفره الا موفقي هذا · وحسنُ إصغائكم إلى ما أسرده على مسامعكم من مآثر الرجل ووصف ما أوتي من جلد وشجاعة وحسن تدبير ولطف سياسة حتى أمكنه جمعُ كلمة البلاد وزعزعةُ أركان المتغلب عليها وجعله على أوفازٍ للجلاء عنها ·

وقبل الشروع في المحاضرة نقول لجارنا الملك : سمعنا عتبك علينا وسنعمل على إعتابك ما وسعته طاقتنا غير أن امر نشأتك في بلادك حتى حللت بين أظهرنا مما غاب عنا خبره · واختلف الرواة فيه · فهل لك أن تسمعنا الحديثَ عنه من فمك ثم نصله بالمدوّن المنقول الينا من خبرك وما كان من محاولتك الملك حتى نلت منه امنيتك · وقضيت نهمتك ·

* * *

قال نعم : منبتي صحراء الدشت من قوم رُحّل يسمّون قبجاق أو قفجاق وتنسب الصحراء اليهم فيقال دشت قفجاق · وبلادي واقعة وراء جبال القفقاس وهي

تمتد بين البحرين : بحر الخزر من الشرق والبحر الأسود من الغرب (وهي اليوم تؤلف جزءاً كبيراً من روسية اوروبا) ومعظم سكانها مسلمون . ومن مدنها كاسان واوفا وسراي (ولعلها التي تسمى اليوم استرخان) ومن أنهارها نهر (اتل) (الذي يسمى اليوم نهر الفولكا) ومن شعوبها القرغيز والبرغال أو البلغار (وهم البلغار الأقدمون) وكلنا من أصل تتري . وقد ولدت من أبوين قفجاقيين سنة ٦٢٥ هـ فسمياني (بيبرس) أي الفهد . واتفق ان أغار علينا اخواننا التتر من أحفاد جنكيز خان وذلك سنة ٦٣٩ هـ فالتجأنا الى اخواننا بلغار بلاد الروسية بعد الاستئذان من ملكهم (أنس خان) فسمح لنا بدخول بلاده ثم غدر بنا وسبى من يصلح للسبي منا . وكنت أنا من جملة السبي . وعمري يومئذ ١٤ سنة . ولا يشوقني من لذائذ صبوتي في بلادي سوى ركوب الخيل ولحاق طرائد الوحش عليها وسوى أني كنت مولعاً بشراب القِمِزّ حتى وكان هذا الشراب سبب موتي في بلادكم (والقمز أيها السادة شراب يتخذ من حليب إناث الخيل[1])

قال بيبرس : ولا تخطر بلادي في بالي حتى التخيل التترى من قومي راكعاً بين ساقي فرسه ممسكاً بأخلافها منهمكاً في احتلابها حتى اذا تجمع هذا الحليب لدى الأسرة باعوا بعضه وشربوا بعضه وعزلوا شيئاً منه لاتخاذ القمز . وكأني أنظر الى عمي وهو متدثر بفروته الثقيلة من جلد الغنم يتقي بها البرد . وعلى رأسه كُمّة كثيفة مبطّنة بالفرو وقد أخذ بين يديه زُبدية كبيرة فوضعها على فمه

(١) لا يخفى أن فقهاء الاسلام كرهوا أكل لحوم الخيل وشرب ألبانها خشية انقراضها وهي آلة الجهاد . أما فقهاء ما وراء النهر المنتشر مذهبهم بين أهل سيبيريا ومنهم القفجاق فقد كرهوا لحوم الخيل المعدة للجهاد أما تلك التي تعيش سائمة وترعى قطعاناً كما ترعى البقر والغنم فلا كراهة في أكل لحومها ولا شرب ألبانها . و يقول الخبيرون أن قبائل سيبيريا ما زالوا الى أيامنا هذه يربون من الخيل قطعاناً ينتفعون بلحومها وألبانها ونتاجها على نحو ما نفعل بمواشينا . كما أنهم يتخذون من ألبانها شراب القمزّ المعروف قديماً . (والقِمِزّ) بكسر القاف والميم وتشديد الزاي كما ضبطه مؤرخو الاسلام . أما الانكليز فيلفظونه هكذا (قوميس Kaumiss) وللقوميس في سيبيريا اليوم معامل يحضر فيها بمقادير كبيرة ويصدر الى الخارج في زجاجات مُقدّمة كما يفعل الأوربيون في تصدير أشربتهم ومعقوراتهم (القونسروا) الى بلادنا .

وجعل يكرع ويكرع من شراب القمز وأكون في ناحية انتظر فراغه لأشرب ما فَضَلَ عنه من ذلك الشراب اللذيذ .

ثم قال (بيبرس) متماً حديثه وساقنا النخّاسون الذين اشتَرَوْنا من بلاد (انس خان) الى سيواس ومنها الى حلب فدمشق . فاشتراني العمادُ الصائغ لكنه أخيراً زهد فيّ لبياض رآه في احدي عينيّ واحتاج المنصور ملك حماة الى مماليك فنقلني النخّاس الى حماة .

وكان الملك المنصور هذا يومئذ صبياً وكان اذا اراد شراء رفيق عرضه أولاً على الخاتون الكبرى والدته فأحضروني اليها ومعي رفيق لي فجعلت تنظر الينا من وراء ستار . فأمرتْ بشراء رفيقي وقالت تخاطب ابنها المنصور مشيرةً إليّ (هذا الأسمر لا يكون بينك وبينه معاملة فانّ في عينيه شراً لائحاً) قال وقد أثارت كلمتها في نفسي هواجسَ لاذعة ما زالت تنمو وتتطوّر وتسوقني الى طلاب الملك حتى نلته .

قال واتفق أن كان في حماة يومئذ الأمير أيدبكين البندقداري مسجوناً بأمر سيدهَ الملك الصالح أيوب (حفيد من نحن في مدرسته أعني الملك العادل) فبلغه خبري فاشتراني ثم افرج سيده الملك الصالح عنه فخرجت مع ايدبكين من حماة الى مصر وغضب الصالح عليه ثانية فصادره . وكنت أنا في جملة أموال المصادرة وأصبحت من يومئذ (الصالحي) إي المنسوب الى الملك الصالح بعد ان كنت (البندقداري) اي المنسوب الى الأمير ايدبكين البندقداري وكان عمري يومئذ تسع عشرة سنة .

أقول فيكون بيبرس قضى خمس سنوات وهو ينتقل من بلد الى بلد ومن يد سيد الى يد سيد حتى استقر أخيراً في حوزة الملك الصالح أيوب . فكان نعم المستقر : إذ قد عرف له الملك نجابته وادرك ان الشرّ اللائح في عينيه الذي تشاءمت به الخاتون انما هو خير : إذ لا يستقر ملك في ذلك الزمن إلا به . ولا تعتدل قناةُ حكمٍ إلا إذا قوّمت بثقافه : غدرُ ملك بلغار ببيبرس وبقومه . وتنقله أسيراً رقيقاً في البلاد . وقولُ الخاتون ان في عينيه شراً لائحاً .

ودخوله في جملة الأموال المصادرة التي قد يكون بينها دوابُّ ومتاع — كل ذلك قد لا يوري نار الحماسة في نفس غير نفس بيبرس أما في نفس (الفهد) كما سماه ابوه تلك النفسُ المتمردة الوثابة فان كل ما ذكرناه قدح فيها زنداً وارياً وأثر فيها تأثير الانتباه واليقظة للوسط الاجتماعي والسياسي الذي كان يعيش فيه : فجعله يعتقد ان حياته لا تستقيم وعيشه لا يطيب . وبغيته لا تنال ما لم يتسلح بأسلحة ذلك العهد : القوة والبطش والدهاء والمكر والانتقام أحياناً .

عاش بين مماليك سيده الملك الصالح وكلهم أتراك شجعان فرآهم انما يتحدثون عن المُلك وأدواته . والعرش وشهواته . وأخبار الملوك من أبناء جنسهم والطرق التي سلكوها . والأساليب التي اتخذوها حتى بلغوا أهدافهم وكان من اسماها تسنُّم العروش .

كان في بيبرس نجابةٌ وشجاعة وكان فيه فطنة وذكاء . وصلابةُ عود واستعداد لاستعمال أساليب تلك العهود . من حيث يؤدي ذلك الى الملك .

وكان بين هؤلاء المماليك الكثيري العدد اثنا عشر ملكاً مسَّهم الرقّ فلم يكن يُعرف اسمُ آبائهم . ومنهم بيبرس جارنا وكان المؤرخون اذا نسبوا هؤلاء الملوك الأرقاء قالوا (فلان ابن عبد الله) إشارةً الى جهالة أصله وكان بيبرس من أبناء عبد الله هؤلاء وقد نَظَمَ بعض الشعراء اسماءهم بحسب ترتيب تملكهم في بيتين من توقيع المواليا فقال :

(ايبَك) (قُطُز) بعقبو (بيبرس) يا ذا الدين
بعدو (قلاوون) بعدو (كتبُغا) (لاچين)
(بيبرسْ) (برقوق) بعدو (شيخْ) ذو التبيين
(طَطَر) (بَرَسْبَايْ) (جِقْمَقْ) صاحب التمكين

ولما جاء بيبرس الى بلادنا (او نقول بحسب التعبير الحديث الى الشرق الأدنى) كان السلطان فيها موزعًا بين أولاد صلاح الدين وأخيه العادل : أولاد العادل في مصر ومنهم الصالح أيوب سيد بيبرس واولاد صلاح الدين في الشام وكان معظمُ الساحل وبعضُ الداخل بيد الصليبيين .

وهناك خلافة ببغداد مهددة بالسقوط في يد التتار . فالبلاد كانت واقعة بين شرين أو عدوين ضاربين (التتار) و (الصليبيين) . ويليهم من جهة آسيا الصغرى التي هي مستطرق الصليبيين أرامنة وروم مسلمون وهم السلاجقة في كيليكيا . وروم مسيحيون وهم البيزانسيون في القسطنطينية . ومن سوء طالع البلاد بأقطارها الثلاثة مصر والشام والعراق أن كان ملوكها المسلمون متشاكسين متدابرين يتربص بعضُهم لبعض الدوائر وسنوح الفرص للبطش ، والنزوان على العرش . ولم يقم بعد صلاح الدين واخيه العادل من يجمع كلمتهم . ويقف بهم في وجه عدوهم على شاكلة ما فعل صلاح الدين . وقد تنبه الى هذا كله (بيبرس) فكان نعم الدرس تلقاه عن سيده الملك الصالح حفيد الملك العادل . وقد وثق به سيده فجعله قائد فرقة مماليكه . وشهد معه وقعة دمياط الشهيرة التي أُسر فيها ملك فرنسا (لويس التاسع) أو القديس لويس وهو المعروف عند العرب باسم الفرنسيس .

وصحبَ بيبرسُ بعد موت سيده الصالح ابنه الملك المعظم (توران شاه) وكان المعظم هذا شاباً أخرق سيء التدابير . فتآمر مماليك أبيه على قتله وكان أولُ من علاه بالسيف منهم جارنا وبطل محاضرتنا (الظاهر بيبرس) . وبعد المعظم قامت بأمر المُلك شجرة الدر زوجة الملك الصالح . فأنفَ المماليك سلطانها عليهم فولوا أحدهم وهو المعزّ ايبك (سنة ٦٤٨ ﻫ) وعمر بيبرس يومئذ ٢٣ سنة عندها تثاءب الفهد وتمطى وتهيأ للوثوب واستيقظت في نفسه شهوة الملك النائمة وطمع فيه بعد ان رأى انتقاله من أسياده بني أيوب الى رفاقه وخشداشيته المماليك .

في نفس بيبرس ميل للفتك كما قلنا . وفي عينيه آثار للشر كما قالت الخاتون غير ان وراء ذلك كله عملاً ينتظره وخدمةً يتمناها وقد رأى أن هذه الخدمة لا يوفيها حقها إلا هو فمنذ تولى الملك رفيقه (المعز ايبك) ترأس هو حزبَ المعارضة المتطرّفة . ووضع مخططها أمام عينيه واخذ في دس الدسائس . ونصب المكايد . تارةً في مصر وطوراً في الشام . وكان يجهز عسكراً ويصمدُ به الى مصر فيُهزَم بيبرس ويُقتَل من معه من الأمراء ويرجع الى الشام فيجهز عسكراً ثانياً . أو دسيسةً ثانية . ولماذا كل هذا ؟ أهو لطمعه في الملك ؟ وفي ما يحتف

به من العظمة وأبهة السلطان يا ترى ؟ أو لطمعه في أن ينال شرف خدمة الاسلام وإنقاذ البلاد من براثن الضاربين التتار والصليبيين ؟ الله يعلم . ولكن من تأمل في أعماله بعد ان تولى الملك رأى في تضاعيفها وفي النهج الذي سلكه لإنقاذ البلاد ما يُشعر بأنه كان مخلصاً . في ما كان يرتكبه من الشر على حد تعبير الخاتون الأيوبية . واثقاً بأن الله سيغفر له خطاياه على حد تعبير الآية الكريمة (إن الحسنات يذهبن السيئات) . وعلى حد ما رواه احمد بن طولون أمير مصر وهو قوله (حدثني فلان عن فلان عن وهب بن منبه انه قال (اوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل : مُرْ عامةأمتك ان لا تتأسى بالملوك في ارتكاب الكبائر فان للملوك كبائر من الأفعال الجميلة لا يصل اليها غيرهم تمحص بها آثامهم ويحسن بها صدَرهم) ا ه (راجع ص ٣٣٤) من سيرة ابن طولون اقول ولا يسلم هذا الحديث من نقد وتجريح بل هو من قول ابن منبه وهو غير ثقه .

لم يكد الملك المعزّ ايبك يستقر على العرش بعد شجرة الدر حتى رفع بيبرس صوته قائلاً : نريد ملكاً من سلالة اسيادنا بني ايوب ولا نريد ان يملك علينا رجل من غيرهم . وأدّى الأمر أخيراً الى قتل (المعزّ) فخلفه على العرْش ابنه (المنصور) فوقف جارنا بيبرس من الابن موقفه من الأب موقف معارضةٍ ودسٍ وتأليب ثم خلعوا (المنصور) بحجة صِغره فتولى بعده المظفر قُطز وهو مملوك المعزّ ايبك المقتول وكان ذلك سنة ٦٥٧ ه وعمر بيبرس ٣٢ سنة فعظم الخطب على بيبرس وجعل يتنزّى تنزّي الفهد في القفص وزاد حقده . واشتد كيده وأوشك ان يلتهب شوقاً الى الملك أو شوقاً الى الوقت الذي يمكنه فيه إنقاذ البلاد من الخطر المحدق بها . ولا سيما بعد أن بلغه خبر استيلاء (هولاكو) على بغداد وقتله الخليفة (المستعصم) .

وكان بيبرس في زمن (قُطز) مقيماً في دمشق لاجئاً الى ملكها (يوسف صلاح الدين) الثاني وهو من أحفاد صلاح الدين الكبير ثم رأى بيبرس ان مكثه في دمشق لا يجديه نفعاً . ولا يمكنه من (قُطز) وإسقاطه ما لم يكن

مقيماً بجانبه يطالع الأمور عن كثب . فأرسل بيبرس الى قطز يلاينه ويعاتبه في بعض الشيء ثم استحلفه أن لا يخونه اذا جاءه فحلف له قطز . فجاء بيبرس الى مصر وانضم الى مماليكها الذين يعملون في خدمة (قطز) ثم شهد معه وقعة (عين جالوت) على مقربة من نابلس وهي الوقعة التي دحر قطز فيها التتار . واستأصل شأفتهم من بلاد الشام . وكان انتصاره هذا عليهم كأنه انتصار على بيبرس وخذلانٌ له في ما يؤمل ويريد . لكنه مع هذا تشدّد ونشط الى تدبير مؤامرة على قطز في أثناء إيابه من الشام الى مصر منتصراً فاغتاله وهو بعيد عن المعسكر في لحاق طريدة أرنب . واقدامه على هذا العمل يعد من أكبر آثام بيبرس وأفظع ما ارتكبه من الجرائم . ولا سيما ان (قطزاً) كان ممدَّحاً . حسن السيرة . ولم يكن كالمعظم توران شاه الذي كان بيبرس قتله قبله نقول هذا ولا نبالي جارنا الذي ينصتُ الينا . وقد يغضب من سماع قولنا . لأن التاريخ يقول كلمته ثم لا يستعتب . ولا يبالي بمن غضب إلا أن يعود التاريخ نفسه فيعتذر له بأن هذا الغدر انما تعلمه بيبرس من إخوانه ومن ملوك زمانه

(فلا تحسبوا هنداً لها الغدر وحدها سجية نفسٍ كلُّ غانية هندُ)

(وإن ننسَ لا ننسَ ملك بلغار (أنس خان) الذي غدر ببيبرس وقومه فشرَّد به في البلاد . وصيَّره رقيقاً تتداوله أيدي الأسياد) .

وبعد ان قتل بيبرسُ (الملك قطزاً) أقبل مع رفاقه الى الدهليز السلطاني (أي المعسكر) وفيه أمراء الجيش ينتظرون رجوع الملك من طرَد الأرنب . فهتف الأتابك (أقطاي) (والأتابك لقبٌ بمنزلة وزير الدولة اليوم) قائلاً من قتله منكم ؟ فقال بيبرس : أنا . فقال الأتابك (يا خَوَند اجلس على مرتبة السلطان) وكان ذلك سنة ٦٥٨ هـ وعمر بيبرس ٣٨ سنة .

وأخذ من يومئذ يفكر في جمع كلمة ملوك الشام والحجاز وحملهم على الخضوع له بمختلف الوسائل ليتمكن بذلك من إتمام ما بداه الملكان (نور الدين) و (صلاح الدين) من طرد الصليبيين وتطهير البلاد من معرّتهم . **المغربي**

رأس يحيى ورأس زكريا

المشهور على ألسنة الناس في حلب انّ الضريح العظيم الذي في جامعها الأعظم فيه جثمان زكريا وقد وصل بنا البحث في تاريخ حلب الى ان الموجود في جامع حلب هو قطعة من رأس يحيى او رأس ابيه زكريا عليهما السلام . واليك البيان :

قال في الدر المنتخب المنسوب لابن الشحنة (ص ٧٤) وذكر ابن العظيمي (الحلبي) في تاريخه في سنة خمس وثلاثين واربعمائة ظهر ببعلبك في حجر منقور رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام فنقل منها الى حمص ثم منها الى مدينة حلب في هذه السنة ودفن بهذا المقام (مقام ابراهيم عليه السلام الذي في قلعة حلب) في جرن من الرخام الأبيض ووضع في خزانة الى جانب المحراب واغلقت ووضع عليها ستر يصونها . وذكر الكمال بن العديم في تاريخه ان الملك العادل نور الدين ابن عماد الدين زنكي جدد عمارته . وفي سنة تسع وستماية في ايام الملك الظاهر غياث الدين غازي احترق بنار وقعت فيه وما كان من الخيم والسلاح وآلات الحرب شيء كثير واحترق الجميع ولم يسلم من الحريق الا الجرن المذكور ودفع الله عنه سبحانه النار وهذا مما يدل على ان الرأس الذي وضع فيه رأس يحيى عليه السلام لأن النار لم تصل اليه وحمي منها . وقال كمال الدين (ابن العديم) أيضاً ان ابا الحسن علي بن ابي بكر الهروي [1] أخبره وقال ان بقلعة حلب في مقام ابراهيم عليه السلام صندوقاً فيه قطعة من رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام ظهر في سنة اربع وثلاثين واربعماية اه .

وفي كتاب الصلصلة في الزلزلة للجلال السيوطي . في سنة ٤٣٤ زلزلت تدمر وبعلبك ومات تحت الردم معظم اهل تدمر اه . أقول يظهر ان هذا هو السبب في ظهور رأس يحيى عليه السلام في بعلبك .

---

(١) وفاته سنة ٦١١ وهو صاحب كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات .

سبب نقل هذا الصندوق الى الجامع الأعظم في حلب

قال في الدر المنتخب (ص ٧٦) ما ملخصه : لما تسلم التتر قلعة حلب سنة ثمان وخمسين وستمائة اخربوها واخربوا الجامع (الذي فيه المقام) ثم احرقوا المقامين (مقام ابراهيم ومقام الخضر على ما يقال) حريقاً لا يمكن جبره وذلك في احد الربيعين من سنة تسع وخمسين وستمائة .

ولما احرق المقام الذي هو الجامع عمد سيف الدولة ابو بكر بن ابليا الشحنة بالقلعة المذكورة والناظر على الذخائر وشرف الدين ابو حامد بن النجيب الدمشقي الأصل الحلبي المولد الى رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام فنقلاه من القلعة الى المسجد الجامع في حلب ودفناه غربي المنبر وقيل شرقيه (وهو الصواب) وعمل له مقصورة بهويزار اه .

وفي الجزء الأول من تاريخنا (اعلام النبلاء ص ٢٩٥) نقلاً عن هامش تجارب الأمم نقلاً عن صاحب تاريخ الاسلام (الذهبي) في حوادث سنة ٣٥٧ في هذه السنة في ذي القعدة اقبل عظيم الروم نقفور بجيوش الى الشام فخرج من الدرب ونازل انطاكية (الى ان قال) ثم سار الى كفرطاب وشيزر ثم الى حماة وحمص فخرج من بقي بها فأمنهم ودخلها فصلى في البيعة وأخذ منها رأس يحيى بن زكريا واحرق الجامع ثم سار الى عرقة الخ . فهذه الراوية تفيد ان رأس يحيى كان في حمص ولعل نقفور نقله الى بعلبك ثم ظهر فيها على أثر الزلزلة التي حصلت فيها سنة ٤٣٤ كما تقدم او ان هذه الرواية لا أصل لها .

قال ابن الوردي في تتمة تاريخ ابي الفدا في حوادث سنة ٧٣٨ في هذه السنة في صفر توفي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن الدقاق الدمشقي ناظر الوقف في حلب . وفي ايام نظره فتح الباب المسدود الذي في الجامع شرقي المحراب الكبير لأنه سمع ان بالمكان المذكور رأس زكريا النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم فارتاب في ذلك فأقدم على فتح الباب المذكور بعد ان نهي عن ذلك فوجد باباً عليه تأزير رخام ابيض ووجد في ذلك تابوت رخام ابيض فوقه رخامة بيضاء

مربعة فرفعت الرخامة عن التابوت فاذا فيها بعض جمجمة [1] فهرب الحاضرون هيبة لها ثم رد التابوت وعليه غطاؤه الى موضعه وسد عليه الباب ووضعت خزانة المصحف العزيز على الباب وما انجح الناظر المذكور بعد هذه الحركة وابتلي بالصرع الى ان عض لسانه فقطعه ومات نسأل الله ان يلهمنا حسن الأدب اﻫ ٠

توسيع تلك الخزانة الى حجرة كبيرة وضريح عظيم

وذلك في سنة ١١٢٠ وهو ما عليه الآن

جاء في تاريخنا (اعلام النبلاء) في حوادث سنة ١١١٩ في هذه السنة ولي حلب عبدي باشا ٠ وجاء في حوادث سنة ١١٢٠ قال قاضي حلب عبد الرحمن ابن مصطفى الكبيري الذي تولى القضاء فيها هذه السنة في آخر رسالة له ذكر فيها نبذة من تاريخ حلب أغلبها مما يتعلق بالجامع الكبير ٠ وفي زماننا هذا وهو زمان السلطان احمد خان بن السلطان محمد خان امر الوزير الأعظم الصدر علي باشا في زمان حكومة الفقير بتوسيع المرقد المقدس فشرعنا في تنفيذ أمره في اليوم الرابع من شعبان سنة عشرين ومائة والف وهدم الحائط الشرقي (أي شرقي المنبر) وهو محل المقام ووراء الصندوق الذي هو ستر جلاله من قديم الأيام إذ ظهر هذا الجرن بين الحائط المرئي والحائط القديم وهو من الرخام الأبيض فلما أخذنا في حمله فاح منه رائحة طيبة أزكى من المسك فحملناه بالتسليم ووضعناه في خزانة واحضر اكثر من ثلاثين شخصاً من حفاظ القرآن الكريم وصاروا يقرؤن عنده ويهللون ولازموا المكان ليلاً ونهاراً الى ان تم ذلك المقام ٠ ولما كان يوم الجمعة قبل العصر حادي عشر ذلك الشهر من السنة المرقومة اجتمعنا مع الوالي وهو الدستور المكرم حضرة عبدي باشا والعلماء والأعيان ورفعنا الجرن المبارك مع الوزير والعلماء والصلحاء ووضعناه في جرن أكبر منه موضوع فوق بناء مؤسس مرتفع عن الأرض ووضعنا فوقه من الرخام والتراب الذي كان معه من الأزمنة الماضية وغطيناه بالرخام والتراب والقراء يقرؤن القرآن

(١) هذا يؤيد ما جاء عن الهروي ان الموجود في هذا الصندوق هو بعض الرأس ٠

ويطلبون الرحمة والرضوان والحمد لله على ما انعم من هذه النعم الجليلة والبركة الجميلة التي لم تتيسر الا لآحاد من الناس اﻫ باختصار وقال بعد ذلك وهو مما يجب ان لا نختصره . وصلاة على نبينا الأكمل وعلى صاحب هذا المقام الأجمل سيدنا ابي الحصور زكريا عليه وعلى نبينا أفضل التحية .

وفي ترجمة مفتي حلب علي بن اسد الله المتوفى سنة ١١٣ (ج ٦ ص ٤٥٨) وتولى افتاء الحنفية بحلب مدة خمس عشرة سنة الى ان مات وكان اذ ذاك متوليًا على جامع بني أمية بحلب . وفي ايام توليته عليه امر بمرمات الجامع المذكور ومرمات بعض حيطانه فظهر من احد الحيطان لما قشروا عنه الكلس رائحة تفوق المسك والعنبر واذا فيه صندوق من المرمر مطبق ملحوم بالرصاص مكتوب عليه هذا عضو من أعضاء نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام فاتخذوا له هناك في ناحية القبلة في حجرة قبراً في مكانه الآن وحمل الصندوق اليه جميع العلماء والصالحين بالتعظيم والتبجيل والتوقير والتكبير وذلك سنة عشرين ومائة والف اﻫ وفي تلك المدة كان مقيماً في حلب شاعر كبير من شعراء الأتراك يعرف بالنابي فنظم قصيدة غراء تركية في ٥٤ بيتاً وهي مذكورة في ديوانه المطبوع (ص٧٩و٨٠) ذكر فيها ظهور هذا الصندوق وبناء هذا الضريح ووضع هذا الصندوق فيه وما حصل وقتئذ ترجم لنا هذه القصيدة نثراً بعض فضلاء الأكراد العارفين باللغتين العربية والتركية الا بعض ابيات منها متعلقة بالمديح والدعاء للسلطان مما هو خارج عما نحن فيه وهي لا تخرج عما تقدم مما ذكرناه عن قاضي ومفتي حلب الا أنه قال ان ذلك كان في السابع عشر من شعبان من سنة ١١٢٠ ولا ادري ايهما اصح والخطب سهل .

وصف الحضرة النبوية الحاضر

وصف الحضرة النبوية زميلنا وصديقنا الشيخ كامل الغزي رحمه الله في تاريخه نهر الذهب (ج ٢ ص ٢٤٤) فاكتفينا به . قال : محلها بين العضادة العاشرة والحادية عشرة من الصف الأول (شرقي المحراب) في حجرة مربعة تبلغ ٤ اذرع في مثلها

تقريباً يصعد اليها من أرض القبلية بدرجة واحدة سقفها قبة لها على سطح الجامع كوات بشبكات من الحديد . وفي قاعدة القبة شبكة كالسقف مفتوحة من من النحاس بعيون مربعة تبلغ فتحة واحدتها ثلاثة قراريط في مثلها ترتفع عن أرض الحجرة نحو ثمانية اذرع وجدران الحجرة الثلاثة التي هي الغربي والشرقي والجنوبي المقابل وجه المصلي ظهارتها من أرض الحجرة الى الشبكة المذكورة مبنية بأجمل أنواع الخزف المعروف بالقاشاني وباب هذه الحجرة وهي الجهة الرابعة منها قنطرة مشادة عالية حجارتها سود وصفر محمولة على عمودين عظيمين (من الرخام الأصفر) وارتفاعها من ختمها الى ارض القبلية ثمانية اذرع في عرض اربعة اذرع وهذه القنطرة العظيمة مع العمودين المحمولة عليها لها غلق يستوعبها من أرض الحجرة الى ختم القنطرة من نحاس اصفر مشبك ببعضه على شكل مربع وهو من رأس العمودين الى ارض الحجرة ذو مصراعين يفتح ويغلق وسعة عيون شبكاته قيراطان في مثلها . ومن رأس العمودين الى ختم القنطرة قطعة واحدة لا تفتح ولا تغلق وسعة عيون شبكاته قيراط واحد في مثله . وفي جانب كل من العمودين المذكورين لمعة ظهارتها من الخزف القاشاني المذكور مكتوب على زنار شبكة الباب شعر تركي لنابي الشاعر المشهور .

قال في نهر الذهب : أما صندوق الجرن الشريف فهو في وسط الحجرة من الخشب على صفة ضريح عليه كسوة من مخمل مزركش بالقصب الفضي مكتوب فيه بعض سورة مريم . وهذه الكسوة انعم بها المرحوم السلطان عبد العزيز خان سنة ١٢٩١ وكان قبلها كسوة سرقت قديمة بالية وضعت سنة ١٢٣٢ على أثر كسوة سرقت في السنة المذكورة . وهذه الكسوة التي هي قبل الكسوة الحاضرة ارسلت الي استانبول ووضعت هناك في محل الآثار القديمة . وعلى هذه الكسوة الجديدة فوق سنام الضريح عدة شالات ثمينة عجمية وهندية . (ثم قال) ويوجد هناك عشرة قناديل فضة صغار وقنديلان كبيران من الفضة وقنديل ذهب وشمعدان فضة وقمقم ومبخرة فضة وغير ذلك من البلور والسجادات والبقج والشالات اﻫ .

ماقاله المؤرخون عن مقتل يحيى ومكان قبره وقبر أبيه زكريا عليهما السلام

في عرائس المجالس للثعلبي بعد كلام طويل بين فيه سبب مقتله . قتل وهو قائم يصلي في بيت المقدس في محراب داود وأخذ رأسه .

وفي معجم البلدان في الكلام على دمشق . والمسجد الصغير الذي خلف جيرون يقال ان يحيى بن زكريا عليهما السلام قتل هناك .

وفي الجزء الرابع من صبح الأعشى ص ٩٦ وقد ورد ان المسيح عليه السلام ينزل على المنارة الشرقية ويقال ان القبة التي فيها المحراب لم تزل معبداً لابتداء عمارتها والى آخر الوقت بناها الصابئة معبداً ثم صار الى اليونانيين فكانوا يعظمون فيها دينهم ثم انتقل الى اليهود فقتل يحيى بن زكريا عليه السلام ونصب رأسه على باب جيرون من أبوابه فأصابته بركته ثم صار الى النصارى فجعلتها كنيسة ثم افتتح المسلمون دمشق فاتخذوه جامعها وعلق رأس* الحسين عليه السلام عند قتله في المكان الذي علق عليه رأس يحيى بن زكريا الى ان جدده الوليد . ويقال ان رأس يحيى عليه السلام مدفون به . وبه مصحف عثمان الذي وجه به الى الشام .

وقال في المعجم في الكلام على جامع دمشق (ص ٨٠) وبالجامع رأس يحيى بن زكريا عليه السلام وفيه في (ج ٥ ص ٢٩) في الكلام على سبسطية ان سبسطية بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان . وبها قبر زكريا ويحيى ابن زكريا عليهما السلام وجماعة من الأنبياء والصديقين وهي من أعمال نابلس .

وفي مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ (ج ١ ص ١٨٨) قال احمد بن ابراهيم الغساني حدثنا ابي عن أبيه عن زبير بن واقد قال وكلني الوليد على العمال في بناء مسجد دمشق فوجدنا فيه مغارة فعرفنا الوليد ذلك فلما كان الليل وافى والشموع تزهر بين يديه فنزل واذا كنيسة لطيفة ثلاثة اذرع في ثلاثة واذا فيها صندوق فاذا فيه سفط وفي السفط رأس يحيى بن زكريا فأمر به الوليد فرد الى المكان . وقال اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من الأعمدة

فجعل عليه عمود مسفط الرأس وفيه (في ص ٢٢٠) قبر يحيى وزكريا · يقال انهما بسبسطية · وحكى ابن عساكر عن زيد بن واقد الخ ما تقدم وزاد بعد قوله وفي السفط رأس يحيي بن زكريا : مكتوباً عليه هذا رأس يحيي بن زكريا الخ ما تقدم ثم قال قال زيد بن واقد رأيت رأس يحيي بن زكريا وعليه البشرة والشعر على رأسه لم يتغير · وقال القاسم بن عثمان الجوعي سمعت الوليد بن مسلم وسئل أين بلغك رأس يحيي بن زكريا قال بلغني انه ثَم وأشار بيده نحو العمود المسفط الرابع من الركن الشرقي · وقال هشام ابن عمار حدثنا محمد بن شعيب قال دخلت مع شداد بن عبد الله من باب الدرج فقال لي : ترى ها هنا كتابة بالرومية قلت نعم · فصلى ركعتين وقال ها هنا رأس يحيي بن زكريا · وروى القاسم الجُوعي عن الوليد بن مسلم انه سأل الأوزاعي · أين بلغك رأس يحيي بن زكريا · قال في العمود الرابع المسفط اه ·

ونحو ذلك في البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (ج ٩ ص ١٥٦) وزاد فيه وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد ، قال حضرت رأس يحيي بن زكريا وقد أخرج من الليطة القبلية الشرقية التي عند مجلس سجيلة فوضع تحت عمود الكاسة اه

وفي أوائل الرحلة القدسية للشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي المتوفى سنة ١١٤٣ ثم سرنا فمررنا في الطريق على قرية سبسطية وبعضهم يقول باسطين بياء بعدها نون وهي فلسطين المشهورة وذكر الهروي في زياراته قال سبطين هي فلسطين بها بدن يحيي بن زكريا عليهما السلام وقبر امه وقبر اليسع ·

يلخص مما تقدم

ان مؤرخي حلب المتقدمين بعضهم يقول وهم الأكثر ان في جامعها رأس يحيي والهروي منهم يقول قطعة من رأسه ولم يقل لنا احد منهم ان فيه زكريا أو رأسه

وابن الوردي المتوفى بحلب سنة ٧٤٩ يقول لنا انه رأس زكريا عليه السلام ·

وثلاثة متعاصرون وهم مفتي حلب علي بن اسد الله وقاضيها عبد الرحمن الكبيري

والشاعر نابي التركي الذين كانوا وقت توسيع الخزانة الى الحجرة الحاضرة سنة ١١٢٠ ﻫ يقولون انه رأس زكريا أو عضو من اعضائه والقلقشندي المصري مؤلف صبح الأعشى وياقوت الحموي المتوفى بحلب وابن فضل الله العمرى الدمشقي والحافظ ابن كثير الدمشقي يقولون ان الموجود بجامع دمشق هو رأس يحيي عليه السلام

وهنا كما ترى قد تعارضت الأخبار فأيها الصحيح ويمكن الجمع بينها ان يقال ان قطعة من رأسه بجامع دمشق وقطعة منه بجامع حلب كما أفصح بذلك الهروي وكما قال ابن الوردي ان في الصندوق بعض جمجمة ·

والتعارض باق بين مؤرخي حلب الأقدمين القائلين ان الموجود بحلب هو رأس يحيي وبين المتأخرين منهم القائلين انه رأس زكريا · وعلى كل لا يخلو جامع حلب من اثر نبوي هو اما قطعة من رأس يحيي او رأس ابيه زكريا عليهما السلام · ولا يوصلنا الى الصحة ولا يوقفنا على الحقيقة الا الكشف على الصندوق وقراءة ما كتب عليه بدقة · وهل هذا متيسر او متعسر ندع الجواب عنه لغيرنا ·

وصاحب المعجم في الكلام على سبسطية يقول ان بها قبر يحيي وزكريا عليهما السلام بدون تفرقة بين رأسهما وبدنهما · والنابلسي يقول لنا في رحلته ان بها بدن يحيي ولم يذكر زكريا فبقي مكان جثمانه مجهولاً ولعله لعلمه ان في دمشق رأس يحيي وهو مما لا خلاف فيه عند مؤرخي دمشق وأهاليها ذهب الى ان الموجود في سبسطية هو بدنه دفعًا للتعارض والله اعلم ·

(حلب) محمد راغب الطباخ

ضرب الحوطة على جميع الغوطة

للحافظ محمد بن طولون الدمشقي الحنفي رحمه الله

نشرها نشراً جديداً وعلق عليها الدكتور محمد أسعد طلس

(القسم الاول)

فاتحة :

المخطوط الذي نقدمه اليوم لقراء العربية هو رسالة لطيفة للعالم المؤرخ ابن طولون الدمشقي ولهذه الرسالة شأن لما تضمنت من معلومات مهمة عن قرى الغوطة في القرن العاشر ، فانها تسرد اسماء تلك القرى ، وفيها ما هو مجهول في ايامنا ، كما ان منها ما لا نجده في غيرها من الرسائل والكتب التي بحثت — عرضاً — عن الغوطة وقراها ، على ان المؤلف ربما خلط بين قرى الغوطة وقرى المرج كما لاحظ ذلك استاذنا محمد كرد علي بك في محاضرته عن الغوطة ، ولكن هذا لا يحط من قيمة الرسالة ولا يجعلنا نشك في علم ابن طولون وانما نعتقد انه كان في زمنه داخلاً في الغوطة فان للأراضي والبقاع تطورات وأعماراً كما لبني الانسان وللمدن ، فاذا عد ابن طولون قرية من الغوطة وهي اليوم من قرى المرج فما ينبغي لنا انتقاده[1] . على انه ربما ذكر بعض القرى وقال في آخر كلامه عنها : وانها من حساب قرى المرج ، كما سترى ذلك . ونحن في الذيل الذي سنعقب به على ما قال ابن طولون سنذكر بعض قرى المرج لقربها من الغوطة قرباً يجعل بعض الناس يعدونها منها . والرسالة التي ننشرها كان نشرها السيد حبيب الزيات في الخزانة الشرقية ج ١/٣٩ ولكنه لم يعلق عليها بل حذف منها الأسانيد وما نعرف

(١) أدخل ابن طولون في رسالته عن الغوطة سبع عشرة قرية من المرج وكان الأولى أن لا تدمج فيها وهي : بيت نايم ، البرية ، تل الشعير ، تل الذهب ، تل الكردي ، الجرباء ، حرستا ، القنيطرة ، حزرما ، حران ، الجديدة ، الدوير ، القصير ، تميسا ، الزعيزعية ، السويداء ، الرمادة ، عذراء . (المجمع العلمي العربي)

أحداً قبل ابن طولون كتب في الغوطة رسالة خاصة كما لا نعرف أحداً من المحدثين عنى بها على الرغم من مكانتها الكبرى في القديم والحديث اللهم إلا بحث أستاذنا الجليل محمد كرد علي بك الذي كان القاه في راديو الشرق . ثم القى ثلاث محاضرات في قاعة المجمع العلمي بدمشق كان لها أحسن الأثر في نفوس الشاميين لأنهم تعرفوا بمحاضراته هذه الى لمحة طيبة عن تاريخ الغوطة تلك البقعة الخصيبة التي ينعمون بخيراتها ويتفيأون ظلالها ، وممن عنى بالغوطة من المتأخرين المسيو دوسو فقد كتب عنها فصلاً مطولاً في كتابه طبوغرافية سورية التاريخية في القديم والعصور الوسطى . وممن عنى بها ايضاً المسيو تريس فقد كتب عنها مقالاً مطولاً درس فيه الري وأنظمته في الغوطة ونشره في مجلة الدراسات الاسلامية بباريس . وهناك معلومات منثورة في الكتب عن الغوطة رجعنا اليها في تصحيح مخطوطتنا التي ننشرها الآن

أما المراجع العربية التي رجعنا اليها فهي :

كتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته طبع مطبعة بريل بليدن في سنة ١٨٩١

كتاب البلدان لابن الفقيه طبع مطبعة بريل بليدن في سنة ١٣٠٢

« تاريخ دمشق لابن عساكر نشره ولخصه عبد القادر بدران طبع في دمشق

« المسالك والممالك لابن خرداذبه طبع بمطبعة بريل بليدن في سنة ١٣٠٦

« معجم البلدان لياقوت الحموي

« منادمة الأطلال ومسامرة الخيال للشيخ عبد القادر بدران مصور بدائرة الأوقاف الاسلامية عن مخطوطة المكتبة التيمورية

رسالة الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون نشرت بعناية مكتبة القدسي والبدير بمطبعة الترقي سنة ١٣٤٨

رسالة المعزة فيما قيل في المزة لمحمد بن طولون نشرت بعناية مكتبة القدسي والبدير بمطبعة الترقي سنة ١٣٤٨

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : مقالة الغوطة للأستاذ محمد كرد علي المجلد العاشر ج ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦

وأما المراجع الأجنبية فهي :

كتاب جهان نما لكاتب چلبي التركي (بالتركية)

(تقويم سورية) (بالتركية)

Le Strange : Palestine under the Moslems London 1890
Sauvaire: Descriptions des Damas Journal Asiat 1894 I ,250 , 283 . II . 242 , 460 . 1895.I 269, 377. II 221, 409, 1896. I 185, 369

والمخطوط الذي ننشره هنا مأخوذ عن النسخة الفوطوغرافية المحفوظة بمكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق ورقمها (٢) وهي منقولة عن مكتبة جامعة ليدن [Bibliothèque de l'Université de Leyde . M s . arabe ; 1862 Catal . Cadicum arabicorum II p. 10 N°814]

وها نحن اولاء ننشر في هذا العدد نص الرسالة وفي العدد الآتي ننشر التعليقات .

بسم الله الرحمن الرحيم

[١ ظ] سبحان العظيم العليم المحيط علمه بكل قاصٍ وداني ، الباسط حلمه على كل خاطئٌ وجاني ، فمن عظم من خلقه فهو في قبضته وعظيم قدره ذليلٌ متواني ، هو الأول ماله ثاني ، وهو الآخر وكل ما سواه فاني ، العرش يقول سبحان من حمل عن الحملة أركاني ، والكرسي يقول سبحان من ثبت قوائمي وأحسن بنياني ، والسموات تقول سبحان من هذب بوحدانيته جميع سكاني ، والفلك يقول سبحان مدبري في دوراني ، والسحاب يقول سبحان من جعل بين السماء والأرض مكاني ، والريح يقول سبحان من أجراني ، والجبال تقول سبحان من أرساني ، والأرض تقول سبحان من على تيار الماء دحاني ، والأشجار تقول سبحان من يسمع جريان الماء في أغصاني ، والزهر يقول سبحان من فتق كمي وغير ألواني ، والفواكه تقول سبحان من أينع بين طعمي : هذا حامض وهذا حلو ومن ماء واحد سقاني ، والطير يقول سبحان من أطلق له بالمجد لساني ، والبعوض تقول سبحانِ من يسمع حسّ خفقان

أجنحتي عند طيراني ، والنمل تقول سبحان من يرزقني على ضعفي وفي الليل المظلم يراني ، والليل يقول سبحان من سترني والظلام غشاني ، والنهار يقول سبحان من أظهرني وبالنور كساني ، والجنة تقول سبحان من وعد المتقين بنعيمي وحوري وولداني ، والنار تقول سبحان من توعد المجرمين بعذابي ونيراني ، ومحمد ﷺ يقول سبحان من شفعني في أمتي وأرضاني صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً ينجيان من النيران . وبعد فهذا تعليق سميته « بضرب الحوطة على جميع الغوطة [1] » على حسب الامكان وبالله المستعان .

قال ابو عبد الله بن شداد في كتابه الأعلاق الخطيرة في ذكر دمشق : أما صفتها فانها من أحسن بلاد الشام مكاناً ، وأعدلها هواءً ، وأطيبها نشراً ، وأكثرها مياهاً ، وأغزرها فواكه ، وأوفرها مالاً ، وأكثرها جنداً ولها ناحية تعرف بالغوطة طولها مرحلتان في عرض مرحلة وتشتمل هذه الغوطة على خمسة آلاف بستان وثلاثمائة وخمسة وأربعين بستاناً وعلى خمسمائة وخمسين كرماً وهي من شرقي دمشق وشماليها بها ضياع [2] كالمدن مثل المزة وداريا وحرستا ودمر وبلاس وبيت لاها وعقربا وبها كلها جوامع انتهى . قلت أخبرنا أبو البقاء محمد بن العماد العمري بقراءتي عليه أنبأنا الشهاب أحمد بن علي بن حجي أنبأنا أبو الفرج عبد لرحمن بن احمد الغزي وأبو المعالي عبد الله ابن عمر الأزهري بقراءتي عليهما وأنبأنا به ابو المفاخر عبد القادر بن محمد الدمشقي قراءة عليه قال هو وشيخنا الأول أنبأنا الزين عبد الرحمن [٢و] بن خليل الأذرعي سماعاً عليه متفرقين أنبأنا الجمال عبد الله بن محمد الأزهري أنبأنا ابو عبد الله محمد بن محمد الفارقي وقال الغزي أنبأنا القطب عبد الكريم بن عبد النور الحلبي قالا أنبأنا ابو بكر محمد بن اسماعيل بن الأنماطي أنبأنا ابو محمد هبة الله بن الخضر بن طاوس أنبأنا ابو الفضائل ناصر بن محمود القرشي انبأنا ابو الحسن علي بن احمد التميمي المالكي انبأنا ابو الحسن علي بن محمد الربعي المالكي انبأنا تمام بن محمد حدثنا القاضي ابو الحسن احمد بن سليمان

ابن حذلم حدثنا ابو زرعة حدثنا محمد بن المبارك حدثنا يحيى بن حمزة عن ابن جابر عن زيد بن ارطاة عن جبير بن نفير عن ابي الدرداء قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: 'فسطاط' المسلمين يوم الملحمة بالغوطة الى جانب مدينة يقال لها دمشق من مدائن الشام . وبه الى تمّام انبأنا ابو بكر احمد بن عبد الله القرشي وابو بكر محمد بن ابراهيم البزاز قال حدثنا ابو قعين اسماعيل بن محمد العذري حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا مسلمة بن علي حدثنا ابو سعيد الأسدي حدثنا سليم بن عامر عن ابي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية قوله تعالى: [وآويناهما الى ربوة ذات قرارٍ ومعين] . ثم قال هل تدرون أين هي ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: هي بالشام بأرضٍ يقال لها الغوطة بها مدينة يقال لها دمشق هي خير مدائن الشام . وبه إليه حدثنا أبو الحارث احمد بن محمد بن عمار عن الوليد ابن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن ابن عباس أنه قال: وُلد ابراهيم عليه السلام بغوطة دمشق في قرية يقال لها بَرْزَةُ في جبل يقال له قاسيون . وبه الى الربعي أنبأنا ابو محمد عبد الله بن احمد العيسى أنبأنا ابو الميمون عبد الرحمن بن عبد الله البجلي حدثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد حدثنا ابو البيان الحكم بن نافع حدثنا صفوان بن عمر عن عبد الرحمن بن جبير عن ابيه عن عوف[1] بن مالك قال: هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيسيرون اليكم على ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفاً، فُسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق . وبه اليه أنبأنا ابو محمد عبد الرحمن بن عثمان حدثنا ابو الحسن ابن حبيب حدثنا ابو بكر بن الأشعث حدثنا ابو توبة حدثنا ابن المهاجر عن ابي حليس، قال: أشرف عيسى بن مريم عليه السلام على الغوطة فقال: يا غوطة إن عجز الغني ان يجمع منك كنزاً لم يعجز المسكين ان يشبع

(١) في الخزانة [عون]

منك خبزاً . قلت الحاصل أن الغوطة مدينتها دمشق الكبرى وقد أفرد لها تاريخاً معظماً الحافظ ابو الحسن بن عساكر ودونها القرى وهاك اسماء ما وقعت عليه منها مرتباً لها على حروف الهجاء .

أرْزُونا (٣) — وهي قرية تحت القابون التحتاني وهي متوسطة لها جامع ومأذنة وشربها من نهر ثورا وهي أملاك لناس مختلفين وقع بها تحديث بأجزاء وخرج منها جماعة من العلماء وأهل الحديث .

الأفتريس — وهي قرية بقرب جسرين وهي متوسطة وشربها من نهر داعية .

[٢ ظ] أرْزَةُ * — وهي قرية أدركت بعض [بيوت بها والى الآن بها بيت بجنينة وأدركت جامعها بمأذنة صومعة عند قبور الشهداء ولها حكر (٤) ديوان الجيش وشربها من نهر ثورا .

البوَيضةُ — وهي بلدة كبيرة قبلي دمشق بجامع ومأذنة وكان لنا بها عشر .

البحدَلية (٥) — وهي قرية جامعة تحت يلدا وبها جامع وهي وقف على بيمارستان الصالحية القيمري .

بيت رانس* (٥) — وهي قرية تحت مدينة دمشق من جهة القبلي .

بيت سحم (٦) — وهي قرية بالقرب من عقربا وبها قطع (٤) وقف على جماعة الحنابلة .

بيت الآلهة — هي حارة من دمشق شرقيها وبها جامع مبارك أدركت خطيبه صاحبنا الفاضل بدر الدين حسن البيت ليدي الحنبلي والآن قد خرب وللناس فيه اعتقاد كثير وعليها بساتين وأراضي كثيرة وقع بها حديث كثير وآخر من حدث بها شيخنا المحيوي النعيمي وخرج منها جماعة من أهل الحديث (٧) .

بيت أبياتٍ * — حارة كانت غربي الصالحية وقد خربت الحارة ولم يبق غير مسجد والطاحون ثم خرب المسجد ووقع بها حديث كثير وفيها كان جماعة من أهل الحديث (٨) .

بَرْزَة — وهي قرية شرقي الصالحية في الجبل بها مقام ابراهيم يقال إنه ولد فيه وقيل بل اختبأ فيه وقيل بل صلى فيه وقد أفردت لما ورد فيه

جزء [٩] وماؤها من أحسن مياه دمشق يأتي من وادي الجرن [١٠] « لعلها حرنة (المجمع العلمي العربي) » واليها ينسب نوع من التين الشتوي هو أجود جنس منه ونوع من السفرجل هو من أجود انواعه وقع بها حديث كثير من جماعة من الحفاظ وغيرهم وقد حدثتُ بها مراراً وكان بها من له سماع فيه وأمامة بجامعها وله مأذنة [١١] .

بالا — وهي قرية تحت المنيحة وهي قرية حسنة كثيرة أُلمغل وفيها حصة وقف على الجوزية وقف على الحنابلة إما ربع أو نحوه [١٢] .

بَرْتايا* : وهي قرية خراب فوق سقبا وقف [١٣] (هي أرض ضمت الى عربيل . المجمع العلمي العربي) .

بيت نايم* — وهي قرية تحت جسرين كبيرة وقف وهي من جملة حساب المرج وهي أول قراه [١٤] .

بيت سوا — وهي قرية متوسطة وقع بها تحديث ببعض الأجزاء [١٥] .

البرية ُ* — وهي قرية في المرج الشرقي وهي حصص غالبها وقف ومنها حصة موقوفة على جامع الحنابلة .

تل الشعير* — وهي قرية تحت البجدلية خربة وقف على المدرسة القيمرية [١٦] .

تل الذهب* — وهي كانت قرية وهي الآن مزرعة ملاصقة لبيت نايم وأهلها يزرعونها وهي وقف وقع بها حديث يسير [١٧] .

تل كردي — وهي قرية من قرى المرج لم اعرف حالها [١٨] .

جَرَمانا — وهي قرية قبلي دمشق وأهلها تيامنة وهذا عجيب من كونهم في هذه [القرية من] الغوطة فان اهلها جميعهم من أهل السنة [١٩] .

جَوْبَر — وهي قرية شرقي مدينة دمشق لليهود وبهـا ثم جماعة من المسلمين وبها مسجد يقال له مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقع بهـا حديث كثير ومنها جماعة من أهل الحديث [٢٠] .

[٣ و] جسرين — وهي قرية تحت سقبا][وكانت بلدة كبيرة إلا أنها تلاشى أمرها وهي وقف وشربها من نهر داعية وقع بها حديث في فوائد الرازي [٢١] .

جَرْبا — وهي قرية متوسطة من قرى المرج وهي في اقطاع ثالث مقدمي الألوف بدمشق وقع بها تحديث الأجزاء[٢٢] .

حَزّة — وهي بلدة صغيرة تحت زملكا لها مسجد وشربها من عين الرشيدية[٢٣] .

حمورية — وهي قرية شمالي سقبا متوسطة حسنة بها جامع يقال إنه عمري وهي وقف على أولاد السلطان الملك الظاهر وفيها املاك مستخرجة في الخراج[٢٤] .

حُرْدان* — وهي قرية تحت سقبا أيضاً خربت كان لها حديث لجماعة من اهل الحديث أفرد لها الحافظ ابو الحسن بن عساكر جزءً ثم أفرد لها شيخنا المحدث أبو المحاسن بن عبد الهادي جزءً آخر[٢٥] .

حرستا الزّيتون[٢٦] — وهي قرية كبيرة جامعة وهي في اقطاع النيابة كانت والآن صارت وقف التكية[٢٧] قال شيخنا ابو المحاسن وهي قرية شر وفسق معروفة بذلك ومن المذكور بين الناس إنها اول ما يخسف بها في الدنيا وكانت قديماً قرية حديث وشربها من نهر يزيد وتورا واليها ينسب التفاح النبطي وقع بها حديث كثير خرّجت لها جزئين وخرج منها جماعة من أهل العلم انتهى . قلت منهم الإمام محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رضي الله عنهما .

حرستا القنطرة[٢٦] — وهي قرية قبلية صغيرة ولعلها من حساب المرج .

حزْرَما[٢٨] : وهي قرية من قرى المرج وثلثها وقف على دار الحديث الأشرفية[٢٩] بدمشق وقع بها حديث كثير قال المحدث ابو المحاسن[٣٠] وقد أفردنا لها جزء .

حَرّان — وتضاف الى العوامد فيقال لها حران العواميد وهي قرية متوسطة من قري المرج[٣١] .

الجديدة* — بالحاء المهملة والناس يقولون بالمعجمة تحت وهي قرية متوسطة من قرى المرج وهي في اقطاع النيابة[٣٢] .

الحديثة[٣٢] — وهي قرية صغيرة تحت دمشق وغالبها يتكلم[٣٣] عليها

المولى الخواجا زين الدين عبد الغني بن المُزْلِق [٢٤] وقع بهـا حديث وحدث فيها بعدة أجزاء .

الخيارة — وهي صغيرة من قرى المرج [٢٥] .

داريا [٢٦] — بلدة كبيرة جيدة عذية [١] بها جامع وهي من جملة بلاد السلطنة [٢٧] وبها اراضي وقف نور الدين الشهيد على طلبة العلم والصوفية الفقراء وبها قبر ابي سليمان الداراني واليها ينسب البطيخ الجيد وقع بهـا حديث كثير وخرج منها جماعة كثيرون من أهل العلم قال شيخنا ابو المحاسن وقد أفردنا لها مصنفاً ولم أقف عليه فأفردت لها جزءً لخصته من تاريخها وزدت عليه .

دَقانية * — وهي قرية صغيرة تحت أرْزونا ولها جامع وعليها كروم وشربها من نهر تورا [٢٨] .

دُومَة [٢٩] — وهي قرية كبيرة جامعة شرقي حرستا وهي من أُمهات القرى من اقطاع أمير كبير [٣٠] وشربها من نهر تورا وقع بها حديث وخرج [٣ ظ] منها جماعة من المحدثين والعلماء منهم الدومي المشهور .

الدُّوير * — يقال لها دير ابن عصرون وهي قرية صغيرة في لحف الجبل ونصفها أو نحوه وقف الحنابلة من جملة وقف الجوزية [٤١] .

الرَّبوة [٤٢] — غربي [٤٣] في فم الوادي فيها بيوت ودكاكين وحمام ويقال انها التي أوى اليها عيسى وأمه وهي الآن مكان فرجة ويجتمع فيها على غير التقوى وقد خربت في أيامنا عدة مرار وعمرت وقع بها حديث وسماع في عدة اجزاء وأفرد لهـا الحافظ الشمس بن ناصر الدين جزءً وتبعته في آخر ابسط منه [٤٤] .

زَملكا — بلدة كبيرة جامعة بها جامع وحمام وخلق كثير وهي من أُمهات الغوطة وشربها من نهر ثورا وبها موضع يقال إنه مزار ، وقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من المحدثين والعلماء وخطيبها كان بعض ولد ولد شيخ الاسلام ابي عمر وله سماع كثير واستمر أولاده بها الآن [٤٥] .

(١) عذية من عذا البلد طاب هواؤه وينطقون بها اهدنا بالدال عدية (المجمع العلمي العربي)

زبدين — وهي قرية في آخر الغوطة من أقطاع النيابة ويزرع فيها البطيخ كثيراً ووقع فيها تحديث ببعض الأجزاء (٤٦)

الزُعيزعية * — وهي قرية من قرى المرج وقع بها تحديث ببعض الأجزاء (٤٧).

السوَبداء * — وهي قرية من قرى المرج قرب البحرة (٤٨).

سقبا — وهي بلدة كبيرة جامعة وبها جامع وعدة مساجد وحمام وهي أملاك لأربابها وغيرهم ومنها يستحسن بزر الخيار وشربها من نهر داعية وقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من أهله قال شيخنا ابو المحاسن ولأهلها سماع وقد أفردت لها جزء (٤٩).

الشجرة * — وهي كانت قرية خربة وهي من جملة صدقات الحنابلة (٥٠).

الصالحية * (٥١) — قال شيخنا ابو المحاسن وهي أول قرى الغوطة وأم البلاد وعروس الشام يصلح ان تكون مدينة بسفح قاسيون أول من وضعها المقادسة فإنهم لما هاجروا من الأرض المقدسة الى دمشق نزلوا مسجد ابي صالح شرقي دمشق فاستوخموا تلك المحلة ومات منهم جماعة كثيرون في مدة يسيرة فصعدوا الى هذا الجبل وبنوا به الدير المعروف بهم وبهم سميت الصالحية لأنهم كانوا من الصالحين الكبار وكان منهم الشيخ احمد والد الشيخ ابي عمر، والشيخ ابو عمر، والشيخ موفق الدين، والحافظ عبد الغني، والحافظ الضياء، والحافظ العماد، والإمام عبد الهادي، وأشباه هؤلاء وكلهم أقارب ثم اتسع البناء وبنى لهم الشيخ ابو عمر سبع ميات : المدرسة، والمسجد غربيها، والميضأة، والمصنع، والمغربلة، والمغسل، والمسقاة، انتهى. وقد أفردت لها تاريخاً.

[٤ و] صنعاء — قال شيخنا المحيوي النعيمي في مسودة][تاريخه وهي قرية خربت وبقي مزارعها على نهر الخلخال بالقرب من المنبع خرج منها جماعة من المحدثين نحو عشرة انتهى (٥٢).

الضمادَة — ويقال لها الرمادة وهي قرية بقرب عذراء خربت وهي وقف من جملة صدقات الحنابلة (٥٣)

عينُ تَرْما — وهي قرية جامعة شرقي دمشق وبها جامع وحمام ووقع بها حديث وكان لبعض أهلها سماع ببعض الأجزاء وغالب الوادي التحتاني مع اهلها وشربها من نهر ثورا وأما الوادي فشرب بعضه من نهر داعية وبعضه من بردى (٥٤) .

عِرْبيل — ويقال لها عِرْبين وهي قرية جامعة وشربها من نهر ثورا واليها ينسب العنب البلدي واللوز وقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من أهل الحديث ولهم فيه سماع (٥٥) .

عَذْرا* — وهي قرية شرقي دوما وهي في أقطاع النيابة كانت والآن صارت وقفاً على التكية وهي بلدة كبيرة بها كان قتل حجر وأصحابه وشربها من نهر ثورا واليها ينسب البطيخ وقع بها تحديث يسير (٥٦) .

عقرَبا — وهي قرية شرقي بلدا كبيرة وهي من جملة اقطاع النيابة واليها ينسب القماش العقرباني وقع بها حديث وخرج منها محدثون (٥٧) .

قبر الست — وهي قرية قبلي دمشق يقال أن زينب بنت علي مدفونة فيها وهي بلدة جامعة وللناس ايام يخرجون اليها يحتجون بالزيارة ويتنزهون ووقع بها حديث يسير وقد أفردت لها تعليقاً (٥٨) .

قرية سَيدي مُدرِك * — بالقرب منها وفي كونه هناك خلاف (٥٩) .

القابون الفوقاني — وهي قرية كبيرة تحت برزة بها جامع وعدة مساجد وحمام وسوق وغالب اهلها تركمان وبها رؤساء واعيان وشربها من نهر يزيد وقع بها حديث (٦٠) .

القابون التحتاني — وهي بلدة كبيرة بها جامع وعدة مساجد وحمام وسوق وبها (٦١) تركمان وحوارنة وغيرهما وبها يعمل خميس البيض النجس الخبيث وقد أفردت له تعليقاً وشربها من نهر يزيد واليها ينسب الخيار الجيد وقع بها حديث وخرج منها جماعة من العلماء والصلحاء .

القصير *(٦٢) — ويقال قصير القوافل وهي قرية متوسطة على طريق المارة وهي في اقطاع رابع مقدمي الألوف بدمشق ·

القصور* — وهي بلدة غربي كفرسوسية وقد خربت وهي الى الآن خراب (٦٣)

كفرسوسية — وهي بلدة تحت المزة بها جامع وحمام وهي بلدة جامعة وبها معصرة للزيت لأن بها زيتون كثير ووقع فيها حديث وخرج منها محدثون منهم شيخنا الشمس الكفرسوسي الشافعي ·

[٤ظ] كفر بطها — ويقال لها كفر بطنا وهي قرية جامعة بها جامع وحمام ودكاكين ويقال إنه كان بها علماء وسادات ورؤساء وتجار وهي أملاك متفرقة وبها عدة مساجد وشربها من نهر داعية ووقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من الأئمة المحدثين بل الحفاظ منهم الحافظ شمس الدين الذهبي وولده المحدث ابوهريرة وغيرهما (٦٤) .

اللقيشا * — ويقال اللقيسا بالسين وهي قرية من أشهر قرى المرج (٦٥) .

المحمدية — عند جسرين وهي قرية صغيرة من قرى المرج كانت خربة والآن عمرت (٦٦) .

المنيحة — وهي قرية تحت دمشق جامعة ولها جامع ولي خطابته في هذه الايام صاحبنا القطب بن الصفوري الشافعي قال شيخنا ابو المحاسن ويقال إن بها قبر سعد بن عبادة وليس كذلك انتهى · وقد أفردت له جزءً وهذه الأيام يذهب الناس اليها للزيارة والتنزه على عاداتهم وبها قطع وقف على الحنابلة تعرف بالجوزيات وقف المدرسة الجوزية وقع فيها تحديث بعدة أجزاء وخرج منها محدثون منهم المنيحي (٦٧) المشهور ·

مسجد القدم — وهي قرية قبلي الصبيبات جامعة بها جامع وهي عذبة من جملة بلاد السلطنة لأناس متفرقين قال شيخنا ابو المحاسن ويقال إن قدم موسى فيها وذكر بعضهم أن فيها قدم النبي ﷺ وهو كذب انتهي وبالقرب منها الكثيب وقد أفردت له مؤلفاً (٦٨) .

المزّة — وهي قرية في سفح الجبل من الغرب كبيرة وبها عدة جوامع

ومساجد وحمامات ودكاكين وهي قديمة قال السيد كمال الدين بن حمزة عندي لها تاريخ وتقصدته فلم أظفر به فأفردت لها جزءً وكانت قد أُقطعت لبعض ولد أسامة بن زيد ووقع بها تحديث وخرج منها محدثون منهم الحافظ جمال الدين المزي وولده وغيرهما (٦٩) .

مَقنية *(٧٠) — والصواب قينية وهي قرية خربت خلف ميدان الحصا قال الأَسدي في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة في ترجمة محمد بن هارون من ولد أنس بن مالك الأنصاري الدمشقي من سكان قرية القينية غربي المصلى انتهى وقال غيره : ابو علي محمد بن هارون الأنصاري الدمشقي من سكان قرية قينية بظاهر باب الجابية مشهورة انتهى .

مُقرا * — وهي(٧١) كانت قرية فخربت شرقي الصالحية أدركت فيها السبع قاعات والآن باقي بها مسجد ومأذنة عندطاحونها على نهر ثوراغربي الصالحية .

النيرب — غربي (٧٢) الصالحية كان له اسم خاص وبه بيوت وبساتين وهو الآن مضاف الى اسم الصالحية وله جامع وحمام وقد خرب ووقع بها سماع حديث كثيراً أفردت له جزءً قال الحافظ ابن ناصر الدين في مسودة توضيحه والنيرب من قرى الغوطة وهي قرية من محاسن قرى دمشق من [٥و] إقليم بيت لهيا كثيرة المياه والبساتين وبها جامع حسن تقام فيه][الجمعة ويقال في شرقيه قبر حنة أم مريم عليهما السلام قال ابن شداد وليست مريم بنت عمران ولها حكاية وفي تاريخ دمشق لابن عساكر أن الخضر ينتاب هذا المسجد ويصلي فيه ويروى أن عيسى عليه السلام كان فيه انتهى .

يعقوبا — وهي قرية صغيرة غربي حَزَّة وشربها من نهر تورا وقع بها تحديث ببعض الأجزاء (٧٣) .

بلدا — وهي قرية قبلي المدينة بالقرب منها جامعة وهي بلدة حسنة ووقع بها تحديث وخرج منها جماعة من المحدثين منهم اليلداني الأول ومنهم شيخ شيخنا ابي المحاسن هو شرف الدين اليلداني الطبيب (٧٤) .

يتبع : م . أسعد طلس

مخطوطات ومطبوعات

الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة

طبع سنة ١٣٥٦ ﻫ في المطبعة الاقتصادية بالرباط من بلاد المغرب الأقصى مؤلفه من كبار اعيان الشيوخ في بلاد المغرب وله باع طويل في الفقه والأدب والتاريخ وهو الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرحمن بن زيدان نقيب الأسرة المالكة ومؤلف كتاب النهضة العلمية في الدولة العلوية وكتاب العز والصولة في نظام الدولة وغيرهما من مؤلفاته التي وردت اسماؤها في كتابه الدرر هذا بمناسبة عزوه اليها ونقله عنها وقد عني بكتابه هذا أيما عناية وهو يشتمل على ثلاثة عشر مقالاً في ٢٢٦ صفحة ضمنها تاريخ ملوك الدولة العلوية بالمغرب وعلى مقالات في تقريظ الكتاب وختمه بست فهارس للموضوعات والأعلام والصور ونوادر الكتب وغيرها

والملوك المنوه بمآثرهم في هذا الكتاب هم الذين قدم جدهم الحسن الداخل من الحجاز في المائة السابعة للهجرة — كما في الجزء الرابع من كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى وكانت إقامتهم في سلجماسة الى أن بويع فيها منهم الشريف بن المولى علي الشريف المثاث سنة ١٠٤١ ﻫ ثم بويع ولده محمد الشريف سنة ١٠٦٩ ثم بويع سنة ١٠٧٥ اخوه الرشيد الذي تبوأ عرش الملك بفاس فابتدأ صاحب الدرر كتابه به اذ عده اول الملوك العلويين وما قبله عهد تأسيس وإنشاء ثم تتابع بعده اثنا عشر الى زمن السلطان لهذا العهد مولاي محمد بن يوسف وفي الكتاب ثمان وأربعون صورة تريك اولئك الملوك مع نماذج من خطوطهم وتواقيعهم ورسائلهم ومراسيمهم ووثائق أوقافهم كما تريك نماذج من قصورهم وآثار عمرانهم ويذكر المؤلف ما شيدوه من مدارس ومساجد ومزارات وحصون ومعاقل ودور سلاح وحدائق وقصور وجداول وجسور وملاجئ ومدن وما الى ذلك من معالم الحضارة وشواهد العمران والمؤلف تارة يسجع وكثيراً ما ينثر وقد أورد من الشعر ما زاد على سبعمائة بيت منها ما هو من نظمه ومعظمها لغيره من معاصرين ومتقدمين .

عبد القادر المبارك[1]

---

(١) كانت هذه القطعة آخر ما كتب الأستاذ قبل وفاته رحمه الله وقد كلف المجمع ولد الأستاذ السيد محمد المبارك أن ينقلها من المسودات التي تركها .

نظام جديد وحياة جديدة

الأداة الحكومية

تأليف الأستاذين : ابراهيم مذكور ومريت غالي

الطبعة الثانية ١٩٤٥

الكتاب يقع في ثلاث مئة وثماني وثلاثين صفحة ، اخرجته دار الفصول والنشر بالقاهرة . واذا كان الموضوع « الأداة الحكومية » موضوعاً جليلاً ، فان المؤلفين الفاضلين وفقا توفيقاً كبيراً في اختيار الأبحاث وتنسيقها ، وعرضها وتبويبها . فقد وطأا لموضوعها بمقدمة عرضا فيها ادوآء الأمة ومشاكلها . فكان مما قالاه :

« ... وكيف نقبل من وزير او مستوزر ان يكون متشائماً ، وشأنه ان يخطو بنا دائماً الى الأمام ! وكيف نقبل الاستسلام الى اليأس ممن بيدهم مقاليد الامة ، اللهم الا ان كانوا يحسون انهم لا يقوون على عمل ، وليتهم يصرحون بهذا فيفسحوا المجال لمن هم أرغب في العمل منهم ، ولسنا مبالغين ان قلنا : ان روح التشاؤم هذه لم تعظم في اعيننا ولم تتجسم امامنا الا على ايدي الرجال ذوي الماضي ، ومن ساهموا في تطور هذا البلد ربع قرن او يزيد ... »

« وقد يكون للشيوخ عذرهم في تشاؤمهم ، ولكن الأمر لم يقف عندهم بل جاوزهم الى الشبان الذين هم معقد الأمل ومحط الرجاء ، فهم بدورهم متشائمون وغالون في تشاؤمهم أحياناً . فيعلنون ان المثل العليا التي ملئت بها رؤوسهم في الدروس والمدرسة لا وجود لها في الخارج ، وان كل من سبقوهم انما سارعوا الى حظهم ونصيبهم ولم يفكروا الا في انفسهم ، فجدير بهم ان يضعوا المصلحة العامة جانباً ويتجهوا نحو نفعهم الشخصي .... »

« ... ومن المغالطة ان ننكر انا تخبطنا كثيراً اثناء العشرين سنة الأخيرة ، فأقدمنا على مشروعات خطيرة قبل درسها . وهدمنا مؤسسات صالحة لأنها تمت الى شخص او حزب معاد ، وابجنا اليوم ما حرمناه بالأمس ، ولم تكن لنا سياسة

واضحة لا في هدم ولا في بناء ، وفى هذا التخبط ما يضعف ثقة الكثيرين ، ويدفع الى القول بأنا لم نتهيأ بعد للاضطلاع بأعبائنا . ويظهر ان الخصومات السياسية والخلافات الحزبية بالغت في هذا وزادته سوءاً وقبحاً ، اذ ليس منا معصوم ، والقادة والزعماء في البلاد الأخري يخطئون ويصيبون ، والفارق بيننا وبينهم ان أولئك يخطئون فيتدارك خطأهم ، في حين انا اذا زل أحدنا زلة اتخذها خصومه السياسيون فرصة للتشهير به والتحامل عليه . وربما دفعتنا الخصومة الى ان نرمي الناس بما ليس فيهم ، ونشوه الصالح ونقبح الحسن . »

« ... ومما يؤسف له ان الأمور التي حاولناها لم تنجح النجاح المطلوب ، فلم نقم الدليل على ان التغيير الذي دعونا اليه ، والاستقلال الذي نادينا به ، جاء مصدر خير وبركة شاملة كما كنا نعلن للناس من قبل » .

« ... ولم نستفد من تجربة جربناها ، ولم نتعظ باخفاق وقع فيه غيرنا ، ومضى علينا نحو عشرين سنة وامورنا موكولة الينا دون ان يكون لهذا التمرين أثر عملي يذكر ، اللهم الا انه ابان عن عيوب مستورة وكشف عن نقائص كانت خفية »

وبعد ان يعدد المؤلفان من العيوب ما أشرنا الى بعضه ، يعودان فيقولان :

« كل هذا نسلم به ، ونسلم بأن للمتشائمين عذرهم ، ولكنا نعتقد ان هذا التشاؤم اعدى عدو لأمة ناهضة . واذا قلنا تشاؤم فمعنى هذا انا نقضي على النهوض والاصلاح ، ونسد باب الأمل في الوطن والرجاء في المستقبل ، ونمحو روح التفاني والتضحية التي بدونها لا تقوم الامم ولا تحيى الدول ... »

ويشرح الاستاذان كثيراً من أدواء الأمة ومشاكلها ، من سياسية واقتصادية وصحية . ويتجهان أخيراً الى الاداة الحكومية ، يريانها الوسيلة الأولى لتحقيق الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية . فيذكران من معايبها انها اداة أبلتها الأيام ، وقد تطور الزمن ولم تتطور . ونهض المصريون فلم تجارهم هذه الأداة في نهوضهم . فهي بقية العصور الماضية : تعقد العمل ، وتسيء الى الجماهير . وسيرها بطيء ، لا يتمشى ومسرعة السير في القرن العشرين . ونظرتها ضيقة محدودة ، لا تتفق وتشعب الحياة

التي نعيش فيها ، فحاجتها الى التجديد والاصلاح ، لا تقل عن حاجة اي مظهر من مظاهر حياتنا العامة .

ثم يرفع المؤلفان صوتهما في جرأة وفي حق ، فيقولان قولة خليق بأن يتدبرها كل منا : « ان سير الأعمال الحكومية قد وصل الى حد ان لم نغيره ونبدله بأنفسنا ، فأخشى ما نخشاه ان نسلم بتبديله ولو على ايدي غيرنا » .

« وعبثاً نحاول ان نتحدث عن نهوض اقتصادي ، او تقدم اجتماعي ، ان لم نأخذ أنفسنا بوسائل ناجعة ، ونظم سديدة لتنفيذ ذلك ، وان لم نتخير لمشروعاتنا الصغيرة والكبيرة رجالاً يضطلعون بها على أ كمل وجه . وقد جاءت الحياة النيابية على حداثة عهدها ، فزادت الأداة الحكومية تعقيداً ، وملأت جوها بلبلة واضطراباً ، واصبحت الفوضى تتهددنا من كل جانب ان عن طريق السياسة ، او الادارة ، فأبى السياسيون الا ان يتدخلوا في كل شيء ، ويقلبوا كل وضع ، وينقضوا كل مبدأ ؛ وتهاون الاداريون في واجباتهم اعتماداً على حظوة ، وعدوا على حقوق غيرهم باسم المحسوبية » .

هذه مقاطع تخيرناها من هذه المقدمة الممتعة ، للدلالة على قيمة الكتاب وطريقته ، وعلى بيانه وأسلوبه ، ثم لانطباق كثير مما قيل فيها ، بل لانطباقه كله ، علينا أيضاً .

ويخرجان من هذه المقدمة ، الى كلمة ،وجزة عن « الاداة الحكومية » ، ثم الى الباب الأول في « الرقابة والتوجيه » وفيه بحث عن النظام الملكي النيابي والدستور ، والتربية القومية : وعن البرلمان ، والانتخاب ، والحزبية ، وتكوين البرلمان ، والانتاج البرلماني ، وعن الوزارة ومهمة الوزير ، ورئيس الحكومة ومجلس الوزراء ، وعن مجلس الدولة ، والقضاء الاداري ، واعداد التشريع ، والافتاء .

ثم الباب الثاني في « العمل والتنفيذ » وفيه الخدمات العامة ، وتوزيعها والاشراف عليها ، والانتاج الإداري ، وتفرعاته ، والموظفون ، وأنظمتهم وأحوالهم ، والقضاء وتوحيده ، واستقلاله ، وتنظيمه .

ويطول بنا نفس الكلام ، ان نحن رحنا نفصل هذا الذي اجملناه ، وهو تفصيل — اذا كان — فانه لا يغني عن قراءة هذا السفر الجليل ومدارسته . بقي أن نتساءل كيف يحقق هذا الاصلاح ، وكيف تطهر الاداة الحكومية من مفاسدها وأدرانها ؟

هذا ما لم يشر اليه المؤلفان ، الاّ اشارة خاطفة — فيما أذكر — جاءت في الصفحة الأولى من التمهيد وهي : ويعنينا ان نسرد هنا عبارة كثيراً ما سمعناها وهي : « كل هذا كلام جيد ومقترحات يقرها الجميع ، ولكن متى التنفيذ ومن أين يجيء ؟ — »

« وفي رأينا ان وسيلة التنفيذ الأولى تكوين رأي عام قوي يقظ حول مبادئ صريحة ومقترحات واضحة ، وهذا ما رجونا ان يساهم فيه هذا البحث بنصيب . »

اني أسمح لنفسي ان اقول ، بعد ان خبرت الجهاز الحكومي عشرات من السنوات ، في مختلف من الحالات : ان المؤلفين الكريمين ، اذا كانا وفقا في وصف المرض وشرح اعراضه كل التوفيق ؛ فما احسب انهما وفقا في وصف الدواء ، فتكوين « راى عام » عمل شاق وطريق وعر طويل ، ومن يكفل هذا الرأي العام ان لا يفسد عوداً ، كما فسدنا نحن بدءاً ؟

أليس في ما وصفه المؤلفان من تهافت الأمة : شيباً وشباناً على المنافع الخاصة ، ما يقل معه الرجاء في تكوين هذا الرأي العام ، وهل يكوّن هذا « الرأي العام » من لا يؤمن بمصلحة عامة ؟ وقديماً قال الفقهاء « فاقد الشيء لا يعطيه » ان الأمر لا يصلح الا على يد القوي العادل الذي وصفه السيد الأفغاني . نعم ! ان المصلحة العامة لتتطلب رجلاً صلب العود ، صحيح الايمان ، سليم الفهم ، واسع الادراك ، كثير المشاورة ، يتنخل الرأي ثم يستبد في تنفيذه . لا يقول : « عيبتي وكرشي » بهذا تخلص الأمم من مساقط الضعف والتفكك . والاّ كانت آراء عذبة ، يستسيغها الخيال ، ولا تقرها الحقيقة . تنتهي نظريات ، كما بدأت تمنيات .

عارف النكدي

العمل لمصر

بعث دولةٍ وإحياء مجدٍ

كتاب من القطع المتوسط ، يقع في مئتين وست عشرة صفحة ، وضعه الأستاذ محمود كامل الحامي . ولا بد لنا — قبل ان نتناول هذا الكتاب بالبحث — من كلمة مجملة نقولها في الموضوع من حيث هو : « العمل لمصر » .

لقد اصبحت الوشائج الفكرية والثقافية والاقتصادية بين الشعوب — بعد ان طوى العلم ما كان بينهن من مسافات وابعاد — مُحكمة متشابكة . فما من مذهب أو رأي ، ينشأ في بلد ، الاّ تراجع صداه في البلد الآخر ، مهما كان بين البلدين من اختلاف في : العنصر ، واللغة ، وفي منازع الحياة ومناحيها ، لذلك قل ان يقوم اجنبي عنا بدعوة من الدعوات — ولا سيما القومية او الوطنيه او السياسية — الاّ كان لها عندنا مستمع بل مجيب . ويكثر عدد هؤلاء المستمعين والمجيبين او يقلون ، على قدر ما يكون لهذه الدعوة من هوى في النفوس ، واستعداد لها عند اصحاب هذه النفوس .

فاذا كان ذلك كذلك ، في حق الأبعد الأجنب ، فما عسى ان يكون الأمر في « عمل لمصر » يقوم به رجل من مصر ، لبعث دولة وإحياء مجد . وأمته أمتنا : لغةً وعنصراً . وحالها حالنا : مرضاً وضعفاً . ومتى كان الداء واحداً ، فلا بد ان يكون الدواء واحداً ايضاً .

وعلى هذا ، فالكتاب ليس لمصر وحدها ، ولكنه لهذه الشعوب المبعثرة المتفرقة ، التي تجمعها هذه الأمة العربية الواحدة .

استهل المؤلف كتابه ، بأن كشف عن حقيقة النهضة القومية في مصر ، فأنكر على الأحزاب المصرية التي قامت بعد سنة ١٩٢٠ ان تكون هي التي أيقظت الشعور الوطني فقال : « فاحساس المصريين بحقوقهم ، وتمردهم على كل من يعتدي على هذه الحقوق قديم ، اقدم من أي حزب سياسي قائم في مصر

الآن ، بل ان تاريخ مصر الحديث ، ناطق بأن الزعامة التي كانت تقود المصريين الى تلك الأهداف الوطنية ، أرشد وأجرأ ، واشد ايماناً برسالتها ٠ »

والكاتب لا يرسل كلامه هذا ارسالاً ، منقطعاً عن الدليل ، بل يضرب عليه مثلاً : موقف السيد عمر مكرم سنة ١٨٠٥ ، وما كان من مطالبه القومية الصريحة الواضحة ٠ ثم هو يمضي في تعداد هذه المواقف والمطالب ، ويعود في موطن آخر من الكتاب ، فيذكر ثورات المصريين على الفرنسيين سنة ١٧٩٨ و ١٧٩٩ و ١٨٠٠ ٠ وثوراتهم على الانكليز ، وما نشب بين الفريقين من مواقع سنه ١٨٠٧ و ١٨٨٢ وثورة عرابي سنة ١٨٧٩ ونهضة مصطفى كامل سنة ١٨٩٥ ودعوة زغلول سنة ١٩١٩ ٠ وقد عاد فنوه بهذه الحوادث تنهويهاً أرضى الحق وعزة مصر

ويمتاز المؤلف بأنه لا يؤله زعيماً ، ولا يدعو الى عبادة ثائر أو قائم ، بل يدلل على ان أكثرهم خلقتهم الثورات والحادثات ، لا انهم هم الذين خلقوها ٠

اعتبر ذلك في ما يقوله في سعد ، وسعد زعيم مصر الأكبر ، بل قدوة الأقطار العربية عامة : « والشعب المصري هو الذي « اكتشف » سعد زغلول فانتخبه وكيلاً للجمعية التشريعية ٠ والشعب المصري — بقوته الجارفة — هو الذي جعل سعد زغلول زعيماً وطنياً أثناء ثورة عام ١٩١٨ ٠ فحمله على ان يسخر مواهبه لمهاجمة اوضاع ، يشهد ماضيه بأنه كان يقرها ، في وقت لم يكن الشعب قد جرفه فيه الى اتجاهه الجديد » ٠

وما قاله عن « اكتشاف » الشعب المصري لسعد زغلول ، قال مثله عن « اكتشاف » الشعب الانكليزي لـ (تشرشل) ٠

نقول : اذا كان للشعب فضل في « الاكتشاف » فان للزعماء الحقيقيين فضلاً كبيراً في انهم استحقوا ان يكونوا أهلاً « للاكتشاف » وطلبة (للمكتشفين) ٠

وآخذ الزعماء المصريين ، بأنهم واجهوا الرأي العام من غير برنامج محدد ، وخص بالنقد منهم سعداً نفسه ، لأنه لم يكن له « الا برنامج ساذج يتلخص في شيئين : الاستقلال ، وحكم الشعب بواسطة الشعب » ٠

ونحن نوافق المؤلف في كثير من هذا الذي يشكو منه · ونزيد عليه فنقول : ان الشرق العربي بلاؤه بهؤلاء الزعماء ، وهم هم ضعفاً واستخذاء في كل قطر من الأقطار العربية · غير ان هذه التماثيل الجوفاء ، من الذي خلقها فسواها أصناماً ، ثم عبدها ، أليس هو الشعب نفسه ؟ !

أما ما أوخذ به سعد ، من ان برنامجه كان (ساذجاً) فلعل أكثر القائمين بالنهضات القومية يجعلون مناهجهم في مطلع دعواتهم ، مقتضبة موجزة ، تفادياً من القيل والقال ، والنقاش والجدال ، على عكس ما يفعله زعماء الأحزاب السياسية متى ألفوا احزابهم ودعوا اليها ·

والمؤلف يريد اتحاداً يعيد مصر العظمى الى حدودها التاريخية ، فيتبسط في الموضوع ، ويتوسع في الحدود تبسطاً وتوسعاً ، ما يحتملها اعصاب الساسة اليوم ، ولا تطمئن لها قلوبهم ··· وحبذا لو سمي هذا الاتحاد عربياً لا مصرياً ··· ان المؤمنين بقضيتهم ايماناً حقاً لا يهمهم اسمي هذا الاتحاد : مصرياً ، أم شامياً ، أم حجازياً ، أم يمنياً ، أم نجدياً (وهي الأقطار التي أدخلها المؤلف في حدود مصر العظمى) وانما يهمهم الاتحاد نفسه ؛ غير ان الناس ليسوا كلهم مؤمنين · والألفاظ لها قيمتها في نفوس أمثال هؤلاء الناس ، وهي تفتح مجالاً للوسواس الخناس ···

وبعد ان يؤلف المؤلف هذا الاتحاد من أقطار عربية بحتة ، وبعد ان ينقل عن ابراهيم باشا انه قال : « لست تركياً ، وقد قدمت الى مصر طفلاً ، ومنذ قدومي غيرت شمس مصر دمي فجعلتني عربياً » وينقل عنه بعد ذلك قوله « ··· اننا الآن ننتسب الى شعب انبل واكثر تنوراً · الى هذا الشعب العربي الذي سبق اوربة في الحضارة ، وزين تاريخه باقامة المدن الزاهرة والآثار الفخمة التي غطى بها وجه الأرض من جبال الأندلس الى وادي النيل بل الى حدود ايران » ·

نعم بعد ان يقول المؤلف ما قاله ، وبعد ان ينقل ما نقله ، عن مصر ، وعروبة مصر ، وأهداف مصر العربية ، وعن تعرب من يقيم بمصر ·

ثم بعد هذا كله ، وبعبارة أصح في ثنايا هذا كله ، يرفع صوته منكراً ما سماه بـ « الخرافة الأثيمة » التي تقول : « ان مصر قد ظلت منذ فجر التاريخ مستعمرة للشعوب التي غزتها ... » فيقول : ان مصر لم تكن للغازين مستعمرة بل كانت لهم مقبرة .

ويسرد في جملة ما يسرده على صحة ما يقول : « ... وقد ظلت مصر ولاية رومانية ست مئة وسبعين عاماً . انتهت بغزو العرب لمصر في عام ٦٤٠ ميلادية . فعاد المصريون يثبتون مناعتهم التاريخية ويفنون الغزاة الجدد في قوميتهم . اذ ظلت اللغة القبطية رغم الغزو العربي لغة الدواوين الى عهد خلافة الوليد بن عبد الملك . أي أنها ظلت كذلك خمسة وأربعين عاماً وتكررت ثورات المصريين في خلال حكم العرب فكان الخلفاء يحترمون ارادتهم وينفذونها »! .

ثم راح المؤلف يعدد هذه الثورات : ثورة ثورة .

ولعل في مثل هذا التردد : بين عروبة مصر ، واهدافها الكبرى ، وبين مقاومة مصر للعرب والعروبة ، تناقضاً بيناً لا يوفق بينه الا الرجوع الى التاريخ الحق . والتاريخ الحق : ان العرب اذا كانوا غزوا مصر ، كما غزاها غيرهم ، بل كما غزا كل شعب الأرض التي تديرها ؛ إذ يندر — ان لم نقل يستحيل — ان نجد شعباً متمدناً ولد في الوطن الذي هو فيه اليوم — فان العرب يوم فتحوا مصراً ، اتخذوها دار قرار لهم ، فأصبحوا اهلها كما أصبحت كل أرض للذين فتحوها فاستقروا بها . فليس بجائز ان يقاس العرب في مصر بالغزاة الطارئين ثم ينجلون . ولو أنا قلنا غير هذا لخالفنا الواقع ، ولناقض المؤلف رأيه الذي أبداه ، وأهدافه التي يرمي اليها من وراء تأليفه . ان العرب في مصر ، اما ان يعدوا بعد هذه المئات الطوال من السنين أهل البلاد ، أم لا ؟ فاذا كذبنا انفسنا والتاريخ وعددنا العرب في مصر طرّاء كسائر الغزاة ، فقد سقطت حجة المؤلف بأن مصر مقبرة الغزاة ، فمن ملك أرضاً الف وثلاث مئة سنة وتزيد ، ولا يزال يملكها وسيملكها باذن الله وقوة أبنائها العرب الى ما شاء الله ، فلا يقال ان هذه الأرض مقبرة

له . وان كان أهل مصر العرب قد أصبحوا أصحاب البلاد حقاً فلا يجوز ان يقول فيهم المؤلف ما قاله في غيرهم .

فاذا وافقنا المؤلف في ما قلناه فانا لنرجو أن يتداركه في طبعة جديدة ان شاء الله .

والأستاذ ينبه المصريين في كتابه لما بيّنه لهم الاستعمار . ويريدهم ان يعتمدوا على أنفسهم ، ويستشهد لهم بقول من قال : ان اعتماد الشعوب الضعيفة على المساعدة الخارجية في السياسة العملية ، ان هي إلاّ مقامرة .

ويحث المصريين على العمل في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، ونشر العلم ، ورفع مستوى السواد الأعظم من المصريين ، وهم صغار الملاك وصغار العمال ، ويشير الى الادارة الحكومية والى مواطن الخطأ والضعف فيها . ويدعو الى اصلاحها .

والكتاب صحيح اللغة واضح العبارة ؛ إلا هفوات قد لا يسلم منها كتاب .



ع . ن

سياسة الغد

برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي

وضعه الأستاذ مريت بطرس غالي

وهو يقع في مئة وسبعين صفحة ، جيد الطبع ، حسن الترتيب والتبويب ، أخرجته مطبعة الرسالة بمصر . ويدل هذا الكتاب على ما دل عليه الكتابان السابقان «الأداة الحكومية» و «العمل لمصر» من ان في مصر نهضة فكرية جديدة ، أخذ يشعر القائمون بها ، الداعون اليها ، ان الشرق العربي — وفي طليعته مصر — يجب ان يعدل عن أساليبه العتيقة ، وينتهج في الحياة منهجاً جديداً ، يتفق والعصر الحاضر ، ومتطلباته المتعاقبة والمتطورة .

وصف المؤلف الفاضل بكلمات موجزات حالة مصر — وهي حالتنا نحن العرب كافة — فقال : «شغل فكرنا جميعاً بعلامات الضعف في النظام السياسي والقومي ، ومظاهر التفكك الاقتصادي والاجتماعي . وشاهدنا في السنتين الأخيرتين على

الأخص اهتماماً عظيماً بشا كلنا الداخلية في جرائدنا ومجلاتنا ومحاضراتنا وفي حديث الناس عامة ، وترجع هذه الظاهرة الجديدة في حياتنا القومية — على ما أظن — الى انا أثر اكتساب حريتنا الوطنية انتقلنا الى عصر جديد في تاريخنا ، حتى بدأنا نشعر بأن مستقبلنا القومي أصبح الآن في أيدينا ، وليس لأحد سوانا ان ينظمه أو يكونه ، وقد غطت قضية الاستقلال خلال العشرين عاماً الماضية على شؤوننا الداخلية الى حد ما ... وكم كانت خيبتنا عظيمة حين عدنا من الشؤون الخارجية الى الشؤون الداخلية ، فوجدناها في منتهى الضعف والتقهقر » .

« وحالة مصر في الحقيقة لا تدعو الى الاطمئنان : فأمامنا اضطراب مستمر في الحياة القومية ، وازمة محققة في الآداب العامة ، ومشاكل اقتصادية واجتماعية قد تصل في القريب العاجل الى الحد الأقصى من الخطورة . وليست تلك العوامل بخافية على أحد »

« ... زد على ذلك ان عدم الاستقرار السياسي والاداري يجعل الوزارات التي تتوالى على كرامي الحكم غير قادرة على ان تعد برنامجاً للاصلاح والتقدم » الى أن يقول :

« واذا كانت سماء مصر ملبدة بغيوم الأخطار الخارجية والمصاعب الداخلية ، فجدير بنا ألا نرهب هذا ونخشاه ، ولنطمئن على كل حال الى ما في قلوب المصريين من عز وشهامة واخلاص في خدمة الوطن » .

انتهى المؤلف من هذا العرض والوصف ، الى برنامجه الاصلاحي : الشؤون السياسية والادارية ، وهي مباحث الباب الأول ، تناول فيها النظام النيابي ، وسوء استعمال الحكم النيابي ، وتكلم عن الادارة ، وعن الرأي العام ، وعن أعمال الحكومة والخطط العامة .

وفي الباب الثاني ، عالج المسائل الاقتصادية والاجتماعية ، وبحث عن الثروة الزراعية ، ومستوى المعيشة ، ونقص التغذية ، وانتشار الأمراض المتوطنة .

والباب الثالث جعل موضوعه الخطط الاقتصادية والاجتماعية ، وهذه هي الناحية العملية في الموضوع ، وهي أكثر ما تهمنا منه . غير ان هذه الخطط لا تخرج عن

انها أبحاث علمية قيمة ، ولكنها لا توصل الى الحل العملي الذي أصبح الناس في أكثر هذا الشرق العربي يرجونه ويتطلعون اليه .

لقد عُرف الداء ووُصف الدواء . فكان ماذا ؟

كان أن انقضت السنون على طبع هذا الكتاب ، ونشر ما فيه من الرأي الصواب الذي كان من حقه أن يحدث تطوراً اجتماعياً في الحياة السياسية المصرية ثم العربية . فلم يكن شيء من هذا ، وظللنا حيث كنا ؛ نؤلف الكتب وننشر الآراء ، وننظر الى جيل جديد لانعرف متى يجيء ، وما عسى أن يكون منه؟

ان الأنظار العلمية ، والاحصاءات ، والمقارنات والمقايسات شيء حسن لا بد منه ، ولكنه لا ينفذ من ذات نفسه ، الا اذا تقدم المخلص الجبار فأخذ الأمة بشدقيها يباعد بينهما ، ثم يفرغ الدواء في جوفها شاءت أم أبت . ولا نذهب بعيداً في التمثيل على رأينا بأن الاصلاح لا يقوم بالكتابة والخطابة وحدهما ، بل نستعير قول المؤلف نفسه : « ونشعر ونحن نسطر هذه العبارات انها ليست جديدة بل امتلأت بها أعمدة الجرائد السياسية ولا يزال يرددها الكتاب والخطباء حتى ابعد الناس عن التمسك بها والسير على مقتضاها » .

أما الباب الرابع فخصه المؤلف بالدفاع الوطني ، والباب الخامس بالشعور القومي ووسائل التربية ، وفي هذين البابين من المباحث القيمة ، والآراء السديدة ، ما يخلق بالجيل الحاضر أن يطلع عليه ، وبالجيل الناشئ أن يتدارسه .

فلهؤلاء المؤلفين الفاضلين الشكر على ما أتحفوا به الشعب المصري خاصة ، والأمة العربية عامة من هذه الكتب الممتعة .

ع . ن



تاريخ المشايخ اليازجيين وأصهارهم

تأليف عيسى اسكندر المعلوف

عضو المجامع العلمية في مصر ودمشق وبيروت والبرازيل

وضع الأستاذ المعلوف هذا التاريخ في كتيبين من القطع الصغير يقع كل

منها في ما يقرب من مئة وخمسين صفحة · اختصرهما من كتابه المطول (الغرر التاريخية في الأسرة اليازجية) وقد حرص المؤلف كل الحرص على أن يجمع في هذين الكتيبين ما اتصل به من قولة أو نكتة نسبت لأحد الذين ترجم لهم ، أو شعر أهمله قائله أو نسي أن يدونه مدونه ·

لذلك جاء في هذا الشعر ، ولا سيما ما نسب منه الى اليازجي الكبير الشيخ ناصيف ، الغث والسمين ، بل غلب فيه غثه سمينه ·

ونحن نشكر للمؤلف عنايته بوضع هذين الكتيبين تنويهاً بذكرى الأسرة اليازجية التي لها اليد البيضاء في خدمة اللغة العربية ·



ع · ن

وادي الفرات ومشروع سد الهندية

تأليف الدكتور احمد سوسة

طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٥ فجاء في ٣٤٣ صفحة من القطع المتوسط

هذا هو الجزء الثاني من كتاب « وادي الفرات » النفيس · فقد بحث المؤلف في الجزء الأول منه عن الفرات من منابعه الى بحيرة الحبانية · وبحث في هذا الجزء عن الفرات من الرمادي شمالاً الى سد الهندية جنوباً · وذكر ان الجزء الثالث سيشتمل على شؤون هذا النهر العظيم من سد الهندية الى شط العرب · أما الجزء الرابع فسيعالج مشروعات الاسقاء بمياه الفرات في المستقبل ·

ان من يقرأ الجزء الثاني من هذا الكتاب بإمعان يحكم بطول باع المؤلف في شؤون الاسقاء وهندسة المياه ، فهو قد قضى خمس عشرة سنة مهندساً للري في العراق فاستطاع ان يقتل هذه الموضوعات درساً ولذلك سد كتابه هذا فراغاً كبيراً في لغتنا الضادية ·

وقد تناول المؤلف بالبحث أهم الجداول التي تشتق من الفرات بين الرمادي وسد الهندية ، كجدول الصقلاوية (وكانت العرب تسميه نهر عيسى) وجدول ابي غريب

(وكان اسمه نهر صرصر) وجدول اليوسفية ، وجدول اللطيفية ، ثم ذكر مشروعات المهندس الشهير ولكوكس ، وتطورات مجرى الفرات في التاريخ ، وأنهى الكتاب بدراسة سد الهندية وما ينشأ عنه من الأنهار والجداول .

وفي الكتاب رسوم وصور وخارطات كثيرة . ولغته حسنة في الجملة ، لكن فيه مصطلحات لا نوافقه عليها ، منها قوله مثلاً سدة الهندية بدلاً من سد الهندية ، فالسد اسم يدل على المسناة ، أي ذلك الحاجز الذي يقام في وجه النهر اما لتخفيف سرعة مياهه ، واما لخزن تلك المياه . وليس السد هنا مما يجوز ان يصاغ منه مصدر على وزن فعلة للدلالة على المرة . ولم ترد السدة بالتاء بمعنى المسناة . ولم استسغ قوله « زمن الصيهود » ولو قال « زمن الضحل » لكان أصلح . والضحل رقة الماء في النهر والغدير وغيرهما . وهو أيضاً اسم يدل على الماء القليل ليس بذي عمق ج أضحال وضحال وضحول .

ومما وضعناه أو حققناه في « معجم الألفاظ الزراعية » من المصطلحات المتعلقة بالمياه : صَبيب بمعنى Débit وسِكْر بمعنى Vanne ومَشْبَرة بمعنى Emissaire وهي القناة الأساسية لصرف الماء ، والسَرَب (ج أسراب) بمعنى Collecteur وهو القناة التي تتلقى الماء من المصارف Drains وتسيلها الى المشبرة ، والقناة والترعة بمعنى Canal والسَرِيّة والفَلَج بمعنى Rigole ، والخليج والجَدْول بمعنى الكبير من الفُلْجان أي Rigole principale الخ . فمن الضروري أن تتوحد هذه المصطلحات وسائر المصطلحات العلمية في بلادنا العربية .

مصطفى الشهابي



الاصلاح الزراعي

طبع في مطبعة مصر وجاء في ٩٧ صفحة من القطع الصغير

هذا كتاب صغير في حجمه كبير في نفعه ، أصدره السيد مريت غالي من « جامعة النهضة القومية » في مصر ، وهم عصبة من رجال الاصلاح يتناولون في ابحاثهم نواحي شتى من مرافق الحياة المصرية ، ويعالجون طرائق اصلاحها في كتب يصدرونها على الناس منها هذا الكتاب الثمين .

والاصلاح الزراعي في مصر من أهم الموضوعات المتصلة بالمجتمع المصري . فأراضي مصر الزراعية قد ضاقت بسكانها ، وهي موزعة توزيعاً لا عدل فيه ، ذلك بأن الملكية الكبيرة تبلغ ٣٧ ٪ من مجموع الأرض الصالحة للزراعة ، أي ان ما ينيف على مليوني فدان مصري من تلك الأرض (وجملتها قرابة ستة ملايين فدان[1]) تتألف من أملاك كبيرة يملكها أفراد ليس عددهم بالكبير . أما الأملاك الصغيرة التي يملكها الفلاحون ولا يزيد واحدها على خمسة فدادين فمساحتها دون مليوني فدان .

وقد نشأ عن ازدياد سكان القطر ضرورة ملحة لاصلاح زراعي يتناول ملكية الأرض وايجارها والعمل فيها ، وهي الموضوعات الثلاثة التي عالجها المؤلف في كتابه .

ففي الموضوع الأول يرى تقييد الملكية الكبيرة بأن يكون الحد الأعلى لها مائة فدان مصري ، فلا يجوز للشخص الواحد ان يبتاع اكثر منها . وليس من رأي المؤلف ان تعمد الحكومة الى شراء الأملاك الكبيرة الحاضرة جبراً ، وبيعها من الفلاحين على أقساط (وهو ما تم في بعض البلاد الأوربية) ، بل من رأيه ان تُترك هذه الأملاك لأصحابها ، فتتلاشى مع الزمن بانتقالها الى الورثاء ، ما دام كل شخص يملك ملكاً كبيراً يكون بحكم القانون المقترَح غير قادر على تزييد مساحته بطريقة الفراغ أي الشراء .

ويرى المؤلف ان ثلاثة أفدنة مصرية تكفي لمعيشة فلاح وأسرته فتكون هذه المساحة حداً أدنى للملكية الصغيرة . ومن رأيه الغاء الأوقاف الذرية ، وحصر أملاك الدولة وأملاك الشركات العقارية الزراعية على ايجاد الملكية الصغيرة ، وإجمال القطع المجزأة على حسب الطريقة التي تتبعها مصلحة التأريف (المساحة) في ديار الشام . وجميع هذه الآراء حسنة وتطبيقها غير صعب على من عندهم مضاء في العزيمة .

أما ما نرى فيه صعوبة فهو رأيه في اتخاذ حد أعلى لأجرة الأرض وحد أدنى لأجرة العامل الزراعي . والصعوبة منبعثة من كون ازدياد السكان في مصر

(١) الفدان المصري أربعة دونمات نظامية وعشرون في المئة من الدونم أي (٤٢٠٠) متر مربع .

يفوق كثيراً ازدياد الأرض التي تجهز للفلاحة في ذلك القطر الشقيق . ولهذا لا بد في هذا الأمر ان يعمل قانون المزاحمة عمله او ان يبقى قسم من الفلاحين بلا عمل . ومهما يكن الدواء الذي ورد في ذلك الكتاب الثمين مفيداً وناجعاً وضرورياً فهو في نظرنا لا يحول دون حاجة الفلاح المصري في المستقبل الى مهجر يعمل فيه كالسودان المصري والعراق والجزيرة ، اللهم الا اذا تمكنت الحكومة المصرية من ايجاد ارض زراعية جديدة في القطر المصري نفسه .

وبعد انني انصح كل رجل يعنى بالشؤون الزراعية ان يقرأ هذا الكتاب النفيس .

م . ش

جغرافية شبه جزيرة العرب

تأليف السيد عمر رضا كحالة طبع في مطبعة الترقي بدمشق

سنة ١٣٦٤ — ١٩٤٥ ص ٥٩٧ (القطع الكبير)

اعتمد الأستاذ كحالة في تأليف كتابه على مصادر شرقية وغربية منها القديم ومنها الحديث فدلّ على سعة نفس ودؤوب محمود . وقد قام بواجب نحو قراء العربية فأخرج لهم كتاباً جامعاً شتات المعلومات المتفرقة عن الجزيرة توسع في النقل وقد يورد النصوص برمتها او يكثر من شرح اشياء في الحاشية ليست داخلة في الموضوع . وحبذا لو جرى قلم مؤلف هذه الجغرافية في كتابة مختصر لهذا الكتاب تحذف فيه الأسانيد أو اكثرها ويكتفي من النقول بما يتعلق بجغرافية الجزيرة مباشرة حتى يتناول الكتاب كل من يحب الانتفاع به في وقت قليل . وقد جوّد المؤلف في وضع فهارس لكتابه كفهرس البلدان والرجال والشعوب والقبائل والمذاهب والحكومات والكتب . فسهل بذلك على المراجعين فشكراً له على ما بذل من العناية بهذا التأليف الطريف .

محمد كرد علي

ديوان الغزي (مخطوط)

هو ابو اسحق ابراهيم بن عثمان الغزي الشاعر المجيد المتوفى سنة ٥٢٤ كان له في عصره شهرة ذائعة وصيت بعيد عرف أدباء تلك العصور مكانته واعترفوا بتفوقه وشهدوا ببراعته · وتناقلوا شعره في كثير من كتبهم واستشهد علماء البلاغة بالكثير من شعره ومعانيه البديعة وحسن صناعته الشعرية ·

وترجمه معاصروه واهل قرنه واثنوا عليه واول هؤلاء على مارأيته الامام الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ في تاريخه الكبير ، والامام الأديب ابوالبركات عبد الرحمن الأنباري في نزهة الألباء · والعماد الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧ في خريدته وتلا هؤلاء ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ فقد نقل شيئاً من شعره في معجم البلدان وابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ في تاريخه الكبير المعروف بالكامل · والحافظ محب الدين ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ في تاريخ بغداد وابن خلكان في وفيات الأعيان · وذكره من أهل القرن الثامن ابو الفدا في تاريخه المشهور والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية · ومن اهل القرن الحادي عشر ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب · والأديب محمد العرضي الحلبي في مجموعته الخطية ·

ثناء الأدباء عليه وعلى شعره واستشهادهم به

قال الأنباري في النزهة : واما ابواسحاق ابراهيم بن عثمان بن محمد الغزي فكان أحد الفضلاء ومن يضرب به المثل في صنعة الشعر ومحاسن شعره كثيرة فمنها قوله :

ان يكرهوا نظم القريض فعذرهم باد كحاشية الرداء المعلم
هم محرومون عن المناقب والعلا والشعر طيب لا يحل لمحرم

ومنهـا قوله :

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة[1] باب الدواعي والبواعث مغلق
لم يبق في الدنيا كريم يرتجى[2] منه النوال ولا مليح يعشق

(١) في ابن خلكان وفي ديوانه : قالوا هجرت الخ ·

(٢) في ديوانه وأماكن متعددة هكذا : خلت الديار فلا كريم يرتجى

ومن العجائب أنه لا يشترى ويخان فيه مع الكساد ويسرق

ثم قال : وكان ابو الفتح محمد بن محمد بن ابراهيم الطبري الأديب يقول غير مرة في المذاكرة اذا استحسن شيئاً من شعر نفسه · هذا يشبه شعر الغزي ·

وقال ابن خلكان في ترجمته : ذكره ابن النجار في تاريخ بغداد · وابن عساكر في تاريخ دمشق · والعماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه وقال انه جاب البلاد وتغرب واكثر النقل والحركات وتغلغل في اقطار خراسان وكرمان ولقي الناس ومدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية التي يقول فيها ولقد ابدع فيه :

حملنا من الأيام مالا نطيقه كما حمل العظم الكسير العصائبا

ومنها في قصر الليل وهو معنى لطيف :

وليل رجونا ان يدب عذاره فما اختط حتى صار بالفجر شائبا

ثم قال وله في القصائد والمطولات كل بديع · ومن شعره وهو مما يستملحه الأدباء ويستظرفونه قوله من جملة قصيدة :

اشارة منك تكفيني واحسن ما رد السلام غداة البين بالعنم
حتى اذا ضاع منها القرط من دهشٍ وانحل بالضم سلك العقد في الظلم
تبسمت فأضاء الليل فالتقطت حبات منتثر في ضوء منتظم

وقال ابو الفدا في حوادث سنة ٥٢٤ وفيها توفي ابراهيم بن عثمان الغزي · ومولده سنة ٤٤١ وهو من الشعراء المجيدين فمن قصائده المشهورة قصيدته التي مدح فيها الترك التي أولها :

أمط عن الدرر الزهر اليواقيتا واجعل لحج تلاقينا مواقيتا

ومنها : في فتية من جيوش الترك ماتركت للرعد كراتهم صوتاً ولا صيتا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة حسناً وان قوتلوا كانوا عفاريتا

وقال العماد الحنبلي في الشذرات في وفيات سنة ٥٢٤ وفيها ابو اسحاق الغزي ابراهيم بن عثمان شاعر العصر وحامل لواء القريض وشعره كثير قاله (الذهبي) في العبر · وقد اكثر الصلاح الصفدي من الاستشهاد بشعره في مواضع كثيرة

من شرحه للامية العجم . وجاء في آخر معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص للعلامة عبد الرحيم العباسي في شرح قوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهـذا دعاء للبرية . شامل

البيت من الطويل ونسب لأبي العلاء المعري ونسبه ابن فضل الله لأبي الطيب المتنبي ولم أره في ديوان واحد منهما والشاهد فيه حسن الانتهاء . اه

اقول البيت ليس لواحد من هذين . وهو لصاحبنا الغزي وهو موجود في ديوانه المخطوط الآتي ذكره . وهو آخر بيت من قصيدة يمدح بها مكرم بن العلاء مطلعها :

قلوب الورى اسرا كهن الشمائل وشهب العلا افلاكهن الفضائل

على ان العباسي نفسه انشد للغزي بعد اسطر من هذا الباب قوله :

بقيت بقاء الدهر ما ذر شارق وغار جديد المكرمات والمجدا

ديوانه

في رحلتي الى اللاذقية من نحو ١٥ عاماً زرت نقيب اشرافها الفاضل الشيخ محمد محاسن الأزهري قاضي الموصل قديماً فمن جملة ما وجدته في مكتبته القيمة نسخة مخطوطة من معجم البلدن لياقوت . ونسخة مخطوطة من ديوان ابي اسحاق الغزي وقيدت ذلك عندي . ومنذ ثلاث سنوات حضر أحد انجاله الى حلب فأعربت له عن رغبتي في استنساخ هذا الديوان . فذكر ذلك لوالده فكان المنعم المتفضل بإعارته وارساله مع ولده . وقد كتب قديماً على ظاهره بخطه الحسن . استنسخه الفقير محمد بن خالد بن خليل الأزهري الحسيني اللاذقي النائب في مركز ولاية الموصل عفا الله تعالى عنهم في ٢٢ محرم سنة ١٣١٨ . وتحت ذلك بخطه ما نصه :

استنسخ ولم يقابل على الأصل لما فيه من التحريف والتصحيف . فعلى هذا النسخة محررة في الموصل عن نسخة هناك . ويظهر انها منقولة عن النسخة التي هي في مكتبة امين بك بن ايوب بك الجليلي وهي مكتبة خاصة ذكرها الدكتور

الفاضل داود الچلبي في كتابه مخطوطات الموصل وقال ان من جملتها ديوان ابي اسحق الغزي (تام محرر سنة ٩٩٤) ولم يذكر غيرها في مكتبات الموصل .

اشتغالي بهذا الديوان

رتبت هذا الديوان على حروف الأبجدية ثم كلفت ناسخًا باستنساخه على مقتضى ترتيبي له على ما فيه من تحريف وتصحيف والقصد من ذلك ان تسهل علي مقابلة ما اجده من شعره في ترجمته المذكورة في تواريخ متعددة وما اعثر عليه في كتب الأدب كشرح الصلاح الصفدي للامية العجم فقد أكثر فيه من شعره وكمجموعة مخطوطة عندي مخرومة الأول والآخر للأديب الشيخ محمد العرضي الحلبي فقد ذكر له سبع صحائف .

على ان الغزي وان كان قد تنوسي في القرون الأخيرة فقد تنبه له في عصرنا هذا فاضلان جليلان الأول الشاعر الكبير السيد محمود سامي باشا البارودي المتوفى سنة ١٣٢٢ ه فانه ذكر صاحبنا في مختاراته التي جمع فيها ما اختاره من شعر ثلاثين شاعراً من فحول الشعراء سردهم في خطبة كتابه . ذكر له في الجزء الأول في باب الأدب ١٢٥ بيتًا وفي الجزء الثالث في باب المديح ٧٨٥ بيتاً وفي الجزء الرابع ١٠٥ المجموع ١٠١٥ بيتاً .

الثاني صديقنا وزميلنا الفاضل الأديب الشيخ بهجة الأثري البغدادي فقد كتب عنه مقالةً ضافية في مجلة الزهراء المصرية (ج ٤ م ٣) ربيع الثاني سنة ١٣٤٥ أي منذ تسعة عشر عامًا . قال في مطلعها منذ ثلاثة أعوام تقريبًا اطلعت على ديوان صغير لهذا الشاعر فراقني شعره وعلقت منه في ذهني أبيات رقيقة لم يكد يمحوها من صحيفة ذاكرتي كر الغداة ومر العشي فكانت سببًا لاثارة البحث عن قائلها ونشر صحيفته بعد ان طوتها يد الدهر منذ أزمان . ثم بعد ترجمته التي نقلها عن ابن الأثير في كامله وعن ابن خلكان قال : اما نسخة الديوان التي بيدنا فهي سقيمة الخط كثيرة الغلط ولعل عمرها لم يبلغ قرناً واحداً . وهنا علق صديقنا الأديب الجليل السيد محب الدين الخطيب على هذه العبارة ما خلاصته : ونحن لاعجابنا بهذا المقال واهتمامنا بهذا الموضوع بحثنا عن ديوان الغزي في القاهرة فوجدنا نسخة منه في خزانة علامتنا الجليل الأستاذ احمد تيمور باشا والنسخة كتبت سنة ١٢٧٦ ه . وصفحاتها ٢٢٣ واسطر الصحيفة ٢٥

ثم ذكر السيد الأثري خطبة النسخة البغدادية للناظم وقد جاء في آخرها : وقد جمعت له مما قلت فيه وفي غيره الف بيت . وكذلك يقول لنا ابن خلكان : وله ديوان شعر اختاره لنفسه وذكر في خطبته انه الف بيت . والنسخة المصرية كما ترى تبلغ ٥٥٠٠ بيت . وقد جاء في خطبة النسخة التي نقلنا عنها نسختنا . وقد جمعت له مما قلت فيه وفي غيره نبذة خمسة آلاف بيت الخ وهي في ١٦٥ صحيفة كل صحيفة ٣٣ سطراً فيكون المجموع نحو ٥٥٠٠ بيت كالنسخة المصرية . فعلى هذا تكون كلمة خمسة قد سقطت من تاريخ ابن خلكان ومن النسخة البغدادية .

على ان السيد الأثري قال . وقد جد بنا الحرص على احصاء ابيات نسختنا فاذا هي تنيف على (١٢٥٠) بيتاً اه ولعل الناظم او غيره اقتضب من الديوان هذا المقدار وعلى هذه النسخة اطلع ابن خلكان وغيره وذكر ان ديوانه في الف بيت ان لم تكن كلمة خمسة قد سقطت من تاريخه . والنسخة الموصلية التي هي أم نسخة اللاذقية . والنسخة المصرية اتفقتا على ان ديوانه ازيد من خمسة آلاف بيت . ثم أورد السيد الأثري في مقالته سبع صحائف من شعره . ثم قال وفي الجملة فان جل هذا الديوان ان لم أقل كله درر وغرر تشهد للغزي بالبراعة في الصناعة ولو لم يكن فيه سوى ماأزجيناه بين يديك من المقاطيع السحرية والأبيات السائرة لكفى .

فما في هذه المقالة من شعره وما في مجموعة الأديب العرضي الحلبي وما في مختارات البارودي وما في ترجمته في عدة مواضع وما في شرح لامية العجم وما في المعجم لياقوت كل ذلك قابلته على النسخة التي استنسختها وصححته بقدر الامكان وذلك يقرب من نحو نصف الديوان . ووجدت له فيما تقدم احدى وثلاثين بيتاً لا وجود لها في نسختنا فأثبتها في الآخر مع العزو الى الكتاب الذي وجدت فيه .

وفي دار الكتب المصرية نسخة تحت رقم (١٢٢) في قسم الأدب بقطع الربع في (١٢١) ورقة بخط معتدل الى الجودة أقرب وعلى حواشيه تفسيرات وتوضيحات تفيد أن قارئه أو مالكه كان على علم باللغة والشعر . وخط الديوان واحد من أوله الى آخره بخط عمر بن محمد مشعل العلوي فرغ منه سنة ١٠٩٩

ولاعادة النظر فيما صححناه ولتصحيح الباقي نحتاج الى النسخة المصرية ليكون هذا الديوان صالحاً للنشر وليستفاد من غرره ودرره .

(حلب) محمد راغب الطباخ

آراء وأنباء

انتخاب عضو عامل

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٦ الدكتور حسني سبح رئيس الجامعة السورية عضواً عاملاً في المجمع مكان المرحوم الأستاذ أديب التقي . وقد صدر بذلك مرسوم جمهوري رقم ٨١ مؤرخ في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٤٦



القنبرة فارسية الأصل

قرأت في مجلة المجمع العلمي العربي في مجلدها العشرين ص ٣١٠ و ٤٠٧ مقالة للعلامة عبد القادر المغربي عنوانها (قنبرة ؟ قنبلة ؟) قصد فيها البحث عن منشأ هاتين الكلمتين وانتهى في بحثه الى انها فرنسية الأصل من كانوبور محرفة ومقلوبة من بور وكانون Bourre de canon حسب الاضافة التركية فأردت أن أبين منشأ كلمة قنبلة أو قنبرة الحقيقي ، موقناً ان الأستاذ لا بد أن يسر بالأبحاث التي تؤدي الى الحقائق اللغوية وان جاءت مخالفة لرأيه . وخاصة بعد أن أظهر في مقالته انه غير متأكد مما ذهب اليه ، فقد قال في ص ٣١١ : « فالقنبلة اذن سيبقى اسمها على جهالة أصلها وغموض نسبها متمكناً في السنتنا . الخ » وقال في ص ٤١٥ : « ذلك ان نبقى متمسكين به [بما ذهب اليه] ما دمنا لم نجد قولاً أقوى ، ونقلاً أرضى . حتى اذا وجدناه جنحنا اليه وعولنا عليه » .

فأبادر الى القول ان اصل خمبرة وخنبرة وقومبارة وقمبرة وقنبرة وقنبلة هو (خمبارة) الفارسية . وهذه مركبة من كلمتين : (خُم) بضم الخاء المعجمة واسكان الميم ، (وبارة) . فمن معاني خم الحب وهو الزير والخابية . وكلمة حب نفسها محرفة من خم ، أو من كلمة (خُمب) بضم الخاء واسكان الميم والباء وهو الزير

الكبير ، والدن ؛ أخذها العراقيون من الفرس بحكم المخالطة والجوار وحرفوها الى حب . ومن معاني خم أيضاً نقّارة كبيرة من شَبَه كانوا يضربونها في الحروب . وأما بارة فمن معانيها السور وجدار القلعة . فيكون معنى خمبارة حب السور ، أو قل نقارة السور ، سموها بهذا الاسم تشبيهاً بالحب أو بالنقارة لأنهـا مجوفة وأضافوها الى السور لأنها ترمى من على الأسوار الدفاع عن القلاع والمدن أو تضرب بها الأسوار والقلاع لهدمها . او لأنها عند انفلاقها يسمع منها صوت كصوت النقارة الكبيرة عند ضربها . وأرجح أنها مأخوذة من المعنى الأول أي من معنى الحب . وظهر لي ان الفرس أنفسهم خففوا كلة خمبارة فقالوا (خمبرة) وأرادوا بها الزير الصغير وقذيفة المدفع هذه المجوفة هكذا وجدت في الترجمة التركية للمعجم الفارسي المسمى (برهان قاطع) . ولا أرى حاجَة الى بيان انتقال كلة الخمبارة الى ان صارت قنبلة فهو مفهوم من كلام الأستاذ نفسه . وأقرب الكلمات الى الأصل الخمبرة .

كانت الخمبرة تصنع من حديد ويملأ جوفها من فوهة فيها بالبارود وبقطع حديد وكرات صغيرة من الحجارة وما أشبه ، وكانت توضع لها فتيلة وتقذف بمدفع هاون . وكانت الغاية من استعمالها السحق والهدم بجرمها ونشر مرميات كثيرة عند انفجارها واحداث الحريق من اشتعال بارودها . ولذلك ورد في كلام الأمير حيدر الشهابي الذي نقله الأستاذ المغربي قوله : « وقد ضرب من عكا قنبرة وقعت ثلاث عشرة كلة » .

وأما الكلة فكانت كرة مصمتة ، وكانت تصنع من الحجارة ، ثم صنعت من حديد أيضاً . وكانت تقذف بمدفع أملس الداخل والغاية منها الهدم فقط . حتى اذا ما اخترعت المدافع المحززة الداخل بطل استعمالها .

نرى في كلام حيدر الشهابي قوله : « وصارت القنابر والكلل تتساقط على القلعة مثل المطر » وقوله : « في ليلة واحدة انجاب اثني عشر الف قطعة من كلل وقنابر » وقوله : « وجد ابراهيم باشا في يافا كلل ٧٠٠٠ ، قنابر ٢٠٠ » ومثله قول

الخواجا نيقولا الترك : « الكلل والقنابر » و « اندفقت عليهم الكلل والقنابر » .
فلو كانت الكلة والقنبرة شيئاً واحداً لاكتفى هذان المؤرخان بأحد الاسمين .
فكان على الباحث التفريق بينهما .

وعلى ذكر الكلل اقول جاء في مقالة الأستاذ أنه يرى ان اسم كلة أتى من مشابهتها الكلة التي تلعب بها الصبيان ، وان بعضهم يراها مأخوذة من كله المخففة من كلاه وقال آخر انها محرفة من كلمة كرة العربية . أقول ان كلمة كلة ، سواء فيها الكرة الصغيرة التي يلعب بها الصبيان وقذيفة المدفع المصمتة ، هي من (جُلّة) الفارسية بضم الجيم وتشديد اللام وفتحه واظهار الهاء ، ومعناها كرة . ومنها الجلاهق . وكأنها جمع جلة . جاء في القاموس : الجلاهق كعلابط البندق الذي يرمى به وأصله بالفارسية جلة وهي كبة غزل . اه . وأنا لا أشك في أن كرة ، التي نظنها عربية ، هي أيضاً محرفة ومعربة من جله .

أما كلة المدفع فيقابلها بالفرنسية boulet ، وأما boule فتطلق على كل جسم كري . والخمبرة هي الـ bombe . وأما القذيفة فيقابلها projectile وتطلق على كل ما يقذف ، سواء أقذف باليد أم بالمقلاع أم بالقوس أم بالبندقية أم بالمدفع أم بالرشاش أم بغيرها . فيجب تخصيص اسم لكل نوع من القذائف على حدة .

والطلقة أو الاطلاقة يقابلها coup ، و bourre هي الدكة .

ذكر الأستاذ انه لم يجد كلمة قنبلة في المعاجم الفارسية . هذا شيء طبيعي ، لأن قنبلة ليست فارسية ولو أنها فارسية الأصل . فلو فتش عن كلمة خمبارة أو خمبرة لوجدها .

وقال انه سأل أحد أفاضل الايرانيين هل كلمة قنبلة فارسية ، فاجاب كلا ليست فارسية . حقّ للايراني ان يجيب بالنفي على هذا السؤال . لكن لو كان سأله : ماذا تسمون بالفارسية قذيفة المدفع المجوفة القديمة التي كانت تصنع من حديد وتحشى بالبارود وقطع الحديد وصغار الكرات ؟ لأجاب : خمبرة .

الموصل الدكتور داود الجلبي

كل ما استفدناه من كلام الدكتور الفاضل أنه أعرب عن رأيه الشخصي في ان كلمة (خمبرة) فارسية وانّ أصلها (خمبارة) : (خم) بمعني خابية و (بارة) بمعنى سور القلعة · فالخمبرة معناها خابية السور · وقد أطلقها الايرانيون على قذيفة المدفع · واتفق لي ان اجتمعت بالدكتور حشمت معين الإيراني فسألته عن فارسية خمبرة : فقال إننا معشر الايرانيين نستعملها منذ نحو قرنين في الشعر والنثر ولا نعلم من أية لغة جاءتنا ولا ما هو أصلها بالتحقيق فكان يحسن بالدكتور الچلبي أن ينقل الينا رأي علماء ايران في هذه الكلمة ولا يكتفي بقوله سموها · وما نقله عن (برهان قاطع) إنما أفادنا ان (خمبرة) تطلق على الزير الصغير وعلى قذيفة المدفع وقد سكت عن بيان أصلها · ولقائل ان يقول إن سكوته يشعر بأنها فارسية ما دام معجمه انما وضع لتدوين الكلمات الفارسية · ونردّ هذا بأن شمس الدين سامي ذكر في معجمه كلمة (خمبرة) ولم يشر الى أنها فارسية برمز (فا) ولا عربية برمز (ع) فدل على أنها تركية لأن معجمه إنما دوّن فيه الكلمات التركية · وربما ذكرت المعاجم العربية أيضاً كلمة (قنبرة) التي هي أخت (خمبرة) وفسرتها بقذيفة المدفع ولم تشر الى أصلها بل ان بعض كتاب العرب يدعي بأن قنبلة عربية مأخوذة من معنى جماعة الخيل · وان قنبرة عربية أيضاً مأخوذة من اسم الطائر · فاللغات الثلاث إذن تدعيها باديءَ بدء · واذا حققت مع أربابها طالباً الدليل على قولهم انتهى الجدل مع كل منهم الى أنهم يعدّونها بين الفاظ لغتهم لكونها دخيلةً مستعملةً في منثورهم ومنظومهم · أما أصلها فلم يتصدّ له أحد على ما نعلم كما تصدينا نحن بتفصيل مسهب شرحنا فيه الظروف والمناسبات التاريخية التي نشأت في خلالها كلمات (قنبلة وقنبرة وخنبرة)

ويا ليت زميلنا الدكتور أشار الى كيفية نشوء (خمبرة) في لغة الفرس وتولدها على ألسنتهم وأسنة اقلامهم · وفي أي عصر نبتت · وعلى أية طريقة وقع التوليد فيها · وما هي الظروف التي جعلت علماء ايران يشتقون ويتجوّزون · وضباطهم وجنودهم يلفظون ويستعملون · مع ان الذين أخذنا عنهم القنابر وصنع القنابر ليسوا من الترك ولا الفرس ولا العرب · وقد حملوا الينا القنبلة أو (القنبرة) وحملوا معها اسمها بلغتهم فتلقفناه منهم · وأفرغه كل منا — ترك وعرب وفرس — في قوالب لغته · وجرس لهجته · وما ذكره الدكتور رأي من جملة الآراء في أصل (خمبرة وقنبرة) ليس هو بالقول الفصل · وإن دلّ على سعة العلم والفضل ·

المغربي

تعليقات على مقال (دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها)

أخذ الدكتور الفاضل أسعد طلس بنشر مقاله الممتع « دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها » الذي أشبعه بحثاً وتدقيقاً في مجلة المجمع العلمي العربي وقد اجاد وافاد وقد وقعت أثناء مطالعتي على بعض أمور تحتاج الى التعليق على هذا المبحث النفيس فجئت بهذه الملاحظات خدمةً للعلم والأدب وإتماماً للعمل الجليل الذي قام به فأقول :

١ — خزانة الكتب التي بضاحية سلوان

جاء في المجلة (م ٢ ص ٢٣٩) ان في ضاحية سلوان خزانة غنية يربو عدد كتبها على أربعة آلاف قد يكون بينها مخطوطات قيمة وان صاحب تلك الخزانة هو الشيخ محمود اللحام ٠

ويظهر ان الدكتور الذي لم تُتح له زيارة الخزانة ولا الاطلاع على كتبها اعتمد رواية بعض الذين أخطأوا في تحقيق اسم صاحب الخزانة فنقلها كما تلقاها عنهم ولا لوم عليه ولا تثريب في ذلك ٠ اما الخزانة فهي للشيخ محمد جمعة النجار واعظ السجن المركزي في بيت المقدس وقراها وهي تشتمل على المقدار المذكور الا انها تقتصر على الكتب المطبوعة وليس فيها شيء من المخطوطات كما ذكر لي صاحبها ذلك ٠

٢ — دار كتب المسجد الأقصى وربعة سلطان المغرب

وصف الدكتور الربعة الشريفة التي كان خطّها بيمينه علي بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المرّيني ملك المغرب سنة ٧٤٥ في ثلاثين جزءاً ويظهر ان الدكتور لم يطلع على أن خمسة أجزاء من هذه الربعة المكتوبة في الرّق قد فُقد فوضع مكانها خمسة أجزاء كتبت في ورق صقيل بالحروف المغربية كأصلها وكان فقدها قبل ١٤٥ سنة تقريباً كما أن جزءاً من الأجزاء الأصلية قد سُرق من المسجد الأقصى في السنين الأخيرة وأخرج من فلسطين وقد ذهبت مساعي المجلس الاسلامي الأعلى وحكومة فلسطين في سبيل استرداده عبثاً في فلسطين ومصر ٠

وهذه الربعة كان مدادها الذي كُتبت فيه من فتيت المسك ودهن الورد وربما أضيف اليها أحياناً الزعفران الشعري وهي ثالثة ثلاث ربعات شريفة كتبها ذلك

الملك أولاها لبيت الله الحرام وثانيتها لمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام والثالثة للمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ·

وقد وصفتُ هذه الربعة قبل سرقة الجزء الآخر في مجلة الفتح في المجلد الخامس (ص ٥٩٠ و ٥٩ ومن ص ٦٠٥ الى ص ٦٠٧) وأتيت في هاتين المقالتين على اعيان الوقف التي وقفها الملك على قراءة ربعته الشريفة في المسجد الأقصى واستطردت الى انّ الربعتين اللتين كتبتا برسم مكة والمدينة لم نعلم عن وجودهما فيهما ·

٣ — صاحب مختار الصحاح

ذكر الدكتور في (م ٢٠ ص ٣٤٧) كتاب جامع الأُصول لأحاديث الرسول من مخطوطات دار الكتب الخالدية وقال عنه انه كتب على هامش الجزء التاسع منه ان محمد بن أبي بكر الرازي صاحب مختار الصحاح المتوفى سنة ٧٢٠ (كذا) قد قرأه على الصدر القونوي المتوفى سنة ٦٧٣ وكانت قراءته عليه سنة ٦٦٦ ·

ان صاحب كشف الظنون عندما تطرّق الى ذكر مختار الصحاح قال ان صاحبه توفي بعد سنة ٧٦٠ وأظنّ ان الدكتور كتبها كذلك سنة ٧٦٠ الا ان منضد الحروف أخطأ فجعلها ٧٢٠ كما تقدم وحصل ذلك الخطأ · الا ان تاريخ وفاة صاحب مختار الصحاح كانت بعد سنة ٦٦٦ التي قرأ كتابه على الصدر القونوي فيها وقد تكون امتدّت حياته الى ما بعد سنة ٦٩١ حيث ألّف كتاب روضة الفصاحة برسم السلطان المنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان الأرتقي الذي ارتقى عرش آبائه في ملك ماردين سنة ٦٩١ اذ لا يُعقل ان يقرأ كتابه على الصدر القونوي ثم يعيش الى سنة ٧٦٠ وقد كنتُ كتبتُ مقالة مسهبة عن صاحب مختار الصحاح في مجلة المجمع « م ٨ من ص ٦٤٦ الى ٦٦٥ »

٤ — ابن الهائم

ذكر الدكتور ان كتاب « تعاليق على الخصائص النبوية » في الخالدية أيضاً هو من تأليف ابي العباس الشهاب احمد بن محمد بن الهائم الحاسب الفرضي (م ٢٠ ص ٣٤٧) « هذا المؤلف دفين بيت المقدس الذي كان اختار الاقامة فيه في أواخر ايام حياته

وهو يرقد في مقبرة مأمن الله التي تضمّ المئات من عظماء المسلمين وعلمائهم بالقرب من مغارة شهداء الحروب الصليبية وعدّتهم سبعون الفاً وبهذه المناسبة أُشير الى ان نسخة مخطوطة من كتاب « المناسخة في عمل الشبّاك » الذي اخترعه واستخرجه في علم الفرائض في خزانة كتبي . ويرجح ان هذين المخطوطين ألفهما ابن الهائم في جوار المسجد الأقصى حيث كان يقيم في دار هداية الله .

٥ — ابن زوج ابي عذيبة

قال الدكتور ان كتاب قصص الأنبياء لأحمد بن محمد بن عمر المقدسي الشافعي من مخطوطات دار الكتب الخالدية كتب على صدره أن احمد هذا شُهر بابن أبي عدسة ومع ان عبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين الحنبلي مؤرخ القدس والخليل يقول عنه ابن زوجة أبي عُذيبة فان زميلنا الأستاذ كاظم الدجيلي قال عنه ابن أبي عدسة في مجلة الهلال (م ٢٨ ص ٦١٧) بصدد نسخة التاريخ المطول المحفوظ في مكتبة آل جميل ببغداد أقول ان زميلنا الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ذكره ايضاً باسم ابن ابي عدسة نقلاً عما جاء في النسخة المحفوظة في مكتبة آل الحسيبي بدمشق (م ٢٨ ص ٩٢٦ من مجلة الهلال نفسها) .

وقد كنتُ علقت على المقالين المذكورين في مجلة الهلال ايضاً (م ٣٠ ص ٨٦٢) مايلي:

« قصص الأنبياء عليهم السلام في مجلد ضخم كتب بأوله : « جمع كاتبه الفقير الى الله تعالى احمد بن محمد القدسي الشافعي الشهير بابن أبي عدسة » ولكنه استوقف نظري ان المداد الذي كتب به آخر الكلمة الأخيرة كان يظهر عليه الحدوث بالنسبة الى الكلمات الأُولى التي يغلب عليها القدم فاشتبهت في الأمر وقرأت ما كتب بآخر الكتاب فاذا هو كما يأتي بالحرف :

« انتهى على يد مؤلفه الفقير الى رحمة ربه القدير احمد بن محمد بن عمر القدسي الشافعي الشهير بابن ابي عدسه (بدون نقط) لطف الله تعالى به آمين آمين آمين والحمد لله ربّ العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

ولشدّ ما كان دهشي عندما أنعمت النظر فوجدت انّ الكلمة التي بدون إعجام قد أزيلت نقطها بآلة حادة كالموسى لم يترك لها الا فتحة على الحرف الذي

قبل الهاء مما يبعث على الظن ان الكلمة عدينة أو عذيبة أو ما شئت غير عدسة » .

وذكرت في هذا التعليق انني وقعت في الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل لعبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين الحنبلي على ما اطلع عليه الدكتور طلس من النسبة الصحيحة .

ولعل السبب الذي حمل من صحح النسبة من الناس على ذلك العمل هو ما أورده صاحب الأنس الجليل من ان المؤلف أورد في تاريخه المطول والآخر المختصر اشياء فاحشة من ثلب اعراض الناس فأعدمه بعض المطلعين عليه ضناً بكرامات من تناولهم المؤلف بالطعن والتشنيع . ويقول صاحب الأنس ان التاريخ المطول لم يظهر بعد وفاته كما ان التاريخ المختصر لم يبق منه إلا بعض كراريس متفرقة .

٦ — محمد بن فخر الاسلام الخيري

أورد الدكتور طلس بين مخطوطات دار الكتب الخالدية (المجمع م ٢١ ص ٥٤) رسالة « الشهاب القابس في البيع والكنائس » لمحمد بن فخر الاسلام الخيري المكتوبة سنة ١٠٨٢ وقال انه لم يهتد الى مؤلفها .

أقول ان محمداً المذكور كان امام قبة الصخرة المشرفة في المسجد الأقصى . وله رسالة أخرى سماها « سؤال وجواب عن بيت المقدس » أتم تأليفها في أواخر جمادى الأولى سنة ١٠٨٢ . وهذه الرسالة في عداد المجموعة السابعة والأربعين من مجاميع الخالدية . وقد نسخها محمد فتح الله الديري في ١٤ شعبان سنة ١٠٩٠

اما موضوع هذه الرسالة فهو سقف المكان الواقع بقرية بيت لحم والذي بداخله المغارة التي يقال ان بها مولد سيدنا عيسى عليه السلام واعادة بنائه بالخشب والرصاص كما كان في السابق وترميم بعض حوائطه وانه يحرم التعرض للنصارى في ذلك .

ونسبة محمد الى الخيري تدل على انه ابن خير الدين الرملي الشهير المتوفى سنة ١٠٨١ وهو من مفاخر الاسلام حقاً .

وبعد فانني أشكر للدكتور اهتمامه وجهوده في بحث خزائن الكتب الفلسطينية وأخصه بالشكر على حسن ظنه بهذا العاجز مما يدل على طيب أرومة وحسن خلق وجزاه الله عن العلم خير الجزاء .

عبد الله مخلص

السعنينة والفند

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

والسباسب يوم السعانين عند النصارى والعامة تلفظها « الشعانين» والسباسب جمع سبسب بمعنى المفازة ولليهود عيد المظال يخرجون به الى البراري فينصبون فيها مظال ·
والسعانين جمع سعنينة وهي الزفن أو مطلق المظلة وما زال المسيحيون يقرنون يوم السباسب بالمطر ومن أمثالهم الشائعة « السعنينة دون مطر كالعروس دون جلوة » ·

وكانت السعانين عند النصارى سعفاً من النخيل يحتفلون بها تذكاراً لدخول المسيح الى بيت المقدس قبيل الفصح عندما استقبلته الجماهير بسعف النخيل ثم تطورت بانتشار المسيحية فاتخذت الرياحين وأغصان مختلف الأشجار عند فقدان النخيل ولكن سعف النخيل ما تزال واجبة اذا وجدت ولعل أبرز أشكالها أيام النابغة الرياحين ·

وتفنن المسيحيون في صنع السعانين وما يزالون يتفننون وقد يجمعون بين النخيل والرياحين وأغصان الشجر وغيرها مما لايزال متعة للناظر المتأمل ·

ومن التقاليد المرعية عندهم ان السعانين تصنع شفاعة لحفظ حياة الأطفال والأولاد ولذلك كثيراً ما ينذر المسيحيون شمعات كبيرة تبلغ طول الطفل أو الولد يضمونها الى السعنينة وكثيراً ما تزيد على المتر طولاً ·

وإذا كانت السعنينة في أصلها غصناً أو فنناً أو فنداً وكلها بمعنى الغصن فمن المعقول المقنع أن تسمى الشمعة الكبيرة التي تضم الى السعنينة فنداً ·

أما استعمال أهل طرابلس للفند بمعنى الحزمة من الشمع فهو غير خاص بهم بل يستعمله عدد كبير من نصارى جبل لبنان « وهو ليس سهواً وقع فيه الأستاذ المغربي لبعد عهده فيه » فان من السعانين التي ما يزال النصارى يستعملونها الى اليوم ، نوعاً يزين بعدد من الشموع الصغيرة تحيط بالشمعة الكبيرة ، او توضع وحدها فكأن سعف النخيل تحولت فنوداً عند عدم وجودها وليس في كل بلدان النصارى نخيل فسميت السعنينة غصناً أو فنداً ثم قرنت بالشمعة الكبيرة يختلف طولها باختلاف الولد الذي تصنع باسمه فسميت الشمعة فنداً وزين بعض الشعانين بحزمة من الشموع فأطلق على هذه الحزمة فند الشمع ·

حنا نمر

فهرس الجزء الثالث والرابع من المجلد الحادي والعشرين

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء

مجلة المجمع العلمي العربي

أيار وحزيران سنة ١٩٤٦ جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٦٥

من عمل المجمعيين [1]

رأيت ألا ينفرط عقد هذا الحفل الكريم قبل أن أحدثكم حديثاً يهتم له من يحرص على سلامة العربية ويسر لانتشارها ووفائها بأغراض أمة متحضرة .

آتيكم بمثال مما يعمل أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، لا أقصد به الذود عن قصور قد ارتكبناه ، ولا أن أباهي بما تم على أيدينا . وما أشار اليه الأستاذ الرئيس ، والأستاذ أمين السر يجزئ في هذا الباب . وأريد أن أقرر فقط ان عمل المجمع لا ينتهي في عقود قليلة من السنين لأنه عمل شاق طويل . وكما يحتاج تحصيل العلم الى أعوام يقتضي للانتاج فيه أعواماً وأعواماً . وتجويد كل عمل موقوف على أمور كثيرة وقد يعرف صاحب العمل نواقصه اكثر من غيره .

المجالس في العادة تتناقش في المعاني ونحن معاشر المجمعيين أو اللغويين قضت علينا صناعتنا ان نقصر مناقشاتنا في الألفاظ والسعيد منا من يأتي بكلمات تستسيغها الأذواق جميعاً وتدخل في الكتب المدرسية من أيسر سبيل تصل الى عقول الناشئة ، وكل لفظ تسارع الصحف الى تبنيه يكتب له الرواج ، وعمل المجمع

(١) ألقيت في مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة في اليوم الرابع عشر من يناير ١٩٤٦ (١٠ صفر ١٣٦٥)

محدود المهمة في نحت الألفاظ ، وعليه ترك البناء للمهندسين والبنائين ، ولسان حال كل واحد منا « عليّ نحت القوافي من معادنها » فنحن اذاً نحاتون لا بناؤون نستخرج من الأنقاض أو المقالع ما يحسن استخدامه في البنية الجديدة ، أعاننا الله على ما نلقى من عنت وتعب .

لا ترون رصيفاً من رصفائي يداخله اليأس من الظفر بطَلِبَته مها شقت الشقة لبلوغ المقصود بل تشهدونه مغتبطاً مسروراً بما يرجو ان يقع عليه في مناجم اللغة وركازها . ونحن بعد ذلك اذا وفقنا الى تحقيق جزء صغير من أمانينا في بث الفصيح ونبذ العامي والأعجمي عددنا أنفسنا مخترعين ولكن لا من عيار مخترع الراديو والراديوم مثلاً .

فالواحد منا اذا تعلقت همته بايجاد كلمة تقابل الكلمة الافرنجية شائعة في لغات العلم على عهدنا ولم يوفق الى ايجادها يندب سوء حظه ويقف حيران « وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه » واذا عثر على لفظ ظنه موافقاً لغرضه في أداء المعنى الذي يريد ان يقابله بمثله يفرح ولا فرحة المحب بلقاء حبيبه وقد طال افتراقهما . وأجمل ساعات المجمع ساعة يتناقش فيها أعضاؤه في وضع كلمة ، ويعج بأصوات الموالين والمعارضين ، وكل واحد يتصدى للادلاء برأيه بما يستخرج من محفوظه من الألفاظ . ومع ما يلاقي المجمعيون من العناء في تحقيق غرضهم الشريف يعترض عليهم من يعرف ومن لا يعرف ويهزأ بعملهم كل من يبدو له أن يتسلى ، والكل يطالبونه بالكمال المطلق ، كأن أعمال المجامع كلها كملت ولم يبق منها ناقص الجهاز الا هذا المجمع الحديث .

ويح المجمع كم لقي من سخرية بعض الصحف التي ما تعففت عن أن تغمزه الفينة بعد الفينة لتضحك قراءها . وقديماً كانت المجامع العلمية موضوع دعابة لا يعذرها على بطئها في اخراج اعمالها الا الراسخون في العلم ممن صفت نفوسهم عن الأغراض وحُبِّب الانصاف اليهم .

وغفر الله لي بقدر ما دافعت عن المجمع في مصر والشام لتبرئته من التهمة التي ألصقوها به ظلماً ونسبوا اليه وضع لفظ « شاطر والمشطور والكامخ بينهما » لكلمة سندويتش . وأعترف أني ما تمكنت من اقناع متعنت لأن هذه الكلمة الملصقة بالمجمع هي عندهم من الأدلة على عدم معرفته أو على الأقل على قلة ذوقه . وما زالت التهمة بحالها حتى شهدتها تنسلّ من الصحف الى الكتب ، لتثبت دعواهم على عدم اضطلاع المجمع بما وسد اليه . وكل من أحب ان يتندر الينا يغمزنا غمزة خفيفة ليذكرنا حفظه الله بما ارتكبناه من اثم بوضع هذه اللفظة « الوحشة » والله يتوب على العاصي اذا اناب ، أما بعض الآدميين فقل ان يتسامحوا بهفوة يهفوها انسان وهم يتغاضون عن جماع حسناته .

وغير نكير أن بعض اللغويين قد لا يراعون المقام في استعمال الفاظ استظهروها يفرضونها على الناس فرضاً لا يراعون اعتبارات العصر . وأذكر ان احد علماء اللغة في لبنان (رحمه الله) أصدر في القرن الماضي جريدة زراعية اسبوعية حشاها بكل ما في معاجم اللغة من عويص الألفاظ وكنت يومئذ آخذ الأدب عن المشايخ فدفعت العدد الأول منها لأستاذي وكان اماماً في اللغة فقال لي هذه الجريدة لا تفهم بغير شرح فاشرحها لنا فصدعت بالأمر . واتفق ان كانت هوامش الجريدة متسعة فاستعنت بهـا على شرح الكلمات اللغوية حتى اصبحت صفحات تلك الصحيفة بمتنها وشرحها مثالاً من كتب الأزهر بين الصفراء اختلط رأسها بذنبها وامتزجت حواشيها الأربع بنصها وفصها . حقيقة ان محرر الجريدة الزراعية اثبت براعة فائقة في اللغة ولكن كم كان يا ترى عدد من فهموا من أهل اقليمه ما خطته يمينه وأملته قريحته .

وأذكر ان احد المشتغلين باللغة نقل عن الافرنجية كتاباً من كتب الأطفال أتى فيه بألفاظ الزمخشري وابن منظور والفيروزبادي . ولفتُّ نظره الى عقم طريقته في وضع الفاظ أمام أطفال لا يفهمها اكثر أساتذتهم فغضب . والغالب أن معظم اللغويين يحاولون لأول امرهم ان يسيروا على طريقة العلامة الشنقيطي

أجزل الله ثوابه في رصف شعره بما وعى من المفردات، ثقيلة كانت أم خفيفة، ساغت في ذوق سامعها وقارئها أم لم تسغ .

وأغرب من كل أولئك أن يرمى علماء اللغة بضعف العقل حتى لقد قال رنان : كان البحث في أصول اللغة ولا يزال عندنا سبباً من أسباب ضعف العقل حقيقة، وأرى أن من الحق بمكان عظيم ما قاله أحد مشاهير علماء الأمراض العقلية لعهدنا، ان الأسباب الثلاثة التي دعت الى جنون كثير من الناس وكانوا من قبل من أرباب المدارك، البحث في أصول اللغة والعشق والتعمق في اللاهوت (التيولوجيا) أجارنا الله وإياكم من كل ضعف ولا سيما ضعف العقل .

* * *

والآن ننتقل بكم الى الحديث اللغوي . في علمكم أيدكم الله أن الفساد عرض لألسنة العرب بعد الفتح بقليل لمجاورة العجم ومداخلتهم . وكان هذا الفساد يزيد وينقص بقدر بُعد العرب وقربهم من الجزيرة، وقد سلمت اللغة الفصحى في بعض الأرجاء الى ما بعد القرن السادس من الهجرة كما كان من شأن بعض قبائل اليمن لأنها كانت تعيش في أوديتها وجبالها بعيدة عن الأعاجم . واحتفظ أهل الشام بكثير من الفُصَح لانعزال بعض سكانها في أقاليم يكاد يكون الاتصال بينها معدوماً . وما كان الناس في القديم يرحلون كما نرحل ويسيحون كما نسيح اليوم بهذه الكثرة، ولا يتمازجون بجيرانهم وغير جيرانهم هذا التمازج، ورأينا الشام تكثر فيها الألفاظ السريانية كما تكثر الألفاظ النبطية والفارسية في العراق والقبطية في مصر . وبقيت في الشام ومصر والعراق والحجاز الفاظ ليست بقليلة أصلها رومي وتركي . وكانت الفاظ الزراعة والفلاحة في الشام سريانية والفاظ المدنية فارسية صقلتها الألسن فعاد أكثرها كأنه عربي الأصل ودخلت في معاجمنا وأصبحنا لا نعرف غيرها .

فمن الألفاظ النبطية او السريانية أي الأرامية الباقية في لهجة غوطة دمشق[1]

(١) راجع ما نشرته في المجلدين الثامن عشر والتاسع عشر من مجلة المجمع العلمي العربي تحت عنوان « الفصيح والمولد في كلام أهل الغوطة » .

« شتل الغراس » أي غرسها ومنها « المشتلة » اي المغرسة او المستنبت و « دالل الغراس » غرسها بعيداً بعضها عن بعض و « الدّليل » من الزروع ما كان بعضه بعيداً عن بعض ومنه « الشرش » الجذر ويقولون شرش أزال الشرش من الأرض « قلم الشجرة وقلّمها » قطعها و « شفّاها » قطع شفاها اي اطرافها « جمّ الكرم » قطع بعض أغصانه « شور » الشجرة ركم التراب حولها وفي الفصيح شوّر لوح بشيء وهي مستعملة عندهم أيضاً « عرّم التراب » كوّمه وكدّسه « الطربون » رأس الغصن أو القضيب المورق « كوّش الزرع » أو الحنطة جمعها « شكارة القمح » مقدار ما يزرع في قطعة أرض « تخ الخشب » او الحطب او تختخ يبس وجف وتهرأ « الساروط » الأخدود الذي تحدثه المياه في الأرض لشدة جريانها ولهم منه فعل فيقولون « سورطت » الأرض أي حدثت فيها أخاديد « جهجه الضوء » لاح « الشوب » الحر و « طرش الثوب » وسخه ·

وأخذوا من الفارسية الجادة والدهليز والدولاب والزبيل أو الزنبيل والسختيان والابريق والدورق والكاس والكشكول والقمقم والجام والفنجان والزنبرك والهاوون والبركار والصنج والدف والناي والكمنجة والبرواز والخرج والكمر « منطقة من الشعر » والهميان والتخت في الأصل وعاء تصان فيه الثياب وفي الاصطلاح مقعد كبير من الخشب والبشتختابة من بشتخته خزانة تجعل أمام القاعد لحفظ الأوراق والخاتون والخاقان والدرويش والاستاذ والبلور والياسمين والنسرين والنرجس والآذريون والشوندر والجلنار والخضراوات والريباس واللوبياء والكعك والطاجن والتازج يقولون تازة بحسب أصلها « الجلاب » ماء الورد ومنه كل آب لصنف من المشمش حرفوه فقالوا الكلابي والسميذ او السميد والخشكار الطحين الخشن والجوسق والميزاب والخنجر والصابون والاشنان والخلخال والخمار والزركش والسرداب والسراي — السرايا والداية القابلة والديدبان الحرس والغوغاء الجلبة وكثرة الأصوات والدرابزون والدبوس والسيخ والدردار والكراز والكراويا والسمانى والسنجاب والهزار والسندبان والسندان والغار والهليون والفهرست

والدستور والفرمان والخان معناها الدكان والحانوت والايوان والميدان والأنبار والآخور والكوخ والمسطاح والخردة والدستة ٠

وأخذوا من الرومية السمت والصراط والقرطاس والبطاقة والخارطة والاطلس والترمس والطرخون والأبرشية والابريز والاريكة والاساطير والاسطرلاب والاسطول والأسقف والماس والانبيق والاقيانوس والابقونة والبرج والفانوس والبطريرك والبلغم والترياق والجغرافية والدرهم والازميل والسفسطة والطقس والغرام والفندق والاقليم والكورة والقصدير والقيراط ٠

وفي اللغة الدارجة في مصر والشام كثير من الألفاظ اللاتينية والايطالية مثل اسكلة وانفلوانزا وبابور وبارجة وبالة وبالو وبَنْدِة وبترول وبرذون وبرطاش وبرميل وبرنيطة وبسبور وبطارية وبنادورة وبيرا وتياترو وليمونادة وجرنال وجندرمة ومالاريا وجنرال ودوطة ودينار ولوكندة ورصيد وسطل وصابون وطاولة وطلبة وفانورة ومسطرة وفاصوليا وورنيش وفسقية وقنطار وقرصان وقوماندان وكولونيل وكبسول وكربون وكرتون وكرنتينا وكروسة وكمبيالة وكبيو ومن التركية اسماء البقول والمآكل مثل البقدونس ودره اوتى (حشيشة الوادي) واسباناخ حرفوها بسبانخ والقاورمة اللحم المجفف والشاورمة اللحم المشوي بالنار والباصدرمة اللحم المجفف بالشمس والدندرمة المجمدة أو الجلاس ويابراق الورق وبورك ويخني وترلي واكمك قطايفي وامام بايلدي وخنة وجركس طاوغي « الديك الرومي » وشوال كيس ، بازار السوق والقشلاق من قشلق اي المشتى وكل اسم انتهى بخانة أوجى مثل جبخانة وكرخانة وخسته خانة ودوهجي وبازيجي وخانجي ٠

هذا مثال من الألفاظ الدخيلة أما الفصيح الباقي في الألسن على ما كان العرب يستعملونه فهو كثير وقد عرض لبعضه قليل من التحريف ٠ فمن فصيحهم قولهم في زجر الغنم وغيرها من البهائم إذا أبعدت وطردت حايْ حايْ وحايْ حايْ وحاين حاين ويقال هذا اذا دعيت وأريد قربها ودنوها ٠ وهكذا ينادون على غنمهم ومعيزهم وأبقارهم وحميرهم ٠ ويقولون أيضاً هس لزجر الغنم وهقط زجر

للفرس وتخ تخ زجر للدجاج وسق سق زجر للثور وعاي لزجر الخروف والغنم والنخ قولك للبعير أخ أخ ليبرك نخنخه فتنخنخ والقرمشة صوت الخبز المقمر وفي الأصل صوت الجوز وقرقرت الدجاجة صوتت ودن الذباب صوت وطن ونقت الضفدع والدندنة أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا تفهمه يقولون سمعته يدندن أي ينغم بحيث لا يفهم معناه · فلان ينود يرفع صوته بالشكوى من ناد ينود تحرك ومنه نودان اليهود في مدراسهم اي تحريك رؤوسهم وأكتافهم في بيت عبادتهم · وعندهم الزياط واللغط والخشخشة والحمحمة (صوت الفرس دون الصهيل) والنشنشة صوت المقلي والزقزقة والوقوقة والجعجعة والقرقرة (الضحك العالي حرفوها فقالوا كركرة) والبقبقة والغرغرة والولولة والزجرجة والخرخرة والوشوشة والثرثرة والفأفأة والتأتأة ·

ومن فصيحهم (البحرات) جمع بحرة وهي ما انخفض من الأرض وعندهم أرض تسمى البحرات (الحَسْيُ) سهل من الأرض يستنقع فيه الماء وعندهم مستنقع يسمى الحُسَيُّ (بالتصغير) ومنهم من يلفظه بالصاد (الحير) البستان أو مجتمع الماء والمكان المطمئن وكلها تصدق على أرض في الغوطة تجمع هذه الصفات [الزور] الأرض البعيدة من الأرض الزراعية والأجمة ذات الحلفاء والقصب والماء وهم يطلقونها على حرم نهر بردى ويضمون زايها كما يطلقها الحمويون على حرم نهر العاصي ·

ومن فصحهم (الضيعة) (القرية) (الغيضة) (الروضة) (المرج) (الجنينة) (الحاكورة) (الحرجة) بالتحريك مجتمع الشجر الملتف ج حرج وحراج يقولون حرش وأحراش · ومنه حرث الأرض وعمرها وخربشها وخرمشها وقلبها وكربها وحفرها وسحّاها وعزقها ونبشها ومهدها ·

ويقولون أنا محادُّه أي أرضي أو داري في حدود أرضه وداره · وفلان (لزيق ولزقي وبلزقي أي بجنبي) ومنه (القُلاَع) المدر يقتلع من الأرض يرمى بها (الكَدَرة) القلاعة الضخمة (الكذان) (البلاط) (الرخام) ومنه (العدان)

بالكسر والتشديد وهم يفتحون عينه ومعناه الزمان يطلقونه على اعطاء كل صاحب حق قسطه من الماء وعدنه تعديناً ٠

(أطعم الغصن) وصل به غصناً من غير شجره كطعّمه (هاف الزرع) ذبل وذوى (أسبل الزرع) (أفرك الحب) (أقمح السنبل) (الباحور) شدة الحر في في الصيف (الشمالة) الحزمة من الحنطة وهي طرية ٠ (اطعمت الشجرة) ادرك ثمرها (اصمغت) صار لها صمغ ٠ (نطف الحور) طلع من مكان آخر (النصبة) بفتح النون ما ينصب في الحقل من الغراس (السطمة) ما يغرس من عيدان الحور والصفصاف والخلاف ٠ وفي المراجع السطم (بضم السين والطاء) الأُصول ٠ (المَرُوشة) غرسة شجر الزيتون ولعلها من الامتراش اي الانتزاع والاختلاس لأنها تنزع من الشجرة الكبرى ٠

ومن أمثالهم الفصيحة (نأنأ في الأكل) أكل أكلاً ضعيفاً (دهبل) كبر اللقمة ليسابق في الأكل يحرفون هذا الفعل فيقولون دعبل (البرطمة) غضب مع عبوس فلان مبرطم مغيظ (لطئ بالأرض) لزق (خب في الأرض) خاض (لزه على العمل) حثه عليه (دحس الثوب) في الوعاء أدخله يلفظونه بالشين كما يقولون الفرشخة وهو ان يقعد الانسان ويفتح ما بين رجليه يلفظونها بالشين وفصيحها بالسين ٠ ويقولون (قلّعنا) يا فلان من هنا من قلعه حوله من موضعه اي هيا بنا ننزل مكاناً آخر (شاشت النفس) اضطربت كما يقال شاش البلد اضطرب (قب الجرح) اذا يبس وذهب ماؤه (قيّح الجرح) صار فيه القيح وهو الصديد ٠ (بط القرحة) شقها (خنخن في كلامه) اذا تكلم من خياشيمه فهو أخنّ ويقولون له خن (زنأ البول) احتقن (أحّ الرجل) سعل (قرقف) رُعِد من البرد (قف الشعر) قام من الفزع (قفقف من البرد) اذا انضم وارتعد (أصن) سكت فهو مصن (وَدّر) الرجل أوقعه في مهلكة يقولون ودّر هذه القطة أي ألقها في محل لا تعود منه (حبق) متاعه جمعه وحبق المال أيضاً جمعه (هَبّش) لعياله اكتسب (دغر عليه) هجم (طمس على مال فلان) استحله من

أطمس على أموالهم أهلكها وفلان مطموس القلب ميته وعندهم يطلق على الجاهل الذي لا يتعلم (الفصفصة) سعة الثوب والعيش يقولون خذ هذه الدراهم تتفصفص بها أي تتسع بها وتقضي حوائجك (رحرحة) الثوب اتساعه وثوب مرحرح (خششتُ فيه) دخلت فقولهم خش يا فلان عربية الأصل (غلغل في الحقول) دخل وفي الفصيح تغلغل أيضاً (فلان يهت على فلان) يعيره أو يمزق عرضه (فلان متعنفص) متصلف مزهو (الصقلب) شرك ينصبه ناصبه ليصرع من يريد صرعه من صقلبه صرعه. ويقولون أعطني قماشاً من (بابة) كذا أي من سعر كذا وهذا بابته أي يصلح له أو شرطه (قرط عليه الدراهم) اذا أعطاه منها قليلاً قليلاً أو حرمه (التجليط) الكذب من جلط (نوس) المصباح قلل من إضاءته (امرأة هطلى) كسلانة أخذوها من ناقة هطلى تمشي رويداً يقولون وقف الماء في (زرادية) والزردمة الغلصمة أو موضع الابتلاع (ثوب بايخ) متغير وحديث بايخ لا محصّل له (الرتوت) الرؤساء واحدها رت (ما في البيت تومري) أي أحد يقولون دومري (السرب) الجماعة من النساء والحيوان (الفوج، الجوقة، الجف، الغوغاء، الزمرة، اللمة، الأوباش، الشرذمة) كل هذه أسماء معناها واحد وهو الجمع من الناس وهي دارجة في اللغة الدارجة (العزوة) (العصبة العصابة) واعتصبوا صاروا عصابة. هو (شرواك) مثلك هو يمشي مع (سبره) أي أقرانه والسبر الشبه والهيئة (العكرة) الفتنة والهوشة. أعطني (شويه) أي قليلاً وفي الفصيح ما بقي من الشاة الا شواية بقية يسيرة، والشواية بالضم الشيء الصغير من الكبير. يقولون سقاني (نتفة) من اللبن أي شيئاً وهي نُدفة في الفصيح. يقولون اللبن والحبُّ طيس أي كثير من طاس يطيس كثر (الصوبة) ما تجمع من الحنطة والتمر يقولون لها الصبّة (الشلية) بقية الماشية وعندهم الشلعة قطعة من الماشية (العزيب) الذي لا يروح الى أهله من الماشية. يقولون هذه الأرض عدية أي خالية من الوخم والوبالة وأصلها عذية من عذا البلد طاب هواءه (الطابونة) من طبن النار دفنها لئلا تطفأ وذلك الموضع

طابون والطابون فرن في الأرض وكانوا يستعملون الطوابنية للخبازة وقد أهملت اليوم كما أهملت (الشرائحية) باعة شرائح اللحم واستعاضوا عنهـا بالشوائين أو الشوابة وأهملوا (المقاصف) واستعملوا بدلها القهاوي والمقاهي واهملوا (النخيرة) واستعاضوا عنها بالمسلخ وأهملوا (اليَاْس) واستعملوا بدلاً عنها القلي ثم استعملوا البوتاس وكانت لفظة (النقانقيين) شائعة يطلقونها على باعة النقانق أو المقانق وهي المصير المحشو باللحم وكذلك (الحلاويون) باعة الحلواء يقولون اليوم الحلوانيون واحدها حلواني ومن أمثالهم ما كل من صف الصواني قال أنا حلواني ·

ورأينا بعض الفاظ المآكل وباعتها قد أهملت مثل الهرائسي بائع الهريسة والرآس بائع الرؤوس ويقال له الرواس وهو لحن الفقاعي بائع شراب من الحبوب والأثمار وغيرها سمي به لما يرتفع في رأسه من الزبد وكان يطلق في الشام على باعة نقيع الزبيب · الاقسماويون من الاقسما وهو شراب قد يجعل من الدبس ويثلج كالسويق قال الشهابي المنصوري :

أياسيداً قـد أشهد الله أنه أناب فلم يَحْسُ الشراب المحرما

هلم فإني لا إخـالك مقسِمًا وان كنت لم تشرب مداما فأقسما

وأهملوا لفظة الشرابيين باعة الأشربة ولفظ المثلث عصير العنب يطبخ قبل أن يغلي ويشتد حتى يذهب ثلثاه وكانت مستعملة في مصر في القرن الثالث واعتاضوا عن الطاهي بالطباخ أو العشي · وأهملت الفاظ كانت تطلق على أمور بطلت في الاستعمال مثل سوق العطارين وكان أصحابها يبيعون فيهـا العطور فأطلقت على باعة البذور والسكر والأرز والأفاويه ومثل الأباريين والمسلاَّتيين صناع الابر والمسلات والمرادنيين صناع المرادن آلات الغزل القديمة تعمل من خشب السامم أو السنط الأحمر والفاخرانيين صناع الزبادي والسلطانيات من الحصى المطحون والغضاريين باعة الكيزان والقزازين صناع القز وباعته والبزازين صناع البز أو القماش والبزوريين باعة البزور والسكريين باعة السكر والامشاطيين باعة الأمشاط والسدارين والبواردبين يطلقونها على من يصنعون الأمشاط

ويطحنون السدر وهو من المطهرات كالصابون والدلوك والأشنان والبوارد طعام البقول المطبوخة وكان فيها سوق الدباغين والصباغين والدقاقين والقماحين والناطفانيين (الناطف نوع من الحلواء) وسوق الخريزاتية الذين يخرزون الأواني وتناسوا لفظ الاقباعيين صناع الأقباع جمع قبع وهي الطاقية أو العرقية وكان في دمشق لكل من هذه الصناعات سوق خاص ومنها سوق الحرير وسوق القطن وسوق القشر (قشر القنب) وسوق القوافين من كاف الأديم يكوفه كوفاً كف جانبه وهو اعداد الجلد لعمل النعال، قلبت كافها قافاً. ومنه سوق المناخليين باعة المناخل وصناعها وسوق الزرابليين صناع الزرابيل جمع زربول وسوق السروجيين صناع السروج وسوق النحاسين وسوق الحدادين وسوق القصاعين باعة القصاع ومنها سوق الزنوطيين وفي معجم دوزي أن زنوط لغة مصرية معناها الطاقية وان كانت من زنط جمع زنط فمعناها السيور والسياط وسوق القلباقجية والقالباق من أكسية الرأس التركية والدماجية صناع الديما وهي أثواب تعمل من الغزل ولا يزال سوق الخيل وسوق الجمال وسوق الغنم وسوق البقر وسوق الحمير بالطبع ويقال لمخزن الحطب الشونة وهي مصرية ويضمون شينها وكانت لهم أسواق بحسب أيام الأسبوع فسوق الجمعة وسوق الأحد وسوق الثلاثاء تباع فيها أصناف المأكول والملبوس، فمن هذه الألفاظ ما بطل استعماله بابطال ما كان يطلق عليه وباختراع ما اغنى عنه وعن اسمه . ولكل عصر الفاظه كما ان لكل عصر ادبه . فبعض الالفاظ التي راجت في القرن الثالث والرابع نُسيت في القرن السابع والثامن وما راج في هذين القرنين نسي في العاشر وما بعده . فألفاظ عهد المماليك في مصر غير الفاظ الترك بعدهم فقد كانوا مثلاً يستعملون كلمة التقليد والتصرف فأبدلوهما بالتولية ثم بالتعيين والنصب والاستخدام وكانوا يستعملون لفظ القماحين والدقاقين ويقولون اليوم تجار الحبوب والطحانة . والفاظ مصر زمن المماليك وحدها تحتاج الى مبحث خاص برأسه . ومن نظر نظراً خفيفاً في الألفاظ في كل قطر عربي لا يلبث أن يرى ان ما كان شائعاً في

العراق لم يشع في الشام ومصر وما كان في مصر لا يعرفه الغرب الأقصى ولا الأندلس من قبل ·

وفي كتب الحسبة، وبعضها الى الآن لم يطبع، كثير من الألفاظ دونت المعاجم بعضها ولا نستعملها اليوم نسقط على نموذج منها في كتاب نشوار المحاضرة للمحسِّن التنوخي وفي كتاب سيرة احمد بن طولون للبلوي · منها (البزيون) ضرب من نسيج البز اومن رقيق الديباج (المطبق) كمحبس السجن تحت الأرض (الفامي) بائع الفوم اي الحنطة والحمص وسائر انواع الحبوب التي تخبز · (الزيرباج) أكلة بلحم وحمص وخل وسكر ولوز (البزماورد) طعام من اللحم والبيض (العصيدة) دقيق يلت بالسمن ويطبخ · ومنها (المطالب) الكنوز (البذرقة) الخفارة (الفيج) رسول السلطان ··· الخ · وهذه الألفاظ تتطلب درساً خاصاً كما تتطلب مآكل العرب في الجاهلية ومآكلهم في الاسلام دراسات أخرى · وأطعمة العرب ما تعدت الألبان والتمور واللحوم تقل فيها الخضراوات والبقول وكلها بين مطبوخ وملتوت وملبون ومتمور ومسمون ومعسول ·

سادتي :

أوردت مثالاً ضئيلاً من أشغال هذا المجمع الفتي وذلك بقدر ما يتسع له الوقت وأرجو ألا أكون ادخلت الملل على نفوسكم أعاننا المولى على القيام بواجبنا في خدمة لغتنا المحبوبة وحياكم وأحياكم ·

محمد كرد علي

ابو الهذيل العلاف

- ٢ -

٦ — فلسفة أبي الهذيل

إن أبا الهذيل فيلسوف معتزلي ، وافق أهل الاعتزال في فلسفتهم العامة ، وانفرد عنهم في مسائل خاصة .

أما فلسفة الاعتزال العامة التي وضع مبادئها واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وعثمان الطويل وغيرهم من أهل الاعتزال ، فتنحصر في أصول خمسة هي : القول بالتوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، ووجوب المعرفة بالعقل قبل ورود السمع ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فالقول بالتوحيد انما وضع للرد على الرافضة والمجسمة . وفيه ان الله واحد لا شريك له من أي جهة ، ولا كثرة في ذاته . وهو قديم عالم لذاته ، قادر لذاته حي لذاته ، لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به . وهو خالق الجسم وليس بجسم ، محدث الأشياء وليس كالأشياء ، منزه عن المخلوق ، لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة .

والقول بالعدل وضع للرد على المجبرة من الجهمية والرافضة . وفيه ان الله تعالى حكيم عادل لا يجوز ان يضاف اليه شر وظلم ، ولا يجوز ان يريد من عباده خلاف ما يأمرهم به . وهو لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يريد ظلماً للعالمين . وأفعال العباد من خير وشر وايمان وكفر وطاعة ومعصية منسوبة اليهم ، يفعلونها بقدرة خلقها الله فيهم . ويستحيل ان يقول الله لعبده افعل ، وهو لا يستطيع أن يفعل ، بل العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة .

والقول بالوعد والوعيد انما ذهبوا اليه لاعتقادهم ان الله تعالى صادق في وعده ووعيده ، لا مبدل لكلماته ، فلا يغفر عن كبيرة إلا بعد التوبة فاذا خرج

المؤمن من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب ، واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار ، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار . فصاحب الكبيرة ليس بمؤمن مطلق ، ولا بكافر مطلق ، لكنه في منزلة بين المنزلتين ، لأنه فاسق . والفسق حال متوسطة بين الكفر والايمان[1] .

وأما وجوب المعرفة بالعقل فيرجع الى ان الانسان يستطيع بعقله قبل ورود السمع ان يعرف الحسن ويعتنقه ، ويدرك القبيح ويجتنبه . وما ورود التكاليف إلا ألطاف للباري تعالى أرسلها الى العباد بتوسط الأنبياء امتحاناً واختباراً ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيي من حي عن بينة .

واما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتضمن تكليف المؤمنين الجهاد ، واقامة حكم الله على كل من خالف أمره او نهيه سواء أكان كافراً أم فاسقاً .

لقد ذهب ابو الهذيل العلاف كغيره من المعتزلة الى هذه الأصول الخمسة ، وانفرد عن أصحابه بآراء خاصة في حقيقة الأجسام ، والجزء الذي لا يتجزأ ، والحركة ، والسكون ، والصفات الإلهية ، والقدر ، والنفس الانسانية ، وحركات أهل الجنة والنار ، ونعيمهم ، وعذابهم ، والطاعة ، والاستطاعة ، والخلق ، والآجال ، وشروط الحجة عن طريق الأخبار وغيرها .

ان نظرة بسيطة الى هذه المسائل تدلنا على ان الاحاطة بها تحتاج الى عدة مقالات . فلنقتصر اذن في مقالنا هذا على بحث المسائل الرئيسية فقط .

من المسائل الرئيسية التي بحثها ابو الهذيل مسألة الصفات الإلهية . فقد كان بعض المتكلمين ممن تقدم ابا الهذيل يقولون ان الله عالم وعلمه قديم . وكان

---

(١) راجع كتاب الانتصار للخياط ص — ١٢٦ . قال الخياط : « وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

أما نحن فقد جمعنا القول بالوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين في أصل واحد . واعتبرنا القول بوجوب المعرفة بالعقل قبل ورود السمع أصلاً خاصاً لما للعقل في نظر المعتزلة من أثر عميق في التمييز بين الخير والشر والعقاب والثواب . راجع أيضاً كتاب الملل والنحل للشهرستاني .

بعضهم الآخر يقول ان الله عالم لذاته لا بعلم . فكان قول الفريق الأول يؤدي الى القول بتعدد القديم ، وكان قول الفريق الثاني يؤدي الى نفي العلم ونفي غيره من الصفات عن الذات الالهية . فذهب ابو الهذيل في هذه المسألة الى رأي متوسط بين الرأيين السالفين فقال : ان الله تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته ، قادر بقدرة وقدرته ذاته ، حي بحياة وحياته ذاته . اي ان علم الله تعالى هو هو ، وكذلك سمعه وبصره وحكمته . فهو يرى اذن ان الصفة هي عين الذات . والفرق بين قولنا ان الله عالم لذاته لا بعلم ، وبين قولنا عالم بعلم هو ذاته ، اننا في القول الأول ننفي عن الله صفة العلم ، وفي الثاني نثبت ذاتاً هي بعينها صفة ، أو نثبت صفة هي بعينها ذات . وكان أبو الهذيل اذا قيل له حدثنا عن علم الله الذي تقول انه ذاته . أتزعم أنه قدرته أيضاً ، أبى ذلك . فاذا قيل له ، فهو غير قدرته ! أنكر ذلك أيضاً . ويظهر ان ابا الهذيل لم يذهب الى هذا القول الا لرغبته في الابتعاد عما وقعت فيه الرافضة من التجسيم ، وما أدى اليه قول بعض المتكلمين من تعدد القديم . فقد كانت المجسمة تعتقد ان ربها ذو هيئة وصورة ، يتحرك ويسكن ، ويزول وينتقل ، وانه كان غير عالم ، ثم علم ، وانه يريد الشيء ثم يبدو له سبب آخر فيريد غيره . وذكر أبو الهذيل في بعض كتبه ان هشام ابن الحكم قال له : ان ربه جسم ذاهب جاء . فيتحرك تارة ويسكن أخرى ، ويقعد مرة ويقوم أخرى . وانه طويل عريض . لأن ما لم يكن كذلك في زعمه دخل في حد التلاشي . قال فقلت له فأيما أعظم إلهك أم هذا الجبل وأومأت الى أبي قبيس فقال هذا الجبل أعظم منه . وذكر ابن الروندي أيضاً ان هشام ابن الحكم كان يقول ان بين الهه وبين الاجسام المشاهدة تشابهاً من جهة من الجهات لو لا ذلك ما دلت عليه . فهذه الملاحظات وغيرها ساقت ابا الهذيل الى القول بالتجريد ، فنفى عن الله تعالى شبه خلقه من كل وجه ، وأثبته واحداً ليس بجسم ولا بذي هيئة ولا صورة ولا حد ، وانه ليس كمثله شيء . وأبو الهذيل يسمي العلم والقدرة والحياة وجوهاً ثلاثة للذات الالهية . وهذه الوجوه الثلاثة التي اقتبسها ابو الهذيل من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة شبيهة بأقانيم المسيحية .

قال أبو الهذيل : ولقولي هذا نظائر عند أهل التوحيد . انهم بأجمعهم يقولون ان وجه الله هو الله . وقد فسد ان يكون لله وجه هو بعضه أو وجه قديم هو معه . فلم يبق الا ان يكون وجهه هو ذاته كما يقال هذا وجه الأمر ، وهذا وجه الرأي . وهذا الأمر نفسه ، وهذا الرأي نفسه . على ان ابا الهذيل قد نفى العلم من حيث اوهم أنه أثبته ، لأنه لم يثبت في النهاية إلا الذات الالهية ، وكان اذا قيل له : فلم اختلفت الصفات فقيل عالم ، وقيل قادر ، وقيل حي ، قال لاختلاف المعلوم والمقدور . ويرى ابو الهذيل ان السمع والبصر صفات ازلية ، فالله تعالى لم يزل سميعاً بصيراً بمعنى انه سيسمع وسيبصر : وكذلك لم يزل غفوراً رحيماً محسناً ، خالقاً رازقاً ، مثيباً معاقباً ، مواليا معادياً ، آمراً ناهياً ، بمعنى ان ذلك سيكون منه . وكان سهلاً عليه ان يؤول هذه الصفات تأويلاً ينفي عنها الصفة الحسية ، لأنه كان يعتبر السمع والبصر من اعمال الروح ، لا من اعمال الحواس .

وقد ساقته نظرية الصفات هذه الى القول بارادات لا محل لها ، يكون الله تعالى مريداً بها . فارادة الله لكون الشيء هي غير الشيء المكوَّن . وارادته للايمان هي غير الايمان والأمر به . ففرق على هذه الصورة بين الارادة والشيء المراد ، كما فرق بين الارادة الخالقة والارادة الشارعة . فارادة الخلق هي الخلق بذاته ، وهي تختلف عن المخلوق لأنها ليست في مكان . ثم انه ذهب في تقسيم كلام الباري تعالى الى ما ذهب اليه في تقسيم الارادة . فقال هو قسمان احدهما يحتاج الى مكان ، والآخر لا يحتاج الى مكان . فكلمة الخلق . وهي قول الله للشيء « كُنْ » هي عين الخلق . وهي ليست في مكان ، وليس بجائز أن يخلق الله شيئاً ولا يقول له كُنْ . فكأن كلمة التكوين ، كما قال بعض الفلاسفة ، في المكان الاوسط بين الخالق الأزلي وبين العالم المخلوق . او كأنها جوهر شبيه بالمثل الأفلاطونية . أو عقول الأفلاك التي أشار اليها الفارابي وابن سينا في صدور الأشياء عن المدبر الأول . أما سائر كلام الله من أمر ونهي وخبر واستخبار ، فهو في مكان ، لأن أمر التكليف غير أمر التكوين . فكلمة الخلق

ليست بمخلوقة ، أما الكلام المشتمل على الأوامر والنواهي والوحي فهو مخلوق ، لأنه عرض من الأعراض . وهذا يدل على ان أمر التكليف مقصور على العالم الفاني . لا يخضع الانسان لأحكامه إلا في هذه الحياة . وهو يقتضي القول باختيار الانسان ، وحريته ، وبقدرته في هذا العالم على فعل ما يختاره من الخير والشر . اما في العالم الثاني ، فيفقد الانسان حريته واختياره ، ويرجع كل شيء فيه الى إرادة الله . لذلك قال الشهرستاني : ان ابا الهذيل قدري الدنيا جبري الآخرة . وفي الجنة والنار تكون حركات الانسان ضرورية لا قدرة له عليها . فهي مقيدة وليس لأحد قدرة على اكتساب فعل ، ولا على اكتساب قول . والله خالق فيها اقوال العباد وحركاتهم . فالدنيا دار عمل وأمر ونهي ومحنة واختبار . والآخرة دار جزاء واضطرار . ولو كان أهل الجنة يجوز منهم اختيار الأفعال ووقوعها ، لكانوا مأمورين منهيين ، ولو وقعت منهم الطاعة والمعصية . ولكانت الجنة دار محنة وأمر ونهي ، لا دار ثواب ، وكان سبيلها سبيل الدنيا ، ولوقع ثواب أهلها في دار سواها ، ولتسلسل الأمر الى ما لا نهاية له .

ويرى ابو الهذيل ان حركات أهل الجنة والنار لا تبقى ، بل تنتهي بانتهاء العالم ، وتنقلب الى سكون دائم . لأن ما له ابتداء لا بد من أن يكون له انتهاء . وفي هذا السكون الدائم تجتمع اللذات كلها لأهل الجنة ، ويجتمع العذاب كله لأهل النار . وهذا قريب من مذهب جهم بن صفوان اذ حكم بفناء الجنة والنار . قال الأشعري في مقالات الاسلاميين : «أجمع أهل الاسلام جميعاً الا الجهم ان نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له ، وكذلك عذاب الكفار في النار . وقال جهم بن صفوان ان الجنة والنار تفنيان وتبيدان ، ويفنى من فيهما ، حتى لا يبقى الا الله وحده كما كان وحده لا شيء معه» [1] .

وقال البغدادي في كتاب «الفرق بين الفرق» : ومذهب ابي الهذيل في ذلك شر من مذهب جهم ، لأن جهماً ، وان قال بفناء الجنة والنار ، فقد قال : ان الله قادر بعد فنائهما أن يخلق غيرهما . وأبو الهذيل زعم ان ربه لا يقدر بعد انتهاء الحركات على تحريك ساكن ، او احياء ميت ، أو احداث شيء .

(١) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص ٤٧٥

وظاهر ان رأي ابي الهذيل ، في سكون حركات أهل الجنة والنار ، لا يستند الى اي أساس ديني ، بل يرجع الى رأيه في تناهي الحركات . فالحركة عنده تنقسم في الجسم على جميع أجزائه ، وما يجوز على الأجسام يجوز أيضاً على الجوهر الواحد ، والجزء الذي لا يتجزأ . ولكن ما هو الجسم . قال ابو الهذيل :

« الجسم هو ما له يمين وشمال وظهر وبطن وأعلى وأسفل . وأقل ما يكون الجسم ستة أجزاء احدهما يمين والآخر شمال ، وأحدهما ظهر والآخر بطن ، وأحدهما أعلى والآخر أسفل ، وان الجزء الواحد الذي لا يتجزأ يماس ستة أمثاله . وانه يتحرك ويسكن ، ويجامع غيره ، ويجوز عليه الكون والمماسة ، ولا يحتمل اللون والطعم والرائحة ، ولا شيئاً من الاعراض غير ما ذكرنا ، حتى تجتمع هذه الستة الأجزاء ، فاذا اجتمعت فهي الجسم ، وحينئذ يحتمل ما وصفنا »[1]

فالجسم إذن منقسم وهو يحمل الاعراض كاللون والطعم والرائحة والحركة . وليس كل جوهر جسماً ، بل الجوهر الواحد الذي لا ينقسم محال ان يكون جسماً ، لأن الجسم هو الطويل العريض العميق . وليس الجوهر الواحد كذلك[2]

« واختلف الناس في الجسم هل يجوز ان يتفرق أو يبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ أم لا يجوز ذلك ... فقال ابو الهذيل : ان الجسم يجوز ان يفرقه الله سبحانه ، ويبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ ، وان الجزء الذي لا يتجزأ لا طول له ولا عرض له ولا عمق له ، ولا اجتماع فيه ولا افتراق ، وأنه قد يجوز ان يجامع غيره وان يفارق غيره ، وان الخردلة يجوز ان تتجزأ نصفين ثم اربعة ثم ثمانية الى ان يصير كل جزء فيها لا يتجزأ »[3]

فالله يستطيع اذن ان يبطل ما في الجسم من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ . ويستطيع ان يفرد الجزء الذي لا يتجزأ فتراه العيون ويخلق فينا رؤية له وإدراكاً له .

والاعراض هي الحركات والسكون والقيام والقعود والاجتماع والافتراق والطول

(١) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص ٣٠٢ (٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٥

والعرض والألوان والطعوم والأرابيح والأصوات والكلام والسكوت والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة . فبعضها يجوز على الجسم والجزء الذي لايتجزأ معاً ، وبعضها لايجوز إلا على الجسم ، فالحركة مثلاً تجوز على الجسم والجزء الذي لا يتجزأ ، أما اللون والطعم والرائحة فلا تجوز إلا على الجسم . قال ابو الهذيل :

والاعراض قسمان « منها ما يبقى ومنها ما لا يبقى . والحركات كلها لا تبقى . والسكون منه ما يبقى ومنه ما لا يبقى . وسكون أهل الجنة سكون باق ، وكذلك أكوانهم ، وحركاتهم منقطعة منقضية لها آخر »[1] .

وقال أيضاً : ان الألوان والطعوم والأرابيح والحياة والقدرة تبقى كلها ، وكذلك اللذات والآلام . فآلام أهل النار باقية فيهم ، ولذات أهل الجنة باقية فيهم .

فالحركات اذن في نظر ابي الهذيل تجوز على الجسم والجزء الذي لا يتجزأ وهي مع ذلك لا تبقى ، اما الألوان والطعوم والأرابيح فلا تجوز الا على الجسم وهي مع ذلك تبقى بعد انتهاء العالم . فهناك اذن أعراض موجودة لا في جسم ، ويجوز أيضاً ان تعاد . أما الحركات والسكون وما يتولد عنها كالتأليف والتفريق والأصوات وسائر ما يعرف الناس كيفيته فلا يجوز ان يعاد .

فالسبب إذن في قول ابي الهذيل بانتهاء حركات أهل الجنة والنار يرجع إذن الى رأيه في حقيقة الأجسام والحركات وبقاء الاعراض وانتهائها . قال اني لا أقول بحركات لا تتناهى آخراً ، كما لا أقول بحركات لا تتناهى أولاً ، ونسي أن ما لزمه في الحركة يلزمه أيضاً في السكون . اضف الى ذلك ان قوله بانقسام الاعراض الى قسمين أحدهما يبقى والآخر لا يبقى لا يستند الى أي أساس معقول .

فأبو الهذيل قد قال اذن ببقاء الاعراض التي لا تجوز الا على الجسم ، وبعدم بقاء الحركات رغم جوازها على الجسم وعلى الجزء الذي لا يتجزأ معاً .

(١) لاشعري : مقالات الاسلاميين ، ص ٣٥٩ . قال أبو الهذيل : « يجوز أن يتحرك الجسم لا عن شيء ولا الى شيء » . المصدر نفسه ٣٢٣ . وقال أيضاً : « الأجسام قد تتحرك في الحقيقة ، وتسكن في الحقيقة ، والحركة والسكون هما غير الكون ، والجسم في حال خلق الله سبحانه له لا ساكن ولا متحرك » المصدر نفسه ٣٢٥ .

ولو قال بفناء الدنيا والآخرة ، كما قال الجهم ، لما وقع في هذه الشبهة ، ولاستغنى عن هذا السكون الدائم الذي قلب أهل الجنة والنار الى أصنام جامدة في مدينة مسحورة .

ومع ذلك فان لرأي ابي الهذيل في انتهاء حركات أهل الجنة والنار خطورة عظيمة ، لأنه كان كما قال الشهرستاني قدري الدنيا جبري الآخرة . فالانسان في نظره قادر على خلق أفعاله في هذه الدنيا لأنه حر . أما في الآخرة فانه يصير مقيداً بالحالة التي انتهى اليها . والمشهور عن الفلاسفة الأقدمين أن النفس تشارك الجسد في أفعاله وانفعالاته ما دامت مقيدة به ، وان حريتها مقيدة في هذا العالم بما يصل اليها عن طريق الجسد من الاحساسات والأفكار والعواطف ، اما اذا فارقت الجسم فانها تعود الى العالم الأرفع ، وتمزق سلاسل المادة وقيود الزمان والمكان وتصير حرة طليقة . أما ابو الهذيل فقد ذهب في ذلك مذهباً مخالفاً لآراء المتقدمين ، وزعم ان النفس حرة في الدنيا مقيدة في الآخرة . وفي هذا الرأي فكرة عميقة تدل على قوة ابداعه ، وشدة حدسه . الا انها تحتاج رغم ذلك الى مقدمات برهانية لم نعثر عليها فيما وصل الينا من أفكاره .

ويرى أبو الهذيل ان في الانسان علماً فطرياً يؤدي بالضرورة الى معرفة الله ، فمن واجبه ان يعرف الحق ، وان يميز الخير من الشر بعقله الطبيعي ، من غير خاطر ولا وحي . وان قصر في هذه المعرفة استوجب العقوبة . وعليه أيضاً ان يفهم حسن الحسن وقبح القبيح ، وان يقدم على الحسن كالصدق والعدل ، وان يعرض عن القبيح كالكذب والجور . والله يثيب كل محسن على قدر طاعته وصدقه وعدله . ويعاقب كل مسيء على قدر معصيته وكذبه وجوره . فهناك اذن طاعات من الخلق لا يراد الله بها ، وليس على وجه الأرض دهري زعم انه لا رب ولا خالق ، ولا ثواب ولا عقاب ، الا وهو مطيع بضرب من الطاعات . فهو عاص بدهريته ، ولكنه مطيع بما يقدم عليه من الخير ، كما ان المؤمن مطيع بايمانه ، عاص بما قد يقدم عليه من الشر .

ومسؤولية الانسان تتوقف على معرفة اللحظة التي يوجد فيها الفعل . ولا تكون المسؤولية تامة الا اذا كان الفعل تام الحدوث . لذلك فرق ابو الهذيل بين افعال القلوب وأفعال الجوارح ، اي بين الأفعال النفسية والأفعال الطبيعية . فقال ان حال (يفعل) هي غير حال (فعل) . والمسؤولية لا توجد في أفعال القلوب الا اذا وجدت الاستطاعة مع الفعل . أما في أفعال الجوارح فقد تتقدم الاستطاعة على الفعل ، فاذا لم يتم الفعل الا بعد موت الفاعل او عجزه كان الفعل منسوباً اليه لا إلى غيره ، ويمكن ان يقال مجازاً ان الموتى يقتلون الأحياء . فالارادة لا توجد اذن تامة الا اذا كانت الجوارح قادرة على تنفيذها ، ولا يكون العمل اختيارياً الا اذا قام الانسان به من غير قسر . قال ابو الهذيل :

« الاستطاعة يحتاج اليها قبل الفعل . فاذا وجد الفعل لم يكن بالانسان اليها حاجة بوجه من الوجوه . وقد يجوز وقوع العجز في الوقت الثاني فيكون مجامعاً للفعل ، ويكون عجزاً عن فعل ، لأن العجز لا يكون عجزاً عن موجود . فيكون الفعل واقعاً بقدرة معدومة »[1] .

وهذا يدل على أن أبا الهذيل قد جوز الفعل مع الموت بالاستطاعة المتقدمة . كما جوز أقل قليل الكلام مع الخرس ، ولم يجوز وجود العلم مع الموت ، ولا وجود الارادة مع الموت . وقد حكي عنه انه كان ينكر أن توجد الارادة بقدرة معدومة حتى يكون العجز مجامعاً لها .[2] والانسان انما يفعل في غيره الأفعال بالأسباب التي يحدثها في نفسه . فلو رمى انسان انساناً بسهم ثم مات الرامي قبل وصول السهم الى المرمي ، ثم وصل السهم الى المرمي فآلمه وقتله ، لحدث القتل والألم بعد موت الرامي بنفس السبب الذي أحدثه الرامي وهو حي .

وقد فرق ابو الهذيل بين الأمور التي يقدر الله عباده عليها ، وبين الأمور التي لا يقدرهم على فعلها . فالحركات والسكون والأصوات والآلام وسائر ما نعرف كيفيته هي من الأمور التي يقدر الله عباده عليها . أما الاعراض التي لا نعرف كيفيتها كالألوان والطعوم والأرابيح والحياة والموت والعجز والقدرة ،

(١) الاشعري ، مقالات الاسلاميين ص ٢٣٢ (٢) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ص ٣١٣

فليس يجوز ان يوصف الباري بالقدرة على ان يقدر عباده عليها . والله لا يوصف بالقدرة على شيء تقدر عليه عباده ، لأنه محال ان يكون هناك مقدور واحد لقادرين . فأفعال الانسان لا تشبه أفعال الباري بوجه من الوجوه . والله يضطر عباده في الآخرة الى صدق يكونون به صادقين وكلام يكونون به متكلمين ، ولكنه لا يضطرهم الى كفر يكونون به كافرين وجور يكونون به جائرين . وهو قادر على الظلم ، الا انه لا يفعله لحكمته ورحمته . ومحال ان يفعل شيئاً من ذلك ، أن قدرته مقيدة بعدله ورحمته وحكمته .

٧ — النتيجة

هذه لمحة سريعة من آراء ابي الهذيل في التوحيد ، وحركات اهل الجنة والنار ، والأجسام ، والجزء الذي لا يتجزأ ، والجواهر والاعراض ؛ والعلم ، والمسؤولية ، والاستطاعة ، والعدل ، ناظر فيها كثيرين من أقرانه كبشر بن المعتمر والأصم وهشام بن الحكم والنظام كما ناظر المجوس والثنوية واصحاب النجوم والدهرية .

ولا حاجة الى القول ان أبا الهذيل قد ابتعد بآرائه هذه عن اجماع المسلمين ، فتصدى للرد عليه كثيرون من أهل الحديث وعلماء الكلام ، الذين لم يروا رأيه ، ولا قالوا بمقالته فوضع (المردار) كتاباً في الرد عليه سماه « فضائح أبي الهذيل » ، والف الجبائي كتاباً في الرد على ابي الهذيل في المخلوق ، وصنف جعفر بن حرب كتاباً سماه « توبيخ أبي الهذيل » كفره فيه . وذكر ان قوله يجر الى الدهرية . وقد كان لهذه الردود أثر عظيم في شهرة أبي الهذيل حتى قال المأمون : أطل ابو الهذيل على الكلام كاطلال الغمام على الأنام . وقال الفضل بن العميد ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة . أما الفقه فعلى ابي حنيفة ، وأما الكلام فعلى ابي الهذيل ، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى ابي عثمان الجاحظ . وكان ابو علي الجبائي يقول ليس بيني وبين ابي الهذيل خلاف الا في أربعين مسألة . وما كان في الدنيا بعد الصحابة اعظم عنده من أبي الهذيل .

ويظهر أن اباالهذيل كان في مناظراته أشبه برؤساء الأحزاب والخطباء والمحامين منه بالفلاسفة الهادئين ، الذين يسيرون على منهج علمي واضح دقيق . وطريقة هذا شأنها تدخل على أسلوب العلم شيئاً من الضعف والتردد والعدول عن سواء السبيل . وكل فلسفة تقوم على أساس الجدل والمناظرة ، تكون مسائلها مقيدة بآراء المخالفين . ومن نازل عدواً قوياً اضطر الى التقيد بشروط قتاله ، وتقلب أحواله ، واتباع حركاته وسكناته ، وقيامه وقعوده . وقد تؤثر فيه روح العدو وحيلته ، فتبدل خطته وغايته . ومعركة الأفكار لا تختلف من هذه الناحية عن معارك الرجال . بل كثيراً ما يكون تأثير العدو في تكوين الأفكار أقوى من تأثير الحليف . وفرق بين ان يبني الانسان بيته بنفسه وفقاً لخطط معقول ، وبين ان ينشئه وفقاً لما تقتضيه الحاجة العملية المباشرة . وفرق بين ان يكون الفكر مستقلاً في وضع المسائل وتأليفها ، وبين ان تكون مسائله تابعة للعناصر المقتبسة من آراء المخالفين . ففي أعمال المدافعين أمور كثيرة لا بقاء لها . وينبغي ان تزول بزوال أسبابها ، وان تهجر ويستبدل بها غيرها ، وان يؤتى بما هو احسن منها وأصوب . وربما كان ابو الهذيل غير بريء من ذلك ، حتى لقد أدرك هو نفسه ان آراءه قد جرته الى الخروج على الاجماع . وان كثيرين من الملحدين قد تعلقوا عليه بها . فتاب من الكلام فيها قبل موته . ولعله لم يتب من الخوض فيها الا بعد ان أدرك خلافة المتوكل ، وكف بصره ، وخرف في آخر عمره ، وقصر عن مناضلة المناظرين . ومهما يكن من أمر فان ابا الهذيل قد مهد السبيل بجدله لظهور الفلسفة في الاسلام ، فخدم الاسلام ، عن طريق الجدل والمناظرة اكثر مما خدمه القواد عن طريق الفتح ، حتى لقد أسلم على يده ثلاثة آلاف رجل . وكانت فلسفته أقرب إلى روح الاسلام من آراء الفلاسفة المشائين ، الذين أخذوا آراءهم عن أفلاطون وأرسطو . وكان في دفاعه عن الاسلام يعمل على نشر الدعوة العربية ويؤيد سياسة الخلفاء العباسيين في التخلص من سيطرة الفرس . وكانت نيته في عمله صادقة ، والنية هي ميزان العمل . وانما الأعمال بالنيات .

٨ — المصادر

آ. حياة أبي الهذيل

١ — الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ج ٣ ، ص ٣٦١ — ٣٦٧ — ٣٧٠
٢ — ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٤٨٠
٣ — ياقوت ، الارشاد ، ج ٣ ، ٧٤ ، ١
٤ — الجاحظ ، البيان والتبيين ج ١ ، ص ٧٨ في الهامش عن النظام . ج ١ ، ص ١٠٤ في الهامش في ترجمة بشر بن المعتمر . ج ١ ، ص ٥٠ ا في ترجمة صالح بن عبد القدوس .
٥ — الجاحظ ، كتاب البخلاء ، ج ١ — ص ١١٨ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
٦ — العسقلاني ، لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ٤١٣
٧ — المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٨ ، ص ٣٠٠ — ٣٠٢
٨ — ابن قتيبة ، عيون الأخبار : ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٨
٩ — ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ، ص ٥٣
١٠ — كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل لاحمد بن يحيي المرتضى ، ص ٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٧٥ . طبعة دائرة للعارف النظامية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣١٩ هـ .
١١ — محمد بن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ ، جزء ٦ ، ص ١٢٠ مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٤٧ .
١٢ — ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ، طبعة دار الكتب المصرية .
١٣ — ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، جزء ٢ ، ص ٩٠ ، مصر ١٩٤٢
١٤ — صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، كتاب نكت الهميان في نكت العميان ، ص ٢٧٧ — ٢٧٩ . مصر ، المطبعة الجمالية ١٩١١ .
١٥ — أمالي السيد المرتضى ، الجزء الاول ، ص ١٠٠ ، ١٢٤ .
١٦ — ابن النديم ، الفهرست ، ص ٥٥ ، ٢٥٥ ، الملحق ص ١ ، ٣

١٧ — الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ٥٤٧ .
١٨ — الغرر والدرر ، ١٢٤
١٩ — روضات الجنان، ١٥٨
٢٠ — تاريخ العيني لسنة ٢٢٦
٢١ — المنتظم لابن الجوزي ، ٩٨١
٢٢ — طبقات المعتزلة لقاضي القضاة ، وهو ابو الحسن عبد الجبار بن احمد ابن عبد الجبار الهمذاني الاسترابادي .
٢٣ — منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال تأليف ميرزا محمد الاسترابادي مع تعليقات محمد باقر البهبهاني، طبع بالحجر بطهران سنة ١٣٠٧
٢٤ — قاموس الأعلام، لشمس الدين سامي ٤٦٠ .

ب - فلسفة أبي الهذيل

١ — الأشعري ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . عني بتصحيحه ه . ريتر ، استانبول ، مطبعة الدولة ١٩٢٩
٢ — البغدادي،الفرق بين الفرق ، ص ٤٨ ، ٨٤، ١٠٢، مطبعة المعارف، مصر
٣ — دائرة المعارف الاسلامية ، « ابو الهذيل العلاف » .
٤ — الخياط ، كتاب الانتصار، ص ١٧ ، ٦٧ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٧٢، ١٧٩
٥ — الجوزي ، تلبيس ابليس ، ص ٨٨
٦ — فخر الدين الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٤١
٧ — الشهرستاني ، الملل والنحل ١٨ ؛ ٣٤ .
٨ — صوان الحكمة ، لظهير الدين البيهقي ، ٩٦٦ .
٩ — دي بوئر ، تاريخ فلاسفة الاسلام .
١٠ — الايجي ، المواقف .
١١ — Carra de Vaux - Avicenne , p. 21 24
١٢ — Les penseurs de l'Islam «

جميل صليبا

أقرب الموارد

- ٣ -

ت ج ر — قال في جمع التاجر تَجْر وضبطها بالشكل فتحاً وكسراً والصواب فيها الفتح وجاء فيها تُجر بالضم ولعلها جمع تِجار وأما الكسر فلم أرَ أحداً نصّ عليه .

ت ر ز — وقال ترز (ن . و ل) تروزاً غلظ ويبس أي أنها من بابي علم ونصر . والصواب أنها من بابي علم وجلس . تَرِزَ تَرْزاً وتَرَزَ يَتْرِزُ تروزاً .

ت س ع — قال تَسَعهم أخذ تِسْع أموالهم . هكذا كسر التاء والصواب ضمها وقال التاسوعاء اليوم التاسع من الشهر . هكذا أطلقه . مع أنه خاص بالمحرم من الشهور وهو قبل يوم عاشوراء ، قال صاحب الصحاح . وأظنه مولداً . وليس الأمر كما ظنه لأنها وردت في الحديث الشريف عن النبي المصطفى أفصح الخلق وأعرفهم بأنواع الكلام .

ت ع ع — وقال تعّ ن تعّاً ونعة استرخى . فجعله من باب نصر مع انه مضاعف ثلاثي لازم والقياس في مثله باب ضرب ولم يذكره في الشواذ احد من الأئمة .

ت ل ل — وقال تلّ الرجل اليه تضرّع . هكذا بالضاد المعجمة . وفي اللسان تلّ هو يَتُل تصرع (هكذا بالصاد المهملة) وتلّه للجبين صرعه كما تقول كبَّه لوجهه والمَتَلّ بفتح الميم المصرع وبكسرها الذي يُتَلّ به أي يُصرع والمُتَلّ الصريع كالمتلول والتليل .

ت و ج — وقال التُوَّجي الصقر المنسوب الى تُوَّج (الخ) هكذا ضم التاء في كل ما جاء به منها في هذه المادة والصواب فتح التاء ووزنها صاحب القاموس بِبَقّم ونصّ على ان هذا وزن للأفعال ولم يرد منه للأسماء غير بَقّم وتَوَّج واسماء أخر .

ث ب ب — جعل ثب ثباباً من باب نصر وهو من باب ضرب قياساً وسماعاً .

ث ب ر — وقال ثبرَ البحر : زَجر وصوابه جزر من الجزر ضد المدّ .

ث ج ج — وقال ثجّ الماء والدم ثجًّا وثجوجًا : سال فجعلها من باب نصر وهي من باب ضرب ان كان الماء مفعولاً (أي متعدية) ومن باب ضرب اذا كان الماء فاعلاً (أي لازمة) وكان عليه أن يفصل ذلك ٠

ث د ن — وقال : انه مُثدّن اليد أي مُخدّج ٠ هكذا بالتشديد والصواب مُثدَن ومُخدَج ٠ قال في اللسان ٠ قال ابن بري هو اسم مفعول من اثدنت الشيء اذا قصرته والمُثدَن الناقص الخلق وقيل مُثدن اليد مُخدج اليد ٠ وأما المثدّن بالتشديد فهو المسترخي اللحم الكثيره ٠

ث ر د — وقال الثَرَد بالتحريك المطر الضعيف وتشقق الشفتين ٠ ونص القاموس انه بالتحريك لتشقق الشفتين وبالتسكين للمطر ٠

ث ر ن — وقال ثَرِن : أزى صديقه وجاره ولكن عبارة التهذيب كما اوردها صاحب اللسان ثَرِن الرجل : آذى صديقه أو جاره ٠

ث غ ى — وقال الثغية : الجوع والاثغار يقال أصاب الحي ثغية اي جوع واثغار ونص اللسان قال ابن سيدة في المعتل بالياء الثغية الجوع واقفار الحي ٠

ث ف ل — وقال : ثفل الرحى وزان حِمْل ثِفالها ولكن القاموس نص على انها بالضم أي وزان قفل ٠

ث ل ب — جعل من لغات الإثلب الإثلَبُ ٠ أي بكسر ففتح وهذه ليست هي من لغاته وانما ذكروا فيه لغتين فتح الهمزة واللام معًا وكسرهما معًا والفتح أكثر وأظنه توهم من عبارة القاموس وهي قوله (الأثلَب ويكسر) ان الكسر للهمزة خاصة وليس كذلك بنص اللسان ٠

ث ل ع — وقال ٠ المثلَع : المشدّخ من البسر وغيره — هكذا وزان مقتل وصوابه المثلّع كمعظّم ٠

ث ل ل — وقال ٠ ثَلّة البئر ما اخرج من ترابها ج ثِلَل أي بكسر الثاء وزان عنب وفي القاموس وزان صُرَد (نصًّا) ٠

ت ن ث ل — وقال تنثل تعذّر ٠٠٠ وصوابه تقذّر ٠٠٠

ج أ ب — استشهد بقول الشاعر :

تعرّض جأبة المدرى خذولٌ بصاخة في اسرتها السلام

فضبط خذول بالرفع مع أنها صفة لجأبة المجرورة بالاضافة وحقها الجر ثم ضبط صاخة بالخاء المعجمة وهي صاحة بالحاء المهملة كما في اللسان وفي التاج وفسراها بأنها جبل ·

ج ب أ — وقال : الجباء طرف قرن الثور فجاء به كسحاب وصريح التاج انه كشدّاد ·

ج ث ث — وقال : الجثة شخص الانسان قاعداً أو قائماً · والصواب او نائماً وفي اللسان الجثة شخص الانسان قاعداً أو نائماً وقيل جثة الانسان شخصه متكئاً أو مضطجعاً ... فأما القائم فلا يقال جثته انما يقال قمّته وفي التاج انما يقال قامته [1]

ج ح ر — وقال : خرج عليه حية من جحرها · هكذا قدم الحاء على الجيم وجحر الحيّة جيم فحاء ·

ج خ ف — وقد جمع الجخيف (بمعنى صوت بطن الانسان) على جُخُف وانما جُخف جمع للجخيف بمعنى القصير لأن الأولى مصدر والمصدر لا يجمع الا بثبت تقول سمعت جخيف النائمين ولا تقل جُخُف النائمين · وأما الثانيه فهي التي تجمع على جُخُف كسرير وسُرُر ·

ج د د — وقال صرحت بجُدّان هكذا بضم الجيم والصواب كسرها كما في كتب الأئمة ·

ج د ف } — جعلها من باب نصر والصواب انها من باب ضرب كما نصت
ج ذ ب } عليه كتب الأئمة ·

ج ر ب — وقال اجرنبى اجرنباء : مثل اشرأبّ زنة ومعنى وأظنه لغة فيه · هذا كلامه وانما التي على زنة اشرأب وبمعناها هي اجرأبّ واما الاجرنباء فهو النوم بلا وسادة وهو غير معنى اشرأب ولا بوزنه ·

ج ر ذ — وقال : جرذت القرحة ن جرذاً تعقدت فجعله من باب نصر وهو من باب فرح كما ضبطه الصاغاني ·

(١) جاء في عبارة التاج المطبوع بمصر الجثة شخص الانسان قاعداً أو قائماً فأما القائم فلا يقال له جثة فقوله أو قائماً غلط من الناسخ أو سبق قلم يدل عليه قوله فأما القائم فلا يقال له جثة

ح ر س — وقال زيد مُجْرَسٌ لعمرو هكذا ضم الميم وأورد الشاهد كذلك مضموم الميم وفي لسان العرب مَجْرَس بفتح الميم وفي الشاهد كذلك مفتوحها ثم كذلك في كلام أبي حنيفة .

ج ر ع — جاء بالشاهد هكذا :

بأجرع مقفار مَرَب محلل

ولكنه في اللسان بأجرع مِرباع وهو المناسب لقولهم في تفسيره ولا يكون مَرَبًا محلّلاً إلا وهو ينبت النبات .

ج ر ف — وقال الجرف بالضم وبضمتين ... ج أَجرُف (أي وزان اكلب) وفي اللسان ج اجراف وجُرُوف (أي وزان ضروب) وجِرَفة ولم يذكر أجرُف ولا القياس يقتضيه .

ج ر م ز — وقال اجرَمَّز فشدّد الزاي والصواب اجرمَّز بتشديد الميم .

ج ز ر — وقال الجزّار والجزير والزاجر . وصوابه والجازر وأحسبه غلطاً مطبعياً .

ج ع ج ع — وقال ... من وجع أصابعه وصوابه من وجع أصابه ولعله غلط مطبعي .

ج ف س — وقال جَفِس جِفاسة أي بكسر الجيم والصواب جَفاسة كسحابة كما نص عليه صاحب التاج .

ج ف ل — جفله جفلاً جرفه . جعلها من باب نصر والصواب انها من باب ضرب .

« — الإِجفَلى كسر همزتها والصواب فتحها .

ج ق ق — جق الطائر جعلها من باب نصر والصواب انها من باب ضرب .

ج ل ح — الُجلَح الاكول جعلها كمُكْرَم والصواب أنها كمحدِّث للأكول وكمعظّم للمأكول .

ج ل ط — قال جالطه كايده بالياء المثناة التحتية وصوابه كابده بالباء الموحدة كما في القاموس [1] وفي الشرح نسبه الى ابن الاعرابي .

---

(١) وربما كان الصحيح أو الأصح أن جالطه كاذبه قال في اللسان ومن كلام العرب الصحيح جلط الرجل يَجلط اذا كذب والجِلاط المكاذبة .

ج ل م د — وقال الجَلْمد الرجل الشديد الصلب • وفي كتب الائمة الجلمد الرجل الشديد الصوت كالجلمدة قاله الليث •

ج م خ — جعل جمخ جمخًا اذا فخر وتكبر من باب نصر وفي اللسان وغيره من باب منع •

ج م خ ر — وقال الجمخر القصب الأسود من قصب العظام والصواب القصب الأجوف منها •

ج م ع — وقال الجامعة الغل لضرب من الحلي لأنها تجمع اليدين الى العنق هكذا يعللها • وليس في الحلي ضرب يجمع اليدين الى العنق والصواب أن يقول هكذا الجامعة الغل لأنها تجمع اليدين الى العنق والجامعة ضرب من الحلي وبهذا تسلم عبارته •

ج م ن — وقال الجَمانيُّ الرجل الطويل أُجَمَّة على غير قياس • فكأنه منسوب الى الجمان كسحاب والصواب الجُمَّاني بجيم مضمومة بعدهاميم مشدّدة نسبة الى الجُمَّة •

ج ن ك — الُجنك من آلات الطرب هكذا ضم الجيم والصواب فتحها كما في شفاء الغليل •

ج ه د — وقال الجاهد السهران • ونص الائمة غرثان جاهد شهوان يجهد الطعام لا يترك منه شيئًا (مجاز) • فصحف وابدل •

ج ه ر — وقال الحروف المجهورة المهموسة وظاهر عبارته ان المهموسة تفسير للمجهورة وليس الأمر كذلك وصحة العبارة ان يقول الحروف المجهورة ضد المهموسة ولعل كلمة ضد سقطت من الطابع •

ج و ب — وقال الجَوَبة الحفرة ••• ج جُوَب نادر لأن قياس فَعَلة ان تجمع على فعال كثمرة وثمار والصواب الجَوْبة بإسكان الواو وجمعها جَوْبات وجُوَب كصُرَد قال صاحب التاج وهذا الأخير نادر • وذلك لأن فُعَلًا جمع فُعْلة مضموم العين كغُرْفة وغُرَف ولم يذكر احد من الائمة فيما أعلم الجَوَبة محركة لمعنى الحفرة •

ج و ر — قال ومنه في القرآن • أهل النار كلُّ جعظري جوّاظٍ ، وليس

هذا من القرآن بسبب ولا صلة ولو دقق في ما ينقله لقال وفي الحديث كما في النهاية ·

ج و ف — قال وتلعة جائفة قصيرة وصوابه قميرة أي بعيدة القعر ·

ج و ل — وقال الجيْل بالفتح الجال ونص القاموس وشرحه (و) الجوْل (ناحية القبر والبئر ··· كالجيل) بالكسر (والجال) كل ذلك في المحكم · والجيل واوى العين وانما حلّت الياء محل الواو لمكان كسر الجيم كما لا يخفى ·

ج و م — جمع الجام على جَوم بالفتح وصوابه جُوْم كما في القاموس ·

ج ي س ر — وقال الجيسَران جنس من أفخر النخل معرب كيسران بالفارسية · أورده صاحب القاموس في مادة ج ي س ء الجيسوان · بالواو وقال هو معرب كيسوان وأصله فارسي ·

ح ب ب — جمع الحُب للجرة على حَبَبَة بفتح الحاء والصواب كسرها كعِنَبَة ·

ح ب س — جمع الحبيس الموقوف على حبسَى والصواب في جمعه حُبُس قال في اللسان والحُبُس جمع الحبيس يقع على كل شيء وقفه صاحبه (الخ)

ح ب ط — وقال في الحبَط (محركة) انها الآثار الوارمة التي تشقق وصوابه التي لم تتشقق ·

ح ب ل — وقال الحابول الكُرُّ وهو حبل ··· وصوابه الكَرُّ بالفتح ·

ح ت ر ف — وقال حترفه : زعزعه وصوابه حثرفه بالثاء المثلثة كما في القاموس ·

ح ث م — وجعل حثم له من باب نصر وصوابه انه من باب ضرب كما في المختار

ح ت م — وجاء في الشاهد على حلّة وصوابه على حالة ·

ح ج ر — جاء في حديث الأحنف قد رميت بحجر الأرض فاجعل معه ابن عياض صوابه ابن عباس ·

ح ج ز — وقال حجز : زنج لمرض في المعَى صوابه زنج (بالجيم) والزَنج محركة اسم لمرض في المعى والمصارين صرّح بذلك الأئمة ·

ح ج ل وقال الحجّال : البرّاق وصوابه البريق كما في القاموس ·

〃 〃 زبّى حجل : لعبة ··· وصوابه دُبّى بالدال

ح ج ل — التحجيل بياض ... من آثار الطراد وصوابه من آثار الصرار.
〃 جاوز الأدساغ وصوابه الأرساغ (جمع رسغ).
ح ج ن — جعل حجن العود من باب نصر والصواب انه من باب ضرب.
ح د ب — جعل من جموع الحدِب بكسر الدال للرجل الأحدب. احداب. وانما الأحداب جمع حَدَب الرمل بفتح الدال وفَعِل لا تجمع على أفعال قياساً.
ح د ب — وقال وَحداَب كقطام موضع ويعرب ممنوعاً ... قال جرير: (لقد جردت يوم الحَداَب نساؤكم). واسم الموضع الِحداب بكسر الحاء وهو في بيت جرير كذلك كما في اللسان
ح ذ ل — وقال الَحذال. مستدار ذيل القميص وصوابه الَحذَل وزان جَبَل.
〃 الَحذْل صمغ الطلح والصواب الُحذال بضم الحاء وفتحها وفسروه بشيء يكون في الطلح شبيه الصمغ.
ح ر د — وقال قطاً حُرُود بالضم سراع كما في القاموس. والذي في القاموس حرُد وزان عنق.
ح ر د — وقال حاردتْ حالي: تنكّرَت وصوابه تنكّدَت بالدال.
〃 وِ ترَحرْد: بعض قواه أطول من بعض وصوابه وَ تَرْ وزان جَبَل.
ح ر ر — 〃 الُحرّان بصورة التثنية والحرُّابي وهما اخوان فغلب الُحرُّ على ابي كما في الأب والأُم ونصُّ اللسان والُحرّان الحرُّ وأخوه أُبَيّ ... كان أحدهما أشهر من الآخر سميا جميعاً باسم الأشهر والعجب من المؤلف كيف عدل عن عبارة اللسان الواضحة الى عبارته هذه المسلطة.
ح ر س — وقال: قالوا ولا يقال حارسيّ الا اذا ذهب به الى معنى الحراسة دون الجنس والصواب لا يقال حارس (بدون ياء النسبة)
〃 الَحرَمي واحد حَرَس السلطان ج حَرَسيَّة. ان هذا الجمع غريب وأحسبه عامياً ونص الأئمة الُحرّاس.
〃 وقال فلان يأكل الُحراسات وصوابه الِحراسات بكسر الحاء كما في اللسان

ح ر ص — جاء في جمع الحريص على حُرَاصاء وصوابه حُرَصاء كحكيم وحكماء واحسبه غلطاً مطبعياً ٠

ح ز ن — وقال حَزَنه حُزْناً . . لغة تميم واحزنه مثل حَزَنه وحزَّنه لغة قريش ٠ والذي جاء في اللسان هكذا ٠ الجوهري حَزَنه لغة قريش وأحزنه لغة تميم وقدقرئ بهما اه ٠ وحكي عن ثعلب ان الثلاثي لغة قريش وأقرهما الأزهري وهو قول ابي عمرو ٠

ح س ب — وقال استعطاني فاحتسبته اكثرت له (الاساس) لكن عبارة الأساس فأحْسَبته أي على افعل لا على افتعل ويشترط في النقل الأمانة ٠

ح س ر — وقال وكل ما في القرآن من حسرة فهي الندامة الا قوله فيجعل الله قلوبهم حسرة فان معناه الحزن أما الآية فقد حَرَّفها ونصها : « ليجعل الله ذلك حَسرة في قلوبهم» (١٥٦ آل عمران) وقد قيل في معنى الحسرة في هذه الآية الندامة وجاءت الحسرة في القرآن لغير الندامة في قوله تعالى : « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » ٠ فكلّيته هذه منقوضة على ان الأصل في معنى الحسرة الكشف والمراد بها الغم بما انكشف من فوات شيء هكذا قالوا ٠

ح س ب — وقال والحُسبان بالضم الحساب ومنه في القرآن : « الشمس والقمر بحُسْبان » أي يجريان بحساب معلوم مقدر ٠ و — السهام الصغار الواحد حُسبانة ٠ وهذا كل ما جاء في أقرب الموارد في معنى الحُسبان ٠ وأما ما جاء في كتابي (متن اللغة) في معناها فهو « الحُسبان يكون جمعاً للحساب كشهاب وشهبان ٠ ومصدر الحَسَب نحو الشكران والغفران واسماً للمصدر و — العذاب و — البلاء والشر و — الجراد و — العجاج و — النار و — سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبة ينزع في القوس ثم يرمي بها فاذا نزع في القصبة خرجت الحُسبان كأنها غبية مطرت فتفرقت في الناس واحدها حُسبانة وأصل الحُسبان السهام التي ترمى لتجري في طلق واحد وكان ذلك من رمي الأساورة وأصل الباب الحساب وانما يقال لما يرمى به حسبان لأنه يكثر كثرة الحساب ويطلق اليوم على السوائل الملتهبة التي يقذف بها في الحرب ويصح إطلاقه على بنادق الرشاش المعروفة اليوم ٠

ح س ن — وقال ومنه في القرآن : قل هل تربصون الا احدى الحُسنْيين سقط من الآية بنا بعد تربصون ·

ح ش ش — وقال قام فلان الى فلان فاستحشه اي حضر معه هكذا جاء بها من معنى الحضور وصوابه اي فصغر معه من الصِغر أو من الصغار ·

ح ط ط — وقال في مصدر حط البعير الَحطاط وصوابه الِحطاط بالكسر وقد نصوا عليه « منكب مُحَطٌ ليس بمرتفع ولا مُستْفَل » (هكذا بالفاء) والصواب المنحط وهو من المناكب المُسْتَفَل الذي ليس بمرتفع ولا مُستقلٌ ومعنى المستفل (بالفاء) المحطوط والمستقل (بالقاف) المرتفع والعطف هنا عطف تفسير ·

ح ط ط — وقال حط الرجل حطاً : حدر من علو الى سفل هكذا أورد الرجل بالجيم مرفوعاً على انه فاعل وصوابه حطَّ الرَحْل بالحاء منصوباً على أنه مفعول وذلك اذا حَدّره من أعلى الى أسفل ·

ح ف د — وقال المحفِد كمجلس شيء تُعلَّق فيه الدواب والصواب تعلف وقد أورده على صحته في المِحفَد كمنبر فكان هذا غلطاً مطبعياً ·

ح ف ن — وقال الُحفنَة بالضم ملء الكفين وكرر ذلك بهذا الضبط والصواب فتح الحاء في سائر مواردها لهذا المعنى كما في اللسان ·

أغلاط مطبعية

جاء في كلمتي المنشورة في الجزء السابق من هذه المجلة أخطاء مطبعية فلتصحح بالقلم :

ص	س	خطأ	صواب
١١٩	١	بالمنشار	بالمِنشارَ
١١٩	١٢	آنخ	آنَخ
١١٩	١٧	البانورنج	البابونج
١٢٢	٧	در عيني	و — عيني
١٢٤	٢	انى الله	أني أنا الله
١٢٤	١٧	الحثي	الحتى بالتاء المثناة

النبطية (جبل عاملة) أحمد رضا

الملك الظاهر بيبرس [1]

— ٢ —

وكان أولُ ما صنعه بيبرس مكاتبة ملوك الأطراف وأمراء الشام بأمر تسنمه عرش المملكة المصرية . ومن هؤلاء الملوك صاحب حماة الذي بايعه مغتبطاً جذلان . ولم يتخلَّف عن طاعته سوى (الأمير سنجر الحلبي) نائب دمشق فانه حلَّف أمراءها لنفسه . ثم دعا اليه صاحب حماة الملك المنصور فأبى قائلاً : (أنا مع من يملك الديار المصرية كائناً من كان) . وجعل سنجر يحبّب أهل دمشق بنفسه . وعَرَف منهم حبّ اللهو فيسر لهم أسبابه . وأمر بتجديد القلعة . فعملوا في بنائها حتى النساء أنفسهن . ولما كملت زفوها بالمغاني والطبول والبوقات . فكان يوماً مشهوداً . وبلغت فعلته ومروقه من الطاعة بيبرس فاتخذ خطةً حازمة أدت أخيراً الى خضوع سنجر فولى مكانه على دمشق سيده الأول (الأمير ايديكين البندقداري) وأخذ بيبرس يتتبع أخبار أمراء الأطراف الذين يخشى انتقاضهم عليه : فكان يلتقطهم الواحد بعد الآخر : ينكل بهم أو يسجنهم أو يستصفيهم وينعم عليهم . واهتم اشد الاهتمام بأمر الخلافة العباسية التي أسقطها التتار وأراد استثمار هذا الأمر في مصلحته وتثبيت مملكته والتفوّق على مناوئيه من الملوك ولا سيما بني أيوب فهو باحتضانه الخلافة العباسية يصبح هو وحده حاميها والمفوّض من قِبَلها في حماية الاسلام . وصيانة بلاد الاسلام .

وقد بلغه أن التتار بعد أن قتلوا الخليفة المستعصم أطلقوا من في سجنه من أهله . وكان فيهم (ابو القاسم أحمد) الذي لقب (بالمستنصر الثاني) فلجأ الى عرب العراق وجعل يتنسم أخبار بيبرس متشوّقاً اليه . وبيبرس أكثرُ شوقاً

(١) القسم الثاني من محاضرة الأستاذ المغربي التي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق بتاريخ ٣١ كانون الأول سنة ١٩٤٥ وقد نشر القسم الأول في العدد السابق .

اليه . وأشدُّ رغبة فيه . وبقيت الخلافة شاغرةً مدة ثلاث سنوات ونصف حتى وفد المستنصر أخيراً على بيبرس في حماية أمير عرب الفضل (عيسى بن مُهنّا) فركب الملك للقائه وأقيمت المهرجانات في القاهرة عند قدومه . وبويع المستنصر بالخلافة . وكان أول من بايعه قاضي القضاة ثم بايعه بيبرس فالعلماء والأمراء . وبعد ان تمت البيعة للخليفة جاء دور إعلان ملكية بيبرس . فعُقدت لذلك حفلة كبرى . وكان الخليفة أمر بتفصيل خلعةٍ سوداء وبعَمَل طوقٍ من ذهب . وقيدٍ من ذهب . وبكتابة تقليد بالسلطنة . فقُرِئ التقليد ، وألبس الخليفة بيبرس الخلعة السوداء بيده ، وطوّق عنقه بالطوق الذهبي ، وقيّد رجليه بالقيد الذهبي . وشقّ القاهرة بموكبه ، والأمراء يمشون بين يديه . فكان يوماً يقصر اللسان عن وصفه .

ولا غرابة في أن يُطوّق الملك بطوق الذهب ، فقد كان ذلك مألوفًا في تزايين الملوك الأقدمين ، وآيين احتفالاتهم ، ولكننا لم نفهم معنى للقيد الذهبي في رجل بيبرس ، فهل كان الغرض منه أن يكون خلخالاً للزينة كالطوق ؟ أو هو رمز الى ان بيبرس سوف يبقى عبداً للخلافة مقيداً بخدمتها ، وأسيراً لفضلها ومنّتها !

وقد جاء في تقليد الخليفة لبيبرس ما نصه : (وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع . ويعترف أنه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع . وقد قلدك الديار المصرية والشامية والعراقية والحجازية واليمنية ، وما يتجدد من الفتوحات غوْراً ونجدا . وفوّض أمرها اليك حين أصبحت للمكارم فردا) .

وهكذا انتقل الأمر والنهي من سُلطة العرب إلى سلطة الأعاجم وبقي الخليفة في مصر لا شأن له . وكان أشبه بالسجين لكنه كان يزور أحياناً الأمراء والكتاب والقضاة : يهنئهم بالأعياد ، فالملك الظاهر إنما أعاد الخلافة العباسية لأجل ان يتلقى منها السلطة الشرعية ، ويحتجّ بها على منافسيه ، ثم أهملها حتى قام زميله الأعجمي الآخر (السلطان سليم العثماني) فنقل الخلافة من

مصر الى الاستانة وهناك طُمس اسمها ، ومُحي رسمها ، حتى قام السلطان (عبد الحميد الثاني) فحاول إحياءها والاستفادة من قداستها ، فلم يَرُق ذلك لمن بيدهم السيطرة العالمية فاحتالوا على إسقاطها في الاستانة ، ثم أرادت ان تنهض في مكة ولكنهم عادوا فأماتوها في قبرص .

ومنصب الخلافة أيها السادة ثالث ثلاثة محاور تدور عليها جامعة الاسلام ، فان كانت ماتت الخلافة فإن القرآن والكعبة حيان لن يموتا ، بل ان فيهما الكفاية لذوي الألباب .

وحصل في بلاد الشام خلاف بين أمرائها أدى الى وقائع ومناوشات فاتخذ بيبرس من نزاعهم ذريعةً الى زيارتها ، وهناك شيء آخر قام في نفسه : وهو ان يصطحب الخليفة الجديد ويجهزه الى استرداد بغداد من ايدي التتار فدخل بيبرس دمشق وهو معه .

وهذه أُولى سفرات بيبرس الى الديار الشامية ، وقد بلغت سفراته اليها ست عشرة سفرةً ، ومدة سلطنته ثماني عشرة سنةً ، فيصيب كل سنة وشهرين من أيام سلطنته سفرةٌ واحدةٌ الى الشام . وسنذكر ما جرى له في تلك السفرات ملخصاً تلخيصاً ، أما تفاصيلها فمدوّنة في كتب التاريخ لمن أرادها .

ولما نزل دمشق كان أولُ من جاءه فيها ملك حماة (المنصور) الذي أنِفَ أن يشتريه خوف الشر اللامع في عينيه لكن بيبرس لم يأنف من الحفاوة به والاحسان اليه : فخلع عليه وأعطاه ثمانين ألف درهم ، وهدايا أُخر ، وثبّته في مملكة حماة الى ما شاء الله حتى كان من ذريته المؤرخ (ابو الفدا) ملك حماة ومفخرتها . وأخذ بيبرس في إعداد حملة للخليفة (المستنصر) وتجهيزها بكل وسائل الأبهة والعظمة ، حتى قيل إنه أنفق عليها أكثر من مليون دينار ، وسار الخليفة وفي ركابه عدة ملوك ، أما بيبرس فلم يصحبه ، ولم يلقِ بنفسه في الأتون : ذلك أن الخليفة لما دخل العراق انقاد اليه بعضُ مدنها ، واستعصى عليه بعضها ، وصمَد اليه (قرابوغا) عظيم التتار بجنوده وذلك سنة (٦٦٠ هـ) ولم يكن مع

الخليفة من الجنود الا التركمان وجماعةٌ من العربان . وتسأل من رافقه من الملوك ، فلم يشهدوا الوقعة معتذرين بقولهم (ما معنا مرسوم بذلك) يعنون من بيبرس فهل كان هذا التدبير من مكايد بيبرس للتخلص من الخليفة الأسود اللون والمشكوك في نسبته الى بني العباس ، فورطه في هذه الفتنة التتارية حتى غَرِق فيها . ولم يظهر له أثر بعدها ؟ وهذا ما حدث : فان المستنصر لما التقي بالتتار أحاطوا به فنجا بعض أمرائه ومنهم أمير عرب الفضل (ابن مُهنا) وقُتل بعضهم . أما هو فلم يوقف له على خبر : قيل قُتل ، وقيل نجا مجروحاً ومات في منازل العربان ، وقيل سلم وأضمرته البلاد ، وهكذا تمَّ ما أراده بيبرس وتخلص من الخليفة بعد أن أصبح ملكاً شرعيًا بمبايعته له .

ولعلَّ بيبرس لم يرد هذا وانما اراد بهذه الحملة أن يَعجُمَ عود التتار ومبلغَ قوتهم ، ولم يشأ أن يغامر بنفسه وهو بعدُ في السنة الثالثة من ملكه ، فلم تتوفر لديه القوة ولا أسبابها من عتادٍ وسلاح ، ولم يطمئن بعدُ الى من حوله من الأمراء الطامعين في الملك : فان بعضهم ما زال يراوغ ويُضمر السوء ، وينزو هنا وهناك نزوان الثعالب . ومنهم الأمير (آقوش البرونلي) الذي أراد أن يستبدّ بحلب ثم عاد فخضع .

ورجع الملك الظاهر الى مصر من دون أن يكون معه خليفة ، غير أن مصر اصبحت مطمح أنظار الطامعين بالخلافة من آل العباس فقصدها منهم (الحاكم بأمر الله) فاحتفى به بيبرس وعقد مجلساً لمبايعته فبويع لكنه رَسمَ عليه أن يبقى في القلعة شبه سجين .

وفي سنة (٦٦٣ هـ) كثرت الشكاوي على قاضي مصر (ابن بنت الأعزّ) ونسبوا اليه التراخي في الأحكام فرأى الملك أن يجعل القضاة أربعة : لكل مذهبٍ قاضٍ في مصر وفي دمشق أيضاً ، واتفق ان كان من قضاة دمشق ثلاثة ، كلٌّ منهم كان يلقب بشمس الدين : شمس الدين بن خلّكان الشافعي . وشمس الدين الأذرعي الحنفي ، وشمس الدين بن أبي عمر الحنبلي . فقامت دمشق

تشكو وتقول : ما الفائدة من هذه الشموس · وظلام الجور مخيِّمٌ فوق الرؤوس ،
وقال شاعرهم : بدمشقٍ آيةٌ قد ظهرت للناس عاما
كلما ازدادوا شموساً زادت الدنيا ظلاما

وكان التحاسد والتنازع حول الوظائف الدينية بالغاً مبلغه في ذلك العهد : من ذلك ما ذكره (ابن أبي عُذيبه) في تاريخه : ان التتار لما وصلوا الى حمص جمع الشيخ (محي الدين بن الذكي) صدرُ دمشق في ذلك العهد علماءها ، وأهل المناصب فيها وأشار عليهم أن يهيئوا هدية سنية يتوجه بها الى حمص ويقدمها الى ملك التتار باسم مدينة دمشق ملتمساً منه عدم التعرض لها بسوء ، فاستحسنوا رأيه ، وأخذ الهدية وقدمها اليه فقبلها شاكراً وولاّه قضاء الشام · فكبر الأمر على منافسيه من علمائها ، فجازوه على حسن صنيعه : بأن أرسلوا الى (الملك الظاهر) يقولون : ان الشيخ الذكي اقتطع لنفسه من الهدية قسماً كبيراً وطلبوا محاسبته ، فاستدعاه الملك الى مصر وسأله عن القضية فشرحها له ، ولما تبين صدقه نَفِسَ به أن يعيش في دمشق بين أولئك الحسدة فأبقاه لديه في مصر ·

ولما استقرت الحالة الداخلية في المملكة أخذ الظاهر يفكر في الحالة الخارجية وكان يهمه في الأكثر تطهير البلاد من الصليبيين ، فخرج من مصر الى الشام وهي سفرته الثانية وذلك سنة ٦٦٤ هـ ونزل عين جالت قرب نابلس ، ومنها بثّ جنوده فأغاروا على عكا وصور وطرابلس فسبوا وغنموا · ثم نهض هو الى صفد فامتنعت عليه الا أن يحلف لهم هو نفسه على شروط الصلح ، وكان في صدره حزازةٌ عليهم فمكر بهم مكراً حاسبه عليه التاريخ ، ولامه ميور الانكليزي بسببه أشد اللوم : ذلك أنه أجلس على كرسيه أحد أمرائه (كرمون آغا التتاري) فحلف كرمون آغا لرسل صفد وهم يظنونه الملك الظاهر لشدة شبهه به · وتسلم الملك القلعة ، وبلغه ان أهلها أخذوا بعض ما له قيمةٌ من التحف وكانوا تعهدوا أن لا يفعلوا · فأمر بضرب رقابهم ، ورجع الى مصر وكان أمر بعمارة جسر على نهر الشريعة فظهر خلل في بعض أركانه وتعذّر إصلاحه بسبب طغيان

المياه فقلق الملك واتفق ان وقعت قطعة من الجبال على المجاري فانقطع الماء فأصلحوا الجسر وعادت المياه الى مجاريها . وُعدّ هذا من حسن طالع الملك ، ثم رجع بيبرس الى الشام لمناجزة الصليبيين في ٧ جمادى الآخرة سنة ٦٦٥ فاستولى على انطاكية في ٤ رمضان : ففي خلال الثلاثة الأشهر إلا أياماً اجتاز بيبرس قفار صحراء مصر وطور سينا حتى بلغ يافا ففتحها وفتح بعدها شقيف أرنون واكتسح أرباض طرابلس وحصن الأكراد ومرّ بحمص وحماة وأفاميا حتى انطاكية ففتحها : معاقل حصينة ، وعدوٌ جبار مسلّح ، ومسافات طويلة تبلغ زهاء الف كيلو متر ، ولا سكك حديد ، ولا سيارات نقل ، ولا طيارات ، ولا بخار ، ولا كهرباء ، ولا تلفونات . أليس كل هذا من خوارق همم جارنا الملك الظاهر ، وشدة مضائه ، وعجيب عزائمه ! وماذا كان شأن بيبرس في الشام بعد هذا الفتح ؟ كان شأنه في الشام كما كان شأنه في مصر : قلق واضطراب وحذر وسوء ظن يجعله لا يستقر على حال ، ولا يهدأ له بال . كان وهو في مصر يفكّر في حال أمراء بلاد الشام وملوكها : أهم باقون على ولائه مستمسكون بطاعته ؟ يفكر في بقايا الصليبيين أما حان جَلاؤهم عن البلاد ؟ وهناك أرمن وتتار على الحدود في الشمال والشرق ما فتئوا يعيثون ويتربصون الدوائر بالبلاد — كل ذلك كان يزعجه فيُعَجّل من مصر الى الشام فيعمل ما سمعتم نموذجاً منه آنفاً . حتى اذا استقر في الشام أخذ يفكر في مصر وأمرائها : أباقون هم على طاعته والنصح له والالتفاف حول وليّ عهده وضجيعه في قبره (الملك السعيد) فيهبُّ من فوره ويسرع الى مصر . وهكذا قضى سِني ملكه يراوح بين الرحلتين . ويتنزّى تنزّيَ النمر بين القطرين .

اكتسح الشام وفتح انطاكية وعيّد في دمشق . وعاد الى مصر فدخلها في ١١ ذي الحجة سنة ٦٦٥ ورأى ان يحتفل بولاية العهد لابنه السعيد ففعل وأخذ القضاة يحلّفون الأمراء على بَيعته وامحاض النصح في خدمته . وخرج الموكب من القلعة بأبهة السلطنة والظاهر بيبرس ماشٍ على قدميه أمام ابنه ، وولي عهده .

كل ذلك زيادة في تمكين السلطان له ، وتقريره في نفوس الأمراء : فلا تحدثهم أنفسهم بالانتقاض عليه ، واختلى به يوماً فقال له : (إنك صبيّ وهؤلاء الأمراء الأكابر يرونك بعين الصبيّ فمن بلغك عنه ما يشوّش عليك ملكك وتحققت ذلك منه فاضرب عنقه ، ولا تستشر أحداً فيه ، وافعل ما أمرتك به وإلاّ ضاعت مصلحتك) .

ولما هدأ باله من جهة ابنه سافر الى الشام لمقابلة رسل التتار فأنزلهم في القلعة واستقبلهم فيها وأدّوا رسالة ملكهم (ابغا بن هولاكو) ومما قال له فيها : (وأنت لو صعدت الى السماء أو هبطت الى الأرض ما تخلص منا . فالمصلحة ان تجعل بيننا صلحاً . وإنما أنت مملوك أُبِعتَ في سيواس (اي عُرضت للبيع فيها) فكيف تشاقق ملوك الأرض وأولاد ملوكها ؟)

فوسَّع الملك الظاهر صدره لهذا التهديد والتعيير ، وصرف الرسل برسالة ملخصها : إنه عامل على استرداد ما بأيديهم من بلاد الاسلام وسيرون .

ثم تسلّل بيبرس عائداً الى القاهرة خفيةً ، والناس في دمشق يظنونه مريضاً : تغدو الأطباء عليه وتروح .

ويُفهم من كلام المؤرخ (ابن تغري بردي) ان بيبرس غادر بلاد الشام في ١٨ شعبان وعاد اليها في ٢٩ منه ، فكانت مدة غيابه احد عشر يوماً : منها أربعة أيام أقامها بمصر والباقي سبعةُ أيام للذهاب والإياب . أليست هذه السرعة في قطع المسافات من مواضع العجب إن لم تكن من مواضع الشك في صدق الخبر وضبط الأرقام ؟ اللهم الا اذا ادّعى مدع بأن بيبرس كان يمتطي خيل البريد المهيأة له في المنازل وهو منذ حداثته في بلاده اعتاد ركوب الأفراس والطراد عليها ، وكأن شربه حليبها . أورثه صبرها ودؤوبها . وجعل اعصابه من أعصابها ، ووثوب الفهد ليس من العجيب . وقديماً قالوا لكل مسمى من اسمه نصيب .

وكان غرضه من تعجيل الزيارة لمصر الوقوفَ على أحوال ولده وحسن قيامه بأعباء الملك واخلاص الأمراء له والاطمئنان الى خلو الجو من الدسائس والمؤامرات ؟ كل هذا كان يخافه الظاهر بيبرس لأنه درس طبيعة ذلك العصر

وأخلاق أهله منذ حداثته : فهو يعرف ان الابن أحياناً يخون أباه وبالعكس ، والخشداش [1] يخامر على خشداشه ويسلمه الى الهلاكة . فلا تعجبوا أيها السادة من سوء ظن جارنا الملك الظاهر وشدة حذره .

وفي سفرته هذه الى الشام شخص منها الى الحجاز فأدى الفريضة وزار المدينة المنورة فهرب منها المتغلب عليها (جمّاز بن شيحة) من امراء عرب الفضل . فعجب بيبرس لهروبه . قال : ولو ظفرت به لما قتلته لأنه في حرم النبي ﷺ . ورجع الى مكة فطاف وسعى وصعد الكعبة وغسلها بيده بماء الورد وعاد الى الشام فمصر فأغدق الهدايا والخلع والمال على أمرائه ، ثم عاد الى الشام وهذه هي السفرة السادسة من سفراته ، وأريحوني أيها السادة من تعيين مقدار الأيام التي كان يمكثها هنا وهناك وفي الطريق فقد عرفتم نماذجها مما مرّ . وأنا أشعر أنكم مذ تتصورون قلقلة الظاهر ركابه في سفراته . ونشاطه في غدواته وروحاته تقارنون بينها وبين سكونه الأبدي في هذه الحفرة الضيقة التي وصفها سيدنا علي فقال : (لو زيد في فسحتها ، وأوسعت يدا حافرها ، لأضغطها الحجر والمدر ، ولسدّ فرجها التراب المتراكم) .

وقد أسر بيبرس وهو في الشام ابن اخت ملك عكا ، وبلغه ان مراكب الافرنج دخلت ميناء الاسكندرية واستولت على مركبين للمسلمين فهب مسرعاً الى مصر ، وبلغه هناك ان مراكب الافرنج عادت فنهبت ميناء الاسكندرية فأمر بتقوية وسائل الدفاع عنها : من ذلك أن تقتل كلابها ، وتغلق حوانيتها ليلاً وان لا يوقد فيها نار ليلاً . ونهض الى الشام . وهذه هي سفرته السابعة فمر بعسقلان فهدم سورها فوجد تحته كوزين فيهما ألفا دينار ذهباً ففرقها على أصحابه . ولم يصل هذه المرة الى دمشق بل عاد الى مصر ثم لم يلبث أن عاد

[1] الخشداش كلمة تركية شاع استعمالها بين مماليك ذلك العهد ، وكان الواحد منهم يطلقها على مملوك آخر توثقت بينهما أواصر الود مذ كانا مملوكين لسيد واحد ، وجعلها بعضهم مرادفة لكلمة Camarade الافرنسية .

الى الشام فدوّخ وفتح وأسر من الصليبيين حتى القى عصا التسيار أخيراً على (حصن الأكراد) المعقل المنيع المشهور بين حمص وطرابلس فهدم أسواره واستولى عليه . وعلى البلاد التي حواليه .

ثم قصد طرابلس وشدّد الحصار عليها . وفي آخر الأمر هادن صاحبها (بيموند) على شروط : ومن تلك الشروط أن تكون عَرْقة وقُراها (وهي ست وخمسون قرية) صدقة من بيبرس على البرنس ، وهذه احدى دُعابات جارنا الملك . فأنف البرنس (بيموند) وتوقّف عن توقيع الاتفاقية وأبى بيبرس إلا إبقاء هذا الشرط بهذا التعبير . وفي آخر الأمر وقع البرنس الاتفاقية مكرهاً .

وعاد الظاهر الى مصر بعد أن أنفق في هذه السفرة على عسكره ثمانمائة الف دينار . وكان بلغه أن طائفةً من الأمراء تآمروا عليه وهو ما كان يخشاه ويقلق راحته فقبض عليهم وسجنهم في القلعة .

وبلغه ان صاحب قبرص جاء الى عكا فاغتنم بيبرس فرصةَ غيابه وأرسل الى قبرص حملةً بحرية فعصفت بها الرياح وتحطم من شوانيها (أي سفنها) أحد عشر من سبعة عشر شونياً . وأُخذ من فيها أسرى ، وكانوا ألفاً وثمانمائة . فعظم ذلك على الملك وأمر بمنع الخمور فأريقت . وكان التزامها ألف دينار كل يوم .

(لها بقية) المغربي

ضرب الحوطة على جميع الغوطة

للحافظ محمد بن طولون الدمشقي الحنفي رحمه الله

نشرها نشراً جديداً وعلق عليهـا الدكتور محمد أسعد طلس

(القسم الثاني)

ترجمة المؤلف

ابن طولون : هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن احمد المدعو بمحمد ابن علي بن خمارويه ابن طولون الصالحي الدمشقي الحنفي المكنى بأبي الفضل ٠

ولد بصالحية دمشق في حكر الحجاج المشهور في زمنه باسم حكر بني القلانسي قبلي مدرسة الشيخ ابي عمر كما يقول هو عن نفسه [1] ويقول ابن العماد في شذرات الذهب : انه ولد بالسهم الأعلى قرب المدرسة الحاجبية ٠ قلت ولا تناقض فان السهم الأعلى اسم يشمل المدرستين العمرية والحاجبية وما حولها وكل ذلك زال في يومنا هذا وانما يطلق عليه اسم حارة لاكراد ٠ والعمرية باق اكثر مرافقها أما الحاجبية فلم يبق منها الا حيطانها ولا تزال معروفة باسم الحاجبية [2] ٠ وكان مولده في ربيع الأول من شهور سنة ثمان وثمانمائة تقريباً كما يقول هو عن نفسه ٠ ماتت والدته — ازدان التركية — فعني به أبوه وتعلم الخط بمكتب المدرسة الحاجبية ثم حفظ القرآن بمكتب مسجد الكوافي الشهير الآن بمسجد العساكرة بالسهم الأعلى وصلى به في هذا المسجد في رمضان سنة سبع وثمانين وحضر خلفه في الصلاة شيخ الاسلام زين الدين بن العيني الصالحي وشمس الدين محمد بن عيسى البغدادي ٠ ثم حفظ المختار في الفقه الحنفي وعرضه على الزين العيني بمحل تدريسه

(١) انظر رسالة « الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون » لابن طولون نفسه وقد ترجم فيها نفسه ونشرها السيد حسام الدين القدسي باسم رسائل تاريخية رقم [١] بمطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٤٨

(٢) انظر كتاب منادمة الأطلال للمرحوم بدران ، وكتاب ثمار المقاصد لابن عبد الهادي الذي نشرناه وعلقنا عليه وذيلناه ٠

بالجامع الأموي ، ثم حفظ كتاب المنار في أصول الفقه الحنفي للحافظ النسفي وكتاب الخلاصة الألفيـة لابن مالك النحوي . والآجرومية لابن آجروم ، وكتاب الحدود لأبي عبد الله الأبدي والمقدمة الجزرية لشمس الدين بن الجزري وعرض هذه الكتب سنة اربع وتسعين وثمانمائة على جماعة منهم شيخ الحنفية بدمشق العز بن الحمراء ، وشيخ الشافعية التقي بن قاضي عجلون ، وشيخ الحنابلة الشهاب العسكري ، وقاضي قضاة الحنفية المحب بن القصيف ، وقاضي قضاة الشافعية الشهاب بن الفرفور ، وقاضي قضاة الحنابلة النجم بن مفلح ، والقاضي التقي بن قاضي زرع ، والقاضي المسند البرهان القطب . ثم حفظ تلخيص المفتاح للجلال القزويني والشمسية في المنطق ، والفية الحديث للعراقي ، وحرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع لابي القاسم الشاطبي ، والدرة في القراءات الثلاث تتمة العشرة لابن الجزري ، وعرضها على الجمال يوسف بن عبد الهادي . وقرأ القرآن بالسبع أفراداً وجمعاً على محي الدين الاربدي ، وبالثلاث تتمة العشرة على الشيخ شمس الدين ابن البصير امام باشورة الباب الصغير . ثم اقبل على رواية الحديث النبوي عن جماعة منهم : ناصر الدين ابو البقاء محمد بن أبي بكر بن ابي عمر الصالحي الشهير بابن زريق ؛ قرأ عليه في مدة عشر سنين أكثر أمهات كتب الحديث وقد سماها باسمائها في الفلك المشحون [١] كما أطال بذكر ترجمة شيخه هناك . وقرأ أيضاً على أبي الفتح المزي ، وخديجة الارموية . وكان يعني أثناء ذلك بالاشتغال بعلم الحديث النبوي دراية فقرأ على الشيخ المحدث جمال الدين يوسف بن عبد الهادي المشهور بابن المبرد بعض كتب السنة وكتاب النخبة وشرحها لابن حجر ، وقرأ على شمس الدين بن رمضان حل الفية الحافظ العراقي ، وقرأ على عمه الجمال بن طولون شرح الفية العراقي لزين الدين بن العيني ، ثم قرأ علم الكلام على جماعة منهم الملا عبد النبي شيخ المالكية : قرأ عليه شرح العقائد النسفية للتفتازاني مع حاشية الخيالي ، ثم شرح الطوالع للاصفهاني ، وقرأ علم الاصول على جماعة منهم البرهان ابن عون ؛ قرأ عليه شرح المنار لابن فرشته ثم شرح المغني للقاءاني ثم شرح

(١) انظرها في ص ١٠ — ١١

التنقيح لصدر الشريعة . وقرأ علم أصول النحو على جماعة منهم عبد الصمد الهندي قرأ عليه : الاقتراح للسيوطي . وقرأ علم النحو على جماعة منهم الشهابي بن شكم : قرأ عليه الأجرومية والبصروية للشمس البصري ، والملحة للحريري ، وقواعد الاعراب والشذور وشرحه لابن هشام ، ثم الفية ابن مالك وشرحها لولده . وقرأ علم التصريف على جماعة منهم الشمس بن رمضان قرأ عليه شرح العزى للتفتازاني ، ومنهم الشمس الصفدي قرأ شرح المراح ، ومنهم المنلا عبد النبي الهندي قرأ قرأ عليه بعض شرح الشافية للجاربردي . وقرأ علم المنطق على جمع منهم المنلا شمس الدين قرأ عليه الرسالة الأثيرية لأثير الدين الأبهري المشهورة بايساغوجي ثم شرحها للكاتي ثم لابن الفنري ، ومنهم المنلا عبد النبي قرأ عليه الشمسية ثم شرحها للقطب والتفتازاني ، ثم شرح المطالع للقطب وجمل الخونجي وشرحها للسيد وقرأ علم التفسير على جماعة منهم الشهاب العسكري : قرأ عليه بعض اتقان السيوطي ، ومنهم المنلا جلال الدواني قرأ عليه تفسير الفاتحة من الكشاف ثم تفسير آية الكرسي للشرواني ، وقرأ علم العروض على جماعة منهم : الشهاب بن شكم قرأ عليه الأندلسية لأبي الجيش الأندلسي ، ومنهم الشمس بن نصير قرأ عليه الخزرجية . وقرأ علم القوافي على جمع منهم : الشهاب بن شكم والشمس بن نصير وقرأ عليه الكافي لابن بري . وقرأ علم الطب على جمع : منهم رئيس الأطباء بدمشق الشمس بن مكي قرأ عليه متن الكليات الايلاقي ثم شرح كليات القانون للرازي ثم الموجز لابن نفيس ، وبعض شرح فصول ابقراط لابن القف ، وشرح المنلا نفيس على الأسباب والعلامات للسمرقندي وكتاب المنصوري ، ومنهم الجمال ابن المبرد قرأ عليه كتابيه في الأعشاب والطب النبوي ، ومنهم الشهاب القرعوني قرأ عليه اما كن من كتاب الامنيات في الحميات لمومي اليلداني ، وقرأ علم الهيئة على جماعة :منهم الشمس بن مكي قرأ عليه الملخص للجغميني وشرحه للسيد الشريف . وقرأ علم الهندسة على جماعة : منهم الشمس بن مكي قرأ عليه اشكال التأسيس للشمس

السمرقندي ثم شرحه للسيد الشريف ، وقرأ علم المعاني على جمع منهم الشمس ابن رمضان ، وعلم البيان على الشمس وعلى عبد الصمد الهندي ، وعلم البديع على الشمس والعلاء بن مليك . وقرأ علم الحساب على عرفة الوراق والمنلا عبد النبي الهندي . وعلم الفرائض على عمه الجمال بن طولون وعرفة الوراق والبرهان بن عون . وقرأ علم الميقات على جمع منهم ابو الحسن المنوفي ؛ قرأ عليه رسالة المقنطرات للشرف الحليلي ثم رسالة الجيب للشمس التيزيني ؛ ومنهم عرفة الوراق قرأ عليه منظومة المقنطرات للبرهان الزمزمي ، ومنهم الشيخ الشمس بن ابي الفتح قرأ عليه رسالته الشمسية في الأعمال الجيبية ، ثم كتاب تحفة الأحباب في الباذهنج ونصب المحراب لأبي العباس ابن المجدى ، وقرأ علم الفلك على جمع : منهم الشمس بن ابي الفتح قرأ عليه كشف الحقائق في حساب الدرج والدقائق لأبي العباس بن المجدي ، ورسالة حساب الدرج والدقائق بجدول النسبة الستينية لأبي الفضل الموقت ، وكتاب النيرين من زيج ابن الشاطر ، ومنهم ابو الفضل المؤذن قرأ عليه الكواكب السبعة من مختصر زيج ابن الشاطر الملقب بالدر الفاخر اختصار الشهاب الحلبي . وقرأ علم الطبيعي على جمع منهم الشمس بن مكي قرأ عليه الهداية لأثير الدين الأبهرى ثم شرحها للمنلا زاده ، وقرأ علم الآلهي على جمع منهم : الشمس بن مكي وقرأ عليه الهداية . وقرأ علم التاريخ على جماعة منهم : يوسف بن عبد الهادي قرأ عليه الشماريخ في علم التاريخ للسيوطي ، وقرأ علم اللغة على جماعة منهم الشهاب العسكري قرأ عليه أماكن من المزهر للسيوطي ، وقرأ علم التصوف على جماعة منهم : ابو الفتح الاسكندري قرأ عليه اماكن من كتابة ابتغاء القربة باللباس والصحبة ، ومنهم الجمال يوسف بن عبد الهادي قرأ عليه كتابه صدق التشوف في علم التصوف وكتابه يد العلقة بلبس الخرقة والبسه اياها ومنهم ابو عراقية وقرأ عليه عوارف المعارف ثم البسه الخرقة ايضاً . وقرأ علم الفقه على جمع منهم الزين بن العيني قرأ عليه بعض كتاب المختار للفتوى للشيخ المجد البغدادي ، ومنهم البرهان بن القطب قرأ عليه بعض كتاب المختار ، ومنهم شيخ القجماسية

الشمس بن رمضان قرأ عليه بعض الكتاب المذكور والكنز للحافظ النسفي واجازه بالتدريس في ٧ ربيع الأول سنة ٩٩٩ ، ومنهم امام الحنفية البرهان بن عوف قرأ عليه مجمع البحرين لابن الساعاتي ، والهداية للمرغيناني ، اجازه بالافتاء في سنة ٩١١ . وقال في كتابه الفلك المشحون بعد ذكر ما تقدم : وقد اشتغلت بعلوم اخر على اشياخ غرباء اعرضت عن ذكرها هنا لقلة اهتمامي بها ومن اراد الاطلاع على معرفة ما تيسر لي نوع إلمام به من انواع العلوم فعليه بكتابي المسمى باللؤلؤ المنظوم فاني ذكرت في كل واحد منها ما تيسر لي من رسمه وموضوعه وغايته وعمن اخذته وماذا كتابي فيه واي شيء لي فيه من تأليف الى حين وضعي هذا المؤلف وفائدة مهمة منه وغالباً لا اخل بذكرها اجمع اذ هي الغرض وربما يستفاد منها أمور اخرى بالعرض ومجموع ما ذكرت فيه من العلوم ثمانية وثلاثون علماً على عدد موالي النبي صلى الله عليه وسلم وفي ضمنها علوم أخر تزيد مع هذه على اثنين وسبعين علماً . ثم سرد بعض أجازاته فارجع اليها اذا شئت [1]

اما الوظائف التي وليها فهي انه كان اول امره يعقد الأنكحة باذن من الخليفة بمصر وقد ذكر طرفاً من صيغ عقوده هذه في كتاب الفلك المشحون فارجع اليها [2] ومن وظائفه قراءة القرآن تحت قبة النسر بالجامع الأموي وذلك حسب وقف السلطان المؤيد شيخ ، وقراءة القرآن بالتربة الشهابية بسفح قاسيون ، وقراءة القرآن ايضاً بالتربة الاسعردية [السعرتية] بالجسر الأبيض ، وقراءته بالسبع في المدرسة العمرية الى غير ذلك من القراءات القرآنية التي احصاها في ترجمته [3] ومن وظائفه قراءة الحديث النبوي بالمدرسة العزية بالشرف الأعلى [4] وقراءة صحيحي البخاري ومسلم في وقف آسية بنت السعيني بإيوان تربة اهلها بالجامع الجديد . وقراءة البخاري المنسوبة لعم والده الخواجا برهان بن

(١) الفلك المشحون من ص ١٨ الى ص ٢٠ (٢) المصدر السابق ص ٢٠ — ٢٣

(٣) المصدر السابق ص ٢٢ — ٢٣ (٤) أقول هي المدرسة العزية ولا تزال موجودة أمام مدرسة التجهيز وانظر كتابنا ثمار المقاصد .

قندبل . ومن وظائفه امامة الخانقاه اليونسية بالشرف الأعلى وكان صا كنّا بها في ٨ ربيع الآخر سنة ٩٠٨ [1] ومنها امامة الزاوية السيوفية بمحلة الفواخير في سلخ رجب سنة ٩٠٨، وامامة عمارة السلطان سليم بالصالحية وهو أول من وليها في مستهل محرم سنة ٩٢٤ . ومن وظائفه خطابة المدرسة الركنية بسفح قاسيون في ١٢ ذي القعدة سنة ٩٠١ الى ان خربت محلتها . ومن وظائفه المشارفة والنظر على على المدرسة المرشدية وكان له ربع اجرة المشارفة . ومن وظائفه تفرقة الربعة بالمدرسة الجوهرية في ١٢ رجب سنة ٩٠٩ . ومن وظائفه خدمة الكتب الحنفية بالمدرسة العمرية، وخدمة الكتب المنسوبة لعبد الرحمن بن العيني الموضوعة في تربته بالخاتونية داخل الجامع الجديد بالصالحية، وخدمة الكتب المنسوبة للعلاء البخاري الموضوعة بمشهد عروة بالجامع الأموي وقام بذلك سنين عن عمه الجمال ومن وظائفه كتابة الغيبة بالمدرسة الجوهرية . ومن وظائفه تدريس التصوف بالخانقاه اليونسية والخانقاه الحسامية بالقرب من الشبلية [2] . ومن وظائفه أيضاً الفقاهة في الماردانية والخاتونية البرانية وفي ايوان الجامع الجديد، والمدرسة الجوهرية والمرشدية والنجكية، والدماغية داخل باب قلعة دمشق، والجمالية والشبلية الجوانية [3] ومن وظائفة الاعادة بالمقدمية الجوانية . ومن الوظائف التي كان يشغلها التدريس في الماردانية، والعذراوية، والحنفية بالمدرسة العمرية ومن وظائفه أيضاً المشيخة بزاوية المنبجية بالربوة، وبالخانقاه اليونسية، وبالزاوية السيوفية، ومن وظائفه نيابة النظر في الخانقاه اليونسية ووقفها، والزاوية المنبجية بالربوة ووقفها، والنظر على زاوية السيوفي ووقفها، ووقف ذريته، والنظر على مكتبة العلاء البخاري، وفي سنة ٩٤٦ عرض عليه قاضي دمشق محمد باك الاصطنبولي خطابة الجامع الأموي فاعتذر لضعف بدنه . وفي سنة ٩٥٠ عقيب موت مفتي الحنفية القطب

---

(١) الخانقاه اليونسية هي التي يسميها العامة في هذه الأيام بجامع الطاووسية ولها بابان أحدهما من البحصة والثاني من طريق الصالحية وانظر أيضاً كتابنا ثمار المقاصد (٢) انظر ثمار المقاصد

(٣) وهناك مدارس اخرى ذكر ان له فيها (فقاهة) وما أدري ما المراد بهذه الكلمة ولكن المراد بها انه كان مسجلاً في هذه المدارس كفقيه يطلب العلم وله شيء من وقفها .

محمد بن الكمال الصالحي عرض عليه افتاء الحنفية فاعتذر وتعلل بتوالي الأوجاع [١]

وظل على تدريسه ووظائفه الى ان ادركه الأجل يوم الأحد حادي عشر أو ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ودفن بتربتهم عند عمه الجمال بن طولون بالسفح قبلي الكهف والخوارزمية، هكذا يقول النجم الغزي [٢] في كتابه الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة وابن العماد في الشذرات وقد فتشت طويلاً بين القبور هناك فلم أعثر على قبره كما فتش عليه من قبلي السيد حسام الدين القدسي فلم يهتد اليه . ولم يعقب أحداً ولم يكن له زوجة حين مات رحمه الله .

تلاميذه وآثاره : قال النجم الغزي في الكواكب : أخذ عن ابن طولون جماعة من الأعيان وبرعوا في حال حياته كالشهاب الطيبي شيخ الوعاظ والمحدثين والعلاء بن العماد ، والنجم البهنسي خطيب دمشق ، وشيخ الاسلام اسماعيل النابلسي مفتي الشافعية والزين بن سلطان مفتي الحنفية ، والشمس الميثاوي مفتي الشافعية الآن ، وشيخ الاسلام شهاب الدين الوفائي مفتي الحنابلة الآن ، وقريبة القاضي أكمل الدين بن مفلح وغيرهم .

أما كتبه فأكثر من ان تعد هنا . قال ابن العماد في الشذرات كانت أوقاته معمورة بالتدريس والافادة والتأليف كتب بخطه كثيراً من الكتب وعلق ستين جزءاً وسماها بالتعليقات كل جزء منها مشتمل على مؤلفات كثيرة أكثرها من جمعه وبعضها لغيره ومنها كثير من تأليفات شيخه (أي بالاجازة) السيوطي . وقد أحصى في آخر ترجمته لنفسه كتبه وتآليفه وسردها بترتيب الحروف الابجدية وقد جاءت في نحو من ٢٣ صحيفة بالحرف الدقيق ذكرها أيضاً السيد جميل العظم في كتابه قلائد الجوهر فيمن لهم خمسون تأليفاً فأكثر مع بعض تحريفات في اسمائها . وهذه المؤلفات في أغلب الظن رسائل لطيفة كالتي ننشرها الآن

(١) انظر الفلك ص ٢٥

(٢) منها نسخة مخطوطة بالظاهرية وقد نشر الجزء الأول منه الأستاذ جبور بيروت .

وقد نشر له منها ثلاث رسائل السيد حسام الدين القدسي منها رسالة « الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون » في ٥٤ صحيفة ، ورسالة « الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية » في ٣٨ صحيفة ،ورسالة « المعزة فيما قيل في المزة » في ٢٦ صحيفة . وكثير من هذه الرسائل لطيف طريف في بحثه فلعل الزمن يتيح للعلماء نشر ذلك واليك اسماء بعض هذه الرسائل الطريفة مما له علاقة بهذه الرسالة او مما له خطر وشأن .

رسالة : الأحاديث المروية في البساتين النيربية .

« : بهجة الأنام في فضل الشام .

« : التوجهات الست الى كف النساء عن قبر الست .

« : تفريج الهم في زيارة مغارة الدم .

كتاب : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية .

« : نزهة الأفكار فيما قيل في دمشق من الأشعار .

« : نزهة السامعين في المسلسل بالدمشقيين .

« : الذيل على طبقات الحنفية لعبد القادر القرشي في ٣ مجلدات

« : الذيل على كتاب تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب

« : الذيل على التوقيف في آداب التأليف .

« : فرائد الفوائد في احكام المساجد .

« : الهادي الى ترجمة شيخنا المحدث الجمال بن عبد الهادي .

« : المجاج من أخبار الحلاج .

رسالة : الالمام بأمثال العوام .

« : اعلام الورى بمن ولي نائباً بدمشق الشام الكبرى .

« الأحاديث المسموعة في دور القرآن بدمشق وضواحيها .

« « « في جوامع دمشق وضواحيها .

« « « في احدى مدارس الحنفيه أو الشافعية أو المالكية أو الحنابلة بدمشق وضواحيها .

رسالة : البرق السامي في تعداد منازل الحاج الشامي .
〃 : تبييض القراطيس فيمن دفن بباب الفراديس .
〃 : تبليغ البشرى بأحاديث داريا الكبرى .
〃 : جزء ذكر دور الحديث بدمشق .
〃 : الدر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام .
ديوان شعري الأكبر وقد غسلته في مرض عرض اشرفت فيه على الموت ، وديواني الأصغر وقد غيرت فيه كثيراً في ديواني الهالك
〃 : شرح أعلام الورى الأعلام بمن ولي قضاء الشام .
〃 : نهاية العبر في نفوذ القضاء والقدر بمدرسة شيخ الاسلام ابي عمر .
〃 : نهاية الاتعاظ وغاية الاعتبار فيما وجد على القبور من الأشعار .
〃 : النطق المبني عن ترجمة الشيخ المحيوي بن عربي[1] .

(١) الغوطة اسم مشتق من الغائط وهو المطمئن من الأرض . وجمعة غيطان وأغواط . وقال ياقوت بعد ذكره بيت حسان بن ثابت الأنصاري :

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

البريص اسم يطلق على الغوطة بأجمعها . وقال الأستاذ كرد علي : مساحة الغوطة ٤٠٦٠٠ هكتار أي نحو خمسة وستين الف فدان والفدان ست دونمات وكسر والدونم مبذر مد من الحنطة . والفدان ٥٧١٣ متراً مربعاً ، والدونم ٩١٩ متراً مربعاً . انظر مجلة المجمع العلمي ١٠/ص ١٥٨ .

(٢) قال الأستاذ كرد علي : ذكر ابن طولون ان في الغوطة سبعين قرية وبعضها الآن دارس وقرى الغوطة اثنتان وأربعون قرية واهمها من حيث وفرة السكان دومة حاضرة الغوطة الشمالية وداريا حاضرة الغوطة الجنوبية . أقول أما القرى التي ذكرها ابن طولون في الرسالة التي ننشرها فثمان وستون لاسبعون كما يذكر الأستاذ كرد علي . وقد اندرست قرى رمزنا اليها في العدد الماضي بنجمة هكذا [*]

(٣) قال الأستاذ كرد علي كانت قرب عربيل وقال ياقوت هي من قرى

(١) هنا تبدأ التعليقات على الرسالة المنشورة في العدد الماضي ابتداء من ص ١٥٢ .

دمشق خرج منها احمد بن مكي وقال Dussaud ص ٢٩٤ عنها وعن ارزة انها قد اندرستا ولا يعرف بالضبط موضعها . وانظر ياقوت ١/٢٠٨

(٤) هكذا بياض بالأصل وفي الخزانة الشرقية للزيات ص ٢٣ : (ولي الآن بها بيت) وهو محرف ويقول (ولها حدود) بدل (ولها حكر) وهو تحريف أيضاً .

(٥) البحدلية ويقال لها دير بحدل قال عنها Dussaud ص ٢٩٤ هي جنوب شرقي الشام وأما بيت رانس ويقال لها أيضاً بيت ارانس فانظر ما قال عنها ياقوت ص ٧٧٥ وانظر Dussaud ص ٢٩٥ .

(٦) في المخطوطة (بيت شحم) ويقول الأستاذ كرد علي [بيت سحم] بالسين وهي اليوم مشهورة بذلك .

(٧) قال ابن بطوطة : في شرق البلد [دمشق] قرب بيت إلاهية وكان فيها كنيسة وهي الآن مسجد جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملون المنظمة بأعجب نظام وهي غير بيت لاها التي بين انطاكية وحلب . انظر ياقوت فانه يقول عنها بيت لِهيا كذا يلفظ به والصحيح بيت الآلهة . ويقول Dussaud ص ٢٩٥ ان موضعها بالضبط : شمال دمشق يمين طريق برزة .

(٨) قال الاستاذ كرد علي كانت موضع طاحون الأشنان في غرب دمشق تدخل فيها قرية النيرب .

(٩) رد على هذه الأقوال وعلى من قال ان سيدنا ابراهيم ولد فيها ياقوت في كلامه على — برزة — فارجع اليه وانظر ما كتبناه في كتاب ثمار المقاصد لابن عبد الهادي الذي نشرناه وانظر Dussaud ص ٢٩٦ .

(١٠) هكذا في الأصل ولم اهتد الى المراد به فليحقق وفي الخزانة ص٤٤ وادي الجوز

(١١) بَرزة هي شرقي جبل الصالحية وحارة الأكراد اليوم ومنها يذهب الى وادي حلبون وزبدين وبعلبك (انظر Dussaud ص ٢٨٦ وص ٢٩٦) . وبخصوص برزة انظر ما كتبته Lady Burton في كتابها [Enner life of Syria] chap.X.

(١٢) يقول Dussaud ص ٢٩٤ : بالا : هي شرقي زبدين ما يزال

فيهـا بعض أعمدة وآثار هيكل المذبح • وانظر ما كتبه عنها : Souvire في
II , 159 , 238J . A. Descr . Damas

(١٣) لم أعثر على ذكر لهذه القرية فيما بين يدي من المصادر وفي الخزانة ص ٤٤ برنايا [بالياء] •

(١٤) يقول Dussaud ص ٢٩٥ : هي شرقي جسرين وقد ذكرها Souvaire في II , 265 Descr Damas •

(١٥) يقول Dussaud ص ٢٩٦ : هي غرب جسرين والنسبة اليها بسواني • وقد ذكرها ياقوت ج ١ ص ٧٧٨ • و LeSrtange في Palestine under the Muslems p. 205 ؛ Souvaire في II 239 , Descr . Damas •

(١٦) يقول Dussaud ص ٣١٢ تل شعير هي شرقي صحيا ولا يزيد •

(١٧) لا يذكر ″ هذه القرية وانما يذكر تل الذهب قرب جسر الشغور ص ١٦١ وتل الذهب قرب حماة ص ٢١٢

(١٨) يقول Dussaud ص ٣١٢ تل كردي بين عذرا وريحان •

(١٩) يريد بقوله «أهلها» [اهل الغوطة] • ويقول الأستاذ كرد علي: أصبح سكان الغوطة على توالي السنين مسلمين من أهل السنة وليس بها لعهدنا سوى بضع مئات من المسيحيين في داريا وعربيل وصحنايا والأشرفية وفيها مئات من المسلمين الدروز في جرمانا وصحنايا الشرقية وكان جميع أهل جوبر يهوداً الى ما بعد القرون الوسطى وقد استغرب ابن طولون ان اهل جرمانا تيامنة وقال وهذا عجيب ••• الخ • اما ياقوت فيذكر جرمانا ثم يذكر جرمانس ويقول ولعلها جرمانا • وانظر ما قاله Dussaud ص ٢٩٩ •

(٢٠) يقول Dussaud ص ٢٩٩ جوبر شمال شرقي دمشق وفيها كنيس يؤمه يهود دمشق وينقل عن Memoires D'Arvioux , II , 461 ؛ انها في زمنه كان كل سكانها يهوداً •

(٢١) يذكرها ياقوت ٢/ ٨٢ • و Le Strange ص ٤٦٤ و Souvaire 1994.I.398

ويقول Dussaud ص ٢٩٩ هي شرقي بيت سوا وفيها بقايا آثار قديمة وكانت أرضها تنتج كثيراً من الخشب .

(٢٢) ذكرها Dussaud ص ٢٩٩ وقال هي غربي العتيبة . وأما وظيفة ثالث مقدمي الألوف فاحدي وظائف المماليك ومقدمو الألوف اربعة انظر ما كتبه عنهم دومومبين في كتابه سوريا في عهد المماليك , Gaudefroy - Demombynes La Syrie à l'epoque des Mamlouks . Paris 1923

(٢٣) يذكرها Dussaud ص ٣٠٣ ويقول انها غربي بيت سوا .

(٢٤) يسميها الناس الآن حموري [بالف ممالة نحو الكسرة Hammorè] ويقول Dussaud هي شرقي دمشق وينبغي ان تكون هي قرية حمورية القديمة وفي الغالب أنها غير قصر الحميرة التي ستذكر فيما بعد . ونجد في النصوص القديمة ذكر قرية اسمها حمارة في المرج الشمالي ، وقد ذكرها ياقوت ٣٤٠/٢ و Le Strange ص ٤٤٨ و Souvaire 1894,II,340,I,428 .

(٢٥) يذكر هذه القرية Dussaud ص ٣٠٤

(٢٦) يذكر ياقوت قريتين باسم حرستا (احداهما) مأهولة كثيرة السكان تبعد مرحلة عن دمشق وهي على طريق حمص أقول وهي التي تسمى اليوم حرستا البصل وهي التي سماها ابن طولون حرستا الزيتون . وهي التي حاول بعض المستشرقين ان يسميها قرية Carsatos القديمة التي كانت تبعد أربعة أميال عن دمشق والتي كان فيها كنيسة للقديس تيودوروس انظر الهامش رقم (٥) من ص ٣٠٢ في كتاب Dussaud . (والثانية) شرقي دمشق وهي المسماة بحرستا القنطرة وربما حرفها بعضهم الى حرستا المنظرة يقول Dussaud ص ٣٠٢ ان طابع كتاب ياقوت قد حرفها خطأ الى حرستا المنظرة . أقول وقد وجدت هذا الاسم هكذا في كتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد لابن عبد الهادي فقد كتبها بخطه حرستا المنظرة فلعلها تسمى بالاسمين . وهي اليوم مشهورة باسم القنطرة . ويذكر Dussaud ان سكان حرستا القنطرة وعقربا تركوهما مرة حينما أغار الصليبيون على دمشق .

(يتبع) م . أسعد طلس

تاج الدين الكندي

هو تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث ذي رعين الأصغر الكندي [1] وهو الذي تنسب اليه المقصورة التاجية في الجامع الأموي بدمشق ·

نشأته : ولد سنة (٥٢٠) ببغداد · وتوفي سنة (٦١٣) بدمشق [2] فتكون مدة حياته (٩٣) سنة اتصل منذ بدء دراسته بأبي محمد سبط ابي منصور الخياط وكان مقرئاً لغوياً نحوياً حنبلي المذهب فتأثر الكندي بثقافة شيخه فكان مثله مقرئاً لغوياً حنبلياً وكان أصغر تلامذته وأنبلهم وآخرهم قراءة عليه ·

وتطور عقل تاج الدين بعد ذلك فترك المذهب الحنبلي الى المذهب الحنفي ولا نعلم العامل له على ذلك وفي أي سنة من سني حياته كان هذا التحول ·

ولكننا نعلم انه في شبابه غادر بغداد معقل الحنابلة وأخذ عن علماء الشام وان آخر عهده ببغداد سنة (٥٦٣) فاستوطن مدينة حلب يتاجر بالخليع من الثياب فيبتاعها ويسافر الى بلاد الروم (الأناضول) ثم يعود الى حلب [3] فمن الجائز ان يكون في هذا التاريخ امتزج بعلماء الروم الذين أكثرهم حنفية وان يكون تحوله الى المذهب الحنفي حول هذا التاريخ ·

---

(١) معجم الأدباء طبع مصر [١١ ـ ١٧٣] وبغية الوعاة [٢٤٩] وفيها (زيد بن الحسن) مكررة ثلاثاً (٢) يتفق كل من ترجمه على وفاته في هذا العام إلا ماجاء في معجم الأدباء لياقوت من ان وفاته سنه [٥٩٧] ولا شك في خطأ هذا النص خصوصاً وان اجازة الكندي بشرح معاني الآثار التي وقع في آخرها بيده كان تاريخها في سنة [٥٩٨] ومن الغريب أن يشير ياقوت اليه في عدة مواضع في معجميه بقوله : شيخنا ولا يشير الى ذلك في ترجمته ويغلط في تاريخ وفاته مع ان الراجح ان اجتماع ياقوت بالتاج الكندي كان بعد سنة [٥٩٧] وهذا ما يجعلنا نرجح بأن تدليساً ونقصاً وقعا في النسخة الخطية التي طبع عنها معجم الأدباء في ترجمة الكندي

(٣) ابن خلكان [١ — ٢١٥] وانباه الرواة للقفطي راجع [١١ — ١٧١] معجم الأدباء لياقوت طبع مصر ·

شيوخه في علم القراءات : اعتنى به شيخه سبط الخياط عناية فائقة لشدة ذكائه وصغر سنه فحفظه القرآن الكريم ثم أقرأه بكل ما قرأ به على شيوخه من علم القراءات ككتب ابي العز القلانسي ، والكامل للهذلي ، والاتضاح والايضاح والوجيز والاقناع الأربعة للاهوازي وغير ذلك من الكتب ولم يكتف في تلقينه ما عنده من علم ورواية بل جهزه الى أبي القاسم هبة الله بن الطبر فقرأ عليه ست روايات أخرى ثم جهزه الى ابي منصور بن خيرون وابي بكر خطيب الموصل وابي الفضل بن المهتدي فقرأ عليه بالروايات الكثيرة فكان قارئاً من الطراز الأول ويذكرون من شدة ذكائه وقوة حافظته انه حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين وجمع الروايات العشر وهو ابن عشر ويعتبره ابن الجزري وغيره بأنه اعلا اهل عصره اسناداً في القراءات والحديث لأنه عاش ثلاثاً وثمانين عاماً بعد أن جمع القراءات (١) .

شيوخه في الحديث : روى علم الحديث عن ابن ناصر وابن السمرقندي والانماطي وسعد الخير ومحمد بن عبد الباقي الانصاري وابي منصور القزاز وغيرهم (٢) .

شيوخه في الأدب والعربية : معظم مشايخه في اللغة العربية من أساتذة المدرسة النظامية كأبي منصور الجواليقي وابي السعادات ابن الشجري وابن الخشاب فقرأ عليهم كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد والحجة لأبي علي الفارسي وأمثال هذه الكتب . (٣)

اشتغاله بالتجارة : كان شديد الاعتداد بنفسه ، والاعتماد على جده فلم يسلك مسلك الفقهاء والعلماء في ميلهم للوظائف بل كان يشتغل بالتجارة واتخذ مدينة حلب مركزاً له كما مر (٤) ولذلك لا نجد له ذكراً في اسماء القضاة والكتاب والمدرسين أرباب الوظائف في المدارس .

(١) ذيل الروضتين لأبي شامة نسخة مصورة بالمجمع العلمي بدمشق وغاية النهاية [١ـ٢٩٧] وتنبيه الطالب مخطوط وشذرات الذهب [٥ ـ ٥٤] وبغية الوعاة [٢٦٩]

(٢) و (٣) المصادر السابقة (٤) إنباء الرواة بأخبار النحاة للقفطي [في تعليقات معجم الأدباء لياقوت طبع مصر ١٥ ـ ١٧١] وابن خلكان ١ ـ ٢٦٥ .

اتصاله بالملوك الايوبيين : دخل مترجمنا دمشق فمصر واقتنى عدداً من الكتب القيمة التي بيعت من خزائن الفاطميين [١] واتصل بالقاضي الفاضل فكان يتردد لزيارته في داره . وصدف أن زار عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه [٢] ابن أيوب القاضي الفاضل في داره فجرى ذكر بيت من شعر ابي الطيب المتنبي وكان تاج الدين حاضراً فشرح البيت شرحاً أعجب به فرخشاه فسأل القاضي عنه فأجاب بأنه العلامة تاج الدين الكندي فنهض فرخشاه وقبض على يد تاج الدين وخرج به الى منزله ودام اتصاله به [٣] ومن هذا الوقت أصبح تاج الدين أستاذ الملوك الأيوبيين فقرأ عليه عز الدين فرخشاه وابنه الأديب الشاعر الملك الأمجد صاحب بعلبك . والملك الأفضل ملك دمشق وأخوه الملك المحسن وهذان ابنا صلاح الدين . وعالم ملوك بني أيوب وفاضلهم المعظم عيسى ملك دمشق وفلسطين كان ينزل من قصره في قلعة دمشق يتأبط كتابه كالطلبة فيأتي دار أستاذه الكندي في درب العجمي في جيرون (اليوم حارة النوفرة شرقي باب الجامع الأموي الشرقي) وربما تأخر الدرس الذي يتقدم درسه فينتظر الى أن تأتي نوبته . وقد قرأ عليه المفصل للزمخشري والايضاح لأبي علي الفارسي ، وكتاب سيبويه وشرحه لابن درستويه وديوان الحماسة وأمثال هذه الكتب [٤] .

---

(١) انباء الرواة ، وابن خلكان .

(٢) شاهنشاه هو اخو صلاح الدين الأيوبي استشهد سنة (٥٤٣) حينما حاصر الافرنج دمشق وهو جد ملوك حماة وبعلبك الأيوبيين . أما ولده عز الدين فرخشاه فهو أول ملوك بعلبك وكان عمه صلاح الدين يجعله نائباً عنه على دمشق حين يغيب عنها ويقول صاحب الشذرات عنه : كان ذا معروف وبر وتواضع وأدب وكان للتاج الكندي به اختصاص توفي بدمشق سنة (٥٧٨) ودفن في قبته التي بمدرسته المطلة على الميدان في الشرف الشمالي — ولا تزال القبة موجودة حتى الآن غربي مدرسة التجهيز الأولى مطلة على المرجة— وله شعر حسن منه :

اذا شئت أن تعطي الأمور حقوقها وتوقع حكم العدل أحسن موقعه
فلا تصنع المعروف مع غير أهله فظلمك وضع الشيء في غير موضعه

(٣) ذيل الروضتين لأبي شامة . (٤) ذيل الروضتين .

تلاميذه : لا نكون من المغالين اذا قلنا انه كان أكثر علماء عصره تلامذة وطلاباً . ومن يتتبع تراجم أهل عصره ومن بعده يجد ان أكثر العلماء والأدباء والشعراء والرواة والمحدثين ينتسبون الى التلمذة عليه ويجد أكثر الأسانيد تجيء عن طريقه . ويقول ابو شامة عن درب العجمي الذي كانت فيه دار التاج الكندي : فكم ازدحم في ذلك الدرب من شيوخ العلم وطلبته ، اولاد الملوك وخدمته ، ومتى ما أريد اعتبار ذلك فلينظر في الكتب التي عليها طبقات السماع عليه ، ليعلم جلالة من كان يتردد اليه [١] فممن اخذ عنه ياقوت الحموي صاحب معجمي الأدبا والبلدان ، وعمر بن احمد الشهير بابن العديم ، وسبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان ورضوان بن محمد بن رستم الساعاتي وعبد الرحمن المسجف الشاعران وابن معطي النحوي صاحب الألفية ولو أردنا استقصاء من اخذ عنه من علماء وأدباء وشعراء وحكماء واطباء ومحدثين ومحدثات وقراء ونحاة لبلغ عددهم المآت .

ومن حسن الصدف اننا وقفنا على المجلدة الرابعة من شرح معاني الآثار وعليها طبقات سماع بعد أن قرئت عليه في المقصورة التاجية وسننشر نصها في العدد الآتي من هذه المجلة .

مميزاته العلمية : امتاز باللغة العربية وعلم الأدب في الدرجة الأولى فتخرج به عدد كبير من أدباء الشام ومصر والعراق . والظاهر ان علم العربية لم يبلغ في الشام الدرجة التي كان عليها ببغداد الا بواسطة الكندي . وكأنه نقل طريقة المدرسة النظامية في علم العربية الى الشام . ويقول ابو الحسن السخاوي في شرح المفصل : لقيت جماعة من أهل العربية منهم الشيخ الفاضل ابو اليمن زيد بن الحسن الكندي وكان عنده في هذا الشأن ما لم يكن عند غيره واخذت عنه كتاب سيبويه وقرأت عليه كتاب الايضاح لأبي علي مستشرحاً وأخذت

---

(١) ذيل الروضتين

عنه كتاب اللمع لأبي الفتح . وكان واسع الرواية ومن العجب ان سيبويه اسمه عمرو والكندي اسمه زيد فقلت في ذلك :

لم يكن في عصر عمرو مثله وكذا الكندي في آخر عصر
فهما زيد وعمرو انما بني النحو على زيد وعمرو [1]

أما مميزاته في الدرجة الثانية فهي علما القراءات والحديث قصده الطلاب من أنحاء العالم الاسلامي لعلو اسناده فيهما . قال الحافظ الذهبي : كان أعلا أهل الأرض اسناداً في القراءات . فاني لا أعلم أحداً من الأئمة عاش بعد ما قرأ القراءات ثلاثاً وثمانين سنة غيره ... ثم انه سمع الحديث على الكبار وبقي مسند الزمان في القراءات والحديث [2] .

أخلاقه : لئن وصفه تلامذته واصدقاؤه بدماثة الأخلاق وحسن العشرة [3] فقد وصفه بعض معاصريه بسوء المعاشرة وشراسة النفس . وبالحقيقة كان حسن المعاشرة لجماعته وأصدقائه وشديداً قاسياً على الصلفين المتعاظمين من أقرانه ومنافسيه . وبديهي ان من نال منزلة مثل منزلته وحظوة عند الملوك مثل حظوته ان لا يترك غيره في مجلسه يرتع في صلفه ، ويزهو في تعاظمه وكبريائه . فعبد اللطيف البغدادي المعجب بنفسه ، والمنتقص لأكثر علماء عصره اجتمع به فلم يجد لنفسه مرتعاً خصباً في مجلسه فيقول عنه : اجتمعت بالكندي البغدادي النحوي [4] وكان شيخاً بهياً ذكياً مثرياً له جانب من السلطان لكنه كان معجباً بنفسه مؤذياً لجليسه وجرى بيننا مباحثات فأظهرني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة . ثم اني اهملت جانبه فكان يتأذى باهمالي له اكثر مما يتأذى الناس منه [5] ونرى التاج الكندي يحتقر عبد اللطيف البغدادي فيلقبه بالجدي الملتحي [6] .

---

(١) ذيل الروضتين (٢) النجوم الزاهرة ٦ : ٢١٧ (٣) ذيل الروضتين . البداية والنهاية ٣ ـ ٧٢ . الصفدي في الوافي بواسطة تنبيه الطالب مخطوط بغية الوعاة للسيوطي .
(٤) اجتماعه به كان في دمشق (٥) عيون الأنباء ٢ ـ ٢٠٤ (٦) فوات الوفيات ٢ـ٨

ونجد القاضي جمال الدين القفطي — وهو قد نال في حلب حظوة عند ملكها لا تقل عن حظوة الكندي عند ملك دمشق وعنده من الاعجاب بنفسه ما عند الكندي - حينما يترجم الكندي يقول عنه : كان لينًا في الرواية معجبًا بنفسه فيما يذكره ويرويه ويقوله ٠ واذا نوظر جبه بالقبيح واستطال بغير الحقيقة ولم يكن موثوق القلم فيما يسطره [1] ٠

وجرت له مهاترة مع ابن دحية الكلبي لما دخل دمشق سنة (٦٠٥) فقد جمعهما مجلس عند الوزير الصفي بن شكر فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى الى قول ابراهيم عليه السلام (انما كنت خليلاً من وراء وراء) بفتح اللفظتين فقال الكندي وراءُ وراءُ بضمهما فقال ابن دحية للوزير ابن شكر من هذا ؟ فقال هذا ابو اليمن الكندي ٠ فنال منه ابن دحية وكان جريئًا ٠ فقال الكندي : هو من ؟ كلب ينبح [2] أنت تكذب في نسبك الى دحية الكلبي ودحية باجماع المحدثين ما اعقب وقد قال فيك ابن عنين :

دحية لم يعقب فلم تنتمي   اليه بالبهتان والافك

ماصح عند الناس فيه سوى   انك من كلب بلا شك [3]

ثم الف ابن دحية كتاباً سماه الصارم الهندى في الرد على الكندي والف الكندي كتاباً سماه : نتف اللحية من ابن دحية [4]

وحكي عن الشيخ تاج الدين الكندي انه قال أحلت على ديوان حماة برزق فسرت اليها لأجل ذلك فلما حللتها جمع الجماعة بيني وبين ابن ظفر [5] وجرت بيننا مناظرة في النحو واللغة فأوردت عليه مسائل في النحو فلم يمش فيها وكان حاله في اللغة قريبًا فلما كاد المجلس يتقوض قال ابن ظفر : الشيخ تاج الدين أعلم مني بالنحو وأنا أعلم منه باللغة ٠ فقلت الأول مسلم والثاني ممنوع وتفرقنا [6]

---

(١) انباه الرواة (٢) البداية والنهاية ١٣ ـ ٥١ (٣) شذرات ٥ ـ ١٦٠

(٤) معجم الأدباء ١١ ـ ٢٧٥ (٥) هو محمد بن ظفر الصقلي صاحب التآليف الممتعة منها كتاب سلوان المطاع توفي سنة [٥٦٥] تراجم ترجمته في ابن خلكان [١ : ٦٦٠]

(٦) المصدر نفسه ٠

مؤلفاته : قليل من العلماء الذين يجتمع لهم حظ التأليف مع حظ كثرة الطلاب والتدريس ٠ لأن التدريس يتطلب الشهرة والاختلاط بالناس ٠ والتأليف يتطلب الهدوء والسكينة والابتعاد عن الناس وشيخنا الكندي — وهو قد نال جاهاً عظيماً عند الملوك والأعيان وصار له المال الوفير والمماليك العديدة الذين أعتقهم ورفدهم بعلمه وماله — غير مدفوع عن التأليف والتصنيف ولكن لم يكن له متسع لذلك بعد ان كرس وقته للافادة والتدريس وخلف مئات من تلامذته الذين أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء والأدباء والمؤرخين والقراء والمحدثين ٠ وقد ذكر ياقوت في معجمه ان مؤلفاته هي : تعليقات على ديوان المتنبي ، وأخرى على خطب ابن نباتة ، وكتاب نتف اللحية من ابن دحية رد فيه على ابن دحية في كتابه الذي سماه الصارم الهندي في الرد على الكندي ، وكتاب في الفرق بين قول القائل : طلقتك ان دخلت الدار وبين ان دخلت الدار طلقتك الفه جواباً لسؤال ورد عليه ، وله غير ذلك ويتضح مما ذكر ان تآليفه هي أشبه بالتعليقات والمقالات منها بالكتب الكبيرة ٠

مواليه : كان الكندي كثير الاحسان الى الموالي والرقيق فقد اشترى عدداً منهم ورباهم أحسن تربية وأعتقهم منهم « النجيب ابو الدر ياقوت » سمي صاحب معجمي البلدان والأدباء ومعاصره ٠ ويقول عنه ابن كثير : كان لديه فضيلة وأدب شعر جيد وتوفي ببغداد سنة (٦٢٣)[١] وورد اسمه فيمن كان يسمع على الكندي في المقصورة التاجية ٠

ومن مواليه وتلميذاته « ست العرب » روى عنها شيخ الاسلام ابن تيمية في الأربعين التي رواها عن اربعين من كبار مشيخته رجالاً ونساء قال : أخبرتنا الشيخة الصالحة أم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز بن عبد الله الكندية قراءة عليها وأنا اسمع في رمضان سنة (٦٨١)[٢] وترجمها صاحب الشذرات بقوله : ست العرب بنت يحيى بن قايمازام الخير الدمشقية الكندية سمعت من مولاهم التاج الكندي وحضرت على ابن طبرزد الغيلانيات توفيت في المحرم عن خمس وثمانين سنة (٦٨٤)[٣]

(١) راجع تاريخ ابن كثير ١٣ ـ ١١٦ ومجلة المجمع ص ١٢٩ من هذه السنة (٢) الاربعين المذكورة [المطبعة السلفية بمصر سنه ١٣٤١] ص ٣٦ (٣) شذرات الذهب ٦ ـ ٣٨٥

شعره : وللشيخ تاج الدين كثير من الشعر المبثوث في مطاوي الكتب . منه قوله في الربوة أعظم متنزهات دمشق لما جدد بناءها نور الدين محمود بن زنكي وجعل الأكل والنوم فيها مجاناً :

ان نور الدين لما أن رأى   في البساتين قصور الأغنياء
عمر الربوة قصراً شاهقاً   نزهــة مطلقــة للفقراء [1]

وكتب الى صديقه مهذب الدين ابي طالب محمد المعروف بابن الخيمي :

أيها الصاحب المحافظ قد حمـــلتنا من   وفاء عهدك دينا
نحن بالشام رهن شوق اليكم   هل لديكم بمصر شوق الينا
قد غلبنـا بما حرمنا عليكم   وغلبتم بما رزقتم علينـا
فعجزنا عن ان ترونا لديكم   وعجزتم عن أن نراكم لدينـا
حفظ الله عهد من حفظ العـــهد   وأوفى به كما قد وفينـا [2]

ومن شعره فيما رواه عنه الرشيد العطار :

أرى المرء يهوى أن تطول حياته   وفي طولها ارهاق ذل وازهاق
تمنيت في شرخ الشبيبة انني   أعمر والأعمار لا شك ارزاق
فلما أتاني ما تمنيت ساءني   من العمر ماقد كنت أهوى وأشتاق
عرتني أعراض شديد مراسها   علي وهم ليس لي فيه اغراق
وها أنا في احدى وتسعين حجة   لهـا في ارعاد مخوف وابراق [3]

وفاته : توفي سنة (٦١٣) ودفن بسفح قاسيون وبني عليه قبة وجعلت له تربة وقد ترجم لها النعيمي في تنبيه الطالب وكذا العلموي والبقاعي (بالتربة التاجية) وذكروا انها بالصالحية في سفح قاسيون . أما في عصرنا فهي مجهولة لدينا .

محمد أحمد دهمان

(١) نزهة الأنام للبدري ص ٨٤ (٢) وفيات الأعيان ١-١٦٦ (٣) المصدر نفسه وانباء الرواة للقفطي في تعليقات معجم الأدباء ١١-١٧٦ (٤) معجم الأدباء لياقوت ١١-١٧٤

مخطوطات ومطبوعات

شروح سقط الزند (قسمها الأول)

كنت قلت في بعض ما كتبته عن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري (أرأيت السيل بعد مضيّه وانقطاع مدده كيف يترك وراءه ربعًا مرعًا للمنتجعين ونُزُلاً كريمًا للمجدبين . كذلك مهرجان أبي العلاء فانه ترك بعد انقضائه آثاراً لأبي العلاء وفي أبي العلاء لا تحصى فوائدها ولا تنفد فرائدها) وقد كان أنشط العاملين في ابراز تلك الآثار العلائية وزارة المعارف المصرية فانها ألفت لجنة دعتها (لجنة إحياء آثار ابي العلاء) عكفت على جمع اخباره ونشر ما انطوى من مختلف آثاره . وعزمت على إصدار تلك الأخبار والآثار اسفاراً متسلسلة فكان السفر الأول هو الذي سمته (تعريف القدماء بأبي العلاء) وضمنته النصوص المتعلقة بتراجم ابي العلاء وأخباره الخاصة ، وطبعته ونشرته سنة ١٩٤٤ م أي خلال أيام المهرجان وقد قرظناه في مجلة المجمع (مجلد ١٩ ص ٥٤٥) وها هي ذي اللجنة اليوم تهدي الينا السفر الثاني من تلك السلسلة المطبوع سنة ١٩٤٥ م (قسمه الأول) وسيتلوه بالطبع ثلاثة الأقسام الأخرى وقد ضمنت هذه الأقسام الأربعة شروحاً ثلاثة لأشعار أبي العلاء المسماة (سقط الزند) واقتصرت اللجنة من شروحه الثمانية المشهورة على نشر هذه الشروح الثلاثة وهي : (١) شرح التبريزي (ابي زكريا يحيى بن علي تلميذ المعري ٤٢١ — ٥٠٢) و (٢) شرح البطليوسي (ابي محمد عبد الله بن السيد ٤٤٤ — ٥٢١) و (٣) شرح الخوارزمي (ابي الفضل قاسم بن حسين ٥٥٥ — ٦١٧) وانما اقتصرت اللجنة على الثلاثة من الثمانية لأن ثلاثة منها مفقودة لم تظفر اللجنة بها . وواحداً منها (وهو الشرح الذي صنفه أبو العلاء نفسه) مختصر مدمج في شرح تلميذه التبريزي . والواحد الباقي وهو شرح التنوير استغني عنه لأن مؤلفه أبا يعقوب الُخوَيي (تناول شرح التبريزي بالتهذيب والتنقيح وسار معه في كثير من المواضع على نهج واحد حتى أنه نقل كثيراً من عباراته كما هي ولهذا التقارب والتشابه ولأنه طبع قبل اليوم عدة طبعات ضربت

اللجنة صفحاً عن نشره) وقد افتتحت اللجنة هذا القسم الأول الذي أصدرته (بتقديم) استوعبت فيه جميع ما ينبغي ان يقال في هذا المقام من وصف الشروح الثمانية التي وصل اليها علمها ثم وصف الثلاثة التي نشرتها وتراجم أصحابها وطبع نموذجات من مخطوطاتها وغير ذلك من الملاحظات التي فيها متعة للقارئ وهداية للحريص . وقد سلكت في طبع الشروح الثلاثة طريقة بكراً تسهل على القارئ فهم ما يقرأ من أشعار سقط الزند . ذلك انها تذكر البيت من القصيدة وتذكر ما قاله التبريزي في شرحه عليه أولاً وتعقبه بما قاله البطليوسي ثانياً ثم الخوارزمي ثالثاً ثم تعود الى البيت الثاني من القصيدة نفسها فتذكر ما قاله الثلاثة بحسب ترتيبهم السابق . حتى تمّ للجنة اربع عشرة قصيدة من أشعار السقط مطبوعة على ورق جيد طبعاً حسناً في مطبعة دار الكتب المصرية . وقد ضُبط بعض الكلمات بالشكل وخُصّ بعض المواطن المغلقة بالشرح . فجاء هذا القسم من السفر في ٤٧٠ صفحة كبيرة ليس بعد ما فيها من الإتقان استزادة لمستزيد . ثم ان قول اللجنة في المقدمة بصدد الشروح الثمانية التي وصفتها : (وليست هي كل الشروح التي تصدّت لسقط الزند ولكنها مبلغ ما وصل علمنا اليه . وأمكننا استخلاصه من التاريخ) — قولها هذا يفسح لي المجال لذكر الشرح المخطوط الذي في مكتبتي وأرجح انه المخطوط الوحيد لهذا الشرح واسمه (سَقَط العقيان والحلي لعروس ديوان ابي العلا) أو (ضوء الفند من سقط الزند) والشارح هو العلامة الشيخ محمد ابن نور الدين الدرّا الدمشقي المتوفى سنة ١٠٦٥ هـ ونَسْخُ المخطوطة كان بعد وفاة المؤلف بثلاثين سنة . وقد ترجم المحبي للمؤلف في تاريخه خلاصة الأثر (جزء ٤ ص ٢٤٩) ووصفنا نحن هذا المخطوط وصفاً مسهباً في كلمة لنا منشورة في الكتاب الذي أصدره مجمعنا العلمي وسماه (المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري) ص ٢٧٠ ولعل (لجنة إحياء آثار ابي العلاء) اطلعت على كلمتنا في وصف هذا الشرح وأضافت اسمه الى الشروح التي أحصتها . وهي لعمري جديرة بالشكر والثناء على ما تبذله من العناية وعظيم الجهد في تتبع هذه الآثار . وإصدار هذه الأسفار .

المغربي

من وحي المرأة

للشاعر المصري عبد الرحمن صدقي

ديوان صغير الحجم في ٦٠ صفحة يشتمل على نيف وثلاثين قطعة من الشعر بين قصيدة ومقطوعة ٠ كله في رثاء امرأة الشاعر ماري التي نذر لها التأبد بعدها وفاء لها ورعاية لماضي صحبتها ٠ فقضى غير مشفق على نفسه بالتبتل وقلبه بألا يخفق لربة دل أو تطمع باصطياده ربات حسن أو غنج وقد شاء ان يكون هذا بعهود أخذها على نفسه وسجلها في ختام بعض قصائده فمنها قوله :

سأحيا كميت لم يغيب بلحده يظللني ليل من الهم مظلم
وأضرب في صحراي في غير غاية الى ان يوافيني القضاء المحتم

وقوله: أجل كان لي قلب وزوج حبيبة فلما قضت زوجي قضيت على قلبي
" وهأنذا ان طال بي العمر صائر لشيخوخة حسرى بغير معان

ولا يخفى ان هذا النوع من الوفاء بالاعراض عن النساء جملة ان حسن عند بعض فلا يعدو أنه ضرب من ضروب تعذيب النفس وشيء من العقوبة لها على ما ليس لها فيه جريرة أو ذنب ٠ كما انه لا يخلو من تأديب لها وتهذيب على ما فرط من اندفاعها وشدة استرسالها في التعلق بما لا ضمان ببقائه ٠

ولهذا او لما هو اشد منه ظهوراً أو تواريًا من الاحتفاظ بالرجولة تامة والجري في طاعة نخوة الفحولة كاملة والحذر من الصيرورة الى ما قد يفضي الى الخور رغب العرب الا القليل منهم عن الجهر ببكاء المرأة زوجة وذهبوا بأنفسهم صعداً عن رثائها حليلة ٠

فمن بعض الأدلة على هذا ان الفرزدق لما ماتت زوجه النوار وامتنع عليه الشعر فيما زعموا في رثائها لعنجهيته وجفائه لم يجد بداً وقد حز به الأمر وزعزعت من أركانه الفاجعة من أن يركب أحد حدي شر اما اكراه طبعه على شعر يبكيها به واما التمثل من قصيدة أعدى أعدائه جرير في رثاء خالدة أم أولاد

جرير بما ينفس من كربه ويذهب بعض الشيء بحزنه وسرعان ما ركب أهون الشرين وفضل أيسر الخطبين وما هو أقل نيلاً من نخوته وكسراً لانفته فتمثل بملء فيه :

لولا الحياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار
ولهت قلبي إذ علتني كبرة وذوو التمائم من بنيك صغار
ولقد أراكِ كسيت أجمل منظر ومع الجمال سكينة ووقار
لا يلبث القرناء ان يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

الى آخر ما تمثل به ولو وجد الفرزدق في شعر غير جرير ما يترجم عن لوعته ويبرد شيئاً من غلته لفزع اليه ولجعل معرجه عليه ولكان متنحاه بعيداً عن قصيدة ثلاثة أرباعها في هجائه .

وان في قول جرير لولا الحياء لدليلاً كل الدليل على ما وقر في نفس العربي من العزة عن بكاء المرأة ورثائها حتى عن زيارة قبرها ولا غرو فقد كان هذا من العرب وما هو أشد منه حين كان عهدهم بالبداوة قريباً ونفرسهم على ما تأصل فيها من قسوة وامتناع وصعوبة انقياد الى ما توجبه الحضارة من دماثة ولين .

على انه لن يحسن بنا في حال ان ننسى ان الناس مهما بلغت في بعضهم صلابة الاكباد وقسوة الأفئدة الا الجبابرة العتاة من المتردين على ذلة العشق وهوان الهوى وضراعة الحب ، مدينون لهذا الفريق من الشعراء حملة الأكباد المقرحة والقلوب المتصدعة والأحشاء الكليمة والترائب الملتهبة يذكرون الناس كلما نسي الناس برقائق الاعراب وحرق أهل الحضر وذوي اللوعات الصادقة الوفية منهم . وأنى لا يكون الناس مدينين لهم وقد عمدوا الى افئدتهم واكبادهم ونفوسهم وأرواحهم فصهروها في بوتقة الألم على لهب التوجع والتفجع ثم سكبوها دموعاً وأرسلوا الدموع شعراً تركوه وقفاً على كل ثاكل بمثل ما ثكلوا يبكي بها متى شاء كما يشاء . اذ ليس في طوق أحد أن يعير أو يستعير عيناً يبكي بها .

من ذا يعيرك عينه تبكي بها أرأيت عيناً للبكاء تعار

ولكن في استطاعة أي انسان ان يعمد الى هذا النوع من الدموع المسكوبة شعراً يعوذ به بقدر ما ينقع من غلته كما فعل الفرزدق وهو ما هو شاعرية وترفعاً وكبرياء

وقد تخلل الديوان رسائل ثلاث الى صاحبه من الأساتذة الأدباء توفيق الحكيم وعباس محمود العقاد وعزيز أباظة فيها من الثناء على ما وفق اليه الشاعر في تصوير آلامه وهول فجيعته وارسال لوعته ما يشير الى الصدى وبعد المدى الذي أحدثته بين الأدباء قصائد (من وحي المرأة) أيام نشرها متفرقة في الرسالة والثقافة وذلك مما يغبط عليه الشاعر ويهنأ ٠

فالديوان بجملته آية من آيات حفاظ عهد المرأة وازماع الاقامة على مودتها بعد الموت قلما يعثر على مثله في مختلف الأعصار والأمصار وسيبقى مع أمثاله مفزعاً لكل من تعمد الدهر فجيعتهم بحلائلهم الغاليات ٠ فهو يوشك أن يكون ثالث ثلاثة لشعر متمم بن نويرة في أخيه مالك وديوان الخنساء في أخيها صخر

ومما يستوقف نظر القارئ في (من وحي المرأة) غير حرارة التعبير عن العاطفة الحائرة والحسرة المتأججة والحرقة الغالبة هو تلك القوة التي أرادها الشاعر ارادة وعمد اليها عمداً حين خشي ان يقوده الضعف عن احتمال الكارثة الى الضعف في حوك الشعر ونسجه فكان حريصاً كل الحريص على ألا يطلع به على الناس إلا مزوداً بنصيبه من الجزالة وحظه من القوة التي كانت تساير الشاعر في أكثر خطواته وهو ينظم ديوانه حتى لقد انتهت به الى النجوة من أكثر ما يتعرض له معالجو شؤون المرأة وما تقتضيه من سعي وراء الرقة والنعومة مما قد يكون مدرجة الى اللين ومنحدراً الى الركة ٠

فمن الأدلة على ارادته هذه من تجنب الضعف ولياذه بكنف الجزالة انه لزم البحر الطويل بحر القوة ومعرض الفخامة والفحولة في كل الديوان فلم يخرج عنه الا في قصيدة واحده هي لوعته الأولى (أنة الزوج الثاكل) في عنوان الصدمة قبل التفكير ٠ كما أنه مما ينبئ عن الشك ولو الى قليل من اليقين ان كثيراً من عواطف الشاعر أو ما يجب أن يكون من العواطف قد حجبته ارادة

القوة هذه أو حالت دونه فبقي متغلغلاً في جوانح الشاعر معتصماً بين الصلب والترائب يأبى ان يزحزح الا الى مطمأنٍ من رقة اللفظ ونعومة مس الوزن فهو جاد في استثارته بما يقذف به الى الصحف من القصائد وان كان مقيماً على وفائه للبحر الطويل ٠

وأما احتشاد الشاعر وحفاوته بأن تكون لغة الديوان سليمة تدل على ما انتهى اليه حذقه اللغوي وتحرجه من الوقوع فيما لا يرضي العربية والساهرين لها وعليها فهو ظاهرة من ظواهر الديوان ملموسة تلازم القارئ ملازمة تحول بينه وبين ان ينصرف عنها أو يتلهى بسواها ٠ هذا وان كان هناك الفاظ ادّى اليها الاسراع في اخراج الديوان على ما قذفته القريحة لا ما يقتضيه التنقيح والتهذيب مما لم يخل من مثله ديوان أو كتاب ولو لا ذلك لكان للشاعر عنها مندوحة واسعة ومستراد رحب ٠ فمن تلك الألفاظ على قلتها (بضعة) في قوله في صدر الديوان :

فأمسيت منعي في صحيفة أخبار وبضعة أشعار وصورة تذكار

وفي الديوان ما يربي على الثلاثين و (الموصد) ارى بابك المطروق امسى موصداً و (المحتم) ٠ الى ان يوافيني القضاء المحتم ٠ وحتَّم والمحتم وتحتم بنتها قلما كتبت النجاة منها لكاتب أو شاعر اليوم على انه ان صح ما يدعو اليه بعض أهل اللغة من ان وجود تفعَّل اللازم المطاوع لفعَّل المشدد دليل على وجود فعَل هذا وصح ما حكاه الفيومي في المصباح وهو قوله (انحتم وتحتم الأمر وجب وجوباً لا يمكن اسقاطه) فهي حينئذ صحيحة : ولكن قولة صاحب المصباح هذه حكاية انفرد بها ولم يعزها الى أحد وليس أحد من شراح الحديث يشاركه بروايتها والظن كل الظن انها عن اخوانه الفقهاء ذكرها غفلة أو عصبية لهم فهي بلفظها وتفسيرها من بضاعتهم وتعابيرهم وعليها طابعهم معدودة على الفيومي في جملة ما انفرد به في مصباحه مما يجب ان يفرد له كلمة فيما سها ذوو المعجمات فأثبتوه ذهولاً عما اخذوه على أنفسهم من عدم الخروج عن أمانة النقل ٠

محمد البزم

هنري برجسون : منبعا الأخلاق والدين

تعريب سامي الدروبي وعبد الله الدائم ، طبع بمطبعة الاعتماد بمصر

عدد صفحاته ٢٨٥ من القطع الوسط

كان المترجمون المعاصرون لا يحسنون اختيار الكتب التي يترجمونها ، فينقلون الى اللغة العربية كتباً سهلة لا تلذ مطالعتها الا لجمهور القراء من غير الاختصاصيين . فكان القارئ العربي يظن مثلاً ان أعظم فيلسوف اجتماعي فرنسي هو (غوستاف لوبون) لأن احمد فتحي زغلول وغيره قد ترجموا بعض كتبه ، مع ان (غوستاف لوبون) ليس من علماء الطبقة الأولى . وما أورده في علم الاجتماع والتربية كثير الشكوك . واذا أخذ علم الاجتماع عن (غوستاف لوبون) دون ان يرجع الى ما جاء به (دوركهايم) و (لفي برول) لم يوصل به الى الكمال .

والسبب في ميل المترجمين الى اختيار الكتب السهلة يرجع الى خوفهم من التعب ، او الى عجزهم عن تفهم كتب الاختصاص ، أو الى رغبتهم في الربح المادي والشهرة السريعة . لذلك بقيت كتب لوك وليبنيز وهيجيل وكنت وشوبنهاور وبرجسون مجهولة عندنا . وما نقل الى اللغة العربية من مذاهب هؤلاء الفلاسفة ، خال من الصفة العلمية الحقيقية . حتى ان كبار المترجمين الذين نقلوا بعض كتب أرسطو الى اللغة العربية لم ينقلوها عن اليونانية بل عن الفرنسية .

أما السيدان سامي الدروبي وعبد الله الدائم فقد أحسنا الاختيار ونقلا كتاب منبعي الأخلاق والدين الى اللغة العربية بكل أمانة علمية . ومع ان بعض عبارات ترجمتهما لا تخلو من الغموض ، فانهما لم يخرجا بالجملة عن الأصل . حتى لقد أدت رغبتهما في المحافظة على الأصل الى ضياع قسم كبير من سحر الاسلوب البرجسوني .

وقد صدرا الكتاب بمقدمة عامة مشتملة على مذهب (برجسون) في الابداع والديمومة ووثبة الحياة . وذكرا كيف انتهت الفلسفة البرجسونية الى البحث في

الأخلاق ، وكيف أتم هذا الكتاب الجديد مذهب برغسون في الخلق الدائم والزمان والتطور . فقد فرق فيلسوف الحدس في كتاب الزمان والحرية بين المكان والزمان ، وفي كتاب المادة والذاكرة بين الادراك المحض والذاكرة المحضة ، وفي كتاب التطور المبدع بين العقل والغريزة ، كما ميز في كتاب منبعي الأخلاق والدين الأخلاق « المغلقة » من الاخلاق « المفتوحة » .

وفي المقدمة شرح صحيح لمذهب (برجسون) في الأخلاق حاول المترجمان أن يحتفظا فيه بعبق من نفحات برجسون وسحر أسلوبه وشذا صوفيته . إلا أنهما حاولا كغيرهما من المؤلفين ان يرتبا مبادئ برجسون ، ويبينا تسلسلها بعضها من بعض . فمما جاء في المقدمة قولها : « ان الدين والأخلاق من التوق والاندفاع ، والتوق والاندفاع من الانفعال المبدع والعاطفة الحرى ، والانفعال والعاطفة من التوازن والحركة ، والحركة من الديمومة ، والديمومة من الوثبة الحيوية » (ص — ٨) . فكأن المترجمين يعتقدان ان الفكرة الأولى في فلسفة (برجسون) هي الوثبة الحيوية ، وان الديمومة مشتقة منها ، مع ان (برجسون) صرّح غير مرة بأن الديمومة هي الفكرة المركزية في فلسفته كلها . وما المادة والحياة والنفس إلا ظواهر مختلفة لجوهر واحد هو الديمومة ، حتى لقد ذهب بعضهم الى ان الديمومة عنده هي الله .

ومهما يكن من أمر فان تعريب هذا الكتاب يدل على اتجاه جديد في الترجمة لم يكتف صاحباه بنقل كتاب سهل لا قيمة له ، بل استسهلا الصعب وعزما على ترجمة كتب برجسون كلها ككتاب الزمان والحرية ، وكتاب التطور المبدع ، وكتاب الضحك ، وكتاب المادة والذاكرة . فاذا تم لهما ذلك اضافا الى لغتنا العربية ثروة فكرية جديدة هي في أشد الحاجة اليها .

جميل صليبا

هنري برجسون : رسالة في معطيات الوجدان البديهية

ترجمة كمال يوسف الحاج • منشورات كنوز الفكر الغربي — بيروت ١٩٤٥

عدد صفحاته ١٣٨ من القطع الوسط

عنوان هذا الكتاب باللغة الفرنسية « Essai sur les données immédiates de la Conscience »، وكنا نود لو أطلق عليه باللغة العربية اسم **الزمان والحرية**. لأنه يبحث قبل كل شيء في مسألة الزمان ويبحث أيضاً في مسألة الجبر والحرية • حتى أن (هنري برجسون) لما سئل عن الاسم الذي يجب أن يطلق على كتابه في اللغات الأجنبية فضل هذا العنوان على غيره • وربما كان العنوان الفرنسي أدل على موضوع الكتاب من هذا العنوان الفلسفي المجرد ، لأنه يدل على ان حقائق الوجدان كالاحساس والعواطف والأهواء وغيرها يجب أن تعرى من جميع العادات المكتسبة والاعتقادات والأفكار والرموز • الا ان في ترجمة العنوان على النحو الذي اختاره المعرب شيئاً من اللبس والغموض • ونحن نفضل عنوان الزمان والحرية ، رغم صفته المجردة ، على هذا العنوان المفصل ، الذي لا تطابق كلماته كلمات العنوان الفرنسي •

أما ترجمة الكتاب فهي صحيحة بالجملة • الا انه ينقصها الضبط في بعض الاصطلاحات ، كما يعوزها الوضوح في بعض المعاني • أضف الى ذلك ان المترجم لم يوفق في ترجمته الى اعطاء الأسلوب البرجسوني حلة عربية قشيبة • بل أدت محافظته على الأصل الى التمسك بالحروف ، فجاءت ترجمته مشوبة بكثير من الغموض •

قال هنري برجسون : « ان كل تلخيص لنظرياتي يفسدها في مجموعها » • ونحن نقول ان كل ترجمة لكتبه تفقدها روعتها • فقد امتاز (برجسون) بقوة أسلوبه ، وتبدو هذه القوة في تشابيهه الجميلة ، واستعاراته اللطيفة ، وقدرته على ايضاح المعاني العميقة بألفاظ واضحة وصور حسية • ومن السهل على الكاتب أن

يحو في اللغة العربية نحو (برجسون) في اللغة الفرنسية ، إلا أنه من الصعب جداً على المترجم ان يجمع بين ضبط المعاني وروعة الأسلوب . لأن لكل لغة خصائص يصعب نقلها الى غيرها . فكما ان كثيراً من التراكيب الفرنسية تفقد قوتها وجمالها اذا عربت تعريباً حرفياً ، كذلك تفقد بعض التراكيب العربية بلاغتها وروعتها اذا نقلت الى اللغات الأجنبية . فلا بد اذن في الترجمة العلمية من الاقتصار على ضبط الاصطلاحات ووضوح المعاني . ولو لاءمت اصطلاحات المترجم معانيه وأغراضه ، وجاءت عباراته مطابقة للأصل لاكتفينا بذلك وضحينا بالأسلوب . ولكن بعض اصطلاحاته بعيدة عن الغرض الذي وضعت له ، كما ان بعض عباراته مشتملة على معان لا وجود لها في الأصل .

ومهما يكن من أمر فان هذه الترجمة لا تخلو من الفائدة لاشتمالها على مقدمة بين فيها المترجم منزلة (هنري برجسون) ومنزلة كتابه هذا . والترجمة جيدة الطبع صقيلة الورق ، متقنة الترتيب ، أثبت المترجم في آخرها بعض الاصطلاحات الفلسفية باللغتين العربية والفرنسية . ومن عانى قراءة كتب (برجسون) وما اشتملت عليه من المعاني العويصة ، ادرك ما لقيه المترجم من المشاق والمصاعب في شق هذا المسلك الوعر . ولو سلك المترجمون طريقته في اختيار الكتب ونقلها الى لغتنا لأنموا ثروتنا الأدبية ، ووسعوا أفق تفكيرنا ، وفتحوا لنا طريق الانتاج .

ج . ص



و . ج ماكبرايد : مركب النقص

ترجمه الأستاذ نوري الحافظ ، وقدم له الدكتور فاضل الجمالي

طبع بمطبعة المعارف في بغداد ، وهو من منشورات مجلة المعلم الجديد

عدد صفحاته ٦٣ من القطع الوسط

المركبات النفسية كثيرة : فمنها مركب (قابيل) وهو حالة نفسية تدفع الأخوة والأخوات الى التطاحن لامتلاك شيء من الأشياء . ومنها مركب

(اوديب) وهو مجموعة من النزعات والعواطف تدفع الطفل مثلاً الى حب أمه وكره أبيه . ومنها مركب النقص ، وهو صفة الرجل الذي اصبح غير واثق من نفسه يكدح تحت عبء الشعور بالخوف والنقص .

وقد أطلق الدكتور (فرويد) هذا الاصطلاح على العواطف السلبية الناشئة عن الخوف من عجز الأعضاء التناسلية . ويبين الدكتور (آدلر) ان مركب النقص قد يظهر في عدة حالات لا علاقة لها بالقضايا الجنسية ، كشعور الطفل مثلاً بنقص عضوي في تكوينه يلازمه كل ايام حياته . فالدافع الأساسي للسلوك عنده هو « تأكيد الذات » ، وكل احباط لهذا الدافع ناشئ عن نقص وراثي او كسبي يولد مركب النقص ، ويودي في النهاية الى الوقوع في المرض النفسي .

ولمركب النقص صفات رئيسية ترجع الى اختبارات نفسية مكبوتة كالخوف والابتعاد عن الواقع ، والاخفاق في الحب ، واللجوء الى الأوهام والأحلام . وله صفات ثانوية ، تنشأ عن سوء التربية كالقلق ، والتهيب الاجتماعي ، والعزلة وشدة الاحساس ، وسذاجة التفكير ، وعدم الاعتدال ، والميل الى التهكم والانتقاد . وتظهر هذه الصفات في الرجل الوضيع المتعاظم وفي المسرف في تأنقه ، وفي المرأة المتشبهة بالرجال ، وفي الرجل المتشبه بالنساء ، وفي الشخص الذي يظن أنه فريد عصره ، وفي الشخص المشاغب المتحير .

وعلاج مركب النقص الانتباه الى أسبابه ومحاولة التغلب عليها . فاذا كان ناشئاً عن الشعور بنقص عضوي كالافراط في السمنة أو النحافة أو البرص ، أو الأنف الأعقف ، او الاختلاف في لون العينين ، أو الأسنان البارزة ، أو العور ، أو العمى ، وجب قبول هذا النقص على علاته بشجاعة وتعقل ، إذ لا حيلة لأصحاب العاهات في تبديل حالتهم . وفي وسعهم ان يتغلبوا على نقصهم بالسعي والمشقة وقوة الارادة . ومن كان قميئاً ، باذ الهيئة دميماً ، وكان مع ذلك مثقفاً عالماً ، استطاع ان يبذ أقرانه ويفوقهم . والناس يفضلون الدميم العالم على الجميل الجاهل ، حتى ان التعجب من الدميم قد يكون سبباً للعجب به ، واذا كان

مركب النقص ناشئاً عن سوء التربية كالغنج والدلال أو القسوة والظلم أمكن التغلب على أسبابه بأضدادها ، فاذا كان الفتى مربى على الدلال عومل بشيء من القسوة ، واذا كان مربى على الظلم عومل بالرحمة ، ومهما يكن من أمر فان للمرء عدوين لدودين هما الأنانية والجهل ، فاذا استطاع ان يتحرر منهما عاش في أمن وسعادة .

فأنت ترى أن هذا الكتاب مشتمل على حقائق نفسية جليلة . وهو مترجم بأسلوب واضح ، الا انه لم يخل من بعض الهنات ، كقول المترجم (اغاضته) ص — ١٢ ، والصواب (اغاظته) ، وكقوله (أفضع) و (فضيعة) ص — ٣٧ ، والصواب أفظع ، وفظيعة . وقوله (أحدى المعامل) ص ٥٤ ، ٥٥ ، والصواب (احد المعامل) . وقوله (جابهها) ص ٨ ، والصواب واجهها . ومن الهنات التي يجب التنبيه اليها شرح المترجم كلمة (الأتوبيا) في النص بقوله : « كاتوبيا توماس مور ، واتوبيا ملتن في الفردوس الأرضي ، ورسالة الغفران عند المعري ، والكوميديا الإلهية لدانتي اللجيري » (ص — ١٤) . فهذه الأمثلة لا تصلح كلها للدلالة على (الاوتوبيا) ، اذ أن رسالة الغفران ليست من الأوهام التي تخيلها ابو العلاء للارتقاء من عالم الحقيقة الى عالم الخيال ، بل هي مشتملة على نقد حقيقي . وكان احرى بالمترجم ان يورد هذا الشرح في الهامش ، وان يقتصر على أمثلة واضحة لا جدال فيها كجمهورية افلاطون ، والمدينة الفاضلة للفارابي ، واوتوبيا توماس مور ، ومدينة الشمس لكامبا نللا .

وليست هذه الهنات بقادحة في قيمة الكتاب ، بل الكتاب كما قلنا جليل المباحث ، جيد الترجمة ، تلذ مطالعته لكل طالب .

ج . ص

موجز الطب الجراحي

لمؤلفه الدكتور نظمي القباني أستاذ الجراحة في معهد الطب العربي بدمشق

كتاب فريد في بابه ليس له مثيل ، على ما نعلم ، في لغة الضاد . فان أسلافنا العظام الذين تركوا من المؤلفات في شتى الفروع الطبية ما يدل على طول باعهم لم يخطر لهم في بال طرق هذا الموضوع . ولا عجب فان الطب الجراحي فن حديث العهد لم توضع قواعده ولم تنظم سننه الا بعد ان وضعت قواعد الجراحة ذاتها ونظمت سننها وذللت العقبات التي تقوم في وجهها . واذا قيل ان هذا الفن يدرس على الجثث حيث لا يمنع الألم الجراح من اتقان عمله وحيث لا يخاف ان تفسد العفونة عليه طريقته أجبنا ان تشريح الجثث ، وهو الممر الذي يعبر به الجراح من الميت الى الحي ، كان محرماً في القرون الأولى فلا عجب اذا لم ترتقِ الجراحة في ذلك العهد ارتقاء الفروع الأخرى واذا لم تثب وثبتها الى الامام قبل حلّ هذه العقدة واباحة تشريح الجثة . وقد خطت الجراحة متبعة هذا الفن خطوات سريعة الى التقدم وسائرة معه جنباً الى جنب غير انها ارتطمت بعقبتين كؤودين هما الألم والعفونة فان الجراح لم يكن يتمكن من اتقان عمله على الأحياء للألم الذي كان ينتاب جريحه ولم يكن يقدم على الأعمال الجراحية الكبيرة وفتح الأجواف لأن العفونة كانت واقفة له بالمرصاد ولأنه كان يجهل قواعد التعقيم فكان التعفن يقضي على معظم جرحاه . فلا عجب بعد ما ذكرنا اذا لم يتعرض أطباء العرب للبحث في هذا الموضوع .

وبعد ان ذللت هذه العقبات جميعها في الغرب وسار هذا الفن هناك سيره السريع الى الأمام ودبت في البلاد العربية روح النهضة الحديثة لم نرَ من زملائنا العرب من أقدم على التأليف في هذا الموضوع لأن مؤلفات كهذه تتطلب نفقات كبيرة ولأن الاقبال عليها قليل . واذا دفعت اللذة العلمية بعضاً

من العلماء الى التضحية رغبة في التأليف نفسه فان هذه الرغبة لا تتعدى عادة حدود الخسارة المادية .

والنتيجة ان هذا المؤلف هو الأول الذي عرفناه في هذا الفن .

قسم المؤلف كتابه ثلاثة أبواب فخصص الباب الأول بربط الشرايين وقد جعله أربعة فصول فذكر في الفصل الأول المعلومات العامة في ربط هذه الاوعية وفي الفصل الثاني ربط شرايين الطرفين السفليين وفي الثالث ربط شرايين الطرفين العلويين وفي الرابع ربط شرايين العنق .

وتكلم في الباب الثاني عن بتر الأطراف وتتميم المفاصل وقد قسمه أربعة فصول أيضاً فذكر في الفصل الأول المعلومات العامة وفي الثاني بتر الأطراف العلويين والسفليين وفي الثالث تتميم مفاصل الطرفين العلويين وفي الرابع تتميم مفاصل الطرفين السفليين .

وقد خصص الباب الثالث بنشر العظام قاسماً اياه اربعة فصول فجاء في الفصل الأول بالمعلومات العامة وفي الفصل الثاني بنشر عظام الطرف العلوي وفي الثالث بنشر عظام الطرف السفلي وفي الرابع بنشر عظام الرأس والجذع .

وقد طبع الكتاب طبعاً متقناً في مطبعة الجامعة السورية بدمشق سنة ١٩٤٤ ونهج المؤلف في وضعه نهجاً خاصاً فلم يعمد الى التطويل الممل ولا الى الاقتضاب المخل واختار من الطرائف أسهلها تناولاً تاركاً ما كان منها معقداً . ويقع الكتاب في ٣٣١ صفحة وهو مزدان بمائتين واثنين وستين رسماً على الرغم من صغر حجمه .

فالى زميلنا الفاضل ، الذي نكبر همته ونشكر له باسم اللغة العربية اقدامه على سد هذه الثلمة في مجموعة المؤلفات الطبية ، أخلص تهانينا بكتابه الفريد .

الدكتور مرشد خاطر

فن التوليد

الجزء الأول

لمؤلفيه : الدكتور شوكة القنواتي استاذ فن التوليد وأمراض النساء ومريرياتها في معهد الطب العربي والدكتور محمود مظفر برمدا مساعد شعبة التوليد وأمراض النساء ومريرباتها في معهد الطب العربي .

كتاب يقع في ٥٤٤ صفحة طبع في مطبعة الجامعة السورية بدمشق سنة ١٩٤٤ مزدان بـ ٨١ رسماً يبحث في الحمل والولادة وعواقب الوضع الطبيعية قسمه مؤلفاه ثلاثة أبواب فخصصا الباب الأول بالحمل الطبيعي وضمناه ثمانية فصول الفصل الأول في الالقاح والثاني في نمو البيضة وتكوّن المضغة والثالث في الجنين وملحقاته والرابع في القناة الحوضية التناسلية والخامس في التبدلات التشريحية والغريزية الطارئة على جسم الوالدة في أثناء الحمل والسادس في اعراض الحمل وتشخيصه والسابع في أوضاع الجنين والثامن في حفظ صحة الحمل .

وخصصا الباب الثاني بالولادة الطبيعية وضمناه أربعة فصول : الفصل الأول في الولادة اجمالاً والثاني في مختلف المجيئات والثالث في الخلاص والرابع في الحمل المتعدد والولادة فيه .

وخصصا الباب الثالث بعواقب الوضع الطبيعية وضمناه فصلين : الأول في حالة النفساء والثاني في الوليد .

ولغة الكتاب ومصطلحاته صحيحة وأبحاثه مفيدة وفيه من النظريات أجدّها ومن المعلومات الفنية أوفرها . ولا نغالي اذا قلنا انه يضاهي الكتب الأجنبية التي وقع عليها نظرنا من حيث غزارة المادة وحسن التبويب . وانه أفضل مؤلف عربي في نوعه لأن ما كتب في هذا الموضوع بلغة الضاد قديم العهد ولا يوافق النظريات الحديثة ولا سيما ما كان منها ذا علاقة بالغدد الصم ووسائل تشخيص الحمل الحديثة .

جزى الله المؤلفين لقاء خدمتها للغة الضاد خير الجزاء ووفقهما الى اصدار الجزء الثاني لتكتمل هذه الحلقة ويعم نفعها .

الدكتور م . خ

دمشق القديمة : أسوارها ، أبراجها ، أبوابها

هذه النشرة هي أولى مطبوعات مديرية الآثار القديمة السورية . وهي من وضع السيد صلاح الدين المنجد في عام ١٩٤٥ . وتقع في نحو (٦٠) صفحة . يتخللها صور ومصورات لبعض هذه الآثار . وقد ضمنها وصفاً موجزاً لسور دمشق وأبوابها مع نبذ من تاريخها . وقد رأت مديرية الآثار القديمة كما ذكر واضعها في مقدمته : « أن تصدر نشرات عربية مبسطة تضمن للناس ثقافة تاريخية آثارية . يتبينون فيها روائع ميراثهم القومي التاريخي الماثل في آثار هذا الوطن » . فنعم الفكرة هذه . وما أجزل فوائدها للناس . يتعرف بها أبناء البلاد الى تراث السلف وترشدهم الى محاسنه ، ليألفوه . وتحببه لهم ، ليقدروه حق قدره . فيعملوا على حفظه وصيانته .

حبذا لو ان الكاتب وضع الى جانب الاصطلاحات الفنية التي استعملها ما يقابلها في لغة أجنبية ما ، كي لا يلتبس على القارئ فهم مدلولها في مثل قوله : « برج مربع بشكل موشور ، وقوس مخمسة » . وذكر عن باب الجنيق المسدود أنه روماني مع انه لا يوجد ما يستدل منه على قدمه في حالته الحاضرة ويرجح أن يكون من العهد الاسلامي . وقال ان باب توما منسوب الى عظيم من عظماء الروم . والأصح بأنه منسوب الى مكان في ظاهر دمشق كان يعرف بهذا الاسم . وقال في صفحة ٤٥ : سيف الدين ابي بكر بن أيوب أمير المؤمنين . وصوابه أن يقال : .... بن أيوب ناصر أمير المؤمنين . وجاء في رقم (٢) من صفحة الاضافات والتصحيح : « ان السيل حمل برجاً صحيحاً ومعه في جانبيه مدينتين ودفع ذلك كله غربي المدينة » . وهذه العبارة مشوشة في مبناها ومعناها . ولذلك أقترح تصحيحها على الوجه الآتي : « ان السيل حمل برجاً صحيحاً ومعه في جانبيه مأذنتين ووقع ذلك كله غربي المدينة » . اذ لا يعقل ان يحمل السيل برجاً ومدينتين الى غربي المدينة . مع أن السيل لا يأتي دمشق الا من ناحية الغرب متوجها الى الشرق . وقال في رقم (١٨) باب النصر ويسمى باب السرايا . مع ان الباب الأول كان في سوق الأروام والثاني هو باب السرايا المشيرية .

وجاء في مصور مدينة دمشق القديمة ، ان اسم النهر الموجود شمالي قلعة دمشق نهر بانياس ، وصوابه نهر عقربا .

فنرجو للأستاذ المنجد الذي عرفناه أديباً أن يوفق في أبحاثه الأثرية كنجاحه في مواضيعه الأدبية وان تكون هذه النشرة المفيدة باكورة أبحاث أوسع .

جعفر الحسني



بيمارستان نور الدين

وهي أولى الدراسات التي وعد السيد صلاح الدين المنجد بنشرها عن أبنية دمشق التاريخية . وتقع هذه النشرة في ٣٩ صفحة من القطع الكبير . مزينة بعدد من الصور والرسوم المفيدة . وقد وفق الأستاذ فيما أورد وأصاب فيما نقل . متقياً ما أمكن مواطن الزلل ومتحاشياً كل ما يثير الجدل . وهذا شأن قواعد الدراسات المبسطة التي يحسن أن يقتصر بحثها على الخطوط الأساسية المتفق عليها . وأما قوله : ان بعض مواد البناء الرخامية المستعملة في بناء البيمارستان كالعمودين والألواح المزخرفة قد أخذت من احدى الكنائس . فهذا زعم يفتقر لإثبات ولا يقوم عليه دليل . وهي من جملة أوهام بعض المستشرقين . ولذلك يجب علينا أن لا نتسرع في نقلها ولا نجزم في صحتها . نشكر الأستاذ المنجد على هذه الدراسة المفيدة ونرجو له التوفيق في دراساته المقبلة .

ج . ح



سومر

صدر الجزء الأول من المجلد الثاني من مجلة سومر التي تصدرها مديرية الآثار القديمة في العراق . وهو طافح بالأبحاث التاريخية عن العراق وانبائه الأثرية في مختلف العصور ومزين بأحسن الصور . وتشهد جميع هذه الأبحاث على علو مكانة كاتبيها العلمية وحرصهم على تحري الحقيقة فضلاً عن توفقهم بانتقاء الأبحاث . وجاء في جملة أنباء الآثار ص ١٣٣ . ان المتحف العراقي قد اقتنى درهماً نقش عليه صورة الخليفة العباسي المقتدر بالله جعفر . وانه قد يكون الوحيد من نوعه في العالم . وقد سبق لدار الآثار في دمشق ان اقتنت منذ سنوات درهماً يشبهه وقد نشره في حينه كاتب هذه الأسطر في كتاب : Melanges Syriens offerts à M. R. Dussaud ص ٤١٨

ج . ح

آراء وأنباء

الحكومة المصرية تتبرع بألفي جنيه
لمكتبة أبي العلاء المعري

كان الدكتور طه حسين بك قال في كلمته التي ألقاها في المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري الذي أقامه المجمع العلمي العربي في دمشق في ٢٥ إيلول سنة ١٩٤٤: « ... ثم رأت مصر أن تكون مشاركتها في إحياء ذكرى أبي العلاء متصلة بشخصه وبلده، وقد علمت أن سورية قد جددت قبر الشيخ وأقامت الى جانبه مكتبة، فقررت أن تشارك في هذه المكتبة، وكلفني وزير المعارف أن أعلن ان الحكومة المصرية تتبرع بألفين من الجنيهات تشتري بها الحكومة السورية بعض ما تحتاج اليه هذه المكتبة من الكتب [1] » .

وقد استلم المجمع من المفوضية المصرية بدمشق حوالة بألفي جنيه مصري، وقرر أن يؤسس بها خزانة كتب بجانب ضريح أبي العلاء يدعوها « دار الحكمة العلائية » يجمع بها آثار أبي العلاء مخطوطها ومطبوعها وما كتب عليه قديماً وحديثاً، يضاف اليها أمهات الكتب في الأدب واللغة والتاريخ وبقية فروع الثقافة الاسلامية . فالمجمع يشكر للحكومة المصرية الجليلة هذه اليد البيضاء على العلم والأدب، ويحيي مصر ويرجو لها السعادة واطراد التقدم والرقي في ظل مليكها الفاروق حفظه الله .

(١) المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ص ٢١

الاستعمال محكَّم (١)

لو حلفنا للعامة بكل محرجة من الأيمان أن كلمة سيارة ودراجة وقاطرة وشاحنة وسفينة أرق وألطف وأدخل في موازين اللغة من أوتومبيل وبيسكليت ولوكوموتيف وفاغون ووابور ما استجابوا ولا صدقوا . ولو قلنا لهم ان لفظ بريد وبرق وهاتف أرشق من بوسطة وتلغراف وتلفون وجسر خير من كوبري ومستشفى من اسبتالية ومعمل ألطف من فاوريقة أو فابريكة والشوي أحسن من السلاملك والمثوى أنفع من بانسيون والحساء من شوربة والشطيرة من سندويتش والذرور من بودرة والجعة من بيرا وعقود من كنتراتات ويانصيب من لوتريا ووقاد أحسن من عطشجي ومصرف من بنك ودار الندوة ودار الآثار ودار الكتب أحسن من بارلمان وانتكخانة وكتبخانة ما سمعوا ولا ارعووا .

وحيثما انقلبتم في مصر وانصتم الى المتكلمين في مدنها وأريافها يترامى الى اسماعكم نموذجات غير جميلة من الأسماء التركية حتى لنسمع في بعض البيوت القديمة الى اليوم لفظة أبلة ، انشتة ، دادة ، نينة ، تيزة ، نا ، بابا ، فرشة ، طقم ، طربة ، بقجة ، شنطة ، شلتة ، يشمق ، طلمبة ، سادة ، بويا ، يغما ، ماشة ، قولتق ، كليم ، تخنة ، خوجه ، جزمه ، شادر ، شاكوش ، أرمان ، بشاورة ، بشكير ، خردة الى عشرات غيرها . وفي الشارع تسمع كلمات طليانية وروميّة وافرنسية وتركية ، فتراهم يقولون في المطاعم مستاردا ، كومبوستو ، روستو ، فينو ، فيلتو ، كوتليت ، اومليت ، سباكيتي ، ترشي ، بلاو ، ضولمة ، يخني ، كفته ، اوزي ، صلاطة ، صلصة ، جاتو ، فروتو . وعشرات مثلها مما له مقابل في لغتنا وهو أسهل وأسلس على النطق من اللفظ الأعجمي .

تسمع من أفواه المتمدنين والمتمدنات في الصباح والمساء كلمة فاتورة ، مانيفاتورة ،

---

(١) هذا بيان تلاه الأستاذ محمد كردعلي في الجلسة الخامسة من الدورة الثانية عشرة لمجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة (٢٧ صفر ١٣٦٥ و ٣١ من كانون الثاني ١٩٤٦) .

فورمه ، مزورا ، موضة ، بروتستو ، كبيو ، اسقنطو ، كارو ، مناورة ، بلاج ، كابين ، كابينه ، كاباريه ، بوفيه ، اوبرج ، كورنيش ، فرنيش ، مايو ، كاسون ، كومبينزون ، شورت ، سبور ، لوكاندة ، أوتيل ، اوسته ، فانتيزي ، ياقة ، باترون ، مارمتون ، جارسون ، ميتردوفيل ، روب ، روب دي شمبر ، بيجاما ، جاكيته ، بالطو ، بنطلون ، ساتين ، موسلين ، اشارب ، ماتينيه ، سواريه ، كريم ، بودرا ، روج ، ما نو كور ، تواليت ، فيترين ، بانيو ، صالة ، صالون . ولهذه الألفاظ كلها ما يقابلها من العربية وقد يعرفها العامة دع الخاصة ، ولا تحدثهم أنفسهم باستعمالها نكاية بهذه اللغة وكيداً لأهلها أو حتى يقال عنهم على الأقل أنهم متمدنون والألفاظ الافرنجية أقرب الى أذواقهم من الألفاظ العربية وما شاء الله كان .

وليت شعري متى يبطل في مصر ما تأصل فيها من الألفاظ التركية في الجيش والحياة العامة ورسخت في الألسن والأقلام وليس هناك من ينكرها مثل صول ، قول ، صاغ ، يكباشي ، يوزباشي ، باشكاتب ، باشمهندس ، سواري ، بيادة ، طوبجية . الى كثير غيرها ، وقد قيل أن ألفاظ الجيش وحدها تبلغ ألفي كلمة . وكان مجمعنا عهد الى رصيفنا العلامة الشيخ أحمد الاسكندري رحمه الله النظر مع خبير عسكري في وضع أسماء عربية تقابل تلك الأسماء التركية فوضعا ما وضعا له من الألفاظ ولما هلكا لم نعد نسمع خبراً عما تعبا في وضعه من المفردات ، ولا تزال مصر الى الآن مقصرة عن العراق والشام في تعريب ألفاظ الجيش وكان المأمول أن تتوحد هذه المصطلحات في هذه الأقطار الثلاثة .

مساكين علماء اللغة يكدون أذهانهم ويتعبون عيونهم في البحث لإيجاد كلمات لا يقبلها الجمهور الا اذا وافقت هواه واستسهل النطق به وعرضت له عوارض تذكر به في كل شارقة وبارقة . والعامة على ما يظهر تختار من الألفاظ ما يطرق سمعها بادئ الرأي وتحفظه لا تحفظ غيره وصعب اكراهها على استعمال الفاظ بعينها اذا رأت في مألوفها ما يجزئ عنه ويعبر عن حاجات النفس . وثقوا أن كلمتي جريدة ومجلة اللتين وضعهما العلامة احمد فارس أثابه الله لو لم يكن أرباب

الصحف أنفسهم هم الذين دللوا عليها لظللنا الى اليوم نطلق اسم بولتين أو رفو أو مكازين على المجلة وجورنال أو غازيته على صحيفة أو جريدة ، ومع هذا لانزال نسمع كثيراً من خاصتنا الى اليوم يقولون الجورنال ومن العامة من يقول جورنان بالنون ·

وضع هذا المجمع ومجمع الشام ألفاظاً لمسميات افرنجية ولم تنتشر كلها الانتشار المطلوب لقلة العناية بطرق نشرها ولا أكتمكم اني يائس من شيوع بعض ما وضعناه لناطحات السحاب مذ قلنا « الصرح » ومذ أطلقنا « الطزر » على البيت الصيفي و « المثعب » على سيفون و « الاردبة » على البالوعة الواسعة و « المشن » على الدوش و « الوشيعة » على حظيرة الشجر حول الكرم والبستان و « الوفيعة » على تلك الخرقة التي يمسح بها الكاتب قلمه من المداد و « الدريئة » على بارفان و « المشوش » على السرفيت و « الندل » على خدم القهوة أو الكارسونات و « الابريج » على الممخضة و « العتابيات » على المكشطة ·

وليت شعري كم ينقضي من الزمن حتى تنتشر كلمة « المجسدة » التي وضعناها لنوت على نحو ما انتشرت الجزازة والاضبارة للاعراب عن فيش ودوسيه · ومثل ذلك قولوا في « الاراض » التي وضعت للبساط العظيم الذي يفرش في الأبهاء والردهات و « التحذيف » لتصفيف شعر المرأة وقص أطرافه و « المنوار » « لفربير » أي المصباح الكبير الذي يعلق في الشوارع والحدائق العامة و « المرصدة » التي وضعت لتلسكوب و « المصوات » لميكروفون و « الأجية وحمى الأجية » للملاريا ·

ومهما يكن فلا ينبغي لنا أن نيأس من نشر ما يعنينا من الألفاظ فقد حاولت أن أنشر بعض الفصيح المنسي منذ بدأت أكتب في الصحف فكنت أستعمل لفظة أو لفظتين في المقالة الواحدة أو الفصل الواحد فأصبح ما استعملته مألوفاً بعض الشيء في البيئة التي عملت فيها وحصلت بها أنسة للقراء فلم تنفر منها الأسماع · فلو كانت وسائط النشر أوسع لدي لصادفت تلك الألفاظ من الرواج بالضرورة أكثر مما صادفت ، وبخاصة اذا تبناها بعض رجال الصحافة فان منهم من عاونوا

على اشاعة بعض الألفاظ حتى كدنا نعافها لكثرة ما رددوها في كل موطن مثل لفظ «أجل» و «فحسب» و «الهيل والهيلمان» .

نعم يجب أن يكون أحدنا كالطبيب المداوي لا ينقطع عن معالجة مريضه ولو كان الأمل في شفائه واحداً في الألف ، قص علي أحد زملائي في المجمع العلمي العربي أنه كان في بعض العشايا ماراً في زقاق وكانت تلك الليلة من ليالي المرافع «الكارنافال» فسمع ولدين في نحو العاشرة من عمرهما يسأل أحدهما صاحبه أين كنت الآن قال كنت في المقنع Balmasqué فدهش صاحبي من سريان هذه اللفظة الفصيحة الى لسان الفتيين .

ومن الحزم أن يعول على الفتيان والفتيات في تقبل الفصيح بلقنهم إياه أساتذتهم منذ عهد الكتاتيب إلى آخر مراحل التعليم في الجامعات حتى اذا تمكنت من ألسنتهم انتشرت بحكم الطبيعة في العامة ومن قرب من طبقتهم وعندئذ يتعذر على العامية أن تقتل الفصحى .

ولا بد أن يأتي يوم يكثر فيه استعمال ما نضعه أو يضعه غيرنا من الفصيح ويقضى على الأسماء الأعجمية ويجب على كل حال أن نذكر الخطوات الناجحة التي خطوناها منذ خمسين سنة لاحلال الفصحى محل العامية المتلونة كل عهد بلون .

لا جرم أننا مقصرون في الدعاية لما نضع من الألفاظ ومن هذا التقاعس ما يمكن تلافيه ومنه ما دعت اليه أسباب قاهرة . فقد حالت الحرب دون نشر مجلتنا وهي أداتنا الوحيدة في الاعلان عن بضاعتنا فما طبقت قاعدتنا في نشر الألفاظ التي نحاول احياءها أو اشتقاقها من أصولها . وقاعدتنا هذه الا تصبح اللفظة الجديدة معمولاً بها الا أذا أتى على نشرها في المجلة حول كامل ولم يرد اعتراض عليها . ولذلك يكون يوم عودة مجلة المجمع الى الصدور من الأعياد السعيدة وعساه يطرد ارسالها هذه المرة الى القاصية والدانية تتناولها أيدي عشاق العربية في الآفاق . فنحن في حاجة لدعاية واسعة النطاق لما نحييه من المفردات ونقرره من القواعد لتسهيل اللغة . نحتاج الى نشر ما نضع في الصحف

والمجلات وفي نشرات ورسائل ترسل لمن ينتفع بها بالمجان في أوقات معينة لا تخل بها واذا أستطعنا أن نقنع الحكومات بمعاونتنا في هذا الشأن يزيد ما نريد نشره في الناس انتشاراً كثيراً فبقليل من العناية يمكن الاستغناء عن مئات من الاسماء الأعجمية وذلك بأن تصح عزيمة الحكومات على حمل الفنادق والمقاهي والحانات مثلاً على استعمال ألفاظ عربية فتحظر على أربابها استعمال الألفاظ الافرنجية بتاتاً وما أظن ما نسمعه كل يوم في المقاهي مثل «اوناسكيتو» و «اونافاربليكي» و «اونامتربو» الى غير ذلك من الأسماء يرضى الناطقون به أن ينادي مناد بالعربية في مقاهي بلادهم وحاناتها وفنادقها هذا ونحن نرى القهاوي البلدية تنادي على هذه المشروبات بألفاظ عربية منتقاة جميلة تسمع نموذجات منها في مقاهي سيدنا الحسين وغيرها من مقاصف الأحياء ٠

ولو أن حكومة مصر عاونت هذا المجمع على بث الصحيح لما انقضت سنة الا وأكثر الألفاظ الأعجمية تختلي من الميدان ويطويها النسيان فلا يعثر عليها إلا في معاجم لغاتها وتحل محلها الألفاظ العربية في قطر هو عربي خالص منذ ثلاثة عشر قرناً ٠

أما أن نترك ما تعبنا في وضعه للطبيعة تنشره أو تغمره فنطبع من مجلتنا بضعة ألوف ونوزع منها مئات ونخزن الباقي في المستودعات يأكلها الفأر ويسودها الغبار فهذا تقصير أخشى أن يكون داخلاً في نقص القادرين على التمام ٠

أما ولم يبق أمامنا الآن عائق يعوقنا عن إتمام عملنا فواجبنا أن ننشط وندخل بعض التعديل في أساليبنا والزمن يدعونا الى ذلك فقد كان ابن القرن الماضي يكتفي بحفظ ألفين أو ثلاثة آلاف كلمة يقلبها في وجوه استعمالاته وابن هذا العصر يحتاج الى استظهار ألوف من الألفاظ ما كانت تخطر ببال أبناء الأجيال السالفة فالمصلحة اذاً في نشر أكبر عدد ممكن من ألفاظنا المعربة والموضوعة واخراجها في معجم صغير يكبر مع الزمن ثم يجعل منه ما بقي بحاجة المبتدئ والمتوسط والمنتهي ٠

يشتد عوز الأمة العربية الى نشر معجم صغير قبل كل شيء . وهنا أبرئ نفسي من تهمة أدبية همس بعضهم بها وهي أني كنت في جملة الرافضين نشر معجم رصيفنا العلامة شيفر أنا لم أرتكب هذا الجرم وانما قلت يومئذ انه كتاب ينفع خاصة المشتغلين باللغة فهو «اللوكس» ونحن نتطال أولاً الى البسيط العادي واني أفضل تقديم الأهم على المهم والأهم نشر معجم المجمع الذي طال الوعد باصداره واني لا قصد لي الا قصدكم وما حدت ولن أحيد عن خطتكم والمصلحة في الامراع بعرض أعمالنا على العالم والزمن لا يحتمل التسويف اوعصرنا عصر السرعة والمفاجآت . وعملنا لا يكالله النجاح الا بالدعاية بكل أساليبها على ما تجري عليه كل دعاية سياسية ودينية والله الهادي الى ما فيه خير اللغة العربية .

محمد كرد علي

الفريونة

١ — توطئة

هذه كلمة غريبة الصيغة ، حلوة على السمع . وتلفظ Freywinneh أي بضم الفاء (والعامة تسكنها) وفتح الراء فتحًا بإمالةٍ قصيرة ، واسكان الياء المثناة التحتية ، وكسر الواو ، وتشديد النون المفتوحة ، وفي الآخر هاء ، غير صميم .

هي اسم نباتٍ مبثوث في أراضي الموصل ، والهضاب التي حواليها ، ولم يتمكن احد من معرفته بالتمام والضبط ، إلا واحد من علمائنا الأعلام ، هو الطبيب النطاسي ، الدكتور داود الچلبي ، الموصلي الولادة والنشأة .

٢ — أصل هذه الكلمة

سألت كثيرين عن أصل هذه الكلمة ، ومن أي لغة وردت علينا ، فلم يتمكن احد من معرفتها . وسألت جماعة من الفضلاء والبصراء باللغات السامية واليافثية والحامية ، فلم يستطع أحد ان يجيبني عنها الا الدكتور الچلبي وحده — فله الفضل العظيم على كل من يتلقاها عنه ، في هذا المقال . قال حرسه الله ما هذا نصه بحروفه ، وذلك بتاريخ ٢٤ / ١٠ / ١٩٤٥ :

(الفربونة) : نبات ذو بصلة ، يزهر زهراً احمر وردياً جميلاً ، بصلته ذات طاقات حلوة ، تؤكل . خارجها قشر احمر ، كقشر البصل العادي ، يليه طبقة من ألياف دقيقة ، ناعمة ، حريرية ، كأنها شعر فَرْوة ، ومن هناك اسمها عند أهل الموصل .

« صغروا (فروة) ، فقالوا (فُرَيْوة [1]) وكسعوها بألف ونون للنسب ، بدل الياء بعد حرف الهاء ، فصارت : (فُرَيْوان) وهذه النسبة مستعملة بكثرة عند الأعراب [2] فيقولون لمن وُلد في ارض يكثر فيها الشيح : (شيحان) . واعرف اعرابياً اسمه (نديان) ، سألته لماذا سموك بهذا الاسم ؟ — فقال : لأن صبيحة الليلة التي ولدت فيها اصبحت الأرض قد عمها (الندى) ؛ ثم ألحقوا بفربوان ، تاء [3] التأنيث ، فصارت (فربوانة) ولكنهم يحرفونها فيلفظونها : (فربونة) [بتشديد النون في مكان حذف الألف] [4] » .

ثم قال حضرة الدكتور : « لا شك في كون هذا النبات من الفصيلة الزنبقية Liliacées ؛ لكني لم أهتد لاسمه العلمي ، لأني لم اجد في الكتب التي لديّ ، من وصفها وصفاً واضحاً ، وذكر فروتها ، وانها تؤكل .

« ظننتُ أولاً ان Muscari comosum ينطبق عليها ؛ غير اني وجدت اني كتبت في بعض قيوداتي : ان هذا بصل القيء فعدلت عنه .

---

(١) قال الأب أنستاس ماري الكرملي : صحّحوا الواو ، وان جاء قبلها ياء ساكنة ، حرصاً على سلامة اللفظ الأصلي كما صححوها في تصغير أسود . فقالوا : أسيود . وفي تصغير حُلوة ، قالوا : حُليوة . (٢) مثل هذه النسبة الغريبة معروفة عند الأقدمين ، ولم يذكرها النحاة ، ولا أرباب القواعد العربية . فقد قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في مادة عبادان : « وأما إلحاق الألف والنون ، فهو لغة مستعملة في البصرة ونواحيها : إنهم اذا سموا موضعاً ، أو نسبوه الى رجل ، أو صنعة ، يزيدون في آخره ألفاً ونوناً ، كقولهم في قرية عندهم منسوبة الى زياد بن أبيه : زيادان ، وأخرى الى عبد الله : عبد الليان ، وأخرى الى بلال بن أبي بردة : بلالان » انتهى كلام ياقوت . (٣) انما أتوها اشارة الى الزهرة كأنهم قالوا : الزهرة أو النبتة ذات الفروة ، لأن هذه الفروة لا تظهر إلا من بعد أن تزهر البصلة .

(٤) ومثل هذا الحذف والتعويض عنه بشد الحرف الذي يتلوه ، قولهم في انجاص : إجاص . وفي انجار : إجار ، وفي خرنوب : خرّوب ، وفي ذرنوح : ذرّوح ، وفي انجانة : إجانة ، إلى ما لا يحصى ذكره لكثرة وروده في لسانهم .

« وأكثر ظني ان (الفربونة) هي التي وردت في قاموس شرف باسم (قُطّـان) لكن لا أجزم به ، لأن الدكتور شرف ، لم يتعرض لوصفه ؛ وكذلك احمد عيسى في معجمه . ولم اجد هذا الاسم في سائر الكتب » انتهى كلام صديقنا الدكتور العلامة .

قال الأب أنستاس ماري الكرملي : ان رأي الدكتور الچلبي الأول أي ان الفربونة هي Muscari comosum هو الصواب ، وأما قوله انه بصل القيء فمبني على معجم احمد عيسى ، فانه ذكر (للمسكاري كوموزوم) عدة مترادفات هي : « بصل الزيز » [أي بزابين] - حلحل ج : حلاحل ، بصل القيء - بصل بري - بصل المسك - بصيل - الزيز [بزابين] (عربية) - زوزا (سريانية) - مدّاد أفرع - ثومة الرعيان - بصل فرق - بصيلة (سوريا) انتهى .

وفي هذا كله من الخلط والخبط ، ما لا يحتاج الى تفنيد ، لظهوره لكل ذي عينين . اما ان (مسكاري كوموزم) وهو Muscari comosum هي الفربونة نفسها [1] فلا ينكر البتة ؛ لأن الكلمة العلمية اللاتينية تعني الحلحل الأشعر او الشعر (ككتف) ، لا الحلحل الأزبّ (بتشديد الباء) كما قال الأمير مصطفى الشهابي [2] ، لأن الأزبّ معناه الكثير شعر الوجه أما Comosum فمعناه الشعر او الأشعر ، اي الكثير الشعر ، ومعناه أيضاً المجمّم اي ذو الجمة وهي مجتمع شعر الرأس . وقد ذكر الدكتور الچلبي ان (الفربونة) معناها ذات الفروة ، والمراد بالفروة هنا جلدة الرأس بشعرها ، لأن على رأس زهرتها ما يشبه الشعر او الفروة المذكورة .

---

(١) جاءت صورة الفربونة ، أي الحلحل الأشعر في معجم لاروس الوسيط بحيث لا يشك الناظر اليها شكاً دقيقة واحدة . والذي رآها مزهرة في نواحي الموصل ، قال : كأن المؤلف نقلها عما شاهده في ديارنا العراقية . فهي تُرى بكثرة في فصل الربيع .

(٢) معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية — تأليف الأمير مصطفى الشهابي . مطبعة الجمهورية السورية سنة ١٩٤٣ . صفحة ٤٣٥ سطر ٨

وزد على ذلك انهـا تؤكل ، ومما يثبت هذه الحقيقة ، كلام معجم لاروس الوسيط ، الفرنسي العبارة ، إذ قال ما ننقله الى لغتنا ٠

« الفريونة وبلغة العلم Muscari comosum وبالفرنسية Muscari chevelu وهو ايضاً الحلحل الأشعر او الشعر (كَكَتِف) ، هو ما يسميه عوام فرنسة Viciet وما معناه الثوم المجمَّم ، ثم إلحلحل الممسَّك M. Racemosum معروفان في فرنسة ويرغب الناس في ان يكونا في جنائنهم للزينة ، ولا سيما ان بعض ضروبها تجهض فيها الأسدِية في جميع ازهار النبت الواحد ، فتجيء عناقيدها شعِرة جميلة جداً ٠ وبصل هذه الا نبتة تؤكل لأنها نافعة لدفع التشنج » انتهى تعريباً

٣ً — الخلاصة

حلَّ لنا الدكتور داود الچلبي اعظم مشكل من مشاكل نبات العراق ٠ فقد حاول كثيرون معرفة ما يقابل عند الافرنج لكلمة (الفريونة) المشهورة على لسان كل صبيّ موصلي ، فلم يهتدوا اليها واما الدكتور الچلبي فقد أفادنا بأنها المسماة بلسان العلماء Muscari comosum وباللغة الفرنسية Muscari chevelu فنشكره على ما عاناه من النصب ، اذ قضى ثلاثة ايام بلياليها — على ما كتبه الينا حضرته — وهذا ما يعترف بفضله كل اديب ، عربياً كان أو غربياً ٠

الأب أنستاس ماري الكرملي

تعقيب

أطلقت في معجم الألفاظ الزراعية على جنس النبات المسمى Muscari كلمتي حَلْحَل وبصل الزيز ٠ وذكرت في الشرح ان هاتين الكلمتين وردتا في مفردات ابن البيطار ، واني لم اجدهما في الأُمهات من كتب اللغة ٠ ووضعت أمام النوع المسمى بالفرنسية M. chevelu وبلسان العلم M. comosum كلمة حلحل أَزَبّ ، أي انني ترجمت Chevelu بأزب ، فاذا بالأب انستاس ماري الكرملي ينكر

عليّ هذه الترجمة في مقال له في هذا العدد من المجلة عنوانه « الفريونة »[1] مدعياً أن الأزب معناه الكثير شعر الوجه ، وان الترجمة الصحيحة هي الأشعَر والشَّعِر ٠

قلت لقد وهم الأب المحترم في حصره معنى الأزب بالكثير شعر الوجه ٠ ولو راجع المعاجم لوجد في التاج مثلاً ان الزَّبَب في الناس كثرة الشعر وطوله ، وفي الابل كثرة شعر الوجه والعثنون ، وان الزبب مصدر الأزب وهو كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين ، وانه يقال امرأة زباء اي كثيرة شعر الحاجبين والذراعين واليدين ، وأذن زباء كثيرة الشعر ، ومن المجاز داهية زباء كما قالوا شعراء الخ ... ولو راجع الأساس لوجد ان الزبب تطلق على كثرة الشعر في الجسد ، وانه من المجاز قولهم « عام أزب أي خصيب » قلت ومن بدائه الأمور ان هذا الاستعمال مرده الى وفرة الكلأ في العام الخصيب ٠

ويتضح من ذلك ان الأزب تطلق على الكثير الشعر أياً كان ، وانها تستعمل مجازاً ، وان استعمالها ترجمة لكلمة Chevelu أمر لا غبار عليه ، وانه لا يجوز قصر معاني الألفاظ على الأمثلة التي ترد في المعاجم ، وذكر هذه الأمثلة فيها لا يفيد الحصر وهو شيء معروف ٠ ولهذا استعملت في معجمي الأزب والأشعر والشَّعِر والوَبِر للانسان والحيوان والنبات على السواء

مصطفى الشهابي

ملاحظات لغوية

نشر الأب أنستاس ماري الكرملي في الجزء الحادي عشر من المجلد العشرين من هذه المجلة مقالاً بعنوان « الكلم العربية في اللغى الغربية » ردَّ فيه بعض الكلمات الفرنسية الى أصول عربية ٠

وقد راجعت عدداً من المعاجم الباحثة عن أصول الكلم الفرنسية ، ومنها معجم أسكار بلوخ Oscar Bloch المطبوع سنة ١٩٣٢ في باريس[2]

---

(١) الفريونة كلمة عامية تطلق في بعض أنحاء العراق على أحد النباتات ٠

(٢) اسمه Dictionnaire étymologique de la langue française وهو في مجلدين لا يشتملان الا على أصول الكلم وتواريخها ٠ والذي يدقق في الفاظ هذا المعجم وينعم النظر في المراجع القديمة والحديثة التي نقل المؤلف عنها يجزم أنه ثقة في أبحاثه ٠

فألفيتها تذكر ان بعض الكلمات التي حاول الأب المحترم ردّها الى أصول عربية هي من أصول أخرى · وهاكم بعض هذه الكلمات :

Acheter — لم يرد في أي معجم من المعاجم القديمة او الحديثة ان هذا المصدر الفرنسي يمت الى «اشترى» العربية بصلة ، خلافاً لما ذهب اليه الأب المحترم ، بل رجحوا انه من أصل لاتيني ، وفي معجم بلوخ الذي أشرت اليه نحو نصف صفحة عن أصل هذا اللفظ وعن تحويره بالاستعمال على كر السنين · وليس من المعقول ان يحتاج الفرنسيون الى استعارة مثل هذا اللفظ من العرب وان يستعملوه مئات من السنين دون ان يذكر أحد من علماء اللغة عندهم شيئاً عن صلته بالكلمة العربية ·

Agréer — ليست هذه اللفظة من أغرى يغري ، خلافاً لرأي الأب أنستاس ، بل هي وأشباهها مشتقة من gré وهذه من اللاتينية Gràtum ، وهذه الأخيرة من النعت Gràtus بمعنى Agréable وكل ذلك منذ القرون الوسطى ·

Agrafe — ليست من العقرب العربية بل من فعل قديم هو Grafer ومعناه تثبيت الشيء بعقافة وهذا الفعل من Grafe بمعنى العقافة · والاسم الأعجمي الأخير من أصل ألماني قديم هو Grâpfo على ما رجحوه ·

Aine — من اللاتينية العامية Inguinem لا من العانة العربية وهي باللاتينية Inguen ولها اسماء مشابهة لهذا الاسم في الايطالية والاسبانية والبروفنسية القديمة ·

Aigle — من البروفنسية القديمة Aigla أو من اللاتينية Aquila · ولا دليل على انها من العاقلة العربية ·

Alezan — تطلق هذه الكلمة الفرنسية على الفرس الأشقر ، لا على الكميت ، خلافاً لما ذهب اليه الأب انستاس · والكميت بالفرنسية Bai (أنظر الفرق بين الأشقر والكميت في مادة Robes من معجم الألفاظ الزراعية) ·

وكلمة Alezan مستعارة من الإسبانية Alazan وهذه من أصل مجهول · ولم يقم دليل علمي على كونها من الحصان العربية · ولكن ردّها الى الحصان محتمل لاختلاط الاسبانيين بالعرب قروناً في الأندلس ·

م · ش

زوج Sexe

يترجم أغلب المؤلفين العرب كلمة sexe بجنس ، حال كون الجنس يقابل genre المأخوذة من genos اليونانية . وجنس ايضاً محرفة من genos . ويستحب في الاصطلاحات العلمية ان يكون للكلمة الواحدة مدلول واحد . فعلينا ان نقابل genre بجنس ونجد لكلمة sexe كلمة اخرى وإن استعمل كثير من المؤلفين كلمة جنس لإفادة معنى سكس كصاحب بحر الجواهر فانه قال (الجنس كليٌّ مقول على كثيرين مختلفين بالحقائق في جواب ما هو ، هذا في اصطلاح المنطقيين . واما عند الأطباء فيراد به معناه اللغوي كما يقال جنس الذكورة والأنوثة ، فان الجنس في اللغة ما يعم كثيرين ولا يشترط فيه اختلاف الحقائق ، ولا شك ان الذكورة والأنوثة كذلك) .

اراد الدكتور محمد شرف في معجمه ان يستبدل كلمة شقة بجنس فقال : SEX (جنس) — شقة (ج شقائق) « انما النساء شقائق الرجال » وقد عربها المحدثون بكلمة جنس والحال ان الجنس يقابله Genus بالفرنجية ولهذا وجب التمييز لأمن اللبس . اه . اقول نعم يجب التمييز لأمن اللبس . ولكن الشقائق الواردة في الحديث الشريف ليست جمع شقة بل جمع شقيقة مؤنث شقيق بمعنى الأخ ، وجمع شقة شقق وليس شقائق ، وشقة لا تفيد معنى سكس . ثم ان الدكتور خالف نفسه بعد قليل فاستعمل ما أنكره فقال ـــ ارتكاس جنسي وانتخاب جنسي وتنقية جنسية الخ .

ان الكلمة العربية الصحيحة المقابلة لكلمة sexe هي الزوج . فلقد وجدت كلمة زوج اتت بهذا المعنى في القرآن الكريم في آيات كثيرة ، اليكها :

(والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجاً وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ...) سورة فاطر ، آية ١١ .

(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) يس ٣٦ .

(فاطر السماوات والأرض جعل لكم من انفسكم ازواجاً ومن الأنعام ازواجاً يذرؤكم فيه ...) الشورى ١١ .

(لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكراناً واناثاً ويجعل من يشاء عقيماً) الشورى ٤٩ و ٥٠

« قال ابو منصور اراد بالتزويج التصنيف ، والزوج الصنف ، والذكر صنف والأنثى صنف . التاج مادة زوج » .

(ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) . الذاريات ٤٩ . « وفسروا الزوجين بالذكر والأنثى » .

(وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى) . النجم ٤٥ .

(أيحسب الانسان ان يترك سدى . ألم يك نطفةً من مني يمنى . ثم كان علقةً فخلق فسوّى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) القيامة ٣٦ — ٣٩ .

(وخلقناكم ازواجاً) . النبأ ٨ .

فهذه الآيات الكريمة لا تدع محلاً للشك في ان سكس يقابله الزوج بالعربية . ولم تفت هذه الحقيقه مجمع فؤاد الأول للغة العربية فقد وضع كلمة زوج مقابل SEX في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرّها . ولكنه لما علم ان كثيراً من المؤلفين استعملوا كلمة جنس في هذا المعنى شفعوا كلمة زوج بكلمة جنس (ص ١٩) . وليتهم اقتصروا على كلمة زوج وخصصوا كلمة جنس بـ genus .

(الموصل)  **الدكتور داود الجلبي**

التنبيه والتوجيه

اني كاتب هذه المقالة وناشرها قصداً مني الى التحقيق ورغبةً في التنبيه والتوجيه ، ولطالما تمنيت ان أقرأ ما ينشر في هذه المجلة الكريمة الوسيمة غير متلبث ولا متمكث لأوفر على نفسي راحتها ولأستجمّ قلبي بشيء من القناعة والعزوف عن البحث والتحرّي اللذين لم يجبا عليّ ولا وُكلا إليّ ، فلم أحلَ من ذلك التمني بطائل ، ولا أعفيتُ المجلة من التعاليق والاستدراك ، فعلى الله تعالى أتوكل ، واليه أبتهل فأقول بعد التمثل بقول الراجز « لا بُدّ مما ليس منه بد » هذه الملحوظات الضرورية موجزاً فيها :

١ — جاء في ص ١٥ من المجلد الثامن عشر من المجلة « ولنا ... ما يكفل إعادة

النظر » . ويكفل من الكفالة تتعدّى بالباء لا بنفسه وفي أساس البلاغة « وهو كفيل بنفسه وبماله وكفل عنه لغريمه بالمال وتكفّل به » فالصواب ما يكفل باعادة النظر ، اما للانسان فيقال « يكفله » .

يتبع : (بغداد) مصطفى جواد

حول (القنبلة)

قرأت في مجلة المجمع العلمي العربي (م ٢ ج ٧ — ٨ و ٩ — ١٠) ما جادت به قريحة الأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر المغربي عن نشأة (القنبلة) وتكونها فدفعني حب الاستطلاع والتحقيق ان ارجع الى ما بين يديّ من المعاجم التركية فتبين لي ان اصل (القنبلة) فارسي وهي محرفة عن (خمبرة) .

جاء في مادة (خمبرة) في (رسملي قاموس عثماني) لصاحبه علي سيدي المطبوع في الآستانة سنة ١٣٢٤ رومية : (خمبرة) فارسية معناها (كلّه) محرفة . و (كلّه) تركية تطلق على مرمي المدافع وكانت قديماً على شكل كرة والآن هي اسطوانية دقيقة الرأس اهـ . أما (خمبرة) فمركبة من (خُم) اي (حُقّ) دن خم ؛ و (باره) اي قطعة . والأتراك اخذوها عن الفارسية وهم يلفظونها (قومباره) ولا يزالون الى يومنا هذا يطلقونها على (حُق) صغير من فخار عليه شق مستطيل يتسع لمرور (متليك) او قرش مثلاً ، يجمع (يصمّد) فيه أولادهم ما يأخذونه من آبائهم او اقاربهم من النقود . و (الحُقّ) الصغير هذا كروي يشبه القنبلة الصغيرة وتسميه العامة في الشام (مَطْمُورة) وفي الكتب المدرسية (حصّالة النقود) .

وفي كتب التاريخ التركي تمر كلمة (خمبره) في سياق الوقائع الحربية ويلفظونها (هومباره) بالهاء كما هي عادتهم ، ويقولون (خمبره جي) اي ملقي القنابل او صاحب القنابل الخ .

فاذا لفظوها (هومباره) ارادوا بها القنبلة الحقيقية واذا لفظوها (قومباره) بالقاف ارادوا بها ذلك (الحُقّ) الصغير الذي يجمع فيه صغارهم النقود .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

فهرس الجزء الخامس والسادس من المجلد الحادي والعشرون

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الجزء السابع والثامن ٢٤٩ و ٢٥٠ المجلد الحادي والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

تموز وآب سنة ١٩٤٦ شعبان ورمضان سنة ١٣٦٥

العلامة المراغي شيخ الأزهر (١)

لم تنبغ أمة من الرجال في العلم والآداب بقدر ما نبغ من العرب ومن دخل في جملتهم من الأجناس والعناصر . حقيقة اعترف بها من تجردوا من الغرض في درس تاريخنا من الافرنج . بيد ان من كان لهم طابع خاص وأثروا تأثيراً لم يؤثره غيرهم كانوا نلائل في كل جيل ولا سيما في القرون الأربعة الأخيرة . فلو فرضنا ان من استحقوا ان تدون سيرتهم في هذه الملة لا يقلون عن مئة الف لا يتجاوز النوابغ الممتازون منهم المئات ظهروا خلال عمر هذه الأمة الطويل وخدموا بأبحاثهم وتآليفهم ودروسهم ومواعظهم .

وقد وضع العلامة ريبرا من علماء المشرقيات من الاسبان جزازات في تراجم ثلاثين الف عالم وأديب أخرجتهم الأندلس من رجال العرب في ثمانية قرون . وليسوا كلهم بالطبع من عيار ابن رشد وابن باجة وابن حزم وابن زهر وابن الخطيب وابن خلدون كما ان من ظهروا في الشرق ليسوا كلهم من طبقة الرازي وابن سينا والفارابي والبيروني وأبي حنيفة والجاحظ والنظّام والخليل وابن المقفع وابن تيمية .

(١) ألقيت أولاً في ردهة المجمع العلمي العربي .

ظهر في الاسلام ألوف من المحدثين والطبقة المختارة منهم عشرون أو ثلاثون وظهر عشرات الألوف من الفقهاء واهل الطابع الخاص منهم الممتازون بإبداعهم ليسوا كثرة ، وخرج مئات من الحكماء ، والمشهورون منهم لا يعدُّون العشرات . ان الدساتير يحفظها اكثر من يعانون أعمال العقل والعبرة بما يتم على أيديهم وبما يحملون الى امتهم من جديد يجدي عليهم .

كان العلم في العصور الماضية يصدر عن العواصم الكبرى يُهرع اليها ارباب الكفايات لما يجدونه فيها من استعداد لسماع اقوالهم والانتفاع بمواهبهم . وكانت المدن الذاهبة بهذا الفضل باديء بدء البصرة والكوفة والمدينة ودمشق وبغداد والفسطاط والري وشيراز واصفهان ونيسابور ثم النجف والموصل وصنعاء وصعدة وفاس والقيروان وتونس (افريقية) والقاهرة . ولما تحيف الخراب معظم هذه العواصم وانحطت في مدنيتها بقيت القاهرة وتونس وفاس والنجف تخرج علماء للأمة فعدت لذلك مراكز العلم . وكان الجامع الأزهر اشهرها واعظمها لتوسط مصر بين مدن الاسلام في إفريقية وآسيا ولأن اهل الخير من سكانها وقفوا على هذا الجامع من الاحباس ما يضمن الانتفاع به على الدهر ، ولأن مصر كانت في الاسلام دولة برأسها أو شبه دولة ممتعة بحكم ذاتي « والعلم مذ كان محتاج الى العلَم » .

وظلّ الأزهر يخرج رجال الدين منذ اقام صلاح الدين يوسف بن أيوب دولة السنة وقضى في مصر على دولة الشيعة الفاطمية . وكان اصحاب الفضل الواسع المتخرجون في تلك الدار أقلّ من القليل والمتوسطون كثرة على ما هم في كل زمان ومكان . والمتوسط في العادة ينسى والمبرز هو الذي يفاخر به تاريخ الامة ، ولا تبرح الألسن تردد ذكراه ، والصحف تنقل آراءه وأخباره ، والناس يستفيدون من كلامه ما انعقدت للعربية سوق وأقيمت شعائر الاسلام في ارض .

وممن نبغ في مصر من المتأخرين شيخ الأزهر العلامة الشيخ محمد مصطفى المراغي . اشتهر لا لأنه تولى اعظم منصب في الاسلام ، فقد يتولى المتوسطون

بعلمهم أسمى الرتب وهم لا يعدُّون حفظ ما جرت العادة بحفظه ولا تمثلوا ما قرأوه . اشتهر لأنه كان حرياً بالشهرة جمع الى الفقه والأصول ما تعوز العالم معرفته من أصناف العلم فما أتقن علوم الدين وقال : قطني ، بل تعلقت همته بمطالب أخرى فشارك مشاركة لا بأس بها في المعارف التي كان رجال الأزهر ينفرون منها . وهذا من النادر في العلماء المعاصرين ، ونعني بالعلماء هنا علماء الدين . وكان العلم اذا أطلق يراد به علم الكتاب والسنة فقط . والقاعدة عند من انصرفوا الى هذا الضرب من العلم ان صاحبه لا يشغل قلبه بغيره من اصناف المعرفة التي كانت في القديم العامل الأول في تميز العرب على من عاصروهم من الأمم وهي في العهد الحديث من أعظم الأسباب في قيام الحضارة الغربية .

ومن أهم ما ساعد المراغي على تفوقه على أقرانه ان امتاز بذاكرة قوية يذكر ما مرَّ بهِ من خمسين سنة لا يخرم منه معنىً وقد جمع الى ذكائه الفطري استقلال الفكر وحب الاطلاع فما سد أذنيه وعينيه عن سماع الجديد والنظر فيه ، وكان على مثل اليقين ان مجد الاسلام لن يكتب له الظهور ان لم يقرن بالعلم الجديد . استظهر القرآن وتدبره تدبراً قل ان كان في الفقهاء المتأخرين من داناه فيه ، وحفظ وهو في القضاء بضعة دواوين لشعراء معروفين من اهل الجاهلية والاسلام .

وحظه الحظ فتخلص من القيود التي وضعها اهل كل مذهب وقضوا ان تؤخذ اقوال صاحبه قضايا مقررة يحظر على العقل ان يجول فيها ، فهو مجتهد استوفى كل شروط الاجتهاد ومجتهد ممتاز بمشاورة العقل . نعم عزم الشيخ منذ تمت أدوات ثقافته ان يستقي من ينابيع الشريعة الصافية ولم يغفِل ما تعب أهل المذاهب الجامعية به من الآراء والأحكام ، وما تشدد فيما رخص به الشرع او أقرته المذاهب الأخرى ، ودعا للعمل بجوهر الدين من دون ما تزمت ولا تضييق ، وحرص على ان يبعده عما لا يتفق مع منازع التجدد .

فصديقنا المراغي خلق عالماً امتاز بمرونته وما كان فيه جمود من أخملتهم التقية وما اتسعت صدورهم الا لما رووه عن مشايخهم او وقفوا عند حد ما قرأوه في

الكتب وما عبأوا بسواه ، نظر وهو في سن الطلب في علوم لم تدخل برنامج الأزهر وشعر بفساد طريقة المشايخ في تدريسهم ، وشارك في الشكوى من الشروح والحواشي والهوامش ، ولطالما كانت تربك ذهن الطالب وتقصيه عن معرفة اللغة وعن روح الشريعة فيخرج كالببغاء يحفظ ما يلقنه دون ان يفهم معناه . وكان بقدر ما يعنى بالأخذ عن شيوخه يعتمد على درسه الخاص وبقدر ما كان يدأب على تحصيل دروس الأزهر يسمو به الشوق الى الاطلاع على ما في علوم الغربيين من متاع للروح والعقل ، وقد قيل لي انه تعلم اللغة الانكليزية أيام كان في السودان قاضياً واصبح يفهم الكتب العلمية فيها وانه قرأ ترجمة مير علي للقرآن باللغة الانكليزية وكان يصحح ما وقع من غلط في الترجمة الانكليزية . نعم لم يقيد الشيخ نفسه باعتبارات الأزهريين كثيراً شأن بعض النوابغ يشذون أحياناً عن مصطلح قومهم ويكون الخير في هذا الشذوذ .

استطال الشيخ اعوام الدّراسة على ما يظهر وهمته تحفزه الى الاسراع بالخروج الى ميدان العمل ، فتقدم لامتحان العالمية وجاز السنتين الأخيرتين في سنة واحدة كما قال لي عن نفسه معتقداً انه ما دام قد تعلم ما يطلب منه معرفته فالواجب ان يُقدِم ولا يضيع وقته في الانتظار . وبهذا أثبت ان الطالب قد يتعلم في بيته اكثر مما يتعلم من حضور الدروس في أوقات مخصوصة على معلمين بعينهم . اما هو فقد جمع بين الفضيلتين ما زهد في التلقي ولا اقتصر عليه ، وروى العارفون انه حضر على المشايخ قراءة الكتب المطولة المعروفة عند الأزهريين إلا انه ما أتمّ قراءة كتاب منها ذلك انه كان يرى ان من العبث صرف الوقت في حل معميات هذه الأسفار .

دخل الأستاذ في الحياة العملية في سن مبكرة فتولى القضاء قبل أن ينتصف العقد الثالث من عمره وابان عن مقدرة على معاناته وظهر انه عارف بسياسة العلم وسياسة الخلق ، فكأن والده وهو رجل شرع مثله أورثه خير صفات من يعدلون بين الناس ، وكانت داره في الصعيد الأعلى مفتحة الأبواب لحل مشاكل قومه

وفض خصوماتهم · وقد اخذ القاضي الشاب من بيته من الأخلاق عدلَ ما تعلمه في الأزهر من علم ، فسعد ابوه به وباخوته وهم بضعة علماء وقضاة على رأسهم ابنه الأكبر شيخ الأزهر الذي تولى هذه الرياسة العظيمة في حياة أبيه · اما بنوه هو فقد ربوا تربية مدنية ليس فيهم من لاث العمامة على رأسه ·

أصبح المراغي شيخاً للأزهر في الثامنة والأربعين من عمره ، وندر من تولى هذه المشيخة وهو في هذه السن فأتى بنشاط الشباب وحنكة الشيوخ فاهتم الاهتمام كله لاصلاح الأزهر الذي كان واضع أساس الاصلاح فيه شيخه وشيخنا الأستاذ الامام محمد عبده · ولما شعر بأن لأئحته في اصلاح الأزهر لن تقبل استقال ولزم بيته محتفظاً باستقلال فكره وعزة نفسه ، وخلفه في الرياسة الشيخ الظواهري وكان أشبه بشيخ زاوية منه بشيخ علماء وانحصر عمله في الاصلاح بطرد سبعين عالماً من خيار علماء الأزهر · وعاد الشيخ المراغي الى الأزهر ثانية بعد ما تركه الشيخ الظواهري بإهانة لم يهن مثلها شيخ قبله ، يشمر عن ساعد الجد في اصلاحه وأتمّ وضع اساس كليات التخصص ككلية علوم اللغة العربية وكلية أصول الدين وكلية العلوم الشرعية · وكان يعتقد ان الأزهر يحتضر منذ طلبت وزارة الأوقاف وهو من مفتشيها خطباً منبرية فجاءها خمسمائة خطبة لم تصلح واحدة منها لأن تلقى على المصلين ، يعتقد ذلك وهو يرى ان دار العلوم تنازع الأزهر افضليته في تعليم العربية ومدرسة القضاء الشرعي الملغاة تنازعه بتدريس الشريعة · وبإصلاح المناهج قضى الأزهر الحديث على فوضى التدريس فيه ، وبالرجوع عن البرامج العتيقة صُبغ الأزهر بما يلائم الزمن ، ويقرّب الأزهري من الحياة العملية ، وصارت دروسه القديمة بمثابة دروس ثانوية تهيّئ الطالب للتخصص وهذا بمثابة الدراسات العالية او التعلم العالي ·

تم له كل هذا بعد ان صرح في مذكرته الاصلاحية : واني اقرر مع الأسف ان كل الجهود التي بذلت لاصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة في نهضة التعليم وأقرر ان نتائج الأزهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه

وقد صار من المحتم لحماية الدين — لا لحماية الأزهر — ان يغير التعليم في المعاهد وان تكون الخطوة الى ذلك جريئة ويقصد بها وجه الله تعالى فلا يبالى بما تحدثه من ضجة وصراخ وقد قرنت كل الاصلاحات في العالم بمثل تلك الضجة .

والى هذا شجع الشيخ أيضاً البعثات الأزهرية . ومتى كان الأزهر يقول بأكثر العلوم الحديثة حتى يذهب نوابغ طلابه يستزيدون من العلم في جامعات الغرب [1] ؟ ومتى كان طلاب الأزهر قبل المراغي يدرسون اللغة اليابانية وغيرها ليكون منهم دعاة يدعون الى الاسلام على نحو ما يدعو المبشرون الى النصرانية ؟ وفي أي عهد قرئت الفلسفة في هذا الجامع وشرحت قضاياها بحرية كما كان في زمن المراغي ؟ الى غير ذلك من الأمور التي كان يريد بها اطلاق عقول الأزهريين من عقالها وادخالهم في طور جديد ينفع .

حاول الشيخ النهوض بالأزهر بتثقيف خريجيه ثقافة جديدة وكان يحز في قلبه تخلف اهله في علمهم وعملهم وهو القائل في وصفهم : «انهم استكانوا في القرون الأخيرة الى الراحة وظنوا ان لا مطمع لهم في الاجتهاد فأقفلوا أبوابه ورضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس ، وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث وجهلوا ما جدّ في الحياة من علم وما جد فيها من مذاهب وآراء فأعرض الناس عنهم ونقموا هم على الناس ، فلم يؤدوا الواجب الديني الذي خصصوا أنفسهم له وأصبح الاسلام بلا حملة ولا دعاة بالمعنى الذي يتطلبه الدين .

في احدى جلساتنا في دار الشيخ المراغي في حلوان ايام كونه معتزلاً الأزهر — وكثيراً ما كانت تدوم الجلسة ثماني ساعات — تفضل وقرأ عليّ بعض تقاريره الدينية ومنها تقريره في الأحوال الشخصية الذي صدر القانون المصري عليه ،

---

(١) سبقت وزارة المعارف في عهد وزيرها العالم معالي محمد حلمي عيسى باشا الى ارسال أول بعثة أزهرية الى الغرب تألفت من أزهريين وغيرهم من طلاب الجامعة ودار العلوم كتب فيها التفوق لطلاب الأزهر أولاً وآخراً .

وهو التقرير الذي لم يتقيد فيه بالمذاهب الأربعة واخذ من اكثر المذاهب المعتمدة ، وكتبه ببيان يقلّ نظيره في الكتابات الرسمية ، فرجوته ان يطبع ما كتب فما رأيت منه ميلاً الى النشر ، وكان عمله في هذا الباب لا يقل نفعاً عن فتواه في الحد من الطلاق وقبله كان باب الطلاق مفتوحاً على مصراعيه ٠ وقد حدثت في العهد الأخير حوادث في الطبقات العالية طلب اليه ابداء الرأي في الطلاق فأبى مع علمه ان امتناعه قد يغضب المستشير ٠

ومما دل على علو كعبه في حرية البحث فتواه في جواز ترجمة القرآن وله في هذه المسألة الشائكة بحث ممتع نشر في مجلة الأزهر ٠ وفي هذه المجلة طائفة من تفسيره بعض سور الكتاب العزيز وبعض خطبه وآرائه وفيها فتاواه في المعضلات وهي تدور على تقريب الناس من الشرع والتوفيق بين الدين والمدنية ويبدو فيها نور العقل والتجدد ٠

وقد حملت اقاريره وتفاسيره من اساليب البلاغة ما يستكثر من شيخ ازهري ٠ وفي الرسائل القليلة التي دارت بيننا نموذج من فصاحته وبلاغته ٠ وكان يكتب بدون تكلف بألفاظ عذبة رقيقة لا سجع فيها ولا ازدواج ٠ وعبارته رشيقة موجزة تشبه عبارات المؤلفين في القرن الرابع والخامس وتغلب عليه الفاظ القرآن وتحس ان كاتبها مشبع الى الغاية بألفاظه ومعانيه ٠ أما طلاقة لسانه فكانت كبلاغة قلمه وربما ظن السامع وهو يتلو درسه او عظته او خطبته انه يقرأ من كتاب او من حفظه لأنه يشاهده وقد نسق كل فكر الى جانب اخيه ووضع ما يروى وما يريد ان يعلق عليه في مواضعه ٠

كان الشيخ حنفي المذهب ويأخذ من المذاهب الأخرى ما يناسب العصر والمصلحة ، وكان في اطلاعه على المذاهب الأخرى آية وكثيراً ما قال للجنة الأحوال الشخصية عند البحث في الهبة والوصية والوقف : ضعوا من المواد ما يبدو لكم انه يوافق الزمان والمكان وانا لا يعوزني بعد ذلك ان آتيكم بنص من المذاهب الاسلامية يطابق ما وضعتم ٠

ومن رأيه توحيد المذاهب وقال في احدى مذكراته «يجب العمل على إزالة الفروق المذهبية او تضييق شقة الخلاف بينها فان الأمة في محنة من هذا التفرق ومن العصبية لهذه الفرق» . «ومعروف لدى العلماء ان الرجوع الى اسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي يهدي الى الحق في اكثر الأوقات وان بعض هذه المذاهب والآراء قد احدثتها السياسة في القرون الماضية لمناصرتها ونشطت اهلها وخلفت فيهم تعصباً يساير التعصب السياسي ، ثم انقرضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية لا ترتكز الا على ما يصوغه الخيال وما افتراه اهلها . وهذه المذاهب فرقت الأمة التي وحدهـا القرآن الكريم وجعلتها شيعاً في الأصول والفروع ، ونتج عن ذلك التفرق حقد وبغضاء يلبسان ثوب الدين ، ونتج عنه سخف مثل ما يقال في فروع الفقه ان ولد الشافعي كفء لبنت الحنفي ومثل ما يرى في المساجد من تعدد صلاة الجماعة وما يسمع اليوم من الخلاف العنيف في التوسل والوسيلة وعذبات العمائم وطول اللحى حتى ان بعض الطوائف لا يستحي اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين ويسعى لانشاء مساجد خاصة» .

وقال: يجب ان يدرس الفقه الاسلامي دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب وان تدرس قواعده مرتبطة بأصولهـا من الأدلة وان تكون الغاية من تلك الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها في الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها والنظر في الأحكام الاجتهادية يجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء .

وقال بشأن دراسة التفسير والحديث : يجب ان يدرس القرآن دراسة جيدة وان تدرس السنة دراسة جيدة وان يُفهما على وَفق ما تتطلبه اللغة العربية وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة وان يبتعد في تفسيرهما عن كل ما ظهر للعلم بطلانه وعن كل ما لا يتفق مع قواعد اللغة العربية .

وصرح ان الكتب الأزهرية معقدة لها طريقة خاصة في التأليف لا يفهمها

كل من يعرف اللغة العربية وانما يفهمها من مارسها ومرن على فهمها وعرف اصطلاح مؤلفيها . وقال : كان اكثر العلماء يطرفون الاحتمالات المتعددة في عبارات الكتب وكان هذا هو كل شيء اشتهروا به في العلم وما كان يوجد فيهم من يستطيع ان يحاضر في موضوع علمي ولا ان يلخص مسألة من المسائل بعبارة يمكن ان تفهم ، وما كانوا يعنون بالموضوعات العلمية من جهة الأدلة ومقارنة المذاهب ونقدها، بل كانوا يعنون بالألفاظ فلم تكن الدراسة شهية مثمرة .

نعم هو يرى ان الشريعة جاءت لخير البشر وما دسّه فيها بعض المتأخرين بجهلهم أو تساهلهم يجب ان ينقى منها كما ينقى الزؤان من صوبة الحنطة ، ويعتقد اعتقاداً جازماً ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه . واليكم ما قاله من مقالة أخيرة (جريدة الاهرام غرة رمضان ١٣٦٣) تحت عنوان « مرحلة من الحياة تقضت » وفيها كلام جليل لا يقول مثله الا رجل اتسع أفقه وعقله واستبطن اسرار مجتمعه وكان من عيار الشيخ المراغي في العلم قال :

هناك أمور ينبغي ان يترفق الفقهاء فيها بالناس وان يراعوا قواعد اليسر التي هي أخص صفات الاسلام ، يراعونها في العمال والمرضى ومن يخدم المرضى ومن يشابهم فيقربون الناس من الاسلام ولا يوقعونهم في الحرج . وعندي ان من يفطر بعذر ويصرح بذلك أطهر ممن يفطر من غير عذر او بعذر ويظهر أمام الناس بالتقوى يرائي الناس ولا يخشى الله . والترخص في المرض أو الترخص للمشقة في العمل يقدره أصحابها ويفتون أنفسهم فيها ، والرقيب هو الله ، والعلماء يبينون الحكم وهو اباحة الفطر للمريض ومن لا يقدر على الصوم أما تقدير القدرة فهو خاص بالعبد ولا شأن للعالم فيه . ثم استشهد بحديث من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه .

ما كان الشيخ ممن يرضيهم الأمر الواقع بل كان ممن يجهدون بتغيير الحاضر بما ينفع المستقبل ويدعو الى الاعتبار بالماضي . استمعوا الى هذه الصفحة البديعة ، يصف فيها العصر الذي نشأ فيه شيخه الامام محمد عبده قال وأبدع :

« نشأ الشيخ في عصر من العصور القاتمة ، كل شيء فيه ممضٌ مؤلم للنفوس الحرة والفطر الصادقة: الأمم الاسلامية تنحدر علمياً وسياسياً واجتماعياً الى احط الدركات ، وليس لطالب الحرية العقلية بينها متنفس ، والدين يفهمه الناس على غير وجهه ، واللغة العربية اختلطت بغيرها من لغات العجم ، والزلفى الى الله لها طرق لم يشرعها الله ، والزلفى الى الحكام لها طرق لا يرضاها ذو مروءة . ذهبت ريح المسلمين ونفلت من أيديهم زمام الحياة العامة ، وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصاع ، وليسوا قلة بين الأمم ، ولكنهم كغثاء السيل .

« ذهب يتعلم فتعلم كما يتعلم غيره قواعد جافة ليس لها حياة تصلها بمنابعها من الكتاب الكريم والسنة المطهرة . ولا بأصولها من لغة العرب وأساليبهم وأدبهم ، وتعلم القواعد في مختصرات رضيها ذلك العصر المظلم ، لا تفهم إلا بشروح وحواشٍ وصناعة خاصة ، فلا اللغة العربية بمسعدته على اجادة النظم والنثر والكتابة والخطابة وحاجة الحكومات والدول في التشريع والتنظيم ، ولا دراسة الكلام والمنطق بموصلة الى الاستدلال الصحيح الذي يطمئن اليه العقل ويقنع الخصم ، المتحدث في الاجتهاد وتخير الأحكام لتطابق الأحكام حاجة العصر ولتلائم أصول الأمم وأحوال الأزمنة مبتدع مخالف لما أجمع عليه المحققون ، والداعي الى سيرة السلف الصالح داع الى مخالفة سيرة العلماء المبرزين ، والداعي الى كتب الأولين مقصر عن فهم كتب المحققين المتأخرين ، والمنادي بأن كتب الفقه وكتب التفسير وكتب الحديث ملئت بمعلومات خاطئة . وبأوهام وقصص لفقها من قِبَلُ علماء الاسرائيليات مخالف لما درج عليه صالحو هذه الأمة وجهابذتها » قال : عاش الشيخ في هذه البيئة العلمية ضيق الصدر مرير العيش ، فمن من أصحاب الفطر الصادقة والنظر السليم ، يؤمن بالقرآن ويعتقد ان فيه هدياً وفيه شفاء ، وان شريعة محمد ﷺ عامة للأمم كلها وللعصور كلها ، يؤمن بأن هذه الدراسة الدينية والعربية تخرج للناس اماماً يهتدون بهديه ، ويشفي أمراض المجتمع في علمه وخلقه ونظامه ويضع له القوانين الصالحة والنظم اللائقة ؟

الى ان قال « عاملان من أقوى العوامل وقفا في طريق الشيخ (الشيخ محمد عبده) عامل الحسد وعامل البيئة ومن المحال ان يوجد رجل كالشيخ في صفاته وعلمه لا يحسد ، ولو انه لم يحسد ولو انه لم يرم بالكفر والضلال ، ولو انه لم يشتد حُسّاده ولم يقاوم أشد المقاومة بسبب الحسد لما كان شيئاً يتحدث عنه ولما كان رجلاً من رجال التاريخ » قال وسبب ثالث له خطره « وهو أن جهة من جهة ذات نفوذ اظهرت عدم الرضا عن الشيخ وساعدت خصومه وان جهة ذات نفوذ آخر ساعدته وشدت أزره فظن القوم انه رجل يريد افساد الدين وافساد العلم » . ومن أشد مظاهر الحسد إذ ذاك ان عالماً من كبار العلماء كتب سلسلة مقالات في جريدة المؤيد يحرم فيها تعليم الحساب والجبر والهندسة والتاريخ في الأزهر ، لأن الشيخ كان أول المبشرين بتعليم هذه العلوم في الأزهر ، وكاد العناد يكون كفراً .

قال : ترك بذور اصلاح التعليم الديني وتعليم علوم العربية وبذور اصلاح القضاء الشرعي وبذور اصلاح المجتمع الاسلامي والأمم الاسلامية وليس في رجال تفسير كتاب الله من يضارع الشيخ أو يقاربه في تطبيق آي القرآن على سنن الاجتماع ، وفي تصوير هدي القرآن وفي فهم أغراض الدين عامة .

وختم الكلام عنه بقوله ودّعته ليلة سفري الى السودان لتولي قضاء مديرية دنقلة في نوفمبر سنة ١٩٠٤ فما قال لي أنصحك ان تكون للناس مرشداً أكثر من ان تكون قاضياً واذا استطعت ان تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه الى الحكم فان الأحكام سلاح يقطع العلاقات بين الأسر ، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجراح . وداعبني مرة أثر خروجي من امتحان شهادة العالمية قائلاً : هل تعرف تعريف العلم ؟ فقلت له : نعم ، وكنت أحفظ إذ ذاك أكثر تعاريف العلم ، فسردت بعضها ، فقال : اسمع مني تعريفاً مفيداً ، العلم هو ما ينفعك وينفع الناس . ثم سأل : هل انتفع الناس بعلمك ؟ قلت له : لا ، قال : إذاً انت لست بعالم فانفع الناس بعلمك لتكون عالماً .

هذا ما قاله الشيخ في شيخه وما قال الا الحق والغالب انه تقبّل نصيحته بقبول حسن وأزمع ان يكون من ذاك اليوم عالماً كما يريد امامه ينفع الناس بعلمه فجرى على هذه الخطة في القضاء ثم في مشيخة الأزهر وما انفك يدرس ويعظ ويكتب ويفسر القرآن ويدعو الى الأخذ بالكتاب والسنة ويسهل على قاصديه وسامعيه فهم الشريعة السمحة ويطبق أحكامها على العصر أو يطبق احكام العصر عليها واعترف مرة اننا لم نوجد جديداً نافعاً في علم من العلوم حتى الآن ، وما أصدق ما قاله عنه صديقي الأستاذ الشيخ محمود شلتوت من جماعة كبار العلماء ان الشيخ المراغي ما خرج بروحه وعلمه وعقله وتفكيره عن ان يكون تلميذ الأستاذ الامام محمد عبده . وقال مرة : « ولدى الأمة الاسلامية قضايا كثيرة معقدة ، قضية الرجوع بالدين الى كتاب الله وسنة رسوله وأعمال الراشدين . وقضية التعليم الديني على وجه صحيح يوافق ما أثمرته التجارب في الحياة وما أخرجته العقول من ثمرات ناضجة ، وقضية حماية الدين من العدوان والدعوة اليه كما امر الله بالحكمة ، وقضية نظام الأمم الاسلامية وارتباطها بعضها ببعض ارتباط تعاون وتناصر ، وقضية الفقراء والضعفاء واليتامى والمساكين وتدبير أمرهم بحيث تخفف عنهم آلام الحياة وينتفع المجتمع بهم .

« وهناك قضية هي أهم القضايا وهي مقومات الأمم الاسلامية التي يجب ان يحافظ عليها ويبنى المجد على أساسها وهي قضية دقيقة يثور من أجلها عن قصد أو غير قصد خلاف بين المتعلمين وغير المتعلمين والمتمدنين وغير المتمدنين ، ويترتب عليها نظام الاجتماع وقوانينه ونظام التقاليد والعادات .

ولدى الأمم الاسلامية ماض يجرر أثواب الفخر والشرف في كل ميادين الحياة : في ميدان العلم وفي ميدان الفنون وفي ميدان السلطان والعز ، وميدان التشريع والقانون ، لكن بعض الناس يحاولون طمس اعلام هذا الماضي والتخلص منه والزراية عليه والحط من شأنه ويحاولون بناء مجد جديد على أرض بيضاء بحيث لا يكون بين الحاضر والماضي صلة .

«وليس أدعى الى الدهشة ولا أبعث على اللوم من هذه المحاولات التي فيها عقوق الأبناء للآباء ونكران الجميل وانكار التاريخ وفيها لؤم الطباع وسفه الجاهل وطيش المغرور .

« وهل يستطيع عاقل ان ينكر ان لنا أسساً صحيحة قويمة من دين وعلم وتقاليد ومقومات من حقها ان نحافظ عليها وان نعتبرها تراثاً عزيزاً لا يليق ان نبدده كما يفعل الوارث السفيه .

« يحاول بعض الناس هذا مع ان الأمم التي ليس لها ماض تحاول ان تخلق لها نسباً بماض مجيد . وبعض الأفراد الذين لهم ذكر نابه بأعمالهم وليس لهم نسب معروف بالمجد يحاولون ان يخلقوا لهم أنساباً معروفة بالمجد والشرف ليحدثوا في نفوس الأبناء شعوراً بعظمة من حقها ان يحافظ عليها اه

وصف ما حمله القرآن من التعاليم وردّ دعوى بعضهم ان فيه علوم الأولين والآخرين بقوله : « انه كلما حدثت في العالم فكرة طريفة اجتهدوا في تلمسها في القرآن وفرحوا ان استطاعوا الاهتداء الى اشارة بعيدة اليها ، يفعلون هذا في جميع النظريات المرتبطة بالكون واسراره وقواعد الاجتماع والسياسة ولكن من حقهم ان يفهموا ان المعارف البشرية غير مستقرة وانها تتغير ويتجدد بدلها معارف أخرى تختلف عنها أو تناقضها وانه ليس من الحكمة ان نربط هذه المعارف غير القارة بكتاب الله الثابت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ومن الخير ان ندع كتاب الله يقرر لنا أحكام التشريع ويهدم الوثنية ويجتثها من أصولها ، ويرفع العقل البشري الى المستوى اللائق به ، ويأخذ بيد الانسان الى المقام الأسمى اللائق بخلافته في الأرض ، ويبين لنا العبرة والعظة بأحوال الماضين ، ويغرس في نفوسنا تلك الأخلاق الفاضلة من الصبر والقناعة والرضا والشجاعة ويفتح أمامنا أبواب العلم والهداية بما أشار اليه من وجوب النظر فيما صنعه الله . خير لنا ان نفعل ذلك وندع العلماء يقررون معارفهم ويستدلون عليها ، ويحملون نتيجة خطئهم اذا تغيرت معارفهم وأثبت العلم نقيضها . قال نعم ان في الكتاب الكريم آيات لا نفهم حق الفهم الا بمعارف فلكية وطبيعية ،

ولكن تلك لم تُسَق لتقرر تلك المعارف وإنما نزلت للهداية والعبرة . فليس القرآن الكريم كتاب حساب وفلك وطبيعة وانما هو كتاب هداية وتنظيم لعلاقة الانسان بربه وعلاقة أفراد الناس بعضهم ببعض » .

أجمع انصار السيد المراغي وخصومه على انه كان من خير من تولى رياسة الأزهر لصفات كثيرة اجتمعت له وقلّ أن تجتمع لغيره ذلك لأنه كان يعرف ما هنا وما هنالك ، ويعد من العلماء العارفين بأزمانهم معرفة ثاقبة . طلب اليه ان يترك رئاسة الأزهر ويعطى ما شاء من الأفدنة والمال فأبى . وطلب اليه ان ينضم الى جهة معينة في الرأي (حزب معروف) ويكون له ولأولاده وذوي قرباه ما شاء من الكرامة فأبى وقال ان أولادي واخوتي في نظري أقل من أن أبيع لهم كرامتي .

كان يستميل بحديثه قلوب سامعيه وتفعل في نفوسهم نبراته اللطيفة وان كانوا ممن لا يوافقونه على آرائه كلها . تأدب بأدب الدنيا وأدب الدين اذا عاشرته تحقق انه بلغ الغاية في التهذيب الحديث مضافاً الى ما تحلت به نفسه من فضائل الاسلام ولا تلبث ان تقول ان الشيخ يصلح لإمامة الدين كما يصلح لإمامة الدنيا اي ان يكون شيخ الاسلام يدعو الى عقيدة وايمان وان يكون رئيس وزارة يعاني من احداث الزمان ما يعاني . ولا نكون الى الغلو اذا ادعينا انه قل في امثاله من استجمعوا صفات العظمة الحقيقية . وله في باب الاريحية أشياء عرفت عنه بالعرض تدل على صفاء روحه وفضل نجدته . كان يتصدق في السر وهو ليس بغني ويأخذ العهد على من يعطيه ان يكتم ما وصل اليه منه . وحدث ان احد أصدقائه من أهل العلم هدّد بالافلاس ان لم يؤد ما استحق عليه من مال للحكومة ففتح الشيخ دواوين الأزهر ليلاً ليبتاع منه مقداراً من الكتب ويدفع له ثمنها في الحال لينقذ شرفه واعتباره .

ولقد انتخبه المجمع العلمي العربي عضواً مراسلاً فيه فاعتذر بكثرة أشغاله قائلاً انه استقال من المجمع اللغوي في مصر للسبب ذاته ، ودعوته لينزل عليّ ضيفاً في دمشق ويصطاف في ربوعنا فتعذر عليه البر بوعده لأن حالته لم تمكنه من مغادرة القطر خصوصاً بعد عودته ثانية الى مشيخة الأزهر .

أخذت الأعمال الادارية والسياسية والقضائية من وقت الشيخ الأكبر فكان شأنه شأن أستاذه الشيخ محمد عبده لم يخلف مؤلفات كبيرة يودعها لباب علمه وزبدة تحقيقه ، وما خطته يمينه دعت الى تسطيره الدواعي وقام به لأمور اقتضتها حالة عمله . وعندي ان تقاريره ومذكراته ومقالاته كافية في الحكم عليه وافية في تخليد اسمه اذا تيسر لها من يجمعها ويطبعها[1] ورب صفحة تعادل بفائدتها رسالة مطولة ، وكم من رسالة هي أيضاً انفع لقارئها من تلاوة المجلد الكبير . وقد رأينا كثيراً من مدرسينا ممن تمت لهم آلات الفضل وشغلتهم دروسهم عن التصدي للتأليف كان نصيبهم منه نصيب المراغي ، ولو وجدوا متسعاً من أوقاتهم وصرفوا فيه ساعة كل يوم لانفتحت أمامهم طرق في العلم يهديهم اليها الدؤوب وطول النظر .

على ان الشيخ لم تحل مناصبه الخطيرة دون عمل ما ينفع الاسلام والمسلمين وما كان يستهويه غير النهوض بالمصريين يتلطف ، وهو الدراكة النطاسي ، في وصف الدواء الناجع لاسقامهم وما كان يغفل من معاونة كل مسلم يهبط مصر من القاصية ليرشف من معين العلم في الأزهر مع انه لم يزر بلادهم ولم يختلط كثيراً بأهلها لما اقتضته حالة عمله وقيود مناصبه .

أهم ظاهرة بارزة في أخلاق الأستاذ المراغي تجرده من المطامع التي قد يتلوث بها بعض أهل صناعته فما أتى ما يشين سمعة العالم . وعلى طول تقلبه في درجات القضاء وآخرها رياسة المحكمة الشرعية العليا ما احصيت عليه زلة تنال من مروءته وشرفه وكانت أحكامه مثال العدل يتحدث المتحدثون بها لا يصانع في الحق ولا يداجي . وفي قضية الارث الكبير الذي كان يقدر بملايين من الجنيهات وما أبداه الشيخ من المتانة في احقاق الحق مثال من تقواه ، حتى لقد قذف بماء الفضة في عنقه يوم صدور الحكم وهو في طريقه الى المحكمة في القاهرة

(١) أخبرني شقيق صاحب الترجمة الأستاذ الشيخ أحمد مصطفى المراغي وقد قرأت عليه ما كتبت واستفدت منه أموراً في حياة الأستاذ الأكبر انه خلف مذكرات يومية يشرح فيها مواقفه مع رجال السياسة من المصريين والأجانب وان أسرته لا تريد نشرها قبل ان يمضي زمن على وفاة صاحبها لأن فيها مساساً ببعض المعاصرين .

ليتعذر عليه الحضور فأصر على الذهاب واصدر حكمه . ولو كان حب الدنيا مستحكماً فيه أكثر من حب الدين لجوز لنفسه تناول ما يغنيه من المال يدفعه المدعي راضياً . ولكن شيخنا كان يحسب حساب يوم الحساب .

ولما استقال من قضاء الخرطوم وعاد الى القاهرة أخذ يتبلغ بوظيفته مفتش مساجد في الأوقاف وصلى الخديو الجمعة في مسجد من مساجدها فلاحظ على المفتش ان الامام أعمى فأجاب ان الامام وهو العلامة الدجوي من جماعة كبار العلماء استوفى شروط الامامة والعمى لا يمنعه من القيام بما يطلب منه ، فغضب عزيز مصر ، ولما عرضت عليه حكومة السودان منصب قاضي القضاة اشترط ان يكون تعيينه بمرسوم خديو فقيل له ان مشاهرتك ستزيد بضعة أضعاف راتبك الحالي وأنت تشترط مثل هذا الشرط ، فكان له ما أراد . أما الخديو فرجع عن رأيه في المراغي وأدرك أنه قوال بالحق يهتم لدينه ولا يعبأ بالظواهر كثيراً . ولما ثارت مصر وانتقلت أخبار الثورة الى السودان كان قاضي قضاتها السيد المراغي في مقدمة المتظاهرين فلم يسع حكومة ذاك القطر الا أن تمنحه اجازة طويلة فأضاع منصبه ليخدم وطنيته . وجرى في مجلسه ذكر هلاك من لم يسلموا من الافرنج فأورد أسماء عظماء خدموا الانسانية منهم وقال انهم ناجون لأن الدعوة الى الاسلام لم تصلهم ونحن قصرنا في هدايتهم فلو كنا عرضنا عليهم الدين وما استجابوا له ربما ساغ لنا ان نقول انهم هالكون . وقال لي إنه حرض احدى الغنيات — لما خاف عليها الفتنة عند طلاق زوجها لها — على تعلم اللغة الفرنسية فشغل وقتها بما أسلاها في محنتها وكان من نصيحته ان تعلمت اللغة وتأدبت بأدبها من حيث لا تشعر . ولما مرّ ملك انكلترا بسواكن وكان قاضي قضاة السودان استقبله مع الحاكم العام وصافحه كما يتصافح المتماثلون فقال بعض الانكليز كان يصح له ان ينحني للملك كما انحنى المستقبلون قال : ليس في ديننا سجود لغير الله . واجتمع يوماً الى السير لامبسون سفير بريطانيا العظمى في مصر فقال له هذا ان السمكة تفسد من رأسها مشيراً الى بعض المقامات العليا فقال

الشيخ ان السمكة تفسد من بطنها قال السفير : هذا غير صحيح وأنا صياد أعرف السمك معرفة جيدة قال: الغالب انك تحسن الصيد في نهر التيمس ، والصيد في النيل غير الصيد في التيمس . ولما قيل له وهو في مشيخة الأزهر انه كان الأولى به ان يبتعد عن السياسة ويبعد الأزهر عنها وان يشغل به أوقاته قال ان الاسلام دين سياسة ولا يسعه ان يتخلى عنها . وفي أيامه انقسم الأزهر قسمين بتأثيرات الحزبية فاضطر شيخه الى ان يقف الى جانب الفريق الذي اعتقده على الحق فسبب له ذلك اضطرابات نفسية ما حمدت مغبتها على صحته . ولو سئل عن سلوكه هذا ما عدم حجة يبرئ بها نفسه من الوناء المشهود في انهاض الأزهر على عهده الأخير . والداخل يعرف ما لا يعرفه من وقف وقفة المتفرج في الخارج .

لو انتفع الناس ببعض ما تفيض فيه قرائح المصلحين ما بقي في الناس جهول ولا ضال ، وواجب دعاة الاصلاح الا يتوانوا فيما تمحضوا له مهما قل المستفيدون منهم .

المراغي كان على أوفر نصيب من العلم والعمل فهو شخصية نادرة بين أهل جيله رحمه الله رحمة واسعة .

محمد كرد علي



ابن أبي عذيبة وتاريخه
(تاريخ دول الأعيان شرح قصيدة نظم الجمان)

١ — كلمة :

الآراء كثيرة ، ويتوجه اليها النقد ، ولكنها لا تستدعي النبذ دائماً ، ولا يعول على كلّ قول ، ولا يسلّم بكل نقد . واذا كان مع الخواطئ سهم صائب ، وان كل أحد يؤخذ من قوله ويرد فلا ريب ان ثروتنا التاريخية تتعين آثارها المشهودة بالتمحيص والنقد ، فترتفع قيمتها ، أو تنحط ، ولكنها لا تعدم فائدتها بوجه لما يجري عليها من غمز . والزمان كفيل بالتقدير .

وتاريخ ابن أبي عذيبة من تلك الثروة ، اشتهر في حياة مؤلفه ، وتناوله المؤرخون قديماً وحديثاً بالنقد ، فدخله التحقيق والتنديد . وقد نقل الأستاذ الفاضل عبد الله مخلص قسماً من ذلك ولكن ليس من الصواب أن يترك من جراء ما توجه من الغمز ، ويصح ان يكون صواباً أو غير صواب . واذا كان مخطئاً في أمر فلا تهمل مطالبه كلها .

جاء في (أنس الجليل بتاريخ القدس والخليل [1]) ما نصه :

«الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الشافعي المشهور بابن زوجة أبي عذيبة ، مولده بالقدس الشريف . قرأ القرآن ، واشتغل بالعلم . وكان من الفقهاء بالمدرسة الصلاحية ، واعتنى بعلم التاريخ ، وكتب تاريخين أحدهما مطول (وهو هذا [2]) والآخر مختصر . توفي يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر سنة ٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) ودفن بباب الرحمة .» اهـ

---

(١) للعليمي القاضي مجير الدين أبي اليمن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٢٧ هـ — ١٥٢١ م ونقل هذا النص من غلاف تاريخ ابن أبي عذيبة . وفي كشف الظنون أنه أتمه سنة ٩٠١ هـ .

(٢) هذه الزيادة من ناسخ كتاب ابن أبي عذيبة .

وزاد الأستاذ عبد الله مخلص أنه أورد في تاريخه المطول والآخر المختصر أشياء فاحشة من ثلب أعراض الناس ، فأعدمه بعض المطامين عليه ضناً بكرامة من تناولهم المؤلف بالطعن والتشنيع ، وأن التاريخ المطول لم يظهر بعد وفاته كما ان المختصر لم يبق منه إلا بعض كراريس نقل ذلك من التاريخ المذكور .

وأقول ان تواريخ المؤلف لم يعدم منها شيء ، وفي بحثي هذا أبين عنها ، وأدوّن المعروف من مؤلفاته . وكنت كتبت مباحث في تاريخ بن أبي عذيبة عند الكلام على حوادث العراق المنقولة منه [1] . وهنا أقدم للقراء الأفاضل ما عثرت عليه مؤخراً مع تلخيص لما سبق نشره . وان إثارة بحثه مجدداً يرجع الفضل فيها للدكتور اسعد طلس ، والأستاذ عبد الله مخلص مما شجع على اعادة القول . فقد أتاحا الفرصة .

وكان قد كتب أفاضل في موضوع تاريخ ابن أبي عذيبة ، فأوضحوا بعض الايضاح وأبدوا تحقيقات نافعة [2] ، فالفكرة متوجهة الى كشف النواحي المجهولة ، والقطع في بعض المطالب المشتبه فيها ، وقصدنا متوجه الى التعريف بالمؤلف وأثره .

٢ — حياة المؤلف :

لا شك ان آثاره مرآة نفسه ، وتعدّ صفحة كاشفة عن حياته ، ولا نعجل بالحكم ، فعمل المرء معروض للنقص والإكمال الا اننا نقول يحق لبيت المقدس أن تفخر بهذا المؤرخ ، فانه يعدّ من أكابر مؤرخينا ، وأفاضل ادبائنا وعلمائنا كتب في التاريخ السياسي ، والعلمي والأدبي ، فكان جديراً بالتقدير والاطراء . ولا يخلو امرؤ من هفوة ، أو نقص . والحك يجلو ، والتمحيص يميط عن وجه الحقيقة . والناس تتباين ميولهم وتختلف أنظارهم ولكل رأيه . ومن ثم يكون التعديل والتجريح ، ولكن على كل حال نريد ان نصغي وان نكون أوسع صدراً ، فنلتمس الصواب . رأينا تواريخ عديدة كتبت قبله ، فأحدثت تيارات متعاكسة ، وأوجد

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٧٠ و ج ٢ ص ٢٥٧ و ٢٧٥ وملحقه ص ٢٢ و ج ٣ ص ١٤٢ .

(٢) مجلة الهلال ج ٢٨ ص ٦١٧ وص ٧١٠ و ٩٢٦ و ج ٣٠ ص ٨٦٢ .

بعضها رغبة عامة ، وأخرى نفرة لما احتوت من دعاية أو تزلف . فظهر عليها الهوى والميل المنحرف ... وأخرى اصابتها السهام ولم تسكن الثائرة إلا وظهرت عظمتها . وهكذا كان قد لحق بعض المؤلفين ما لحق .

والمترجم الشيخ العلامة الأثري المؤرخ أبو عبد الله شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المقدسي . ولد سنة ٨١٩ هـ ١٤١٦ م ببيت المقدس ، وتوفي ليلة الجمعة ١٤ شهر ربيع الآخر سنة ٨٥٦ هـ — ١٤٥٢ م ، وعرف بابن أبي عذيبة بأستاذه محمد بن أحمد بن حاجي . فكان أحد شيوخه ، ذكر ابن ابي عذيبة أنه به عرف ، وأنه قرأ عليه العربية والتفسير والقراآت . وكان يعرف بابن عذيبة [١] ، كما أخذ عن المؤرخ المعروف (ابن قاضي شهبة) ، فاستمد منه ، وانتفع بتاريخه وتراجمه ، وأذن له في الكتابة في التاريخ والجرح والتعديل والتصنيف وأشار عليه به ، وقال له أنت حافظ هذه البلاد بل وغيرها ، وقد أجزت ذلك لك .

ومن شيوخه الشيخ عماد الدين القدسي . ذكره في خلال مباحث كتابه (دول الأعيان) قال : وكان من التاريخ بمكان [٢] .

ومن شيوخه في مصر (المحب ابن نصر الله البغدادي) وغيره .

ونرى السخاوي في الضوء اللامع — بعد أن أورد ما ذكر — صار يتحامل عليه قال: « ولع بالتاريخ ، وجمع من ذلك جملة ، لكنه تتبع مساوي الناس فتفرق لذلك بعده ، ولم يظفر مما كتبه بطائل مع ما فيه من فوائد وان كان ليس بالمتقن ، وجمع لنفسه (معجماً) وقفت على جلد بخطه وفيه أوهام كثيرة جداً ومجازفات تفوق الحد بل من أجل ما سلكه كان القدح فيه من كثيرين [٣] » اهـ .

فهنا يبين أن له ولعاً بالتاريخ ، وانه جمع جملة ، وبين انه ليس بالمتقن ، ولم يعين السبب ، ولا من ذكر مساويهم ... في حين ان السخاوي لم يسلم من مثل هذه الأقوال ، ولا كان بنجوة من ذلك بل كان مؤرخون قد طعن بهم جماعة مثل ابن خلدون وآخرين ، ونعلم ان السخاوي نقل الكثير من ابن أبي عذيبة

(١) الضوء اللامع ج ٦ ص ٣٠١ وهناك ترجمته (٢) تاريخ (دول الأعيان) ج ١ ص ٣٣٨
(٣) الضوء اللامع ج ٢ ص ١٦٠ .

في مواطن عديدة من تاريخه ... ولعله أدى الى ما كتب العليمي ، فتأثر به .

والملحوظ ان التاريخ الكبير غير هذا ، فقد جاء في المجلد الأول صفحة ٣٥١ من دول الأعيان عند الكلام على ترجمة النخعي أنه بسط ترجمته في التاريخ الكبير . ولعل ناقل النصّ عن تاريخ الأنس الجليل ظن ان هذا التاريخ هو التاريخ الكبير . ولا شك انه التاريخ الصغير للصراحة الموجودة في تاريخ دول الأعيان نفسه .

٣ - تاريخ دول الأعيان :

وهذا (تاريخ دول الأعيان شرح قصيدة نظم الجمان في ذكر من سلف من اهل الزمان) في خمسة مجلدات .

أوله : « الحمد لله القديم قبل حدوث الزمان والمكان ، الدائم الأبدي وكلّ من عليها فان » اهـ .

جاء في مقدمته : « لما وقفت على القصيدة المسماة (بنظم الجمان في ذكر من سلف من الزمان) فوجدتها بديعة في بابها ، قريبة من طلابها ، مذكرة بالقرون الماضية ، والأمم الخالية ... أحببت ان اضع عليها شرحاً لطيفاً يوضح ما فيها من الفوائد الغريبة ، والأخبار العجيبة ، والتواريخ الموقظة من رقدة الغفلات ، المعلمة بما ليس له فوات ، المعرفة بمن كانت الدنيا في يديه ، فلم تفده شيئاً ولا أبقت عليه ... وهي لمن تأملها بحسن النظر ، مقام كل تاريخ وخبر .

قال الناظم :

نصيحة من عالم خبير لكل شيخ عارف كبير
وكلّ كهل فاضل نحرير وكل خلف للصبي غرير
وامرأة عاقلة لبيبه صبية أو كهلة أريبه
وللغني والفقير البائس وللنديم والرئيس الجالس
ومن سطا وصال في الممالك ولم يظن أنه بهالك
وخائف من كل أمر وجل عن الأنام كلهم بمعزل
وجامع الأثاث والأموال وباذل ما حاز بالسؤال

وفاجر منهمك في الفسق وعارف مجتهد في الحق
وزاهد قد ترك اللذات وعابد مواظب الصلاة
وجاهل لم يدر ما يقول وعالم في علمه تكميل
ليسمعوا وصيتي ويعلموا فان في الوجود من لا يفهم» اهـ .

وهكذا يمضي بالنصيحة فيذكر الطوفان إلى آخر ذكر الأنبياء ... فيوضح عن كلّ نبي تاريخه ، وفي خلال ذلك يتعرض للأقوام وبعض الأمم القديمة ، والشعوب العربية ، ثم يذكر الرسول ﷺ ، والخلفاء الراشدين ، ودولة بني أمية ، والدولة العباسية الى آخر أيام تيمور ...

وفي مباحثه يتناول الحالات العلمية والأدبية ، فيذكر لكل خليفة من توفي في أيامه من العلماء والأدباء بعد ان يذكر وقائعه السياسية وغيرها ... فهو تاريخ سياسي علمي أدبي ومن ثم تتجلى أهميته . ومما يؤسف له ان الكتاب قد مسخه ناقله ، فكثر فيه اللحن والغلط ، فلم يبال بضبطه إلاّ أن الغالب من ذلك لا يخفى ، ولا يحتمل ان يكون من عمل المؤلف . لأنه أديب فاضل ، وعالم مدرّس ، وآثاره تنبئ عن قدرة .

ويعوّل في تاريخه على مؤلفين عديدين ، ينقل نصوصهم ويصرح بأسمائهم ، فلم يبد من تلقاء نفسه أمراً الا ما تقتضيه مطالعاته ، وما تسوق اليه آراؤه ، أو يستدعيه البحث ، شأن المؤرخ الفاضل الذي يريد أن يؤيد قوله بنصّ منقول . وقد أشبع هذا التاريخ من المباحث العلمية والأدبية ما هو نافع جداً ، ولاذ أيضاً .

ومن نسخه الموجودة النسخة التي وصفها الأستاذ الشيخ كاظم الدجيلي الأديب المعروف وهي النسخة التي بين أيدينا . ولا يخلو الكتاب من غلط ناسخ إلا انه سهل التصحيح . ويعدّ من أجلّ الآثار فهو صالح للطبع والنشر على ان يخدم بتعاليق توضح بعض مطالبه .

ومن هذا الكتاب نسخة في مجلد واحد خطها واضح ، وليس فيها ذلك الغلط ، بل هي أقرب للصحة ، وأصلها في خزانة كتب المرحوم احمد باشا تيمور ، وجاءت باسم (انسان العيون في مشاهير سادس القرون) وقد نبهت في تاريخ العراق

عليها[1] . رأيت منها نسخة بالتصوير الشمسي لدى الأب أنستاس ماري الكرملي ، فصارت لخزانة المعارف العامة . وذكرت بهذا الاسم (انسان العيون) في مقدمة الجامع المختصر لابن الساعي ، فكانت هذه النسخة من مراجع تصحيح الكتاب ، وهي لابن أبي عذيبة . ونسخة أخرى من هذا التاريخ ليست قديمة كثيراً ، انتهى بها الى أيام الوليد بن عبد الملك ، موجودة في خزانة قرا چلبي باستانبول برقم ٢٣٠٦ وتصلح للمقابلة .

٤ — القصيدة المشروحة (نظم الجمان) :

وهذه القصيدة لم تكن لابن أبي عذيبة قطعاً ، وان الأستاذ عيسى المعلوف قد رجح ان تكون للشيخ عبد الرحمن بن علي بن احمد البسطامي الحنفي المتوفى سنة ٨٤٣ هـ ولكن تبين أنها لمؤلف كتاب (أخبار الأعيان شرح نظم الجمان في ذكر من سلف من ملوك الزمان) فقد جاء البحث عن هذا الكتاب في فهرس دار الكتب المصرية بما نصه :

« وهو شرح على القصيدة المسماة (نظم الجمان في ذكر من سلف من ملوك الزمان) كلاهما للشيخ عبد الله الشافعي الكاتب » اهـ .

وأوله : « الحمد لله القديم في الأزل قبل حدوث الزمان والمكان الخ » اهـ .

ذكر في مقدمته : « وبعد فاني كنت نظمت قصيدة وسميتها نظم الجمان بذكر من سلف من الزمان . وضمنتها كتابي المسمى بـ (منهج العارف وبهجة الواصف ... ثم عنّ لي أن أضع لهذه القصيدة شرحاً تظهر به معانيها ، وتتبين أحوال من ذكر فيها ، فوضعت هذا الكتاب يتضمن نبذاً من أخبار ...) اهـ .

ومن هذا النص نقطع بأن المؤلف الشارح هو الناظم ، ومن كتابه هذا ثلاث نسخ في دار الكتب المصرية كل نسخة في مجلد واحد ، الا ان النسخة الثالثة لم يتيسر لنا الاطلاع عليها لأنها كانت في جبل المقطم . ومن ثم علمنا أنها غير مارجحه الأستاذ عيسى المعلوف . والقصيدة في تاريخ ابن أبي عذيبة عين

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ١٦٢ .

المذكورة في هذا الكتاب . ولعل العثور على كتاب (منهج العارف) ، أو (نظم الجمان) يسهّل لنا المعرفة عن المؤلف فيزيل الإبهام . وورد في ذيل كشف الظنون لاسماعيل باشا البغدادي ذكر هذه النسخة أيضاً ولكنه لم يعين مؤلفها .

هذا ونظم الوقائع قديم في التاريخ ، وعندي قصيدة لعلي بن الجهم في التاريخ لأيامه . ولعلها أقدم القصائد . ثم جاء آخرون منهم صاحب هذه القصيدة ، ومنهم السيوطي وعديدون . لا محلّ لذكرهم الآن .

٥ — التاريخ الكبير :

وهذا رأيته في خزانة كتب قرا چلبي باستانبول برقم ٢٥٩ وهو الأول من التاريخ الكبير ، بخط مؤلفه احمد بن محمد القدمي الشافعي الشهير بابي أبي عذيبة ، قال في مقدمته :

« هذا تاريخ مختصر وضعته على السنين ... يتعين على الذكي حفظه وابتدأ بالسنة الأولى من الهجرة ، وانتهى بحوادث سنة ١٣٢ ه » اه .

قال في آخره : « أنهى تمامه جامعه الفقير الى الله تعالى أحمد بن محمد بن عمر القدمي الشافعي الشهير بابن أبي عذيبة ... » اه وهنا ابن أبي عذيبة واضح جداً لا لبس فيه ، وفي أول الكتاب وعنوانه جاء الاسم بوجه الصحه . وهو مجلد ضخم . والكتاب نفيس جداً ، يراعي الحوادث منظمة على السنين . وقد أزال بصراحته كل ابهام ، وفي الضوء اللامع قد ذكر بهذا اللفظ أعني (ابن أبي عذيبة) .

ولعل الأيام تكشف عن باقي أجزائه . وهذا لا ينفي كونه التاريخ الكبير وإن جاء أنه تاريخ مختصر على السنين . لأن التاريخ العام مختصر دائماً ، فلا يسعه التفصيل الزائد ...

٦ — قصص الأنبياء :

للمترجم ابن أبي عذيبة . وقد ذكره الأستاذ عبد الله مخلص ، والدكتور أسعد طلس في مجلة المجمع الغرّاء لهذه السنة وللسنة التي قبلها كما جاء ذكره في الهلال بمناسبة ما كتبه الشيخ كاظم الدجيلي . وان المؤلف تعرض لذكره

عند الكلام على (شداد) قال : « وقد ذكرنا ذلك بأبسط من هذا في كتابنا «قصص الأنبياء» وذكرنا مادخل على الامام الثعلبي من الفساد في هذا الكلام ...» اه

ولما ذكر قصة يوسف عليه السلام قال :

« القصة محفوظة قد أفرد الناس فيها مصنفات ، وقد بسط الكلام عليها في (قصص الأنبياء) من تأليفي ... » اه .

٧ — سيرة الرسول :

وهذه تكرّر ذكرها في تاريخه (دول الأعيان) ، وصرح بأنها من تأليفه . قال عند الكلام على مولده صلى الله عليه وسلم :

« وقد جمعت له صلى الله عليه وسلم سيرة في جزء مفيد لم أترك فيها إلا ما شذّ ، نافعة ان شاء الله تعالى . ذكرت فيها مبدأ أمره وسيرته وغزواته وبعوثه وسراياه ، ومتوفاه ... » اه

وليس لدينا ما نضيفه لعدم الحصول عليها ، وامكان وصفها .

٨ — الملل والنحل :

وفي تاريخ دول الأعيان تكلم في (كيومرث) ، وبين انه ادّعى النبوة وأن الفرس الثنوية اثبتوا أصلين يزدان واهرمن . ويزدان عندهم هو الله تعالى ، وأهرمن هو ابليس . وقالوا يزدان أولي قديم ، وأهرمن محدث مخلوق ، فكان يزدان وهو النور فكر في نفسه انه لو كان له منازع ، فحدث من هذه الفكرة الظلمة ، وخلق من الظلمة اهرمن ، وكان مطبوعاً على الشر ، فخرج على النور وخالفه طبيعة وقولاً ، وجرت بينهما محاربة ... (الى ان قال) :

قال أبو عبد الله (أي المؤلف) :

« هكذا ذكرت مذهبهم في الملل والنحل من تأليفي على ما نقلت من مذاهب الناس ... » اه .

٩ — معجم بن أبي عذيبة :

قال السخاوي وجمع لنفسه معجماً وقفت على جلد بخطه ، وفيه أوهام كثيرة جداً ومجازفات تفوق الحدّ ، بل من أجل ما سلكه كان القدح فيه من كثيرين .

ولعلّ هذا هو ما جاء في مخطوطات الظاهرية قسم التاريخ ، فان زمنه يوافق ما ذكر وهذا نصّ ما هنالك :

«مؤلف هذا الكتاب من علماء القرن التاسع ، فقد ذكر في كتابه اسم الأهدل أبي عبد الله حسين بن عبد الرحمن وقال «عصريّنا» . والأهدل توفي سنة ٨٥٥ هـ . والكتاب مرتب على الحروف ...[1]» اهـ

ومن المحتمل ان يكون قطعة من هذا الكتاب .

١٠ — المجتلى بأخبار أبي العلا :

للمترجم في سيرة أبي العلاء . وهذا الكتاب لم يتعرض له أحد عند الكلام على أبي العلاء في مهرجانه ولا في ما كتب فيه .

قال المؤلف في كتابه دول الأعيان في ترجمة أبي العلاء :

«أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري الأعمى ، وعمره (٨٦) سنة ، واختلف في عماه . والصحيح أنه في صغره من الجدري ، وهو ابن ثلاث سنين فانه قال ما أعرف من الألوان الا الأحمر ، فاني لما جدّرت ألبسوني أحمر . وكان غشي يمنى حدقته بياض ، وذهبت يسراه . ورحل الى بغداد ، وأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ولزم منزله عند منصرفه من بغداد وسمى نفسه رهين المحبسين للزومه البيت ولذهاب بصره . وكان عالماً ، شاعراً ، لغوياً ، آية من الآيات ، وشعره في غاية الرقة والانسجام اليه النهاية ، وطبق ذكره الأرض ، وذكر عنه أقوال وأشعار يدل ظاهرها على فساد عقيدته وسوء طويته . قال ابن دقيق العيد : وكان الرجل في حيرة من دينه . قال الذهبي : والذي يظهر من حال الرجل انه مات متحيراً ، لم يجزم بدين من الأديان ، نسأل الله السلامة . وكان يزعم ان لأقواله باطناً وانه مسلم ، ويقال انه كان يرجع لمذهب الهنود البراهمة لتركه أكل اللحم والبيض واللبن ٤٥ سنة . وما كان يرى إيلام الحيوانات . وله مصنفات كثيرة ، وأشعار جيدة مشهورة لو لا ما شابها . ومن شعره :

---

(١) الجلد السادس من فهرس مخطوطات الظاهرية ص١٦٨ رأيته عند الدكتور أسعد طلس قبل أن ينشر من تأليف الأستاذ الفاضل السيد يوسف العش .

أبا العلا ابن سليمانا ان العمى أولاك احسانا
لوأبصرت عيناك هذا الورى لم ير انسانك انسانا

وأوصى أن يكتب على قبره :

هـذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد

لأنه ما تزوّج قط . ولما مات رثاه جماعة من تلامذته ، فقـال بعضهم قصيدة أولهـا :

سمر الرماح وبيض الهند تشتور في أخذ ثارك والأقدار تعتذر

وقال الآخر من قصيدة :

إن كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقت اليو. من جفني دما » اه

ثم قال المؤلف :

« وقد ذكرته في مصنف مفرد ، وذكرت أشعاره وما فيها ، وكثيراً من أقواله ، وسميته (المجتلى بأخبار أبي العلا) [1] . » اه .

وهذا من تأليفه بلا ريب ، ولم نعثر على نسخة منه .

١١ — مراجع تاريخ دول الأعيان :

تراجم هذا الكتاب كثيرة ، ومباحثه موسعة الا أنني رأيت ان أذكر بعض المراجع التاريخية التي نقل منها ، وعوّل عليها . وهذه كثيرة جداً . منها :

القضاعي ، وابن الجوزي ، وابن الأثير ، والثعلبي ، وابن وصيف شاه ، والهروي ، وعمارة اليمني ، والكسائي ، والمسعودي ، والشرشي ، والقرطبي ، وابن عساكر ، وابن اسحق ، وابن خلكان ، وابن الشحنة ، وابن عربشاه ، وابن خطيب داريا ، وابن عبد البر ، والشيخ عماد الدين القدسي ، والأصمعي ، وابن هشام ، والزمخشري ، والذهبي ، والطبري ، وابن ظفر ، وسبط ابن الجوزي ، وأبو معشر الفلكي ، وأبو الفرج الاصبهاني .

هذا بعض ما رأيناه في الجلد الأول بنظرة مسرعة لا على سبيل الاستقصاء ،

---

(١) تاريخ دول الأعيان ج ٤ ص ١٢ .

ولعل ما في الأجزاء الأخرى مما لم يتكرر ذكره أكثر من هذا العدد بكثير .
وبين هؤلاء مؤرخون ، وقصاص ، وأدباء لا تهمّهم الا الصنعة الأدبية . ومن مطالعة تاريخه يظهر ان الرجل منهمك بكتب الأدب وقصصها ، فجرفه ذلك وأدى به الى نقل حكايات مجالس لا يقصد منها إلا التلذّذ ، أو الدعابة ، وان ذكر الأعلام التاريخية لا يخرجها عن كونها قصصاً لا تدخل في النقل التاريخي الصحيح . ولعل مؤاخذته من جرّاء ذلك فقد وقع في هذا كثير من المعاصرين والقدماء . وكان المرحوم الأستاذ الحاج علي علاء الدين الآلوسي ينقل عن والده الأستاذ السيد نعمان خير الدين الآلوسي تحامله الشديد على مثل هؤلاء ويشنع عليهم ، ويذكر أنهم منحرفون بأهواء اتخذوا الأدب وسيلة لهذا التنديد والتثريب . وكتاباته تدل على هذا أيضاً . والمهمّ هنا تعيين وجهة الكاتب أو المؤرخ ، ومعرفة قيمة النقل لما فيه شائبة أو كان خالياً منها . . .

وهنا لا أمضي دون أن أقول ان المؤلف نقل بعض النصوص التاريخية قائلاً جاء في (بعض التواريخ) . وعندي تاريخ مخطوط في (الدولة العباسية) الى أيام المستنجد بالله الخليفة العباسي لم يعرف مؤلفه فكان هذا التاريخ من جملة مراجع نقله ، فقد كان من ذلك الحين مجهول المؤلف ، ولم أتمكن من معرفته . وربما عدت الى وصفه لعل في القراء الأفاضل من يعرّف بمؤلفه .

ومن ثم نعلم ان هذا التاريخ قد صرفت له جهود كبيرة ، وروجعت مؤلفات عديدة في التاريخ وغيره لإبرازه . والآن مع وجود خزائن الكتب لا يكاد يجد المرء مجموعة مثل ما وصلت اليه يد المؤلف .

١٢ — كلمتي الأخيرة :

ان المؤلف قد عرف تاريخه (دول الأعيان) والمجلد الأول من (تاريخه الكبير) ، وتعينت بعض مؤلفاته ، ولعل الأيام تكشف عن باقيها .

أكتفي بهذا . والله ولي الأمر .

(بغداد) عباس العزاوي

أقرب الموارد

— ٣ —

ح ن ف س — قال الحنفساء : القصير الضخم البطن هكذا بالنون وصوابه الحفيسأ مهموزاً غير ممدود .

ح ق ر — قال : احقره واحتقره — استصغره . فعدّاه بالهمز والمعروف في الفصيح حقَّره بالتضعيف وأما الهمز فلم أعثر عليه لأحد من الأئمة .

ح ق ل — قال الحقْل — ماء الرُطب في الأمعاء وصوابه ماء الرُطب بسكون الطاء . قال الأزهري أراد بالرُطب البقول الرطبة من العشب الأخضر قبل هيج النبت .

ح ل ب — قال . واحلب لأهله احلاباً واحلابة : حلب لهم وهم في المرعى ثم بعث به اليهم وصوابه وهو في المرعى . وعبارة اللسان «والاحلابة ان تحلب لأهلك وأنت في المرعى لبناً ثم تبعث به اليهم وقد احلبهم وهكذا عدّاها صاحب اللسان بنفسها ثم ذكرها مرة أخرى كذلك ولعل صاحب الكتاب جاء باللام للتقوية ولكنها بين الفعل ومعموله ليست مستحبة لأن الفعل قوي بنفسه على العمل والأمر في ذلك سهل

ح ل ب — أورد الشاهد هكذا «نحن غداة الحيّ لما دعوتنا»

وصوابه « ونحن غداة العين لما دعوتنا» كما في اللسان والتاج وأورد الشاهد الآخر هكذا «ردّ في الضرع ما جرى في الحلاب»

وصوابه «ما قرا في الحلاب» كما في الكتب المعتمدة

ح ل ت — قال والحليت : البرَد هكذا حرّك البرْد (ضد الحر) فجعله البرَد (حب الغمام) وفي القاموس والحليت البرْد وضبطه الزبيدي بفتح فسكون نصاً

ح ل ج — قال : الُحلُج الكثير الأكل . وقد سقطت منه واو الجمع والصواب الكثيرو الأكل لأن الحلج جمع

ح ل ز — أورد الشاهد هكذا

« يرفعن للحاوي اذا تحلّزا » هكذا بالواو وصوابه للحادي بالدال المهملة ·

ح ل س أورد الشاهد هكذا « ليس بفضل حَلِس حِلَّسٍ »

ونصه وفي اللسان « ليس بقصرٍ » هكذا أنشده ابو عمرو وهو لمالك بن مرداس · والقِعل بالكسر الذي لا يتمالك حُمقاً ·

ح ل ف — جعل محلوفاء من مصادر حلف وانما الذي ورد منها قول ابن برزج « لا ومحلوفائه لا أفعل » · قالوا يريد محلوفه فمدها ولو كانت مصدراً لما احتاجت لهذا التعليل ·

ح ل ق م — قال وفي القرآن : « فلولا اذا بلغت الروح الحلقوم » وصوابه « فلولا اذا بلغت الحلقوم »

ح ل ق م — وقال الحلقامة : الرُّطبة : فتح الحاء والصواب كسرها وفي القاموس رُطبة حلقامة ···

ح ل ي — قال : قال القرآن « اتخذ قوم موسى » والآية واتخذ

ح م ء — قال وفي القرآن « لقد خلقنا الانسان من صلصال ومن حمأ مسنون » أما الآية فنصها هكذا (سورة الحجر ٢٦) ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون · ومن هنا لبيان الجنس لأن الصلصال من جنس الحمأ المسنون وليس غيره ليعطف عليه

ح م ء - قال والحميء : الرجل العيون هكذا جاء بها على وزن فعيل وفي القاموس « ورجل حَميء العين كخجل » عيون ولا بد من ذكر المضاف اليه في المفسر

ح م ء — كتب الهمزة في الحمأ الساكنة الميم على صورة الألف مع أنها اذا وقعت آخر الكلمة بعد ساكن لم يكن لها صورة كالعبء والرزء والدفء ثم انه قال والحمْ بحذف آخره واسكن الميم شكلاً ولا معنى لاسكان ميم الحم وانما هو بعد نقصه محلٌ لحركة الاعراب واحسب ان هذين غلط مطبعي

ح م ج — قال : وحمّج اليه جدّد النظر هكذا بالجيم وصوابه حدّد النظر

ح م ر — قال وحِمارة القدم : ما اشرف فوق أصابعها وقيل ما أشرف بين مفصلها وأصابعها من فوق ، أورد الحمارة بتخفيف الراء اكثر من مرة والصواب تشديدها كما نص عليه في النهاية وكما أوردها في اللسان وقوله ما أشرف فوق أصابعها لم يذكره اصحاب الكتب المعتمدة وانما ذكروا ما أورده صاحب الكتاب مضعفاً بكلمة قيل

ح م ر — أورد الشاهد هكذا

الخمر والخمر العتيقة والطلى بالزعفران فلن ازال مردّعا

أو الذي أورده صاحب اللسان

الخمر واللحم السمين واطّلي بالزعفران فلن أزال مروّعا

وفي رواية التاج « فلن أزال مبقعا » واما « والطلى ومردعا بالدال فلم يروهما واحدٌ منهما »

ح م ش — قال : وحمشت الساق ض ... و — الرجل َحمْشاً وَحمشه : غضب و — الشر أشتد وظاهر ذلك انها من باب ضرب والصواب انها من باب َتعِب َتعَباً .

ح م م — قال وحمّم المرأة : متعها بالطلاق والصواب متعها بشيء بعد الطلاق كحممها . والطلاق لا يكون متعة للمرأة

ح ن ث ر — قال الَحنثر والَحنثريْ : الرجل الأحمق هكذا فتح أولها والصواب الكسر نصاً عن التاج

ح ن د — قال « الَحنود الِحسي وهو البئر والركيّة ج ُحنُد قال بعض أئمة اللغة وأحسبها الحند من قولهم عين ُحند لا ينقطع ماؤها » هكذا جاء بها بالنون ولكن ما حسبه بعض أئمة اللغة هو الحتد بالتاء قال في اللسان :

« روى ابو العباس عن ابن الاعرابي قال الحُنُد الاحساء واحدها َحنود . قال : وهو حرف غريب (ثم) قال وأحسبها الحتد (بالتاء) من قولهم عين ُحتد لا ينقطع ماؤها .

ح ن ر — قال : حَنَر الحنيرة ، هكذا جاء بها ثلاثية والمعروف حَنّر بالتشديد وأرجح انها غلط مطبعي لأنه لم يذكر بابها من الثلاثي كما هي عادته

ح ن ص — قال : حنص الرجل • ض • حنصاً : مات ، جعلها من باب ضرب وظاهر القاموس انها من باب نصر ثم انه فتح حاء الحنصأوة والصواب كسرها

ح ن ف — قال : تحنف عمِل عمَل الحنفية يقال شافعي تحنف ونص الائمة تحنف عمل عمل الحنيفية وهي ملة ابراهيم (عليه السلام) وجعل النسبة الى مذهب ابي حنيفة « الحنيفي » (بياء بعد النون) والصواب ان النسبة اليه حَنَفي كجهني وثقفي في النسبة الى جهينة وثقيف

ح ي د — قال : حيّد السيرَ : قدّه وصوابه جعل فيه حيوداً والحُيود تقال لما يتعقد في الحبل من شدة الفتل ونص عبارتهم يقال قدّ السير فحرّده وحيّده أي جعل فيه حيوداً

ح و ر — قال : كشؤم نافة ثمود • وصوابه كشؤم حوار ناقة ثمود

وقال الحوار بالفتح والكسر : مراجعة الكلام • جعل الفتح أصلاً والكسر لغة مع ان الكسر هو الأصل لانه مصدر حاوره محاورة وحواراً

ح و ص — قال : اني اجد في بطني حوصاً وبوصاً • هكذا أوردها بالباء وصوابه ونوصاً بالنون والنوص الحركة

خ ب ء — قال الخُبْأة : البنت للزومها البيت (بسكون الباء) وفي اللسان والعرب تقول خُبَأة خير من يَفعة أي خُبأة بوزن هُمزة أي بضم ففتح

خ ب ب — قال الخب : الَخبل و — حبل الرمل اللاطيْ بالأرض هكذا فسره بالخبل بالخاء المفتوحة بعدها باء ساكنة والخبل في اللغة في اخص معانيه ضرب من الجنون • ولم اجد في معاني الخب ما يشبه ذلك ولعله أراد الَحبْل بالحاء المهملة بدون اضافة الى شيء ثم ثنى في معانيه بحبل الرمل وليس الحبل على اطلاقه من معاني الخب بل هو حبل الرمل اللاطيْ بالأرض فليتأمل

خ ب ث — قال في نص الحديث فلا يقربن مجالسنا • ونص الحديث مسجدنا

خ ب ر — قال : خَبُرَ الشيء وخَبَرَه و — به • ر • و — له • ل • خِبْراً وخُبْراً وخِبْرَة ومَخْبَرَة ومَخْبُرَة : علمه (الخ) أما خَبُر خُبْراً فهو لازم لا يتعدي

بنفسه بمعنى صار خبيراً وقد سمع قولهم لا خْبُرَن خُبْرَك كما مثل له هو حيث عمل في المفعول المطلق فتوهم انه متعد الى المفعول به كخَبَر من باب نصر فقال وخَبُرَ الشيء وخَبَره

خ ب ر — وقال : اعطاه خِبْرَته اي نصيبه . هكذا بكسر الخاء والصواب ضمها وسياقه يدل على ذلك فهو إذاً غلط مطبعي

خ ب س — قال الخِبس : آخر اظماء الابل . تبع في هذا القول صاحب التكملة والذي عليه جمهور الأئمة انه احد اظماء الابل لغة في الخِمس

خ ب ل — جعل خَبَله الحب من باب نصر وصوابه من باب ضرب كما في المصباح والمختار

خ ت ر ب — قال ختربه : قطعه وغطاه (بغين معجمة بعدها طاء مهملة) وصوابه وعضاه (بعين مهملة بعدها ضاد معجمة) أي فصّله عضواً عضواً

خ ج ل — قال : وفي الحديث انه قال للنساء اذا شبعتن خجلتن أي فعلتن ما يوجب الخجل والحياء اما نص الحديث فهو «اذا جعتن دقعتن واذا شبعتن خجلتن اي اشرتن وبطرتن» . وقد عدل عن تفسير الأئمة للحديث من الأشر والبطر الى ما يوجب الخجل والحياء والفرق بين العبارتين واضح من حيث الكياسة

خ ج ي — قال الأخجى : الافجح . هكذا قدم الجيم وآخر الحاء والصواب العكس وأحسب انه غلط مطبعي

خ د ب — جعل خدب خدباً من باب نصر وهو من باب ضرب كما في اللسان

خ د ج — قال وأخدج امره : أحكمه والصواب لم يحكمه . قال في مستدرك التاج يقال أخدج فلان امره اذا لم يحكمه وانضج أمره احكمه فالساقط من عبارة صاحب الكتاب خمس كلمات فانقلب المعنى الى عكسه

خ د ش — قال والمُخْدَش : كاهل البعير ؛ وقد ذكر الأئمة في فعله خَدَشه يخدِشه خدشاً وخدّشه للتكثير ولم يذكروا اخدشه واما في الكاهل فقالوا مخدَش كمنبر وهي من صيغ المبالغة ومخدَّش ومخدِّش كمعظّم و محدِّث

خ ذ ل — جاء بالشاهد « وكأنها عياء ام جويذر » وصوابه عيناء واحدة العين وهذا غلط مطبعي

خ ر ب — قال خرَّب الجدار : ضد هدَّمه مع ان الخراب يصدق على الهدم وفسر اهل اللغة التخرب بالتهدم فكيف يكون ضداً له

خ ر ب — وقال : تخرَّب القادح الشجرة · هكذا بالتاء المثناة وتشديد الراء والصواب نخرب القادح الشجرة بالنون

خ ر ب — وقال الخَرِبة : موضع الخراب ج خِرَب جاء بها وزان عنب والصواب خَرِب بفتح فكسر وزان حَذِر

خ ر ب ق — قال الخرنبق : اللاحق بالأرض هكذا بالحاء المهملة وصوابه اللاصق بالصاد المهملة

خ ر ج — قال خرَّجه : جعله يخرج · وهذا غريب منكر لم اره فيما رأيت من كتب الائمة واحسب انها بعيدة عن الاستعمال وان صحت في القياس لشيوع المضاعف في معنى جعله ضروباً وألواناً

خ ر ج — وقال المُخرج ... واسم مكان يقال ادخلني مُدْخل صدق · وهذا من عدم الكياسة لأنه ذكر الآية القرآنية ودلَّ عليها بكلمة يقال

خ ر ز — قال : ما ينظم في السلك من الجذع والودع هكذا بالذال المعجمة والصواب بالزاي

خ ر م — ضبط الخرومانة بسكون الراء وفتح الواو والصواب العكس

خ ز ب — جاء بالخزبية لمعدن الذهب وهي معرفةٌ باللام مع انها علم للمعدن كما صرحوا به وحكمها حكم أسامة للأسد او جهينة للقبيلة المعروفة

خ ز ر — قال خزَر الشيء : ضيقه · مع ان الخزَر خاص بتضييق العين

خ ز ق — قال وعليه الحديث : « ما خزق المِعراض فكُلْ » والذي في النهاية لابن الأثير « وفي حديث عدي قلت يا رسول الله انا نرمي بالمعراض فقال : كُل ما خزق وما اصاب بعرضه فلا تأكل » فليس الحديث كما رواه وشرط النقل الأمانة

خ زم — قال: يقال أعطوا القرآن خزائمه، وهذا حديث ونصه «ومرهم ان يعطوا القرآن بخزائمهم» قال ابن الأثير يريد به الانقياد لحكم القرآن والقاء الازمّة وصاحب الكتاب حرّف الحديث واخلّ بالمراد

خ ز ي — قال: وفي حديث الشعبي «وقعنا في خزية لم نكن فيها الا بَرَرَة أتقياء» وهكذا نقض النفي بالا مع ان الحديث «لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء»

خ ز ي — قال كلام مَخْزِيٌّ: يُستحسن هكذا على صيغة المفعول من خزي صوابه مُخزٍ على صيغة الفاعل من أخزى

خ ش ب — قال واختشب السيف: اتخذه خشَباً. هكذا حرّك الشين فأوهم انه اتخذه من مادة الخشب والصواب اتخذه خشْباً بسكون الشين أي مخشوباً قبل ان يحكم صقله

خ ش ب — قال: هم خَشَب بالليل لا يتهجدون. هذا مقتطع من الحديث في ذكر المنافقين «خُشُب بالليل صُخُب بالنهار» قال في اللسان بضم الشين وتسكّن تخفيفاً

خ ش ب — قال ومال خَشَب: هزلى. وقد ضبطه الصاغاني ككتف

خ ش ش — قال: الخِشاش بالكسر .. و— العود يجعل في عظم انف البعير الواحدة خَشاشة، هكذا كسر في الجمع وفتح في المفرد والصواب الكسر فيهما.

خ ش ف — قال خشَف الخِشَف بالقوم خَشافة: دلّ بهم ... خشّف: دل على الطريق. هكذا اختصر ولخص كلام الأئمة ونص التاج «خَشَف بهم خَشافة كسحابة وخشّف تخشيفاً اذا مضى بهم»، وكل ما ورد من الشرح يدل على السير والذهاب واصل معنى الخشوف الصوت والحركة والفعل من حدّ نصر وضرب خشوفاً وخشفاناً محركة اذا ذهب في الأرض والخِشَفُ الدليل الماضي ولعل العبارة الأخيرة حملت صاحب الكتاب على هذا التلخيص الناقص

خ ص ر — قال الخاصرة: ما فوق الحرقفة والقُصَيْرى وقيل ما فوق الطفطفة والشراسيف. والتفسير الثاني يجعل الخاصرة فوق الطفطفة وتفسير اهل اللغة

يدل على العكس قال في التاج «وما فوق الخصر من الجلدة الرقيقة الطفطفة» هكذا في المحكم وغيره وفي اللسان نفس العبارة وهي كما ترى جملة مستقلة للتعريف بالطفطفة وليست من تفسير الخاصرة

خ ص ص — جاء بالشاهد «واذا تصبك خصاصة فتحمل» بالحاء المهملة وصوابه فتجمَّل بالجيم كما في اللسان وهو من التجمل واظهار الغنى .

خ ص ل — قال خَصلهم . ن . خَصْلاً وخصالاً : فضلهم ، هكذا من الفضل والصواب نضلهم من النضال . ولم يفته معنى النضال فجاء بهِ بعده ولكن الفضل لم يكن من معاني الخصل فمن اين أتى به ؟؟ ومن الذي نص عليه ؟

خ ض ب — جعل الخضَبة (بفتحتين) للمرأة الكثيرة الخضاب وصوابه الخُضبة كهُمزة .

خ ض ر — قال اختضر الفاكهة : أكلها قبل إِبّانها وصوابه كما نص عليه الأئمة قبل إناها اي قبل ادراكها

خ ض ر — وضبط الخضر في حديث علي « ليس في الخضر زكاة» بضم ففتح وزان زُفَر وصوابه بفتح فكسر وزان حَذِر

خ ض ع — جعل خضاعاً من مصادر خضع وفتح أولها ولكنه الخضاع بالكسر وهو من مصادر خاضع المرأة اذا خضع لها بكلامه وخضعت له فطمع بها

خ ط ف — جاء بالشاهد هكذا « رأى الموت في عينيه أسود احمرا » والراوية فيه « رأى الموت رأي العين » والراوية الأخرى « رأى الموت بالعينين » والباء هنا للاستعانة وليس للظرفية هنا محل

خ ظ ظ — قال خظَّ الرجل : استرخى بدنه واندال وقد تبع في عبارته صاحب القاموس وصوابه اخظ الرجل استرخى بطنه واندال كما في اللسان والتاج والتكملة والعباب

خ ف ر — قال وخفر بالعهد : وَفى به . وهذا غريب لأن خفر العهد ضد الوفاء به وكأنه استخرج الضدية من لازم قولهم خفره بمعنى اجاره فهل له ذلك وهل هذا صحيح ؟ ؟

خ ف ر — قال وخفر الزرع : شرحه لم أهتد الى المراد من شرح الزرع ولم أجد ما يشبه هذا المعنى في كتبهم

خ ف ث ل — ضمّ الخاء من خفثل وصوابه الفتح وزان جعفر

خ ف ج — قال : الخفج ككتف والصواب الخفيج كأمير كما في القاموس وفي اللسان والغليظ مكان الضعيف

خ ف س — جعل خَفَسه خَفْساً من باب نصر وهو من باب ضرب

خ ف ي — أتى بالشاهد « خفاهن ودق ذو سحاب مركب » ورواية اللسان والتاج من سحاب مركب ورواية ابن بري من عشي مجلب فمن الجارة لم تتغير على اختلاف الرواية فما بال صاحب الكتاب احل محلها ذو

خ ف ي — قال : والخفاء ايضاً الكساء • ففتح الخاء والصواب الكسر وربما فتحوه في معنى الغطاء على أشكال

خ ف ي — قال الخفية : الركية والغيضة الملتفة وليست الخفيّة الركيّة على اطلاقها بل هي اذا تركت واندفنت ثم حفرت فلا بد من ذكر ذلك ليتم المعنى المراد بها

خ ق ق — قال الخُقّ بالضم : الغدير اذا جفّ وتتلّع وفي كتب الأئمة وتقلفع ، جاء به صاحب الكتاب مضموم الأول نصاً وصوابه الفتح كما جاء اكثر من خمس مرات في اللسان وأحلّ تتلع محل تقلفع ولا مناسبة بين معنى المادتين ولا بين جفاف الغدير والتتلع الا اذا كان اقتبسه من التلاّع العامية للمدر الذي يقلع من الأرض ويرمى به وهذا في الفصيح القلاع لأن أصل مادته القلع وأراه تعمد هذا التبديل بدليل قوله بعد قوله وتتلع « وفي اللسان وتقلفع » وكأنه لم يرضه قول صاحب اللسان فعدل عنه •

خ ل ب — قال الخلب بالكسر الظفر و — حجاب الكبد وقيل غلاف البطن و — الحبل منه (كذا) و — ورق الكرم ، فما هو الحبل من غلاف البطن وقال حجاب الكبد وعبارة القوم حجاب القلب او حجاب بين القلب والكبد أو لحمة رقيقة تصل بين الأضلاع والكبد • وعلى ذكر الحبل قال الأئمة ان

الخلب بالضم حبل دقيق صلب الفتل من ليف او قنب او حبل من قطن ولعل القطن تحرف عليه بالبطن فقال حبل من غلاف البطن وقوله ورق الكرم . هو ليس على اطلاقه بل الخلب العريض منه

خ ل ب ب — قال الخُلْبُوبُ : الخداع المكار وصوابه الخَلَبُوب بباءين محركاً كما في التاج

خ ل د — قال أي مقرطون مسودون بالدال وصوابه مسورون بالراء من السوار

خ ل ط — جاء بالآية الشريفة بقوله « وفي القرآن ان كثيراً من الخلطاء يبغي » ونص الآية « وان كثيراً من الخلطاء ليبغي »

خ ل ع — قال وخلع قائده : أزاله بالزاي وصوابه اذاله بالذال المعجمة اي اهانه .

خ ل ف — وقال في جمع الخليف خلَف والصواب خُلُف وجعل خلف بمعنى استقى وما بعدها من باب ضرب . وكلها من باب نصر كما هو الظاهر من القاموس

ومثّل للخَلَف بمعنى الوَلد مطلقاً بقولهم « عدِم الخلَف ولا بئس الخلَف» وليس هذا صالحاً للتمثيل بالمعنى المراد وانما الذي مثلوا به قولهم «نعم الخلَف وبئس الخلف» وأما العدَم فقد ذكره صاحب التاج بأنه على مثال ضده (أي الخلف) وهو العدَم والتلف

خ ل ق — قال : خلق الأديم قدّه قبل ان يقطعه والصواب قدّره وقاسه قبل ان يقطعه ، وهل القدُّ غير القطع ؟؟

خ ل ق — تبارك الله احسن الخالقين أي المقدرين أو الصانعين أو هو مبني على زعم الزاعمين ، أنا لم أفهم مراده من قوله أو هو مبني على زعم الزاعمين والزعم مطيّة الكذب وأين محل الزعم من هذه الآية الكريمة وصدر الآية في بيان تطوّر خلق الانسان في بطن أمه وقد حذف صاحب الكتاب الفاء من فتبارك التي تربط أول الآية بآخرها

خ ل ق — قال : أُلمختلِق (هكذا بصيغة الفاعل) التام الخلق المعتدله وهو في اللسان لهذا المعنى بصيغة المفعول واستشهد له بقول البرج بن مُسهر

فلما ان تنشّىْ قام ِخرْق من الفتيانْ مختلَق هضيم

ولكن صاحب الكتاب أورد هذا الشاهد بمعنى انه خلق خلقة تصلح للملك

خ م ر — وقال في خَمِرِ من باب علم . و — المزادة : خرز ناحيتها وعلاَّها بخرز آخر وصوابه أنها من باب نصر

خ م س — وقال : خمس القوم . ن . خمساً : أخذ خمس أموالهم و — كان خامسهُم فجعلها من باب واحد وهو باب نصر . مع ان الأُولى من باب نصر والثانية من باب ضرب .

خ م ص — قال وفي الحديث : « خماص البطون من أموال الناس خفاف الظهور من دمائهم » أي لم يأخذوا أموالهم ولم يسفكوا دماءهم لكن نص الحديث في اللسان « خماص البطون خفاف الظهور » ثم قال صاحب اللسان مفسراً اي انهم أعفَّة عن أموال الناس فهم ضامرو البطون من أكلها خفاف الظهور من ثقل وزرها وصاحب الكتاب خلط التفسير بنص الحديث ولم يجيء بالتفسير على ما فسروه به وتصرف في شرح المعنى كما أراد لا كما أراد المضطلعون بالكتاب والسنة !!

خ م ص - وقال الَخمصان الحشى واُلخمصان الحشى بفتح الخاء وضمها : الضامر البطن ِخماص وهي َخمصانة ونص القاموس « رجل خمصان بالضم وبالتحريك وهذه (اي التحريك) عن ابن عباد

وكذلك ذكر الحديث « كان ُخمصان الأخمصين » بالفتح ونصه عند الأئمة بالضم

خ م ص — وقال : يقال ليس البطنةُ خيراً من َخمصة تتبعها وصوابه ليس للبطنة خيرٌ من خمصة تتبعها وقد انقلب المعنى بهذا التحريف من مدح الخمصة الى ذمها .

خ ن ء — قال خنأ الجزع خنأً : قطعه وصوابه الجذع بالذال المعجمة واحد جذوع النخل

خ ن ب — فتح ِخنَّابة الأنف والصواب كسرها

خ ن ظ ل — قال والخنظل القطار وصوابه العطار أي بائع العطر

خ ن ف س — قال : اَلخَنفَسَة من الابل وصوابها الُخنَفِسَة كعُلَبِطة كما وزنها صاحب التاج ·

خ ن ن — وقال : اصيبت الإبل بالِخنان فكسر أوله وصوابه الضم لأنه من الأدواء ·

خ و ت — قال في تَخوّت و — تخوّت حديث القوم : أخذ منه فتحفَّظه وقال في اختات حديث القوم مثل ذلك والصواب فيهما فتخطفه هذا ما ذكره اهل اللغة والاختطاف غير التحفظ ·

قال في الخوخة وهي في قوله : « سُدُّوا عني كل خوخة في المسجد غير خوخة ابي بكر » بمعنى البويب

وهذا حديث نبوي ونصه كما في النهاية : « لا يبقى في المسجد خوخة إلا سُدَّت إلا خوخة أبي بكر » وفي حديث آخر « الا خوخة علي » والخوخة باب صغير كالنافذه الكبيرة · اه · فقد حرّف الحديث كما ترى

خ و س — جعل خاست الجيفة من باب نصر وكذلك خاست البضاعة وهما من باب ضرب ·

خ و ف قال : هو يأخذهم على تخوف · وهذه آية قرآنية نصها « أو يأخذهم »

(النبطيّة) احمد رضا

الملك الظاهر بيبرس

— ٣ —

وفوجئ بيبرس وهو في مصر بأمر لم يكن في الحسبان : ذلك أن فقراء الصوفية هاجوا على شيخه الشيخ خضر . ومن مواضع العجب ان يستسلم عقل بيبرس الجبار الى هذا الشيخ وأباطيله . وما ذاك إلاّ لأنه كان بشره بالملك فناله فعدَّ بيبرس هذا الاتفاق كرامة للشيخ فأسلمه قياده . وشدَّ ما كان لأمثال هذا الاتفاق من أثرٍ سيء في تاريخ الاسلام وفي عقلية المسلمين . فبنى له زاوية وكان يستشيره ويطلعه على أسراره . ويستصحبه في أسفاره . وقد عناه ابن رضوان بقوله في مدحةٍ للملك الظاهر :

(لما رأينا الخضر يَقدُم جيشه   أبداً علمنا أنه الاسكندر)

وكان يخبره بالمغيبات فتقع كما قال . وسمى أحد أولاده خضراً تفاؤلاً باسمه فكبرت نفس الشيخ خضر . وامتدت أصابعه الى اللعب في المملكة . وتمدّى طورَه الى ما فيه إخلال بالأمن فتعرَّض للمعابد غير الاسلامية . يتصرف فيها برأيه : ففي دمشق استولى على كنيسة اليهود . وعمل فيها سماعاً للصوفية . ومدّ لهم سِماطاً . لكن هؤلاء الصوفية أنفسهم عادوا فثاروا عليه وأنكروا من اعماله ما لا يسوّغه عقل ولا يصدر مثله من مسلم . فاستدعاه السلطان وجمع بينه وبينهم . ولما علم صدق مقالهم استشار الأمراء فيه فأشار بعضهم بقتله . وبعضهم بحبسه . وشعر الشيخ خضر بميل السلطان الى الرأي الأول فقال له : (إن أجلي منوط بأجلك فإن قتلتني لحقتني) فخاف الملك وحبسه وذلك (سنة ٦٧١ هـ) وبعد خمس سنوات توفي الشيخ خضر فبلغ الملك وفاته وكان في دمشق فاضطرب ومرض ومات بعد أيام كما يأتي . وقبر الشيخ خضر معروف الى اليوم

باسم (زاوية سيدي خضر) بشارع راس التين في الاسكندرية [1] .

واتفق ان هدم بيبرس احد قصور الفاطميين فوجد فيه امرأة في صندوق وقد نُقش عليه اسم الظاهر وصفته . وهذا بالطبع يسرّه ويُعلي من شأنه . والصندوق قد يكون هيأه من قبل مخرقٌ كالشيخ خضر أو أنه فرعوني قديم وقد كتب عليه كلة هيرو غليفية فحرفوها الى بيبرس .

واحتفل بزفاف ابنه الملك السعيد فرسم أن تجتمع العساكر في (قره ميدان) تحت القلعة فبقوا خمسة أيام وهم في مهرجان او عيد يمثلون معارك حربية وفصولاً هزلية . والناس من حولهم يلهون ويلعبون وخلع على رجال الدولة نحو الف وثلاثمائة خلعة . وأرسل مثلها الى دمشق . ومُدّت الأسمطة وحضرها رسل الافرنج والتتار . والملكُ جالسٌ على تختٍ من آبنوس مذهب أنفق عليه الف دينار وقدّم الامراء الهدايا حسب العادة فلم يقبل من كلٍ منهم سوى ثوب واحد جبراً لخاطره . قالوا (ولم تُمكَّن واحدة من نساء الأمراء على الأطلاق من الدخول) ولم أفهم معنى هذا .

وبعد ذلك شخص الملك الى دمشق وهي سفرته الأخيرة . ومنها الى حلب فأقام في قرية (حيلان) ذات العين الفوّارة . ونهض منها فالتقى بالتتار وحلفائهم من بني سلجوق على نهر جيحان فكانت معركةٌ حامية الوطيس (وكان الملك يكرّ على العدو كالأسد الضاري ويقتحم الأهوال بنفسه ويشجع أصحابه ويطيب لهم الموت في الجهاد الى أن انزل الله نصره) وانكسر التتار اقبح كسرة .

---

(١) وقصة الشيخ خضر مع بيبرس صورة مكبرة لقصة الشيخ سليمان مع بربر . وذلك ان مصطفى آغا بربر الذي استبد بحكم طرابلس الشام قبيل دخول المصريين إلى سوريا كان يعتقد بولاية شيخ اسمه الشيخ سليمان وقد أسكنه معه في قلعة طرابلس وكان هذا الشيخ يقول لبربر أبشر يا أقرع إنك لا تموت إلا على فراشك . وكان لا يخرج من القلعة أصلاً وبربر من عامة الناس لكنه أعرف الناس بطبيعة الناس فأصدر فرماناً بحبس الشيخ سليمان في القلعة وعدم خروجه منها مدة حياته فغضب الشيخ سليمان على بربر وما زال به حتى نقض حكمه عليه واسترد حريته وجعل يخرج من القلعة الى حيث شاء .

وُقتل من قوادهم جماعة كما استشهد من امراء بيبرس طائفة وأسر من كبار السلجوقيين طائفة . وهرب وزيرهم الأكبر المسمى (برواناه) الى عاصمتهم (قيصرية) فأخبر سلطانه (غياث الدين) بما جرى فهرب الى توقات . وقامت الشعراء تهنئ بيبرس وتتغنى بذكر بطولته وبطولة أمرائه . ولحق الملك بالمنهزمين الى (قيصرية) فمر بقرية أهل الكهف وهي (أفسس) الى ان دخل قيصرية ومشى اهلها بين يديه . وجلس على عرش ملوكها السلاجقة . وخُطب فيها باسمه وهادَن أولاد (قَرَمان) . وهم أمراء كان لهم شان في ذلك الزمان والمكان . وعاد فمر بمكان المعركة فقيل له ان عدة من قتل من المغول وحدهم (٦٧٧٠) نفساً .

وعاد الى دمشق في ٧ محرم سنة ٦٦٧ ونزل بقصره الأبلق في المرجة . وقد بلغه ان التتار يتجهزون للكرَّة عليه فأوجس خيفة لأنه شعر بوعكةٍ وتعب . ثم بلغه ان ملك التتار عاد الى بلاده منهزماً فكان ذلك من لطف الله به : إذ أن وعكته استمرَّت ثمانية عشر يوماً على أثر إكثاره من شرب القِمِزّ الذي وصفناه في اول المحاضرة وقلنا إن (بيبرس) كان مولعاً به لأنه الشراب الوطني لقومه . شعر بيبرس في أول الأمر بحرارة في جوفه فوُصف له مقيئ ثم مُسهل ثم مسهل آخر أشدّ من الأول أعقبه نزيف ثم اشتدت حُمّاه . وضعفت قُواه . وهكذ اسلم روحه الى الله .

وذكرَ بعض المؤرخين لموته أسباباً ربما كان في بعضها بعضُ الصحة : ذلك ان القمر كسف كسوفاً كلياً وأظلمت الدنيا على أثره . فتأوَّلوه بموت رجل عظيم فخشي الظاهر ان يكون هو ذلك العظيم . فرأى أن يَفدِي نفسه بالملك القاهر الذي كان من عظماء مملكته . وهو ابن المعظَّم عيسى بن الملكُ العادل (جارنا الأدنى) وكان بيبرس يحسد القاهر هذا على بطولته . وعلى لهج الناس بالثناء عليه . ويقال إن القاهر عاب الملك الظاهر في بعض ما كان منه في حرب التتار . كل ذلك حمله على الفتك به . فيتخلص من منافسته له أولاً

ويكون فدية عنه ثانياً . فدسّ له سمّاً في هنّاب[1] شراب القمز (والهناب قدحُ الشراب الضخم) وقام القاهر من المجلس الى فراشه ومن فراشه تواً إلى قبره . وغلط الساقي فسقى الظاهر بالهنّاب المسموم الذي شرب به القاهر ونسي ان يغسله من أثر السمّ . فكان ذلك هو السبب في موته . وقد عُدّ قتله للقاهر من أقبح المآثم التي كان ينبغي أن يتورّع بيبرس عنها .

وكانت وفاته في ١٤ محرم سنة ٦٧٦ وعمره احدى وخمسون سنة ومدة ملكه ثماني عشرة سنة . فكتم الأمراء خبر موته عن الناس ونقلوه سراً من القصر[2] الأبلق الى قلعة دمشق . فحنطوه وعلقوا تابوته في غرفة من غرفهم . وكتبوا إلى ابنه الملك السعيد بالخبر . واستأذنوه في مكان دفنه . لأن الظاهر أوصى ان يدفنوه على طريق (داريا) في مكان قريب منها . فلم يرض ابنه إلا أن يُدفن داخل سور دمشق . فابتاعوا دار العقيقي الواقعة أمام مدرستنا هذه بستين الف درهم فهدمت وبُنيت مدرسةً للشافعية . ودُفن الظاهر في زاويتها الجنوبية . وفي الزاوية الشمالية حمام ما زال يعرف بحمام العقيقي الى اليوم .

(١) لفظ هناب من الألفاظ الصليبية الدخيلة اقتبسه المسلمون في أثناء الحروب الصليبية من الألمانيين واسمه في لغتهم (hnap) .

(٢) القصر الأبلق هذا ويسمى الجوسق أيضاً ، والجوسق كلمة تركية عربها العرب من كلمة كوشك) بناه الظاهر في مرجة دمشق بالحجر الأسود والأصفر ولذا سمي الأبلق وهو (يشتمل على قاعات مفروشة بالرخام الملون المفصل بالصدف والفص المذهب وله رفارف تناغي السحب وتشرف على المدينة والغوطة) وقد كتب على أسكفته انه (عمل ابراهيم بن غنائم سنة ٦٦٨) وهو المهندس المصري المشهور الذي بنى المدرسة الظاهرية حيث مدفن الملك الظاهر وابنه الملك السعيد وعلى زاوية أسكفتها العليا كتبت العبارة المذكورة نفسها (عمل ابرهيم ابن غنائم) وبقي القصر الأبلق حتى هدمه تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ وابث متهدماً حتى بنى السلطان سليمان العثماني تكيته من أنقاضه سنة ٩٧٤ هـ وكان على واجهته مئة أسد منزلة صورها بالحجر الأسود في الأبيض وهناك أخرى بالحجر الأبيض في الأسود . وصورة الأسد هي (رنك) الملك بيبرس أي شعاره الخاص وما زال هذا الشعار الظاهري منقوشاً على بعض أحجار التكية السليمانية وبارزاً لعين من يراه .

واشتهرت المدرسة باسم المدرسة الظاهرية وكان نقل جثمانه اليها في ٥ رجب فيكون قد بقي في تابوته معلقاً في القلعة ستة أشهر إلا أياماً .

***

هذا ما استطعنا ان نلخصه من أخبار جارنا الملك الظاهر . وقد اتفقت كلمة المؤرخين على أنه اعظم السلاطين الذين ملكوا مصر والشام بعد صلاح الدين . ويجيء بعده المنصور قلاوون . وهؤلاء الثلاثة لهم الفضل الأكبر في جلاء الصليبيين عن الديار الشامية وكانت مراكزهم الكبرى (القدس) و (انطاكية) و (طرابلس) : صلاح الدين أخرجهم من القدس . والظاهر من انطاكية . وقلاوون من طرابلس .

قال الذهبي (وكان الظاهر خليقاً بالملك لولا ما كان فيه من الظلم) وقديماً قالوا : لا يقوم الحق الا على شعبة من الباطل . ولم يقم فاتح من كبار الفاتحين ويستتب له سلطان من دون ان يرتكب شيئاً من الظلم والعدوان . من ذلك ما ذكرنا من اغتيال الظاهر للمعظم توران شاه ابن الصالح ايوب . ثم اغتياله الملك قطز . ثم المغيث ملك الكرك وهو من سلالة بني أيوب . ويروى ان السبب في قتل الأخير تعرضه بالسوء لامرأة الظاهر مذ كانت في الكرك . وأخيراً قتل بيبرس الملك القاهر دساً بالسم .

وأفظع من هذا كله قتله الفي أسير من الصليبيين بعد أن أمّنهم (كرمون التتارى) وهم يظنونه بيبرس كما ذكرنا في فتح صفد فأشبه بيبرس في فعلته هذه (نابوليون بونابرت) الذي قتل الفي أسير مسلم في يافا بعد رجوعه خائباً من عكا . وقد عاب المؤرخون عليهما فعلهما غير أن بعضهم التمس لهما عذراً بأن أسرى صفد وأسرى يافا نقضا عهد النابوليونَيْن ولم يطبقوا شروط الصلح التي اتفقوا عليها .

وللظاهر مشابه أخرى بنابوليون . ومنها النبوغ في فن الحروب وقلقلة الركاب في أطراف البلاد ونشاط الحركة في الكرّ والفرّ . وكان الظاهر يباشر الحروب بنفسه ويشارك جنوده في هدم الأسوار أحياناً ويعتني بالمرضى والجرحى معهم .

وكان مشتغلاً بهدم سور قيسارية يوماً فورد اليه كتاب من أمرائه يشكون له ما لاقوا من أسوار (البيرة) فكتب اليهم (إنا بحمد الله ما خُصصنا عنكم براحة ولا دَعة . ولا انتم في ضيق ونحن في سعة . ما هنا إلا من هو مباشر الحروب الليلَ والنهار . وناقلُ الأحجار ومرابطُ الكفار . وقد تساوينا في هذه الأُمور . وما ثَمَّ ما تضيق به الصدور) فهو كنابليون يتألف رجاله وينصفهم من نفسه ويحملهم على التأمي به . وأرسل الرسل مرةً الى (بيموند) صاحب طرابلس ورافقهم في زي خادم كي يتعرف خبايا البلد ويدرس طرق الاستيلاء عليها .

ونقض ملك الروم عهده فاستقدم اليه أساقفة مصر وسألهم عن حكم نقض العهد في دينهم فقالوا حرام . ومن فعله يُحرَم من دينه وكتبوا ذلك في كتاب فألف بيبرس بعثةً اكليركية من راهب وأُسقُف وقسيس وارسلهم الى القسطنطينية يبلغون الملك قرار الحرمان . لكن الملك البزانسي ارعوى عن غيّه واسترضى الظاهر وجدد له بناء جامع القسطنطينية الذي بناه الأُمويون في صدر الاسلام فأرسل الظاهر الى الجامع السجاجيد والمباخر وقناديل الذهب .

وقد ظهر لنا من تضاعيف أخبار بيبرس أنه لم تكن له أنسة ولا اهتمام بالموسيقى والشعر والشعراء . ولا بمجالس الأدب . ومحافل الطرب : فان السياسة وحبّ الفتح والنكاية في العدو وعمرانَ البلاد وتشييد المباني والآثار — كلُّ ذلك شغله عما سواه . نعم كان يُعني بنشر العلوم الاسلامية على اختلاف ضروبها فقد بنى لها المدارس وعيَّن لها الفقهاء . وأعاد الجامع الأزهر إلى ما كان عليه في العهد الفاطمي بعد ان خَمَل شأنه في العهد الصلاحي . ولم يكن له شعراء ومغنون يُحيون مجالسه ويعيشون بجوائزه . كما كان لغيره من الملوك وهذا لعمري من ممادحه . وغرّ مناقبه : فإن حراسة البلاد والقيام بأعباء الملك جدير أن يشغل صاحب الملك عن اللهو وصنوف الدَعة والرفه . ويدلك على شدة اهتمامه بحراسة البلاد الاسلامية قوله لبعض امرائه وقد اشار الأمير عليه بملاينة التتار فانتهره بيبرس صائحاً : (أنتم سببُ هلاك المسلمين) .

وكل ما في الأمر انه اصطفى لرئاسة ديوان انشائه أديبًا من الكتاب (وهو محي الدين بن عبد الظاهر) فكان ينظم احياناً الشعر مهنئًا له • وواصفًا أعماله • من ذلك أن الملك بيبرس حاصر عكا فلم ينل منها • ورجع الى عكار ففتحها فقال محي الدين :

يا مليك الأرض بشرا ك فقد نلت السعادة •
إنّ عكار لعمري هي عـــكا وزيادة

ولما أوقع الملك بالتتار على شاطئ الفرات هنأه كاتبه بقصيدة عارض فيها قصيدة ابن هاني الأندلسي في المعز الفاطمي التي أولها :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

فقال محي الدين :

سِرْ حيث شئت لك المهيمن جار واحكم فطوع مرادك الأقدار

ومنها وهو معنى أظنه مبتكراً :

رَشَّتْ دماؤهم الصعيد فلم يَثرْ منه على الجيش السعيد غبار

ولو قال (بلَّت) مكان (رشت) لكان أجود •

ومما يدل على ان بيبرس ما كان يحفل بكل ما يسمونه أدباً وأدباء وشعراً وشعراء — مجافاته لمؤرخ الأدباء والشعراء القاضي ابن خلكان فقد عزله من قضاء دمشق بعد ان قام به مدة عشر سنين • وكأن المؤرخ ابن خلكان اراد ان ينتقم منه فلم يذكر له ترجمةً في تاريخه كما ترجم لغيره من الملوك ممن لا يقاس به ولم يفرِ فَرِيَّه •

ومن شعراء عصره السِراج الورّاق وابو الحسين الجزّار وابن الخشاب • ولم يكن لهم فيه مدح يذكر • وشعر يؤثر • ولم ينقل عنه أنه اجازهم بالأموال والبِدَر • وكانوا اذا نظموا فيه قالوا شعراً متكلّفاً • وسلكوا في مدحه طريقاً متعسفاً : من ذلك ما قالوه في مدرسته التي بناها في القاهرة ويقال انه بناها بحصته من غنائم انطاكية •

قال السراج :

مليك له في العلم حبٌ وأهله فلله حبٌ ليس فيه ملام

وقال الجزّار :

ألا هكذا يبني المدارس من بنى ومن يتغالى في الثواب وفي الثنا

وقال ابن الخشاب :

قصد الملوك حماك والخلفاء فافخر بأن محلك الجوزاء

الى آخر القصائد وهي ليست مما اعتاد ان يقوله أمثال هؤلاء الشعراء في امثال ملك عظيم كالملك الظاهر وما كانوا ليقولوا هذا فيه لو اكثر لهم اللُّهى . إذ لا يخفى ان اللُّهى تفتح اللّها ولم يكن هذا بخلاً منه فقد مرّ انه كان يمنح رجاله الأموال الطائلة لكنه مشي في معاملة الشعراء على اثر عمر بن عبد العزيز

وكان الظاهر يحب التاريخ ويقول (سماع التاريخ اعظم من التجاريب) وكان يطرب لصناعة الانشاء ويسرّه ان تحبَّر الرسائل في مخاشنة الأعداء من ذلك ان الملك الظاهر كان حاول فتح طرابلس وتدميرها على رأس صاحبها البرنس (بيموند) . فلم يتيسر له ذلك فتركه وصَمَد الى انطاكية وكانت انطاكية داخلةً في حوزة بيموند ففتحها بيبرس وقتل اربعين الفاً من أهلها بعد ان لم يتيسر فتحها لصلاح الدين . وعاد الى دمشق وأُقيمت المهرجانات في قلعتها احتفالاً بالعيد وبافتتاح انطاكية وأرسل منها الى (بيموند) كتاباً يخبره بما وقع من الاستيلاء عليها . والكتاب من انشاء رئيس ديوانه وقد ساق خبر الفتح مساق البشارة لبيموند ولكنها على حد قوله تعالى : « فبشرهم بعذاب اليم » والكتاب طويل مذكور في صبح الأعشى (جزء ٨ ص ٢٩٩) ونكتفي منه بفقرات . قال بعد ما وصف فتحه لانطاكية :

(وسلامةُ النفس هي التي يفرح بها الحي اذا شاهد الأموات . ولعل الله إنما أخر أجلك لتستدرك بالطاعة لنا ما فات . ولما لم يسلم أحد من اهل انطاكية

يخبرك بما جرى لم خبّرناك . أو يبشرك بسلامة نفسك وهلاك حزبك بشّرناك .
فينبغي لك بعد الآن أن لا تكذّب لنا خبرا ولا تقل لما جرى كيف جرى) .

وللشيخ النووي شيخ دمشق حكاية مع الملك الظاهر نختم بها محاضرتنا ذلك ان الملك أراد أن يضع ضريبة لتسديد نفقات الحرب واستفتى الفقهاء فأفتوه بما أراد ماعدا الشيخ النووي قائلاً : الضرائب انما تفرض عند الحاجة ولا تتحقق هذه الحاجة الا بعد ان يباع ما في القصر السلطاني من المماليك والأواني وحليّ الذهب والفضة التي هي كلها من مال بيت المسلمين وبعد ذلك للملك ان يضع ضريبة حرب . فسكت الملك مغضباً .

هذا أيها الملك الجليل والجار العظيم ما طالته يدنا من أخبارك . واستطعنا ان نجمعه من جليل آثارك . فإذا كان هناك أشياء من مناقبك لم تطل يدنا اليها . أو لم يتسع الوقت للإتيان عليها . فاعذرنا إذن وارجع الى الرمس . قرير العين مطمئن النفس والسلام .

المغربي



ضرب الحوطة على جميع الغوطة

للحافظ محمد بن طولون الدمشقي الحنفي رحمه الله

نشرها نشراً جديداً وعلق عليها الدكتور محمد أسعد طلس

(القسم الثالث)

---

(٢٧) المراد بالتكية تكية السلطان سليمان القانوني فان اموال نواب المماليك ومقدميهم صارت كلها الى السلطان سليم وأولاده فوقفوها أو تصرفوا بها كما يريدون

(٢٨) يقول Dussaud ص ٣٠٣ ان حزرما هي شرقي بيت نايم . وقد ذكرها Les Sultans Mamlouks في Quatremére و 1894 ,II, 280 Sauvaire ٢/٩٨ وقال : ان وارداتها السنوية كانت تقدر بعشرة آلاف وخمسمائة درهم .

(٢٩) أقول وذلك ما يزال مكتوباً على حجرة لا تزال موجودة في دار الحديث هذه على الحائط الشرقي .

(٣٠) هو جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن عبد الهادي أستاذ ابن طولون المشهور بابن المبرد أيضاً . انظر ما كتبناه عنه وعن آثاره في مقدمة كتاب «ثمار المقاصد في ذكر المساجد»

(٣١) ذكرها ياقوت دون ان يضيفها الى (العواميد) وقال Dussaud : هي قرب البحيرة وانما جاءها اسم العواميد من ثلاثة أعمدة رومانية ما زالت قائمة فيها . وانظر ما كتبه عنها Le Strange ص ٤٢٩ ، و 1894,II, 238 Sauvaire ، و Porter في I,376. Five Jears in Damaskus .

(٣٢) يقول Dussaud ص ٣٠١ : يوجد شرقي دمشق قريتان اسمها الحديثة وبعضهم يقول حديثة وحديدة — كما في السالنامة — أولاهما حديثة الجرش [التي سيأتي الكلام عليها] وهي شمال زبدين . والثانية حديثة التركمان او الحديثة فقط وهي جنوب شرقي شبعا . [ملاحظة: لقد كرررقم (٣٢) في القسم الأول وهو خطأ]

(٣٣) هذا التعبير يراد به انه كان يتصرف بها ·

(٣٤) هو صاحب التربة المزلقية ، الغني الكبير صاحب الأوقاف وقد أطال النعيمي الكلام عنه في كتابه « تنبيه الطالب » فارجع اليه وانظر ما كتبناه عنه في نشرنا لكتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد لابن عبد الهادي ·

(٣٥) قال Dussaud ص ٣٠٥ هي قرية في غربي دير العصافير · وهناك خيارة أخرى بوادي العجم (انظر Dussaud ص ٣١٢) وخيارة ثالثة في البقاع [انظر ص ٤٠٩] (٩) قال دوسو ص ٢٩٧ : مشهورة بعينها وهي ضاحية كبيرة جنوب غربي دمشق نجد لها ذكراً في النصوص السريانية القديمة باسم [دارالشام] · كما نجد لها ذكراً في النصوص المسيحية اليونانية باسم (داريا) انظر ابن جبير ص ٣٠٢ وياقوت ٥٣٦/٢ و Le Strange ص ٤٣٦ و Sauvaire ,II, 296 · وانظرهامش دوسوص ٢٩٧ وهناك داريا اخرى بمنطقة صيداوثالثة بمنطقة طرابلس فانتبه

(٣٧) لعل المراد بهذا التعبير انها كانت للسلطان ·

(٣٨) لايذكر Dussaud هذه القرية وانما يذكر قرية اسمها دقا ويقول ويقول ذكرها ياقوت ٥٨١/٢ و Le Str ص ٤٣٨ ولا يعين موضعها ولا يذكر شيئاً عنها

(٣٩) يذكر Dussaud ص ٢٩٩ انها شمال شرقي دمشق ويخطئ ياقوتاً حين يقول انها كانت تسمى قديماً توما (بالتاء) وان الباب منسوب اليها · وانظر ما قال عنها Le Str ص ٥٤٧ و II, 239 Sauvaire ·

(٤٠)[1] أمير كبير من القاب المماليك راجع كتاب ··· La Syrie لديمومبين ·

(٤١) لم أهتد اليها فيما بين يدي المصادر ·

(٤٢) يقول Dussaud ص ٣٠٩ : يطلق اسم الربوة على هضبة وقرية غربي دمشق وقيل ان القرآن أشار اليها بقوله عن عيسى وأمه (وآويناهما الى ربوة الخ الآية) ولكن هناك خلافاً بين المفسرين على هذه القضية ··· والربوة مفصولة عن قاسيون بعقبة دمر · انظر ياقوت ٧٦٢/٢ · و Le Str · ص ٥٢١ و II,300 , 420 Sauvairs ، وابن جبير ص ٢٧٨ و ٢٧٩ ·

(١) لقد طبع هذا الرقم في الصحيفة ١٥٧ خطأ (٣٠) فليصحح

(٤٣) بياض بالأصل ولعل المحذوف كلمة [دمشق] وفي الخزانة ص ٤٧ النيرب

(٤٤) قال المؤلف في كتابه تاريخ الصالحية [الربوة اعظم منتزهات دمشق كان بها اربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة وكان بها النخوت وهو قصر مرتفع على سن جبل به قاعة وطبقات على هيئة الايوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لو لم يكن حائل به وكان بها خمس مقاصف وكان بها [العاشق] و [المعشوق] وهما برجان للحمام في لحف الجبل الغربي وشماليها برج العذول .

(٤٥) قال دوسو ص ٣١٣ [زملكا] و [زملكان] شيء واحد فقد حذفوا النون منها كما حذفوا النون من [بلدان] فقالوا [بلدا] وهي جنوب غربي عربين . انظر ياقوت ٢/٩٤٤ . و Le Str. ص ٥٥٥ .

(٤٦) ذكرها Dussaud ص ٣١٣ وقال انها قرب المليحة وقرب عين الحلوش أو الحروش . وانظر Sauvaire 1894,I,455 .

(٤٧) يذكرها Dussaud ص ٣١٣ ويقول : كانت مزرعة وقرية في المرج . وانظر أيضاً Sauvaire 1894 II 124 .

(٤٨) لا يعرف Dussaud هذه القرية وانما يعرف سويداء جبل الدروز فقط .

(٤٩) يذكرها ياقوت ٣/١٠٠ ويذكرها Dussaud ولا يعرف موضعها انظر ص ٣١٢ . وانظر أيضاً Le Str ص ٥٢٧ و Sauvaire 1894,I,265 .

(٥٠) لايعرف Dussaud هذه القرية .

(٥١) يقول " ص ٣١١ هي ضاحية كبيرة شمالي دمشق بناها في القرون الوسطى المهاجرون المسلمون من بيت المقدس لما أخذه الصليبيون . انظر ياقوت وتاريخ الصالحية لابن عبد الهادي وتاريخها لابن طولون وكلاهما مخطوط . وقد صارت الصالحية اليوم قسماً من مدينة دمشق .

(٥٢) يقول Dussaud ص ٣١٢ خربت في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي وموضعها وآثارها بين دمشق والمزة انظر ياقوت ٣/٤٣٦ . و Le Str . ص ٥٣٠ و Sauvaire II,229,363 فانه يقول : انها غرب نهر القنوات باتجاه جامع خاتون .

(٥٣) لم يذكرها Dussaud .

(٥٤) قال Dussaud ص ٢٩٤ هي شرقي دمشق ذكرها ياقوت ٧/٧٥٩ Le Str. ص ٣٨٧ · والمقدمي في مراصد الاطلاع ٢/٢٩٢ وقد أخطأ الناشر فكتبها عين توما

(٥٥) قال Dussaud ص ٢٩٤ هي شمال شرق دمشق ·

(٥٦) قال 〃 ص ٢٩٣ هي شمال المرج قرب الصحراء ويرى دوسو ان يفتش عن هذه القرية في منطقة الخضرا ثم ساق طرفاً من تاريخها فارجع اليه اذا شئت · ويسمى المرج باسمها فيقال مرج عذرا انظر ياقوت و Le Str. ص ٥٠٣

(٥٧) قال Dussaud ص ٢٩٤ هي جنوب الجنوب الشرقي من دمشق ·

(٥٨) هي راوية فانظر ما كتبناه فيها · وهي اليوم معروفة بقبر الست ويقول Dussaud ص ٣١٠ في كلامه على راوية : ان المؤرخين الثقات يقولون ان فيها قبراً لامرأة تسمى ام كلثوم وليست بنت النبي التي تزوجها عثمان ولا بنت علي وفاطمة التي تزوجها عمر بن الخطاب ولكنها من أسرة النبي (؟) وهناك موضع للشك فان ابن بطوطة يذكر انهم قالوا له لما زار راويه ان فيها قبر سكينة بنت الحسين انظر الرحلة ص ٢٢٥

(٥٩) لا يذكر هذه القرية Dussaud

(٦٠) يقول Dussaud ص ٣٠٨ : القابون غربي حرستا البصل مشهورة بمائها وهوائها وفيها قصر حسن البنيان كما يقول Sauvaire [1894,II,427] كان ينزل فيه السلطان في رحلاته · ولا يفرق دوسو بين القابونين

(٦١) بياض بالأصل ·

(٦٢) يقول Dussaud ص ٣٠٩ القصير قرية صغيرة وقربها عن القصير شمال دمشق ذكرها ابن جبير ص ٢٦١ و Le Str. ص ٤٨٩ وانظر ما قال عنها دوسو في هامش ص ٣٠٩

(٦٣) لا يذكرها Dussaud

(٦٤) يقول Dussaud ص ٣٠٤ هي جنوب غربي دمشق ويسميها الجغرافيون القدماء كفرسوسية وهي شهيرة بزيتونها وفيها كتابات سريانية أنظر ياقوت ٤/٢٨٨ أو 1894,II,425 Sauvaire . Le Str ص ٤٧٢

(٦٥) لا يذكر Dussaud هذه القرية وانما يذكر قرية اسمها (قيسا) ويقول ص ٣٠٩ انها جنوب شرقي القاسية ثم يقول انظر (دير قيسل) .

(٦٦) انظر دير محمد . ويقول Dussaud ص ٣٠٨ هي شرقي كفر بطنا انظر ياقوت ٤/٤٣٠ و Le Str . ص ٥٠٩

(٦٧) يقول Dussaud ص ٣٠٥ : هي غربي زبدين . ثم يذكر المنيحة ويقول ينبغي ان نفتش عنها ان لم تكن هي نفس المليحة وفيها قبر الصحابي سعد بن عبادة انظر ما كتبناه عنها في كتاب ثمار المقاصد .

(٦٨) يقول Dussaud ص ٣٠٨ : وفيها مسجد القدم النبوي وكان يقال لها مشهد القدم . وانظر أيضاً ما كتبناه عنها في ذيلنا على كتاب ثمار المقاصد في ذكر مساجد دمشق لابن عبد الهادي .

(٦٩) الف ابن طولون فيها رسالة خاصة اسمها المعزة فيما قيل في المزة نشرت سنة ١٣٤٨ . ويقول Dussaud ص ٣٠٧ هي شرقي دمشق وتسمى مزة كلب لأن فيها قبر دحية الكلبي . وكان فيها معامل ماء الورد وقد أطال الكلام عنها ابن بطوطة في رحلته .

(٧٠) يقول Dussaud هي تربة قديمة امام باب الصغير صارت حدائق منذ عهد ياقوت ويقال ان قابيل سكنها انظر ياقوت ٤/٢١٩ و Ls Str . ص ٤٧٣

(٧١) نجدها بكثرة هي و (سطرا) مذكورتين في الشعر الذي قيل في مدح منتزهات دمشق [انظر محاضرة الأستاذ كرد علي] ويقول Dussaud ص ٣٠٦ : هي قرب دمشق ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها . وانظر Le Strange ص ٤٩٩ و Sauvaire 1894,I,420 وقال الأستاذ كرد علي (مقرا) هو المكان المعروف عند طاحون الاشنان في شمال شرقي البلد .

(٧٢) قال Dussaud هي شمال المزة . ولها مسجد فية قبر أم مريم ومصلى الخضر وهي كثيرة المياه والحدائق . ومنذ القرن السادس عشر لم يعد يعرف موضعها بالضبط وانظر ابن جبير ص ٢٧٩ وياقوت ٤ / ٨٥٥ وابن بطوطة ص ٢٣٥ و Le Str . ٥١٤ . والاصطخري ٥٨ ، وابن حوقل ١١٤

(٧٣) لا وجود لهذه القرية عند Dussaud .

(٧٤) يقول Dussaud ص ٣١٣ بلدان هي بلدا ويقول ياقوت: هي قرب دمشق شرقي القدم وربما كتبت خطأ جلدا . وقد وجد فيها Porter بقايا آثار رومانية انظر ياقوت ١٠٢٥/٤ و Le Str. ص ٥٥٢ .

* * *

هذا ما ذكره ابن طولون من قرى الغوطة في زمنه ونحن الآن نعقب عليه بأمرين (الأول) ذكر القرى الموجودة الآن التي اهملها ابن طولون إما لأنها لم تكن موجودة في زمنه وإما لأن اسماءها قد تغيرت . و (الثاني) ذكر القرى التي كانت قبل ابن طولون ثم اندرست وقد اهتدينا اليها اثناء مطالعاتنا في كتب شتى . وقد وضعنا القسم الأول تحت حرف (آ) والثاني تحت حرف (ب) .

(آ)

الأشرفية : لا يذكرها ياقوت وهي اليوم جنوب داريا

البلاط : ويقال لها بيت البلاط ذكرها ياقوت وقال هي من الغوطة ولم يعين موضعها . وهي اليوم غربي زبدين .

ببيلا : يذكرها ياقوت وهي جنوب شرقي دمشق . وانظر Le Str. ص ٤٥١ و Sauvaire II,380 .

بلاس : ذكرها ياقوت وقال: بلدة بينها وبين دمشق عشرة اميال . قال حسان:
(فالقريات من بلاس فداريـ ـيا فسكاء فالقصور الدواني)

البلالية : ذكرها Dussaud ص ٢٩٤ وقال : انها شرقي تل الصالحية

تل السلطان : غربي قرحتا . وانظر ما قال عنها Dussaud ص ٣١٣

تل الصالحية : شرقي دمشق شمالي حزرما وغربي النشابية يقول Dussaud ص ٣١٣ : لعلها كانت مدينة قديمة فقد اكتشف فيها Porter آثاراً قديمة . انظر مجلة Syria سنة ١٩٢٤ ص ٢١٠

تل مسكن : غربي بحيرة الهيجانة ذكرها Dussaud ص ٣١٢

جديدة : شمالي بحيرة الهيجانة ذكرها دوسو ص ٢٩٩ وتسمى أيضاً
جديدة الخص انظر Porter ١ ص ٣٨٧
حوش الاشعري: جنوبي جسرين بها جامع لطيف ذكرها Dussaud ص ٣٠٤
« خرابو : ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها وذكرها « «
« الدوير : جنوبي دير العصافير « « «
« العُدمُل: قرب دير سلمان ذكرها Dussaud ص ٣٠٤
« المتبن : قرب حرستا القنطرة « « «
« الفارة : ويقال لها قصر الفارة جنوب عدرا « «
« حمّار : قرب حران العواميد ذكرها « «
« المباركة: شرقي الشفونية « « «
« الكوكب : غربي سكا « « «
« الريحانية : جنوبي مسجد القدم « « «
حجيرا : يذكرها ياقوت باسم حجرا وهي غربي قبر الست وفيها قبر الصحابي
مدرك بن زياد انظر Dussaud ص ٣٠١ و٣٠٤ و LeStr ص ٤٤٥
حديثة التركمان : جنوبي شرقي شعبا
حصن الدوير : شمال شرقي سكاء
حصن النصارى : شمالي المحمديات
حصن الكواكب : « قرحتا
خربة أُلمسيح : في منطقة حران العواميد ذكرها Dussaud ص ٣٠٥
خنيزيرة : ويقال لها خنيصرة شرقي بحيرة الهيجانة ذكرها Dussaud ص ٣٠٥
داعية : قرية بين حمورية وبيت سوا وهي من أفضل قرى الغوطة ويقول
الأستاذ كرد علي [مجلة المجمع ١٦/١٦٢] انها كانت معروفة الى
القرن التاسع وقد تحقق عندي انها اليوم داخلة في أراضي حمورية
دلبه : قال Dussaud ص ٢٩٩ وهي بين سكاء ودير سلمان
دحيريج : منطقة البحيرتين ذكرها Dussaud ص ٢٩٩

دير سلمان : شرقي حرستا القنطرة وبها مسجد ويقول Dussaud ص ٢٩٨
انها شرقي ام العواميد

« العصافير: يقول Dussaud هي جنوب شرقي زبدين · وقول من قال ان
اسم هذه القرية مأخوذ من السريانية [دير الصغارين] محل للشك

« الاوسط : شرقي البحيرتين وقال دوسو ص ٢٩٨ فيه آثار بيزنطية

« القبلة : شرقي البحيرتين قاله دوسو ص ٢٩٨

« شمال : « « « « « ·

ريحان : يذكرها Dussaud ص ٣١١ ويقول انها بين عذرا ودمشق

راوية : هي قرية قبر الست التي ذكرها ابن طولون ويقول ياقوت : فيها
قبر الست زينب بنت فاطمة · ويقول دوسو هي في جنوب
الجنوب الغربي من دمشق انظر ص ٣١٠

سبينة وسبينات: لم يذكرهما ياقوت وهما جنوب دمشق وفيها اقنية رومانية
انظر Dussaud ص ٣١٢

سبعة : ذكرها ياقوت ص ٢٥٤ وقال دوسو ص ٣١٢ : هي جنوب الحيارة
وتحديدها يبين لنا حدود بيت الابار التي تشمل على عدة قرى
كانت شرقي وجنوب شرقي دمشق ·

سكاء : ذكرها ياقوت وقال دوسو ص ٣١١ : هي شمال غرب الغسولية
وقد وجد فيها آثار رومانية ترجع الى القرن الثالث المسيحي
وكنيسة للقديس بولص انظر .Le Str ص ٥٢٨

الشغونية : شمال جسرين ذكرها دوسو ص ٣١٢

الصفوانية : يقول دوسو ص ٣٠١ انها عند باب توما وهي التي يسمونها
الآن الصوفانية بين باب توما والمستشفى الانجليزي

صحنايا : لا يذكرها ياقوت وهي اليوم جنوب داريا

صهيا : جنوب قبر الست ذكرها دوسو ص ٣١١

الضمير : قرية أثرية هامة جداً اطال دوسو الكلام عنها وعن آثارها وأهميتها ص ٣٠٠ و ٣٠١ وقال لعلها مدينة Admedra التي كان لها اهمية كبرى منذ القرن الأول للمسيح وفيها هيكل مؤرخ بناؤه بـ ١٥ اكتوبر سنة ٢٤٥

العبادة : من قرى المرج

العبادية : هي شمال غربي العتيبة ذكرها ياقوت ٣/ ٥٩٩ و Dussaud ص ٢٩٣ و Le Str. ص ٣٨٢

الغسولية : هي جنوب شرقي سكاء

القصرين : قال دوسو ص ٩ ٣ : هي قرب بحيرة الهيجانة بجانبها تل المسطبة ذو الآثار القديمة

قرحتا : شمال غرب الغزلانية ذكرها ياقوت و Le Str. ص ٤٧٩ Sauvaire 1894,II,237 و Porter ١/ ٣٩٣

القاسمية : جنوب الجرباء وربما اعتبرت من قري المرج وبها مسجد لطيف وقال دوسو ص ٣٠٩ : هي شرقي تل الصالحية

كفر بطنا : قال دوسو ص ٣٠٤ : هي من اقليم داعية شرقي حمورية انظر ياقوت ٤ ص ٢٨٦ و Le Str. ص ٤٦٩

مسرابا : ذكرها ياقوت وقال ان ابن عساكر ذكرها في تاريخه ونسب اليها احمد بن ضياء المسرابي وبها جامع حسن .

مديرا : لم يذكرها ياقوت وانما ذكرت في السالنامة وهي شرقي دوما وقال دوسو ص ٣٠٥ : ينبغي أن يفرق بينها وبين معديرا

المرج : قال دوسو ص ٣٠٦ : هي المراعي التي تحيط بالغوطة وأشهرها مرج عذراوجنوبيه مرج راهط وقد أطال في كلامه عنها ص ٣٠٦ و ٣٠٧

النشابية : هي شرقي تل الصالحية وبها مسجد لطيف

نولا : هي جنوب حرستا القنطرة (يقال لها اليوم نولة)

النحاسية : 〃 〃 〃 〃

(ب)

الأبرشية : يقول Dussand ص ٢٩٣ : ينبغي البحث عنها حول دمشق أو لعلها خارج الغوطة انظر ياقوت ٥/١١ و Le Str. ص ٣٨٢ [1]

أرض عاتكة : هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية . كانت قرية خارج باب الجابية ولعاتكة قصر فيها انظر Dussaud ص ٢٩٤

أرض الأوزاع : دخلت في دمشق من جهة باب الفراديس انظر Dussaud ص ٢٩٤

بيت سابا : قال ياقوت : من اقليم بيت الآبار عند جرمانس وكان ليزيد ابن معاوية بها قصر انظر Dussaud ص ٢٩٥

بيت الآبار : جمع بئر قال ياقوت : من غوطة دمشق كورة فيها عدة قرى خرج منها غير واحد من أهل العلم وقال دوسو ص ٢٩٤ محلها مجهول

بيت قوفا : قال ياقوت : من قرى الغوطة نسب اليها بعضهم قوفانيا ذكرها دوسو ص ٢٩٥ ولم يعرف موضعها

بجّ حوران : ذكرها ياقوت ٤٩٦/١ وقال دوسو ص ٢٩٤ : انها مجهولة عندي وينبغي ان تكون في اقليم باناس عند باب دمشق (؟)

تُقلبين : قال ياقوت : موضع في غوطة دمشق قال احمد بن منير :
فالقصر فالمرج فالميدان فالشرف الأعـــــلى فسطرا فجرمانا فقلبين [2]

تلفياثا : قال ياقوت من قرى الغوطة ورد ذكرها في حديث ابي العميطير انظر دوسو ص ٣١٢

جامع : ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها ويقول دوسو ص ٢٩٩ هي من قرى المرج وانظر Le Str. ص ٤٦١

حَرْلان : يقول دوسو ص ٣٠٢ : ذكرها ياقوت وقال انها من الغوطة وفيها

---

(١) وهي داخلة اليوم في أرض حوش الريحان من قري المرج (المجمع العلمي العربي)

(٢) يذكر ياقوت قرية في الغوطة باسم (تلبين) [بالتاء] ولا شك في انه اختلط عليه الأمر فذكرها في الموضعين .

مات چان اسقف زيزا (?) والأستاذ Honigmann يعتقد انها مأخوذة من الكلمة اليونانية ['Apλvn] وقد ترددت هذه الكلمة مرات في كتاب ياقوت وصححها الناشر بكلمة [خولان] وقد أطال دوسو في الكلام عنها وعن تاريخها وتحريف اسمها فارجع اليه اذا شئت [1]

حَلَفِيَاتَا : ذكرها ياقوت ولم يعين الموضع وقال ان فيها قبر كناز الصحابي وانظر دوسو ص ٣٠١ و Le Str. ص ٤٤٧

حميريين : ذكرها ياقوت وقال انها قرية متهدمة وانها على طريق كفرسوسية وقال دوسو ص ٣٠٢ وربما كانت في ضواحي دمشق

حوش الصالحية : ذكرها دوسو وقال لعلها هي تل الصالحية انظر ص ٣٠٢

〃 المأمونية : 〃 〃 ولم يعين موضعها 〃 〃

〃 الخياط : 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃

〃 خميسيني : 〃 〃 〃 〃 〃 〃 ص ٣٠٥ وذكرها Sauvaire 1894,II,260

دير أبان : ذكره ياقوت وقال نقلاً عن ابن عساكر : انه ابان بن عثمان بن حرب وانه كان يسكن عند قرحتا وذكره دوسو ص ٢٩٧ ولم يعين موضعه و Le Str. ص ٤٢٧

دير بشر : ذكره ياقوت وهو غربي حجيرا وذكره دوسو ص ٢٩٧ و Le Str. ص ٤٢٨

دير بُونَّا : 〃 〃 وقال هو بجانب الغوطة في انزه مكان وهو اقدم ابنية النصارى يقال انه على عهد المسيح او بعده بقليل وهو صغير ورهبانه قليلون ذكره دوسو ص ٢٩٧ و Le Str. ص ٤٢٨

دير حنينة : وقال هو قرب دمشق ولم يعين موضع وكذلك دوسو ص ٢٩٧ و Le Str. ص ٤٢٩

---

(١) ولعلها حردان فان نهر حردان فوق سقبا (المجمع) .

دير فَطْرُس ودير بُولَس : ذكرهما ياقوت وقال: قال ابو الفرج هذان الديران بظاهر دمشق بنواحي بني حنيفة من ناحية للغوطة وانظر دوسو ص ٢٩٧

دير قيس : قال ياقوت : هو بالغوطة من مساكن خولان وقد بحث دوسو ص ٢٩٨ في كلمة (خولان) بحثاً مطولاً فارجع اليه ٠

دير صليبا : انظر دير خالد الآتي ٠

دير محمد : قال ياقوت :من نواحي دمشق ٠ وقال ابن عساكر : هو محمد بن الوليد الأموي واليه تنسب المحمديات [انظر هذه الكلمة] التي فوق الارزة ، ودير محمد الذي عند المنيحة من اقليم بيت الآبار ٠ وانظر دوسو ص ٢٩٨

دير مران : قال ياقوت: بالقرب من باب الفراديس مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة انظر دوسو ص ٢٩٨

دير خالد : قال ياقوت: وكان يسمى قبل نزول خالد بن الوليد بدير صليبا ٠ أقول: وموضع هذا الدير خارج بابي توما والشرقي ولا يزال أثر هذا الدير في مسجد يسمى بمسجد خالد أو الخالديات أمام ضريح الشيخ رسلان ٠ انظر كتابنا ثمار المقاصد وانظر كتاب دوسو ص ٢٩٧ و. Le Str ص ٣٤٠

دير هند : قال ياقوت : من قرى غوطة دمشق من اقليم بيت الآبار ٠ انظر دوسو ص ٢٩٧ و .Le Srt ص ٤٢٩

دير زكا : ذكره دوسو نقلاً عن ياقوت في ص ٢٩٨ ولم يعين موضعه ٠ اقول ولعله محرف عن (دير سكا) انظر هذه الكلمة

رحبة خالد : قال ياقوت : قرية من قراها بينها وبين دمشق ميل خربت ٠ وقال دوسو: ولعلها رحبة خالد المعروفة بدمشق ٠ انظر كتابنا ثمار المقاصد

السفليون : ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها وذكرها دوسو ص ٣١٢ و .Le Str ص ٥٣٧

سيام : (بالسين) ذكرها ياقوت وقال هي بالغوطة قرب دمشق وان الحافظ ابا القاسم بن عساكر كان يسكنها وانظر ما قال دوسو عنها ص ٣١١ و .Le Str ص ٥٣٠

ساقي : ذكرها ياقوت ٣/١٠٥ و Le Str. ص ٥٢٨ ودوسو ص ٣١٢ ولم يعينوا موضعها

السطح : ذكرها ياقوت ٣/ ٩٠ وقال : هي في الغوطة شمال باب توما في منطقة بيت لهيا ، وهناك قرية أخرى بهذا الاسم بين الكسوة وغباغب ذكرها دوسو ص ٣١٢ و Le Str. ص ٥٢٨

سطرا : ذكرها ياقوت ٣/٩٠ و Le Str. ص ٥٢٨ ودوسو ص ٣١٢ حيث يقول انها في منطقة سطح من بيت لهيا وقد خربت . انظر Sauvaire 216 , II , 1894 وانظر أيضاً (مقرا)

صبيبة : ذكرها دوسو ص ٣١٢ وقال : انها تسمى أيضاً قرية تميم .

طرميس : ذكرهاياقوت ولم يعين موضعها . انظر ماقال دوسو عنها وعن اسمها ص ٣١٢

طـيرا : ذكرها " " "

الفضلية : ذكرها دوسو ص ٣٠١ . وفى السالنامة لها ذكر انظر Sauvaire 238 , II . ويقول دوسو : لعلها القرية التي يذكرها Sauvaire عند الميدان باسم الفصيلة [1] .

فذايا : قال ياقوت : هدمت منذ زمن طويل وقال دوسو ص ٣٠١ كانت فوق مقبرة اليهود انظر Le Str. ص ٤٣٨ و Sauvairc 212 II .

الفندق : قال ياقوت : هي من قرى الغوطة وقال دوسو ص ٣٠١ لم اهتد الى محلها وانظر Le Str. ص ٤٣٩

قرية تميم : وهي الطيبة ذكرها دوسو ص ٣١٢ ولم يعين موضعها .

قريةالحميرا : ذكرها صاحب مراصد الاطلاع ٢/٤٠٤ وقال دوسو ص ٣٠٩ لم أهتد الى محلها وانظر Le Str. ص ٤٨١

قصربني عمر : ذكرها ياقوت ٤/ ١١٠ و Le Str. ص ٤٨٢ وقال دوسو ص ٣٠٩ لم أهتد اليه .

---

(١) ولعلها الفضالية قرب حوش المتين [المجمع العلمي العربي] .

قصر اللباد: ذكره Sauvaire 402 I 1894 وقال دوسو ص ٣٠٩ : قال بعضهم هو دير وقال آخرون هو قرية خربة شرقي مقرا

الماطرون: قال ياقوت : من قرى دمشق ولم يعين موضعها وقال دوسو ص ٣٠٦ هو حول دمشق . انظر .Le Str ص ٥٠٨

المصيصة : قال ياقوت : من قرى غوطة دمشق كانت شرقي بيت لهيا ذكرها دوسو ص ٣٠٦ و .Le Str ص ٥٠٨

المسعودية : يقول دوسو ص ٣٠٦ : هي في المرج وورد ذكرها في بعض الكتابات الحجرية فقط .

ميدعا : غربي البحيرة ذكرها دوسو ص ٣٠٦ وقال ان ياقوت قال انها في منطقة خولان .

الميطور : قال ياقوت : من قرى دمشق قال عرقلة الدمشقي :

وكم ليلة بالماطرون قطعتها ويوم الى الميطور وهو مطير

النمرانية : قال ياقوت هي منسوبة الى نمران بن زيد وقد أقطعها اياه معاوية

م . أسعد طلس

القنصل الأول في المفوضية السورية بطهران



تصويبات لأخطاء وقعت في القسم الأول :

١ : صفحة (١٤٩) سطر : ٢٢ (حرستا القنطرة)

٢ : 〃 (١٥٥) 〃 ٦ (المَغَل)

مخطوطات ومطبوعات

موجز الاقتصاد السياسي

تأليف الدكتور احمد السمان

أستاذ الاقتصاد السياسي في معهد الحقوق العربي بدمشق

صفحات هذا الكتاب ثلاث مئة واربع صفحات من القطع المتوسط

وطأ الدكتور السمان لكتابه بمقدمة بحث فيها عن علم الاقتصاد : اصله ، وتعريفه ، وتصنيفه . فكان من جملة ما قال فيه : « انه علم جديد ، وضعه المؤلفون في فجر النهضة الحديثة ، وليس هذا يعني ان أبحاثه لم تطرق من قبل ، فقد عرفت المدنيات القديمة حياة اقتصادية باهرة ، وأبحاثاً اقتصادية هامة . وقد ترك لنا ارسطو واورسم أبحاثاً بارعة في النقد . ثم ان التراث العلمي العربي طافح بالكثير من الأبحاث الاقتصادية الصرفة ، ولا سيما مقدمة ابن خلدون ، ومؤلفات المقريزي ، وابن الهيثم ، ويمتاز ابن خلدون بوضعه نواميس ونظريات عامة للشؤون الاقتصادية لم تفقد الى اليوم روعتها وجلالها ... ولكننا إذ نقول : ان الاقتصاد علم جديد ، نذهب الى انه أصبح علماً مستقلاً ذا طرائق وأساليب ونظريات خاصة ، منذ القرن السابع عشر ، اي منذ الانقلاب التجاري الذي عم العالم ، بعد اكتشاف العالم الجديد » . وأشار المؤلف في مقدمته هذه الى المراحل التي مرت على الاقتصاد من : قيد أو اطلاق .

وانتهى من مقدمته هذه الى البحث في بيئة الحياة الاقتصادية ، من حيث اختلاف عناصرها : الطبيعية ، والحقوقية ، والفنية ، والبشرية . وعرض لتقسيم العمل وتطوره وأشكاله ؛ وللتنظيم العملي للعمل ، ولاستخدام الآلات ونتائجه ؛ وللنطاق البشري ؛ وللهجرة اوأسبابها ونتائجهـا ؛ وللاكراه الاقتصادي ، وما يتفرع عنه من نظام

الطبقات ، ونظام الأصناف ، ونظام الحرية الاقتصادية ومستلزماتها ، والملكية الخاصة او وسائل الانتاج . وهو القسم الأول من الكتاب .

وأما القسم الثاني فقد تناول : النقد وأصوله ، من عهد المقايضة الى عهد النقد المعدني ، فالنقد الورقي واصله، واصداره، ورقابة الحكومة ، والصك (وهو الشك [1]) وطريقته والتضخم النقدي . وتعرض لاصلاح أنظمة النقد ، وللحلول التي تراها بعض الحكومات . وأشار في أحد فصول هذا القسم الى انفصال الليرة الاسترلينية عن الذهب في سنة ١٩٣١ . وما كان من نتائج ذلك ومن اثره في الحياة الاقتصادية البريطانية ، ثم ما كان من ذلك يوم انفصل الدولار عن الذهب في سنة ١٩٣٣ . وختم أبحاثه بالأسعار وقانون العرض والطلب ، والعلاقة بينهما بين الأسعار . وقرب هذه الأبحاث الى الأذهان بجداول رقمية ، وعزز كثيراً من أقواله بأقوال مشهوري علماء الاقتصاد وآرائهم وأنظارهم .

عارف النكدي



(١) قلنا : الشك [chèque] كلمة فرنسية ، قالت معاجم هذه اللغة : انها منقولة عن الانكليزية ، وقالت هذه : انها منقولة عن الفرنسية القديمة أو العربية أو الفارسية . وفي الحق أن اللفظة قديمة في العربية وهي منقولة اليها عن الفارسية . وفي لسان العرب : والصك : الكتاب ، فارسي معرب وجمعه : أصك ، وصكوك وصكاك . قال أبو منصور : والصك الذي يكتب للعهدة ، معرب ، أصله [چك] ويجمع صكاكاً وصكوكاً . وكانت الأرزاق تسمى صكاكاً لأنها كانت تخرج مكتوبة . ومنه الحديث في النهي عن شراء الصكاك والقطوط . وفي حديث أبي هريرة ؛ قال لمروان : أحللت بيع الصكاك ؟ وهي جمع صك وهو الكتاب ، وذلك ان الأمراء كانوا يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتباً فيبيعون ما فيها قبل أن يقبضوها معجلاً ويعطون المشتري الصك ليمضي ويقبضه ، فنهوا عن ذلك لأنه بيع ما لم يقبض) فاستعمال الصك (للشك) هو رجع الشيء الى أصله ، واستعمال في محله .

الوقائع والنظريات الاقتصادية في العصر الحديث

تأليف الدكتور احمد السمان

وهذا كتاب آخر للدكتور السمان ، يقع في ثلاث مئة وست وعشرين صفحة من القطع المتوسط . بسط فيه المؤلف الوقائع والأنظار الاقتصادية في العصر الحديث . والأستاذ راض عن كتابه هذا ، وهو يعده خير كتاب وضعه . والكتاب أقسام ثلاثة ، تنطوي على أبواب ثم فصول .

فالقسم الأول ، من أبحاثه : الحياة الاقتصادية في القرون الوسطى ، صدر كلامه فيها بكلمة ممتعة منها : « يكاد المؤرخون يجمعون على ان أظلم فترة في تاريخ أوربة تقع في صدور القرون الوسطى (القرن الخامس حتى الحادي عشر) فقد ساد اوربة ليل طويل لا يشع فيه فكر ، ولا يلمع فيه قبس من حياة . وقضت الغزوات الجرمانية على الحضارة الرومانية ، واعقب السلطان السياسي الموحد الوف من الاستقلالات المحلية الاقطاعية . . »

وبعد ان يلقي المؤلف نظرة عاجلة على الوضع الاقطاعي الداخلي في اوربة ، يخلص منه الى الناحية الخارجية فيقول : « اما من الوجهة الخارجية فمع القرون الوسطى تبدأ سيادة العرب البحرية في المتوسط ، اذ تطلع المسلمون لتكوين قوة بحرية تنزع السيادة من بيزنطية وتعينهم على اخذ نصيبها من تجارة العالم . ففي عهد معاوية الأول احتلوا قبرص (٦٦٠) وظفروا بالأسطول البيزنطي في واقعة ذات السواري التي أتاحت لهم فتح رودس ، وبلغوا حتى اقريطش . ثم سارت الأساطيل من المهدية في افريقية ومن الأندلس تنتزع الجزر والسواحل ، وتشد أزر الجيوش البرية التي تغزو سواحل فرنسة الجنوبية (٧٣٢) . ثم يعيدون الكرة بعد مقتل عبد الرحمن الغافقي فيحتلون شاطئ البروفانس ، ويستمر هجومهم على صقلية طويلاً (٧٣٠ — ٧٥٣) ثم يحتلها الاغالبة ويحتلون الباليار (٧٩٨)

ويحتلون مسينة بمعاونة النابوليين (٨٣١) ثم يغزون ساحل ايتالية ، وينزلون في تارنتة (٨٣٨) ثم في باري بعد تحطيم اسطول البندقية وبيزنطية (٨٤٠) ويصلون في منتصف القرن التاسع الى غزو ايتالية الوسطى ، ويقفون أمام أسوار رومة وكنيسة القديس بطرس (٨٤٦) ويبقون محتفظين بنفوذهم في البحر حتى القرن الحادي عشر ، حين بدأت سفن الصليبيين تحتل جزر البحر المتوسط وشواطئه» .

وينقل قول ابن خلدون في هذه الفتوحات العربية ، ثم ينتهي من هذا التمهيد الى وصف الحالة الاقتصادية فيقول :

«كان الاسلام في هذا العهد يؤلف عالماً لوحده (وكان العراق عين الدنيا) كما يقول الثعالبي . وكان المسلمون بعد ان ركزوا اعلامهم على اقسام العالم الثلاثة . واطمأنوا الى الفتح ، فكروا في المساهمة بخيرات العالم وتجاراته ، ونسوا زهدهم الماضي ، وأقبلوا على الترف والبذخ ، فبدأت النهضة التجارية في العهد العباسي . .»

ويمضي المؤلف في وصف مدن العرب وأسواقهم التجارية في تلك الايام وصفاً تاريخياً علمياً ، لا نجيز لأنفسنا ان نختصر شيئاً منه ، مخافة ان نفكك هذه الحلقات الاقتصادية التي يبسطها المؤلف بسطاً متصلا متسلسلاً ، فنشوه من محاسنها ، ولا المقام يتسع فنأتي بها منقولة بجملتها ، بل حسبنا ان نحيل القارئ الى الكتاب نفسه ، يغترف من مائه العذب ، وحقائقه العلمية .

وينتقل الأستاذ السمان بقرائه من عصر اقتصادي الى عصر ، ومن انقلاب الى انقلاب . يبحث الانقلاب النقدي ، والاستعمار الاقتصادي الأوربي : دولة دولة ، وقرناً بعد قرن . ويعرج على اميركة فيذكر اكتشافها وأثره في الحياة الأوربية ، والتطور الصناعي : مراحله ومظاهره وأسبابه ومسبباته ، وأثر الآلات فيه ؛ والمواصلات ووسائلها ، والأسباب الاقتصادية وعواملها الأساسية . والانقلاب الحقوقي ، والحريات : الشخصية والاقتصادية والتجارية ، وحق الملك ، والرأسمالية ، وتفوق بعض الدول واسبابه ؛ وتحول الاقتصاد من قومي الى عالمي .

وفي القسم الثاني : شرح الأزمة الاقتصادية الحديثة وعواملها ، وخلل التوازن

والعقبات الكمركية[1] والنقدية والمالية، ويبسط بعض المذاهب الاقتصادية بما لها وما عليها.

وفي القسم الثالث : عالج اصلاح النظام الاقتصادي الحديث في مختلف وجهاته عند كثير من الدول .

فمباحث الكتاب كلها قيمة . وهي مما نحتاج اليه في نهضتنا الحاضرة ، اذ النهضة لا تكون صحيحة إلا اذا هي قامت على دعامة ثابتة من الاقتصاد .

والشيء الذي كنا نرجو ان يهتم له الأستاذ ، فيتبسط فيه ، هو وضعنا الاقتصادي الحاضر : علله وأدواؤه ، فيوفي الموضوع الاقتصادي العربي حقه في حاضره ، كما وفاه حقه في غابره . وعسى ان يفعل ذلك في طبعة جديدة .

اننا نشكر للأستاذ فضله وجهده ، ونشاركه رأيه في كتابه بأنه امير كتبه ، بل هو من عيون الكتب التي ألفت في هذا الباب عندنا .

ع . ن



الياذة هوميروس

كتاب من القطع المتوسط ، يقع في قرابة ثلاث مئة صفحة ، وضعه بالانكليزية (الفرد تشرشل) أستاذ اللغة اللاتينية في جامعة لندن ، ونقلته الى العربية السيدة عنبرة سلام الخالدي .

والياذة هوميروس من الشهرة بالمنزلة التي لا تحتاج معها الى وصف ولا تعريف ، فهي على ما جاء في التمهيد التاريخي الذي قدم الكتاب به : اول الشعر القديم وأعظمه ، ولعلها أعظم شعر على الاطلاق ، قديماً كان أو حديثاً .

وقد فصل هذا التمهيد الموفق ، موضوع هذه الملحمة . وهو يدور على الحوادث

(١) استعمل المؤلف [الجرك] بالجيم متابعة لما جرت عليه الصحافة والدوائر الحكومية عندنا تقليداً أعمى لمصر . والذي نعرفه وكنا عليه الى ما قبل هذه الأيام الأخيرة ، في قوانيننا ، وفي استعمالنا لفظاً وكتابة ، أن نكتب الكمرك بالكاف لا بالجيم . والكلمة فارسية أخذها الترك بلفظها الأصلي أي الكاف الفارسية [گ] وهي تلفظ ما بين الكاف والغين كالـ [g] الفرنجية ، ومن حق المصريين أن يكتبوها بالجيم ، فتبقى على لفظها الأصلي . ولا وجه لكتابتها عندنا بغير الكاف .

التي وقعت نحو سنة ١٢٠٠ او ١١٠٠ قبل الميلاد . اثناء حرب نشبت حول مدينة اليون - وهي الحرب المشهورة بحرب طروادة .

وذكر كذلك الممالك التي كانت قائمة في ذلك العهد . وما كان فيها من شعوب ، وما كانت لهم من لغات .

وقد وفقت السيدة الخالدية في ترجمتها توفيقاً تشكر عليه . اذ جاءت عبارتها جلية واضحة ، دلت على طول باعها في الترجمة ، كما عرفت من قبل بالأدب والفضل .

ع . ن



كتاب المؤتمر الأول للمحامين العرب

طبعته نقابة المحامين بدمشق

كان من أعمال الأستاذ مظهر القوتلي الرائعة أيام كان نقيب المحامين بدمشق ، ان دعا الى عقد مؤتمر يجمع المحامين العرب ، الغرض منه دراسة عملية قومية لتوحيد الاتجاه في التشريع ، وانسجام الأوضاع الحقوقية في البلاد العربية .

وقد تم الأمر على خير وجه ، فوفق المؤتمر توفيقاً كبيراً في ترتيبه وتنظيمه . وضم النخبة المختارة من المحامين العرب في الشام : سورية ، وشرق الأردن ، وفلسطين ، ولبنان ، وفي مصر والعراق ؛ وألقيت المحاضرات الممتعة في الجلسات الست التي عقدها المؤتمر .

دارت الأبحاث في الجلسة الأولى ، على الصلات القضائية بين البلدان العربية ، وفي الجلسة الثانية على الحقوق التجارية ، وفي الثالثة على الحقوق المدنية ، وفي الرابعة على توحيد المصطلحات الحقوقية ، والخامسة على الوضع المسلكي للمحاماة ، ثم كانت الجلسة الختامية التي انتهت بقرارات المؤتمر الأول للمحامين .

ثم كان بعد ذلك ماذا ؟

كان لاشيء ، فلا القوانين العربية المختلفة درست دراسة تقرب مسافة الخلف بينها ، ولا المصطلحات وحدت ، فأثبتنا مرة أخرى ، ان هذه الشعوب العربية ، أمة تحسن القول ، ولا تحسن العمل .

ع . ن



سلسلة الفكر الحديث (٧)

عصر الخرافة الذي نعيش فيه

الكتاب الأول

تأليف : جستاف شتلبر ، تعريب : محمد علي أبودرة ومحمد بكير خليل

راجعه : محمد عبد الواحد خلاَّف

جاء في مقدمة التعريب ان الدكتور « جستاف شتلبر » المستشار الاقتصادي في مدينة نيويورك قد تمكن بسبب حياته الحافلة من الالمام التام بالأوضاع الاقتصادية والسياسية في أوربة وأميركة فهو خير من يعالج هذه الموضوعات .

تصدّى المؤلف في كتابه الأول للمذاهب والنظريات السياسية والاقتصادية التي يموج بها العالم وتتصارع الدول من أجلها فيردها الى اصولها ويبين الأدوار التي مرّت بها وهو يحرص الحرص كله على ان يكشف عما تشتمل عليه هذه المذاهب والنظريات من زيغ وخرافة ولكنه يميل الى التهكم والهدم .

لا يؤمن المؤلف بالاشتراكية أو وضع خطط تنظم حياة الفرد وتمكن الدولة من السيطرة عليها وانما يرضى بشيء يسير من تدخل الحكومة لتوفر للفرد قسطاً من السعادة أوفر ، وهو يؤمن أشد الايمان بالحرية الفردية ويدافع عن الرأسمالية الحرّة متصوراً اياها انها النظام القويم والأساس السليم الذي يمكن ان يبنى عليه عالم تشيع فيه السعادة والثقة والطمأنينة والأمن والسلام ، وهو مع هذا كله لم يحجم عن بيان مثالب الرأسمالية وشوائبها ولو سلمت من هذه المثالب والشوائب لكانت نظاماً مثالياً رائعاً .

والكتاب يتضمن ثمانية فصول تصوّر أعظم ماله صلة بحياتنا الاقتصادية والسياسية .

شفيق جبري

سلسلة الفكر الحديث (٨)

عصر الخرافة الذي نعيش فيه

الكتاب الثاني

تأليف : جستاف شتلبر · تعريب : محمد علي أبو درة ومحمد بكير خليل

راجعه محمد عبد الواحد خلاف

يشتمل الكتاب الثاني من عصر الخرافة على سبعة فصول وهي تتمة ما اشتمل عليه الكتاب الأول من المذاهب والنظريات الاقتصادية والسياسية ·

تبحث هذه الفصول عن الدول المجدودة والدول المحرومة وعن الأسباب الاقتصادية للحرب وعن الامبراطورية البريطانية وعن التنظيم السوفييتي وعن المعجزة الألمانية وعن الديمقراطية الهزيلة والدكتاتورية القوية والفصل الثالث عنوانه هل تسير انجلترة الى الوراء ·

والكتاب الثاني مثل الكتاب الأول في التعرض لبعض الأفكار المسيطرة على العقول وهي بمنزلة الخرافات ، فالمؤلف يقضي على هذه الأوهام ويرد الأمور الى مستقرها ، من ذلك الخرافة الوارد ذكرها في الفصل الأول وهي خرافة الذهب والعمل ، فبعض الدول تتهم بريطانية بالتمسك بمعيار الذهب مع انها خرجت عن قاعدة الذهب في حرب ١٩١٤ ورهنت كل ما تملكه من الذهب ·

وهكذا شأن المؤلف في الموضوعات التي عالجها فانه يبين الخرافات الاقتصادية والسياسية المسيطرة على العقول في عصرنا هذا ثم يهدي الناس سواء السبيل فيها ·

ش · ج



سلسلة الفكر الحديث (٩)

كيف يعمل العقل (الكتاب الأول)

تعريب : الدكتور رياض عسكر

تضافر على وضع هذا الكتاب نخبة صالحة من أكبر علماء النفس البريطانيين ،

وقد تفرغ كل واحدٍ منهم للموضوع الذي اختص به فأصبح الكتاب بهذا العمل عمدة ، كان الكتاب في الأصل محاضرات ألقيت في دار الاذاعة البريطانية ثم جمعت فجاءت خالية من المصطلحات المعقدة والمشاكل العويصة فلا يحتاج فيها القارئ الى عناء الذهن فقد يسهل عليه إدراك كل ما له صلة بالمسائل التي تجول في خاطر الانسان وتمس تفكيره ومشاعره وعواطفه ، أي حالته النفسية بأجمعها .

هذا ما أشار اليه معرّب الكتاب الدكتور رياض عسكر في المقدمة ومما يزيد في الثقة بالتعريب ان الكتاب قسم قسمين ، عرّب الدكتور عسكر قسماً وعرّب الأستاذ محمد خلف الله قسماً وراجع كل واحدٍ منهما ماعرّبه الآخر توخياً للدقة والضبط .

يشتمل الكتاب على عشرة فصول تعاون على كتابتها ثلاثة أساتيذ : الاول أستاذ علم النفس بجامعة لندن والثاني رئيس المجمع الدولي للتحليل النفسي والثالث الرئيس الفخري لعيادة شرق لندن السيكولوجية لإرشاد الأطفال ، عرّب الدكتور عسكر الفصول الثمانية وعرّب الأستاذ محمد خلف الله الفصلين التاسع والعاشر . وهذه هي موضوعات الفصول : يبحث الكتاب الأول عن الحياة العقلية — شعورية ولا شعورية — عند الكبير ، فيبين الطرق التي تستعمل في دراسة عقول الآخرين وفي دراسة المرء لعقله ويصوّر الأسس التي يقوم عليها التحليل النفسي وآثار العقل الباطن في الحياة الانسانية ويبحث عن الأحلام وما لها من دلالات ، وعن عقل الطفل وما يزوّد به منذ نشأته من ميل وقوة وما لبيئة الأسرة من أثر في تكييف سلوكه وعن مخاوف الأطفال ولعبهم وعمل الغريزة والعادة في حياتهم .

هذا الوصف الظاهر للكتاب أما قيمته فلا يمكن تلخيصها في سطور فلا بدّ للقارئ من قراءة الفصول كلها حتى يعرف عظمة الموضوعات النفسية فيها وبساطة عرضها وتصويرها .

شي . ج

سلسلة الفكر الحديث (١٥)

كيف يعمل العقل (الكتاب الثاني)

تعريب محمد خلف الله

انفرد بوضع هذا الكتاب الدكتور « سرل برت » أستاذ علم النفس بجامعة لندن وعرّبه الأستاذ محمد خلف الله والمعرّب قرأ في الأصل على الدكتور « برت » فعرف في أسلوبه دقة العلم ورقة الفن وفي شخصيته حسن المحاضرة وجاذبية الحديث على نحو ماقال .

واذا أراد القارئ ان يعرف طابع الكتابين ، الأول والثاني فليقرأ ما كتبه الدكتور « برت » في المقدمة :

« كان غرضنا الأساسي أن نبين في أمثلة بسيطة وعبارة واضحة كيف نما الاهتمام بفهم طرائق العقل الانساني في سلوكه حتى أصبح دراسة علمية جادّة وأن نعرض الآثار التطبيقية لنتائج هذه الدراسة على معضلات الحياة اليومية ، ان المدنية الحديثة قائمة على العلم واذا كان يراد لها ان تستمر فيجب ان يوجه التفكير العلمي الى دراسة الانسان كما وجه من قبل الى دراسة الطبيعة غير الحية » .

أشار الأستاذ خلف الله الى الموضوعات التي عالجها « برت » في الكتاب الثاني فقد عالج أهم نواحي الحياة الاجتماعية واختار من بين هذه النواحي ميادين الفروق العقلية بين الشعوب والطوائف الاجتماعية والجنسين ، وعالج الأسس العقلية العامة في السياسة والفن والدين ونبه على ان هذه المعضلات لكل انسان من التفكير فيها نصيبه ورأيه ولكن الدراسات العلمية الحديثة قد أخضعت كثيراً من ظواهرها للبحث والتجريب وكانت مهمة واضع الكتاب كما يقول ان يصف في اختصار احدث نتائج هذه الدراسات وأجدرها بالاعتبار وان يبين الاتجاه الذي تتجه اليه المباحث الحاضرة فيها

وما أصدق ما تمناه المعرّب في آخر المقدمة اذ قال : ولعلّ نقل أمثال هذه البحوث الى العربيه يحدث أثره المطلوب في توجيه الانتباه في مصر والشرق العربي الى دراسة الانسان دراسة علمية منظمة والى اقامة نواحي الحياة من سياسة واصلاح واجتماع على أسس الفطرة القوية كما يكشف عنها البحث العلمي الصحيح ،

ش . ج

بين العلم والأدب

قدري حافظ طوقان

جمع الأستاذ قدري حافظ طوقان ما نشره من المقالات في طائفة من المجلات وما ألقاه وأذاعه من الأحاديث في بعض دور الاذاعة في كتاب سماه : بين العلم والأدب ، وأمله الوحيد ان يرى المتعلمون والمثقفون في هذا الكتاب عاملاً من العوامل التي تعينهم على تحقيق رسالتهم القومية ، وان يجد فيه النشء ما يحملهم على السير في الحياة على أسس من الخلق المتين والاخلاص للحق والحقيقة .

وسواء أعالج بعض موضوعات الرياضيات والطبيعيات أم عالج بعض الموضوعات الفكرية انه توخى السهولة في كل ما كتبه حتى تكون العلوم قريبة من الأذهان خالية من التعقيد بحيث تدركها العقول دون شيء من العناء .

ولقد وقفت على مقالة : الى المتعلمين والمثقفين فشاهدت ما شاهده المؤلف نفسه فإن أكثر الذين يحملون الشهادات من طبقة الأطباء والمحامين والمهندسين وغيرهم يقولون للكتب العلمية بعد حصولهم على هذه الشهادات : هذا آخر عهد بيننا وبينك ! فكأنهم لا يدرون ان في كل يوم اختراعاً ومذهباً حديثاً وان العلم لا يقف عند حد من الحدود ، فما يكون في الطب ضاراً في هذا اليوم فقد يصبح نافعاً غداً وما يكون في العلم وهماً فقد يصبح حقيقة فالذي لا يتتبع العلم وأطواره ويقتصر على حمل الشهادة فهذا قد انقطعت الصلة بينه وبين سير العلم .

وعلى الجملة فان كتاب الاستاذ حافظ قدري طوقان ينفخ في القرّاء روح العلم ويحببهم اليه .

ش . ج

نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر

محمد مهدي البصير

يحتوي هذا الكتاب على خمسة وأربعين حديثاً اذاعها صاحبها الأستاذ محمد مهدي البصير من دار الاذاعة العراقية ومن دار الاذاعة في يافا .

تتضمن هذه الأحاديث تراجم ثمانية وعشرين شاعراً عراقياً ، وقد عانى المؤلف ما عاناه في سبيل الحصول عليها لأن تأريخ أصحاب هذه التراجم غامض وأحوالهم غير معروفة على صورة واضحة فمنهم من كانت تراجمهم مطولة حافلة ولكنها متناقضة مضطربة ومنهم من كانت تراجمهم مختصرة ومنهم من ليس له ترجمة فاعتمد المؤلف في دراسة حياتهم على آثارهم قبل كل شيء . وقد نظر في التراجم المطولة المتناقضة والمختصرة المقتضبة فاستخلص منها ما يمكن استخلاصه مما له قيمة تأريخية وعمد الى الأخبار فمحصها حتى يكاد القارئ يستطيع ان يجد في الكتاب على قدر الامكان صورة واضحة لأصحاب التراجم .

أما شعر الشعراء الواردة تراجمهم فيغلب عليه طابع عراقي وأعني بهذا الطابع حسن الديباجة حتى كاد بعض النقاد يفضلون طائفة من الشعراء الذين ترجم لهم المؤلف على المتنبي والمعري والشريف الرضي وفي هذا شيء من الشطط فان هؤلاء الشعراء ما استضاؤا إلا بضياء الشريف الرضي وأمثاله ولا غرفوا إلاّ من بحره .

ش . ج

خيالات

رياض معلوف

أهدى الشاعر خيالاته الى بلاده والى أبيه وأمه .

أما بلاده وهي لبنان فقد وجدت لها أثراً في هذه الخيالات تدل على وصف صادق لها وعلى حب أصدق .

وأما أبوه وأمه فلم أجد لها صورة في شعره ، وانما وجدت صورة لأخيه المرحوم فوزي المعلوف تنم عن مقدار حزنه عليه وما أحلى هذه اليمين التي حلفها :

فوزي ! وحق ثراك والأخلاق والوجه الصبيح !

وعلى الجملة فإن هذه الخيالات لا تخلو من صورٍ حيةٍ تدل على نفس شاعرة وروح رقيقة وذوقٍ لا يشبه هذه الأذواق الحديثة الغريبة .

واذا لم أجد بداً من ذكر نموذج من أبياته فهذه أبيات وقعت عليها عرضاً في خيالاته ولم أجهد في التفتيش عنها ٠

من قصيدة عنوانها : غن يا عصفور !

فأرى شدوك شدوي ... وأرى لحنك لحني

ليت قلبي في جناحيك ... وفي المنقار سني

غن يا عصفور غني ... ثم طر عنك وعني

ش ج

ميسلون

بدر الدين الحامد

أظن ان الشعر العربي لم يؤهل بعدُ للروايات التمثيلية التي أهل لها الشعر الغربي ولذلك فإنا نجد ان الشاعر اذا وضع رواية تمثيلية مثل الرواية التي وضعها الأستاذ بدر الدين الحامد وسماها ميسلون ووصف فيها فجيعة اهل الشام بوطنهم اعترضته عقبات لا يجد سبيلاً الى اقتحامها فيضطر في خلالها الى النزول بالشعر الى حيث لا ينبغي له ان ينزل له ، من هذا الشكل قول الأستاذ بدر الدين الحامد في بعض روايته :

رياق باب دمشق ... محطة للقطار

أو قوله : رياق نقطة وصل ... تفيدنا في الكفاح

أو قوله : قبولنا أفضل من ردنا ... نسعى ويبقى حقنا في الكلام

أو قوله : في حياتي لم أحمل البندقية ٠

وليست قيمة الشعر بكثرة أبياته ولا عيب الشعر بقلة هذه الأبيات فان ثلاثين بيتاً ينصرف الى نظمها الأستاذ صاحب رواية ميسلون فيفرغ فيها شعوره وعاطفته وروحه أقدر على تنبيه شعور القارئ وعاطفته وروحه من رواية تمثيلية يضطر في أبياتها الى مثل ما اضطر اليه من الشعر الذي ذكرته ٠

ويظهر ان الأستاذ بدر الدين الحامد قد عزم على وضع سلسلة من الروايات الشعرية يصور بها لأبناء اليوم ما لقيه آباؤهم من عنت الزمان وجور الحدثان

فأرجو ان يقوى في هذه السلسلة على ما لم يقو عليه في الحلقة الأولى فان من قرأ له أخيراً قصيدته في رثاء صديق له من المغنين يعترف بأن شعره لا يخلو في أحيان من شعور وعاطفة .

ش . ج

أفراح الربيع

ديوان حسن البحيري

أعجبتني كلمة صاحب هذا الديوان في صدر ديوانه وهي : « يابلادي ! اني أكشف الأستار عن بهائك وجلالك وأصف ما فيك من فتنة وروعة لأشعل في قلوب شبابك الغض نار حبك وأفتح عيون ابنائك الصيد على نور جمالك » .

ولكني فتشت في الديوان عن بهاء بلاد الشاعر وجلالها ، وهي فلسطين ، وعن فتنتها وروعتها فلم أهتد الى شيء من ذلك ، لقد تغنى صاحب الديوان بالطبيعة في أكثر قصائده ولكن الطبيعة التي تغنى بها هي طبيعة بلاد كثيرة لا طبيعة فلسطين الخاصة ، وما أظن ان فلسطين شهرت بالبان والاقحوان والكافور والزعفران أكثر من شهرتها بالبرتقال والموز فكنت آمل أن يتغنى الشاعر بحدائق فلسطين الفتّانة وهي « البيّارات » التي لها لونها الخاص وطبيعتها الخاصة .

وهذا نموذج من شعر صاحب الديوان يصف فيه وادي « رشميا » من جبل الكرمل في ضوء القمر :

بوادٍ في ضياء البدْ ر فياض التعاريج
نصبتُ من الأماني الغرّ للذكرى معاريجي
وفي كوكب ليل صيغ من ذوب الدماليج
مدارجه من الخز وأرياش الجباريج
وفي روض من الأحلا م مشبوك العساليج
نعمت بغفوة الذكرى عن النوب المداليج

أظن ان كشف الأستار عن بهاء البلاد وجلالها يحتاج الى نمط من الشعر أقل غرابة من هذا النمط .

ش . ج

تطور الري في العراق

تأليف الدكتور احمد سوسة

من منشورات مجلة المعلم الجديد سنة ١٩٤٦ ، وقد جاء في ٢٣٥ صفحة من القطع المتوسط

« المعلم الجديد » مجلة تربوية ثقافية تصدرها وزارة المعارف في بغداد ، كثيراً ما طالعت فيها مقالات نفيسة للفيف من الأساتذة والكتاب المبرزين . وما كنت أدري قبل الاطلاع على هذا الكتاب أنها تنشر للمؤلفين ما هو جدير بالنشر من كتبهم . ولا شك ان عملها هذا يضيف فائدة جديدة الى فوائدها الكثيرة .

وكتاب « تطور الري في العراق » وضع بادئ ذي بدء بالانكليزية . ثم نقله مؤلفه الى العربية . وهو يبحث عن دجلة والفرات من حيث مَصَبّ كل نهر وجِرْيته وسقيه وغَيضه وفَيضه وروافده ورواضعه الخ . وعن تطور الإسقاء في تأريخ العراق ، وأعمال الإسقاء في القرن الحاضر ، وسياسة الإسقاء في أيامنا هذه . وهي في الجملة أبحاث فيها مادة وفيها دراسة تجعل من هذا الكتاب صورة صغيرة جلية مفيدة لشؤون الاسقاء في العراق . ومن بواعث الأسف انه لم يظهر عندنا حتى اليوم كتاب عربي كهذا الكتاب يبحث عن الاسقاء في ديار الشام . ومن المعلومات التي يجدها المرء في الكتاب ان الزراعة في العراق اتسعت كثيراً في ربع قرن ونيف بفضل أعمال الإسقاء وغيرها . فقد كانوا يقدرون الأرض التي زرعت في سنة ١٩١٣ مثلاً بنحو ٣٥٠٠٠٠ هكتار من الزرع المسقوي والعذي أي البعل ، على حين انها تبلغ اليوم نحو ٢٣٠٠٠٠٠ هكتار (منها ١٦٠٠٠٠٠ هكتار من المسقويات و ٦٠٠٠٠٠ هكتار من البخوس أي الأعذاء شمالي العراق) .

ولقد ذكرت في عدد نيسان سنة ١٩٤٦ من مجلتنا هذه شيئاً عن كتاب « وادي الفرات ومشروع سد الهندية » للمؤلف نفسه . وقلت انني لا أوافقه على بعض الاصطلاحات الواردة فيه . وهنا أكرر هذا القول وأذكر فيما يلي عدداً من الاصطلاحات الأخرى غير الصحيحة أو المرجوحة مما صادفته عند تلاوة كتاب « تطور الري في العراق » :

ترجم المؤلف Régime du fleuve بنظام مجرى النهر . وأصلح من ذلك جرية النهر .

والنبات الذي يتم نموه عاجلاً (Précoce) هو البَكُور والمِبكار والمِعْجال . وهي البكائر والمباكير والمعاجيل . أما الذي يطول زمن نموه (Tardif) فهو المِئخار وهي المآخير . ولا حاجة الى اصطلاحات جديدة لهذه المعاني واذا كان أحد النباتات مما يزرع في فصلين مختلفين نُسب اليهما ، فيقال ذرة ربيعية وذرة صيفية وهكذا .

وذكر المخاضير والمخضرات بمعنى Légumes والصحيح الخضر والخضروات والبقول .

وجمع قناة على أقنية وهو غلط شائع . والصحيح قنوات وقُنِي .

وقال رافد ديالي بالاضافة مشيراً الى ان ديالي من روافد دجلة . والصحيح الرافد ديالي لأنه يمدّ دجلة . وقيل لدجلة والفرات الرافدان لأنهما يمدان شط العرب .

وذكر « نضوج المزروعات » . والصحيح نضجها ، أما النضوج فلم ترد . والنضج للثمار في الأرجح . أما الزرع فيقال له احصد واستحصد وأجزّ الخ . وهو الحصاد والجزاز .

ومما لاحظته في الكتب العلمية الحديثة ان معظم الكتاب يستعملون كلمة ري للدلالة على كلمة Irrigation الفرنسية ترجيحاً على « سَقْي وإسقاء » على حين ان أجدادنا العرب القدماء رجحوا الكلمتين الأخيرتين في كتبهم القديمة فيجب مجاراتهم في ذلك .

وقال : « تراكم الترسبات في الأهوار » والصحيح الراسبات Alluvions . وهي الغِرين والغِرْيَن . ومن الأسماء المقاربة التَقانة والطَلْخ والمَطْخ . وسماه مجمع مصر الطَمْي . قلت والغرين أصلح .

وقال : « خطر التسبُّخ » قلت هو السَبَخ والاسباخ . ولم أجد التسبخ بهذا المعنى .

واستعمل الصيهود بمعنى Etiage والصحيح البُرُوض والضَحْل .

وقال « حوض دجلة والفرات » ترجمةً لمثل قول الفرنج Bassin du Tigre

et de l'Euphrate ؛ والصحيح «سقي دجلة والفرات» أي ما يسقى منها من أرض أو زرع وهو المقصود ·

وكرر مثل قوله «يبلغ سقوط المطر كذا مليمتراً · ووصلت كمية الأمطار الى كذا من المليمترات» قلت ان مايقاس بالمليمترات في ميازين المطر هو ارتفاع الأمطار أي علوها · فيجب ان يقال : «بلغ ارتفاع المطر كذا مليمتراً» وهكذا ·

واستعمل «المنسوب» بمعنى Niveau · قلت السوية والمستوى والسطح كلها أصلح ·

والصبيب هو الاصطلاح الذي وضعناه لكلمة Débit · أما كلمة «تصريف» التي استعملها لهذا المعنى فهي غير صالحة ·

وقال : «زراعة المحصولات الصيفية» والأرجح «زراعة النباتات الصيفية» اذا أراد التعميم ، و«زراعة الحبوب الصيفية» اذا أراد التخصيص ·

وقال «في العراق نحو ١٨٠ نوعاً من التمور» · والمصطلح عليه الضرب أو الصنف (Variété) بدلاً من النوع لأن هذه الكلمة الأخيرة قد قصرت على معنى Espèce في تصنيف المواليد الحديث ·

وبعد لا تقدح هذه الهنات وأشباهها مما لم أذكره في قيمة الكتاب العلمية · وأنا لم أتمثل بها إلا لأنني قرأت في أول الكتاب أن للمؤلف معجماً مخطوطاً جاهزاً للطبع سماه «معجم المصطلحات الهندسية» · فاذا كانت مصطلحات هذا المعجم كالتي استعملها المؤلف في كتبه يكون من المفيد أن يتريث في طبعه ، وان يراجع الفاظه بضع سنين خشية أن يسيء الى نفسه والى لغة الضاد · وهذه نصيحة لا أسديها إلا إلى الذين أنا معجب بمؤلفاتهم كصاحب هذا الكتاب النفيس ·

مصطفى الشهابي

آراء وانباء

استقبال عضو عامل جديد

عقد المجمع العلمي العربي جلسة في ١٣ ايار سنة ١٩٤٦ لاستقبال العضو العامل الجديد الدكتور حسني سبح رئيس الجامعة السورية التي فيها كلمة ترجم فيها لسلفه المرحوم الأستاذ اديب التقي ، وأجابه العضو العامل الأستاذ عارف النكدي بكلمة نوه بها بأعمال المجمع وحيا العضو الجديد معرفاً به وبآثاره ·

وفيما يلي الكلمتان المشار اليهما · :

كلمة الدكتور حسني سبح

سادتي الأفاضل

أرى لزاماً علي ان افتتح كلمتي بحمد الله على ما أولاني من نعم ، ثم ان أتبعها شكرَ حضراتكم على تفضلكم علي وانتخابكم اياي عضواً عاملاً في مجمعكم الموقر وفقني الله لأن أكون عند حسن ظنكم ·

وبعدُ ، فإن من تقاليد المجمع ان يُلقي العضو العامل الجديد في جلسة استقباله كلمة يترجم بها لسلفه ويسرُد ما قام به من عمل وما أبقاه من أثر ، وسلفي رحمه الله كان ممن تربطني به صلة الصداقة ، ومعرفتي به وان لم تكن قديمة العهد راسخة ، فقد أتيح لي أن رافقته في رحلة مهرجان المعري وقضيت بصحبته الساعات الطوال ، والسفر كما قيل يسفر عن أخلاق الرجال ، فسبرت غور نفسه واطلعت على ماتحلى به رحمه الله من سجايا طيبة وأخلاق رضية ونفس أبية ، في جانب تفكير صحيح وثقافة عالية ، وأدب جم وشعر رقيق ، ناهيك عن وطنية صحيحة وحمية لاهبة ·

وقد ولد المرحوم الأستاذ أديب التقي سنة ١٣١١ ه في دمشق من أبوين صالحين وكان ولعاً في صغره بحفظ الجيد من شعر العرب وكلامهم مع آيات

الذكر الحكيم ، وأتم دراسته الثانوية في المدرسة السلطانية في دمشق ، وتخرج في علوم البلاغة والنقد الأدبي بالعلامة الجليل السيد محسن الأمين عضو مجمعكم الموقر ، وما ان اكمل تحصيله حتى اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى ، فأخذ ضابطاً احتياطياً وذهب الى جبهة القفقاس ، حتى اذا وضعت الحرب أوزارها عاد الى بلده دمشق ، فاشتغل في التعليم ودأب على تأليف الكتب المدرسية المفيدة ، ولما احتل الفرنسيون دمشق كان مديراً لمدرسة البحصة ، وكان يذكي في نفوس تلاميذه روح العروبة ويبذر بذور الوطنية الحق ، حتى ان صورة للجنرال غورو كانت معلقة في بهو إدارة المدرسة مزقها الطلاب في يوم ذكرى ميسلون فأثار ذلك حفيظة أولي الأمر عليه ونحي عن العمل ، فعين مديراً للمدرسة العلوية الأهلية في دمشق ، فأحسن إدارتها ونهض بها الى مصاف المدارس الثانوية الراقية .

ولما اندلع لهيب الثورة السورية سنة ١٩٢٥ غادر دمشق الى شرقي الأردن حيث عهد اليه فى تدريس الأدب العربي في مدرسة السلط الثانوية ، ورجع الى دمشق بعد خمود الثورة ، وانتسب الى معهد الحقوق العربي في الجامعة السورية ونال الإجازة وعين أستاذاً للأدب العربي في تجهيز الإناث ثم محاضراً في الأدب العربي في مدرسة الآداب العليا ، وانتخب سنة ١٩٤٢ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي ، وبينما كان يعد العدة للذهاب الى القاهرة ليقدم الى جامعتها كتابه الذي وضعه في الشريف الرضي ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب ، عاجلته المنية في نيسان ١٩٤٥ تغمده الله برحمته .

وقد كان رحمه الله أديباً وشاعراً تقياً ، فصيح اللسان واسع الاطلاع في علوم اللغة والتاريخ ، عذب الحديث محافظاً على المبادئ والأخلاق الاسلامية والقومية الصحيحة ، ابي النفس ينتصر للحق وفياً لأصدقائه فعالاً للخير .

وانكب على الكتابة والتأليف وقرض الشعر ، فأهدى الى المكتبة العربية بعض الكتب القيمة ، أذكر مما طبع منها التاريخ العام وهو في جزئين وسير التاريخ الاسلامي ومناهج التربية والتعليم ، وسير العظماء ، ونهضة اليابان السياسية والاجتماعية ، ومصطفى كمال باشا في الأناضول ، وغرائب العادات ، والمسيح الهندي .

وساهم مع زملائه الأساتيذ الجندي والقواس والسراج بوضع كتاب الطرف في ستة أجزاء ، ونشر عدة مقالات في المجلات العربية المختلفة .

أما ما لم يطبع من مؤلفاته ، فمنها تاريخ العصر الحاضر ، وتاريخ العهد النبوي والخلفاء الراشدين ، والامام علي بن أبي طالب ، وبسمارك بطل الاتحاد الألماني ، والجغرافية الاقتصادية ، وتاريخ الختان ومحسناته ، والجزء الثاني من سير العظماء ، ومائتا مسألة في الحساب النظري والجبر والمثلثات والميكانيك والفيزيك ، ومجموعة مقالاته الاجتماعية والأدبية والتاريخية ، وشعر الخيام وفلسفته ، ورواية الوجيه المتحضر ، ثم مؤلفه في الشريف الرضي ويعد على ما قيل من أفضل ما كتب عنه .

ونظم رحمه الله الشعر حتى اجتمع من شعره ديوان طبعه سنة ١٣٥٠ ﻫ ، فضلاً عن القصائد العديدة التي نظمها في جملة مناسبات ، وكلها حماسية ، تذكي لهيب الوطنية وتدعو الى النهوض واليقظة . وبوب ديوانه المذكور تبويباً ينم على ما يخالج نفسه من مشاعر في شتى النواحي . فاستهل «نبضات قلب» بوداع دمشق نظمها عندما غادر دمشق الى استانبول للانضمام الى الجيش في الحرب العالمية الأولى ومطلعها :

شذاك ام المسك الفتيت يضوعُ   له بيننا انى نحل سطوعُ

ومن شعره الرقيق في «سانحة وجد» :

لئن بعدت منازلكم فقلبي   لكم من دونها كنف ودارُ
وان ضن السحاب فدمع عيني   لكم من دون عارضه قطار
عتبت على الزمان وليت شعري   أيرجى منك يا دهر اعتذار
هي الأقدار تمضي في البرايا   فليس يقيك من قدر حذار

وقال رحمه الله :

يجري بنا الدهر الى غاية   سيان داني الخطو او شاسعهْ
ان لم يزن حسن الفتى خلقه   فما جمال خلقه نافعه
والمسك ما نم عليه الشذا   لا ما غلا في مدحه بائعه

وقال في «زفرة» :

الزيت اوشك ان يجف   وينطفي نور السراج

اني سأمضي غير معـــروف الدخيلة والعلاج
واظل في هذا الورى أحجيـة بين الأحاجي

وابدع في وصف شيخ تصابى وضل وفجر اذ قال :

جاز الشباب الى شيخوخة ورثت عن الشباب بقايا الاثم والعار
ما زال منذ الصبا باللهو منغمساً لم ينهه الشيب في وعظ وأذكار
في حالتيه تراه غير مكترث بغير كأس وطنبور ومزمار
تراه طوراً لدى ماخور مومسة وتارة هو في حانوت خمار

الى ان قال :

يا ويحه كثرت آثامه فتى تنأى به الدار أو ينأى عن الدار

ورثى صديقه المرحوم احمد شاكر الكرمي بمرثية طويلة قال فيها :

بردى بكى وبكت ضفافهْ قل للحمام فما هتافهْ
الموج عبر عن أساه وصوته هذا التهافه
والآس في روضاته مستعبر وكذا خلافه

الى ان قال :

أمهدداً بالموت ان الموت امر لا نخافهْ
درجت عليه كهولنا والنشء تيمه ارتشافه
لا نرتضي عيش الهوان فان أنفسنا تعافه
عيش يعز قويــه وتئن رازحة ضعافه
العدلـــ أظلم أفقــه والظلم لا يخشى اقترافه
والأرض مجزرة القوي ضعافه فيهـا خرافه
والشمل منصدع فهل يرجى مع الخلف ائتلافه

رحمه الله رحمة واسعة وأمد الله في أعماركم زملائي الأكارم وادامكم للعلم والفضيلة وللعرب والعربية ذخراً والسلام .

حسني سبح

كلمة الأستاذ عارف النكدي

سادتي : رئيس المجمع العلمي العربي واعضاءه الكرام .

جرى العرف في المجامع العلمية ، ان يقدم العضوَ الجديد ، عضوٌ قديم ، وأقر مجمعنا هذا العرف ، ثم ندبني لأُقدم اليه زميلنا الجديد الحكيم حسني سبح : رئيس الجامعة السورية .

والتقديم — سواء أكان سنة تردد ، أو تعارف يجدد ، او معرفة تؤكد ، — من حقه ان يكون متبادلاً ، لذلك رأيت ان ابدأ فأقدم هذا المجمع الى الزميل الجديد ، قبل ان اقدمه هو اليه .

ولست في تقديمي هذا ، بتعرض للمجمع من ناحيتيه : العلمية والتاريخية : تأسيسه وسيرته ، وابحاثه واحداثه ، وتطوراته ومحاضراته ، فهذا شيء من حقوق الرئاسة ، والأُستاذ الرئيس يقوم به ، وعلى احسن وجه ، ولا سيما في تقريراته الدورية ، وبياناته السنوية لكنني متناول هذا المجمع من ناحيته : العملية والاجتماعية .

ليس يعرف لهذا المجمع قيمته ، إلا الذين عاشوا في نأنأة الحكومة العربية ، التي أنشأها رجل العرب فيصل بن الحسين ، او من يعود الى اوراقها ومعاملاتها ، ينقب فيها ليطلع على مضامينها . في ذلك الحين كان لتلك الحكومة العربية الناشئة ، لغة عربية ، وليس لها من العربية الا حروف مغلوطة مقلوبة : في رسمها وفي لفظها ، وإلا كلمات محرفة مصحفة : عن وضعها وعن استعمالها . اما الأساليب والتراكيب فعجمة في عجمة ، قل ان يفهم منها مقصود ، او يُستخلص معنى .

في تلك الفترة الدقيقة من حياة اللغة العربية ، بل من حياة الأُمة العربية ، وبعيد تلك الفترة — يوم حاولت اللغة الفرنسية وأساليبها ان تزحزح اللغة العربية عن مقامها في الدوائر الحكومية — وقف هذا المجمع يعرب الكلمات ، ويضع المفردات ، ويصحح الألفاظ والعبارات ، ويقوّم الأساليب واللهجات ، صيانة لهذه اللغة ومحافظة عليها . وهو العمل الذي ما يزال عليه الى يومنا هذا ، دائباً موفقاً .

فإذا كانت هذه اللغة ، قد اقيل في هذه البقعة العربية من عثارها ، فاصطلحت

اللغة: في الدواوين، وفي الصحافة، وفي الدراسة؛ وهذبت مما كان يشوبها من عجمة ولكنة؛ فجانب كبير من هذا الفضل، يعود الى هذا المجمع.

واللغة اذا سلمت، فقد سلمت الأمة. فالأمة لغتها، وقديماً قال عليه الصلاة والسلام: ليست العربية لأحدكم بأب ولا أم، وانما هو اللسان. من تكلم العربية فهو عربي.

هذه واحدة، من حيث خدمة المجمع العربي للشعب الشامي، بل للأمة العربية، من الناحية اللغوية والقومية، ولو لم يكن له غيرها لكان قد قام بما أسس من أجله، وحسبه هذا.

الا ان لهذا المجمع موقفاً آخر من حيث الكرامة القومية، والروح الوطنية، لا ينبغي ان يغفل أمره.

فالمجمع العربي هو الدائرة الفرد — من بين سائر دوائر الحكومة — التي وقف منها الأجنبي موقف الحرمة والمساواة. فما سيطر عليها ولا استطال، ولا عبث بها ولا أفسد؛ في هذا الموطن وحده وقفت لغة القوة، من لغة العلم، موقف الند للند، ومدت السلطة يدها الى المجمع، مدة المجاملة لا المجالدة.

هذه هي صورة مجملة لهذا المجمع العلمي، ما نرسمها تعريفاً له، بل تنويهاً به.

ومما يحمد لهذا المجمع انه كان في جميع ادواره، حريصاً على ان يضم اليه النخبة الصالحة من رجال الأدب والعلم والفضل، في كل باب من أبواب العرفان، التي يحتاج اليه هذا المعهد في تكوينه وتقويته وتعزيزه.

من أجل ذلك كان طبيعياً ان يختار مجمعنا لعضويته الأستاذ سبح، لصفتيه: العامة والخاصة.

فالأستاذ الحكيم، رئيس الجامعة السورية، وخليق بصاحب هذا المنصب العلمي الخطير، وهو يشرف منه على تثقيف أبناء الأجيال القادمة في دراستهم العليا، ان يكون في جملة اعضاء المجمع العلمي؛ ولا سيما متى اجتمع فيه من مزايا العلم، وخدمته، والعمل في التعليم والتأليف، ما اجتمع في زميلنا الكريم.

فهو بعد ان أتم دراسة الطب في معهد دمشق سنة ١٩١٩، عين مساعداً لمخابر

المعهد الطبي فيها ، ثم محاضراً ، ثم وكيل أستاذ ، ثم أستاذاً لكثير من فروع العلوم الطبية . ثم رئيساً لمعهد الطب ، فرئيساً للجامعة .

أما مؤلفاته فهي : موجز مبادئ علم الأمراض ، طبع سنة ١٩٣٣ وأعيد طبعه مرتين سنة ١٩٣٨ وسنة ١٩٤٢ . ومبحث الاعراض والتشخيص طبع سنة ١٩٣٣ وأعيد طبعه مرتين أيضاً سنة ١٩٤٢ وسنة ١٩٤٥ . وعلم الأمراض الباطنة في سبعة اجزاء صدر منها حتى الآن خمسة أجزاء ، والجزء السادس تحت الطبع . وموضوعات الأجزاء كما يلي :

الجزء الأول امراض الجملة العصبية طبع سنة ١٩٣٥ .

الجزء الثاني الأمراض الأنتانية والطفلية طبع سنة ١٩٣٦ .

الجزء الثالث أمراض جهاز التنفس طبع سنة ١٩٣٧ .

الجزء الرابع أمراض جهاز الهضم طبع سنة ١٩٤٠ .

الجزء الخامس امراض جهاز الدوران طبع سنة ١٩٤٤ .

الجزء السادس امراض جهاز البول وامراض الدم وهو تحت الطبع .

وألف كتاباً أسماه فلسفة الطب طبع سنة ١٩٣٩ واعيد طبعه سنة ١٩٤٥ .

وهو يطبع الآن موجزاً للأمراض الباطنة يقع في جزئين .

وله معجم في الألفاظ والمصطلحات الفنية يقع في ثلاث كراسات ، احداها في أمراض الجملة العصبية . والثانية — في الأمراض الأنتانية والطفلية . والثالثة — في أمراض جهاز التنفس .

وقد بوّب هذه الألفاظ والمصطلحات ، ورتبها على الحروف الهجائية ، باللغتين العربية والفرنسية ، ثم بالفرنسية والعربية ، مما يسهل على الطالبين الرجوع اليها والاستفادة منها . وهذه الألفاظ منها ما نقله المؤلف عن غيره ، ومنها ما اهتدى اليه باجتهاده ، ومنها ما وضعه من ذات نفسه . وعمله هذا خدمة جلى للغة ، ولعلم الطب ، بل للعلوم عامةً .

وتآليف الأستاذ ظاهر فيها دقة الوضع ، ووضوح المعنى ، غالب عليها صحة الأسلوب ودقة التعبير ، ولا سيما في الكتب التي جدد طبعها .

وزميلنا الفاضل مشهور في فنه خاصة بتشخيص المرض، وبإخلاصه للفن اخلاصاً يسمو به عن روح المتاجرة ، وبالصراحة التي تبعده عما يقع فيه كثيرون من الرغبة في التبجح ومن الميل الى الظهور . فأخلاقه اخلاق العلماء ، وتواضعه تواضع من يعرف قدر نفسه وقيمتها ، فلا يبالي بمظهر كاذب ، ولا دعوى فارغة .

ذلك هو المجمع ، وهذا هو عضوه الجديد . واذا كان الأستاذ سبح قد خدم العلم من قبل من ناحية ، فسيخدمه في المجمع بعد اليوم من ناحيتين . والأمل كبير في ان يكون الزميل بما هو معروف عنه من جد ودأب ونشاط — المثل الأعلى في المؤازرة والمعاونة في كل ما يعود على المجمع والعلم بالخير والفائدة .

أهلاً وسهلاً بالزميل الجديد ، ورحم الله الزميل الفقيد .

مصاب بالكاتب الأديب ، وعزاء بالعالم الأريب .

عارف النكدي



مدينة سراي

جاء ذكر سراي في الجزء الثالث والرابع المزدوج من المجلد الحادي والعشرين (ص ١٣٥) وقيل عنها هناك : « لعلها التي تسمى اليوم استرخان » . فلإزالة هذا الاشتباه أقول ان سراي ليست استرخان ، وان كانتا كلتاهما على نهر إتل (بكسر الألف والتاء) ، وهو المسمى اليوم فولغا أطول نهر في اوربا . فان استرخان (تحريف اسمها القديم الحاج ترخان) هي عند مصب هذا النهر . وأما سراي فقرب اواسطه بعيدة عن استرخان الى الشمال .

أسس بلدة سراي باتوخان ملك التتار ابن جوجي (ويقال دوشي) خان ابن جنكيز خان الشهير على الجانب الشرقي من نهر إتل بساحل شعبة منه يقال لها آق توبه أي التل الأبيض في حدود سنة ٦٤٠ هـ . وجعلها كرمي مملكته المعروفة عندهم بـ (الوس جوجي) اي حصة جوجي ، حصته التي أعطاه اياها ابوه جنكيز عندما قسم الممالك التي استولى عليها بين أولاده الأربعة ؛ وتعرف أيضاً بمملكة الدشت ، دشت قبجق ، وبالنون اردو . وسماها العرب أحياناً بمملكة بركة .

لأن بركة خان اخا باتوخان اشتهر بكونه أول من أسلم من آل جنكيز على الاطلاق ونشر الاسلام في تلك الأصقاع وجرت له مناسبات سياسية مع ملوك مصر عداوة لهلاكو ابن عمه . وكان اسلامه على يد صاحب طريقة يدعى سيف الدين الباخرزي . وكان بركة خان هو الذي أتم بناء سراي كما جاء في كتاب (تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقايع قزان وبلغار وملوك التتار) تأليف م . م . الرمزي (ج ١ ، ص ٣٧٩) .

زار ابن بطوطة مدينة سراي في زمن السلطان اوزبك وسماها (سرا) بحذف الياء . قال بعد عودته من القسطنطينية : « ... ثم وصلت الى مدينة الحاج ترخان حيث فارقنا السلطان اوزبك فوجدناه قد رحل واستقر بحضرة ملكه فسافرنا على نهر إتل وما يليه من المياه ثلاثاً وهي جامدة . وكنا اذا احتجنا الماء قطعنا قطعاً من الجليد وجعلناه في القدر حتى يصير ماءً فنشرب منه ونطبخ به . ووصلنا الى مدينة السرا (وضبط اسمها بسين مهملة وراء مفتوحة والف) وتعرف بسرا بركة وهي حضرة السلطان اوزبك ودخلنا على السلطان ... ومدينة السرا من احسن المدن متناهية الكبر في بسيط من الأرض تغص بأهلها كثرةً ، حسنة الأسواق ، متسعة الشوارع . وركبنا يوماً مع بعض كبرائها وغرضنا التطوف عليها ومعرفة مقدارها ، وكان منزلنا في طرف منها فركبنا منه غدوةً فما وصلنا لآخرها الا بعد الزوال . فصلينا الظهر وأكلنا طعاماً فما وصلنا الى المنزل إلا عند المغرب . ومشينا يوماً في عرضها ذاهبين وراجعين في نصف يوم . وذلك في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا بساتين . وفيها ثلاثة عشر مسجداً لإقامة الجمعة ... وفيها طوائف من الناس منهم المغل وهم أهل البلاد والسلاطين وبعضهم مسلمون ، ومنهم الاص وهم مسلمون ومنهم القفجق والجركس والروس والروم وهم نصارى . وكل طائفة تسكن محلة على حدة فيها اسواقها . والتجار والغرباء من أهل العراقين ومصر والشام وغيرها ساكنون بمحلة عليها سور احتياطاً على أموال التجار ... » .

حارب تيمورلنك توقتامش خان ملك التتار ، وفي حربه الأخيرة معه غُلب توقتامش وهرب ، فأرسل تيمور من خرب سراي سنة ٧٩٨ (تلفيق الأخبار ،

ج ١ ، ص ٦٢٤) — ثم انها عمرت تدريجاً بعد انصراف تيمور . وبعد مضي اكثر من عصر استولى عليها مكلي كراي حاكم القرم واخربها نهائياً ، وقيل في تاريخ خرابها : (ايا ويح سراي هده ودمره مكلي كراي) (سنة ٩٠٧) (تلفيق ، ج ١ ، ص ٧٠٩ و ٧١٢) . واستمر خرابها الى ان بنى الالمان النازحون ، منذ القرن الثامن عشر الميلادي ، الى تلك الأطراف في أيام يكاترينا الثانية على انقاضها قرية سميت (سريفكه) تحريف سراي . ثم صارت بعد ذلك قصبة وفيها محلة من المسلمين لهم فيها مسجد ومكتب (تلفيق ، ص ٧١٣) .

(الموصل)  الدكتور داود الجلبي

ذيل مرآة الزمان

في خزانة وزارة الهند في لندن كتاب عنوانه ذيل مرآة الزمان لمؤلف غير معلوم كما كانوا يظنون ولكن بعد المطالعة وجدت انه مجلد من تاريخ قطب الدين اليونيني البعلبكي المتوفى سنة ٧٢٦ وهذا الكتاب اظنه نادراً جداً يوجد أوله في الاستانة في نسختين ، ثم نسخة عتيقة في اكسفورد تحتوي أخبار سنة ٦٥٦ الى سنة ٦٧٣ . وهذا المجلد المحفوظ في لندن يشتمل على الأخبار من سنة ٦٧١ الى ٦٨٦ واذ ان المؤلف ساق تاريخه الى عام وفاته فياحبذا لو نعلم بمكان وجود الجزء المشتمل على الأخبار من سنة ٦٨٦ الى آخر الكتاب .

أسلوب هذا التاريخ على نمط التواريخ منذ زمان الصولي والصابي انه يذكر أولاً التاريخ الدولي ثم في كل سنة تراجم من مات في تلك السنة من الاعيان من الأمراء والملوك والشعراء وشيوخ الحديث الخ ولكنه يختلف عن المؤرخين المصريين اذ هو شامي وتاريخه شامي ودائماً نجد انه كان صديقاً أو ذا معرفة بكثير من الاكابر في زمانه وأيضاً انه شاهد بنفسه الواقعات المشهورة مثل الملحمة ظاهر حمص التي كسرت بها التتار تحت امرة منكوتمر اخي الملك ابغا خان وتارة يجيء بالعجائب نحو ما ذكره في ترجمة شمس الدين ابن خلكان حين كان قاضي القضاة يقول: (ورقة ٥) حكى لي (يعني صاحبه كمال الدين عمر بن العديم المؤرخ المشهور) انه حضر اليه

وهو بالمدرسة العادلية الكبيرة بدمشق بعد العشاء الآخرة من اخبره ان ثم جماعة من أعيان العدول في مكان يشربون الخمر وعندهم نساء أجنبيات وشنع شناعة كثيرة فاستوثق الخبر عنده وأرسل من باب السر من يثق به الى ذلك المكان وعرفهم الصورة وان والي الليل يحضر لكشف ذلك وأمرهم برفع ماعندهم من المنكرات والتأهب لمن يحضر ثم أحضر والي الليل وعرفه ما ذكر الناقل وأمره ان يأخذه ويتوجه الى المكان الكشف (الأصل بكشف) حقيقة ذلك فتوجه والي الليل وطرق الباب ودخل فوجد جماعة يتحدثون وعندهم فقير مزمزم ومأكول لا غير فعاد والي الليل ومن معه وأخبروه بما شاهدوا فعزر الناقل فانحسمت مادة السعايات بمثل ذلك .

كذلك نجد أشياء تبين أخلاق بعض الأكابر فانه قال بعد ترجمة طويلة للملك الظاهر بيبرس (سنة ٦٧٦) في ترجمة الملك القاهر عبد الملك بن عيسى ابن محمد بن أيوب ما نصه :

وحكي ان تاج الدين نوح بن اسحاق بن شيخ السلامية حكي عنه حكاية غريبة معناها ان الأمير علاء الدين ازدمر العلائي نائب السلطنة كان بقلعة صفد حدثه بها قال كان الملك الظاهر مولعاً بالنجوم وما يقول ارباب التقاويم كثير البحث عن ذلك فأخبر انه يموت في سنة ٧٧ ملك بالسم فحصل عنده من ذلك أثر كثير وكان عنده حسد شديد لمن يوصف بشجاعة او يذكر بذكر جميل في معناها واتفق ان الملك القاهر لما دخل الملك الظاهر الى الروم وكان يوم المصاف ورآه الملك الظاهر فتأثر منه وانضاف الى ذلك ان الملك الظاهر حصل منه في ذلك اليوم فتور على خلاف العادة وظهر عليه الخوف والندم على تورطه في بلاد الروم فحدثه الملك القاهر في ذلك الوقت بما فيه نوع من الانكار عليه والتقبيح لفعاله فأثر عنده أثراً آخر . فلما عاد من غزاته وسمع الناس يلهجون بما فعل الملك القاهر زاد تأثره وحنقه عليه فخيل في ذهنه انه اذا سمه كان هو الذي ذكره أرباب النجوم لأنه يطلق على اسم ملك وله ذكر فأحضره عنده ليشرب القمز وجعل الذي قد أعد له في ورقة في جيبه من غير ان يطلع على ذلك أحداً من خلق الله تعالى

وللسلطان هنابات مختصة ثلاثة مع ثلاثة من السقاة الذين له لا يشرب إلا بها ممن يكرمه بأن يناوله ذلك الهناب من يده واتفق قيام الملك القاهر الى البزال فجعل الملك الظاهر ما في الورقة في هنابه وأمسكه بيده فلما عاد الملك القاهر ناوله إياه فقبل الأرض وشربه وقام الملك الظاهر ليبزل فأخذ الساقي الكأس من يد الملك القاهر وملأه على العادة وأمسكه ووقف مع السقاة فجاء الملك الظاهر من البزال وتناول ذلك الكأس بعينه فشربه وهو لا يشعر فلما فرغ من شربه استشعر وعلم انه شرب من ذلك الكأس الذي فيه آثار السم وبقاياه فقام من وقته وحصل له ألم وتخيل واشتد به المرض ومات كما تقدم وأما الملك القاهر فمات غد ذلك اليوم ٠

هذا مضمون ما ذكره ابن المولى تاج الدين نوح وذكر ان عز الدين العلائي بلغه ذلك من مطلع لا يشك في أخباره والله أعلم بحقيقة ذلك ٠

تنبيه الى ص ٥٢٠ من المجلد العشرين من المجلة

اسم جد البرزالي اويَدّاس بفتح الياء المثناة والدال المشددة كما ذكرته في ترجمته في الدرر الكامنة وكذا كتب جده اسمه في مجلد من تاريخ ابن عساكر محفوظ في المتحف البريطاني وهذا الاسم ليس بنادر في برابر المغرب ٠

ديوان زهير بن أبي سلمى

لم أر الى الآن هذا المنشور ولكن اقول ان الموجود منه ثلاث روايات فالمتداولة الى يومنا الأندلسية المختصرة التي طبعت غير مرة ، ثم روايتان للديوان الكامل اقدمها لأبي سعيد السكري ، ثم التي في رواية ابي العباس ثعلب النحوي الكوفي التي هي أصل الطبعة الجديدة اذ منها عدة نسخ جيدة منها التي هي محفوظة في خزانة الاسكوريال ببلاد الأندلس وهي التي نقلتها في هوامش نسختي من الرواية الثالثة وهذه الرواية اعني رواية ابي سعيد السكري لا أعرف منها إلا

النسخة التي في خزانة المستشرقين الألمانيين في هالّة وقد وهم صديقي الأستاذ فيشر لما زعم انها ايضاً رواية ثعلب بل هي أوسع قليلاً ولكن فقدت الورقة الأولى منذ دهر قديم فكتب شخص ليكمل الكتاب على ورق مخالف للأصل بمداد ليس اسود مثل مداد الأصل وأيضاً في آخر الديوان يوجد بخط دقيق لكاتب الأصل كملت رواية السكري او ما معناه . وفي هذا الديوان أبيات يسيرة لا وجود لها في رواية ثعلب وبالعكس . وأيضاً في الروايتين اختلاف في ترتيب القصائد ولكن لا شك بأن كليهما أخذا اكثر الشروح عن شيوخ كانوا قبل زمانها . نسختي التي كتبتها منذ أكثر من ثلاثين سنة عازماً على نشرها قد أعرتها لصديق فلم يردها الى اليوم .

(كمبردج) سالم الكرنكوي

التنبيه والتوجيه

— ٣ —

٢ — وفي ص ١٥ أيضاً « وأكياساً حريرية» وقول الكاتب الفاضل «حريرية» فيه لبس وابهام ، لأن قوله « حريرية » يعني في لغة العرب « فيها شيء من الحرير » وكذلك الأمر في كل ما نسب الى الأشياء ولم أجد أحداً من المعاصرين نبه على هذه النكتة الدقيقة في لغة العرب ، فاذا كانت الأكياس كلها من الحرير قيل « أكياساً حريراً » ، وعلى هذا يجب ان يقال «السكة الحديد» لا «السكة الحديدية» .

٣ — وجاء في ص ١٧ أنَّ من الضروري جعل « البرعمة » — وهي بالفرنسية Ecussonnage — للتطعيم بالرقعة إذ لم يكن له اسم في العربية ، قلت : اسمه بالعربية «التطعيم» أيضاً فلا حاجة الى البرعمة، قال ابوالحسن المسعودي « وقد ضربنا ضروب التوليدات في أنواع الحيوان والنبات من تطعيمهم الغروس والأشجار[1] » ، وجاء في أخبار الملك الناصر محمد بن قلاوون الألفي من حوادث سنة ٧١١ هـ انه « أخرب مناظر اللوق بالميدان الظاهري ، وعملها بستاناً وأحضر اليه سائر

(١) مروج الذهب « ج ١ ص ٢٢٥ » طبعة المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٦

أصناف الزراعات واستدعى خولة الشام والمطعمين فجاء من أبدع البساتين [١] »
واشتهر من المطعمين في التاريخ « عيسى بن عبد الرحمن بن معالي المقدمي ثم الصالحي الحنبلي السمسار المطعِّم ، ولد سنة ٦٢٦ هـ وروى من الأحاديث النبوية وغيرها وكان يطعم الأشجار ويسمسر في الدور وسافر الى بغداد وطعم بستان المستعصم بالله العباسي وتوفي سنة ٧١٧ ، قيل كان أمياً بعيد الفهم [٢] » . وربط الثقافة العربية القديمة بالحديثة واجب راتب .

٤ — وجاء في ص ١٨ من المجلد المذكور أن « مِضغط الجو هو أدل على البارومتر Barometer من المضغط بالاطلاق . قلت : اذ انتهى الأمر الى استعمال كلمتين فالصواب « ميزان الهواء » وهذا الاسم أقرب الى أفهام العرب وأوضح لطلاب العلم من غيره .

٥ — وفي ص ٢١ منه ورد أن « بغلاً » لا يجمع في القلة على « أبغل » بل على « أبغال » ، قلت : إنَّ « أبغلا » هو القياسيّ في قلة على « بغل » وأما « أبغال » فلم يجمع الصرفيون على قياسه ، وفي الأخبار التي نقلها الخطيب البغدادي ان الخليفة محمداً الأمين أمر الفضل بن الربيع فأوقر لعبد الله بن أيوب الشاعر « ثلاث أبغل » دراهم [٣] ، إجازة له على أبيات .

٦ — وجاء في ص ٣٥ منه ما يفيد ان قولهم « يخرب بيتو » من الكلام العامي الحديث ، والتاريخ يدلُّ على قدمه فقد ورد في كلام ثعلب : قيل لما قرأ القطربلي عليه بيت الأعشى « فلو كنت في جب ثمانين قامة . . . » صحف « جباً » الى حب فقال ابو العباس « خرب بيتك هل رأيت حباً قط ثمانين قامة ؟ ! إنما هو جب [٤] أما إبدال الشاميين الواو من هاء الغائب كأن يقولوا « بيتو » مكان « بيته » فقد وجدته في كلام اهل القرن السادس للهجرة ، قال ابن خلكان في ترجمة العلامة ابي محمد عبد الله بن بري اللغوي النحوي « ويحكى أنه كانت فيه غفلة ولا يتكلف

(١) المقريزي في السلوك لمعرفة دول الملوك « ج ٢ ص ١٣٠ » طبعة لجنة التأليف وهي الأولى
(٢) ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة « ج ٣ ص ٢٠٦ » (٣) تاريخ بغداد « ج ٣ ص ٣٣٩ »
(٤) ياقوت الحموي في « معجم الأدباء ج ٢ ص ١٢٥ »

في كلامه ولا يتقيد بالاعراب بل يسترسل في حديثه كيفما اتفق حتى قال يوماً لبعض تلامذته ممن يشتغل عليه بالنحو : اشتر لي قليل هندباء بعروقو . فقال له التلميذ : هندباء بعروقو ؟ ! فعز عليه كلامه ، وقال له : لا تأخذه إلا بعروقو وإن لم يكن بعروقو فلا تأخذه[1] » .

٧ — وجاء في ص٣ : « يجدر بي هنا السكوت » وليس ذلك بفصيح ولا صحيح ، فالصواب « إني جدير بالسكوت أو بأن أسكت » ، و « يحسن بي السكوت » و « أنا أجدرُ بالسكوت » ولو كان الكاتب شاعراً لقلنا إن هذا من القلب كقول عروة بن الورد :

فديت بنفسه نفسي ومالي   وما آلوك إلا ما أطيق

أراد : فديت نفسه بنفسي فقلب المعنى[2] هكذا قال المرزباني وأنا أقول : بل قلب اللفظ .

يتبع :   (بغداد)   **الدكتور مصطفى جواد**



هدية الى دار الكتب الظاهرية

أهدى الأمير جعفر الحسني عضو المجمع العلمي العربي الى دار الكتب الظاهرية بدمشق مجموعة من المجلات العربية يبلغ عددها ٢٣٧ مجلة بين مجلد وجزء فله الشكر الجزيل .



القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية

أخذنا في طبع كتاب (القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية) لمؤلفه محمد بن طولون الصالحي المتوفى سنة (٩٥٣ هـ) عن صورة من نسخة وحيدة بخط المؤلف فنرجو ممن يعلم ان هناك نسخة ثانية من هذا الكتاب ان يرشدنا اليها وله منا جزيل الشكر .

دمشق :   **محمد أحمد دهمان**



(١) الوفيات « ج ١ ص ٢٩١ » من طبعة المجم   (٢) المرزباني في الموشح « ص ٨٥ »

الصفحة

فهرس الجزء السابع والثامن من المجلد الحادي والعشرين

مجلة
المجمع العلمي العربي

ايلول وتشرين الأول سنة ١٩٤٦ شوال وذو القعدة سنة ١٣٦٥

المؤلفون في مصر

كتبت الاجادة في التأليف لأكثر حملة العلم عند العرب من أهل القرن الثاني الى الخامس من الهجرة وكتبت الاجادة لبعض هذه الطبقة منذ القرن السادس الى القرن التاسع . وفي هذه العصور الأخيرة كان عهد المتوسطين بقرائحهم وعلمهم والنوابغ معدودين في كل جيل على أصابع اليد . وبعد العصر التاسع بدأ عصر التقهقر فضعفت اللغة ، وضعفت الآداب وأمست الأقطار العربية في سبات عميق نُزع من النفوس مضاؤها ومن العقول تفكيرها ، وصار الدور دور العجمة والأعاجم ، ونشأ من ذلك قلة الدارسين والباحثين والشاعرين والناثرين ودام هذا الانحطاط الى اواخر المئة الثالثة عشرة .

تعلقت قدرة المولى تعالى ان يحمل العرب مشعل النور الى العالم بضعة قرون وتعلقت قدرته بعد ذلك ان تقع هذه الشعلة من أيديهم ويتلقفها أهل الغرب . فكان النور قبل العصور الوسطى يحمل من آسيا وأفريقية الى اوربا ، فأصبح بعد ذلك يحمل من أوربا الى آسيا وافريقية .

ولما كانت النهضة العربية الأخيرة في مصر كان أول ما بدئ به اصلاح اللغة واصلحت القوالب التي يؤدى الكلام بها ، وأخذ النبهاء منا عن الغربيين طرقهم في البحث والدرس ، فضموا الى قديمهم حديثاً طريفاً ، وأخذوا عن جيرانهم ما اشتدت حاجتهم اليه من ثقافة وتدريب .

وما جاءت المئة الرابعة عشرة حتى أخذ التأليف بالعربية يتجه وجهة لم يكن له بها عهد منذ أجيال . وما انسلخ الربع الأول من هذا القرن حتى تبدلت هيئة الكتابة وهيئة الشعر وتبدلت بتبدلها هيئة التأليف . أخذ الناس يحرصون على المعاني والمحسوسات أكثر من حرصهم في القديم على الألفاظ والخيالات . ودالت دولة الاسجاع والجناسات التي اخترعتها عصور الانحطاط ، ويكاد يقول من قرأ صفحة كتبت في القرن الثاني او الثالث وعارضها بأخرى كتبت في العصر الحادي عشر والثاني عشر أن اللغة تبدلت معالمها وروحها كل التبدل وخلص الجمهور من معان باردة وافكار مكررة وآداب لا تلامس الحياة في قليل ولا كثير .

كان الفضل الأول لاخراج اللغة العربية من الابتذال والركاكة وادخالها في طور جديد تجري فيه مجرى عصور الارتقاء لذاك المعهد العظيم الذي دعوه (دار العلوم) في القاهرة فتخرج بأساتذته أناس تشبعوا بالبيان العربي الصحيح وقلبوا بالتدريج الطريقة المألوفة عند المعاصرين ، وبذلك تغيرت لغة الخطب والصحف والكتب والمحاكم والمعابد . ومن عارض بين كتابة أواخر المئة الثالثة عشرة وكتابة النصف الثاني من القرن الرابع عشر يتمثل لناظره الفرق العظيم بين لغة تموت ولغة تحيا ، وبين بيان مضغوط بالمحسنات اللفظية وبيان حي سالم من كل تزيد وفضول .

فصحت دعوانا والأمر على ما ذكر أن التآليف التي صدرت في الربع الثاني من القرن الرابع عشر أرقى من التآليف التي وضعت منذ القرن التاسع الى أواخر الثالث عشر في مصر وبلاد العرب ولا عبرة بالشواذ . والسر الأعظم في

هذه الاجادة يعود لاصلاح اداة التأليف كما قلنا ، ولسلامة اداة التفكير من التلوي والتعقيد ، وكان من أثر ذلك ان طلّق المؤلفون الموضوعات التافهة التي لا كتبها الا الاسن كثيراً ، وتشبثوا بايجاز المفيد منها ، وأتوا الأمة بأشياء جديدة ماعرفوها ، واصبح المؤلف لايلخص الا بعد بحث ، ولا يدون إلا بتمحيص ، ويبرّز على كل حال في ابراز الأفكار القديمة والحديثة في قالب مقبول من الرشاقة والجزالة . ولا نغالي اذا قلنا ان التأليف في هذه الحقبة انقلب رأساً على عقب بلغته وأفكاره وان التآليف التي كتبت بركاكة أواخر القرن الماضي واوائله تكاد لا تجد من يعطف عليها واكثرها حريةٌ بأن تكون صوراً ولفائف كالجرائد القديمة .

عارضوا كل ما كتبه الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد وتلميذه الشيخ احمد ابراهيم في كتبه الفقهية وما كتبه في هذين الموضوعين من تقدموهما في عصور الانحطاط تجدوا الفرق عظيماً بين من استجمعوا ادوات التأليف كلها وبين من لم يستجمعوها . والناقد البصير يدرك لأول نظرة ان ما كتبه محمد بخيت من شيوخ الأزهر على كثرته محكوم عليه بالعفاء لأنه خلا من روح العصر ومن بلاغة العصر ، وعرا من جمال الأسلوب وجودة التأليف إلا قليلاً . أما ما كتبه محمد عبده على قلته وهو من شيوخ الأزهر أيضاً فانه خالد لأنه كتب ورائده البلاغة وسلامة الفكر ، وكذلك نقول في كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق فان هذه الرسالة تبقى لأنها كتبت في موضوع مهم بلغة العصر الحديث وعلى أسلوب تفكير أهله . وليست منفعة التآليف بكثرة صفحاتها وتعدد مجلداتها ، فقطعة الذهب تساوي مئة ضعف من وزنها حديداً . ورب رسالة محكمة خلد بها اسم صاحبها وكم من مجلدات سقيمة ذهبت مع الزمن منسية . والمكثار لا يأمن العثار على كل حال .

ان ما كتبه قاسم امين في (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) وعبد الرحمن الكواكبي في (طبائع الاستبداد) و (أم القرى) وحافظ عفيفي في (على هامش

السياسة) و (الانكليز في بلادهم) وابراهيم المويلحي (فيما هنالك) ومحمد المويلحي (في حديث عيسى بن هشام) ومحمد علي علوبة في (السياسة المصرية) قد يعمّر ويفيد أكثر من مجلدات ضخمة كتبها محمد بخيت وطنطاوي جوهري ويوسف النبهاني واضرابهم فمن لم يهضم موضوعه لا يرتجى من الناس ان يهضموه ، ومن لم يتعب في اعداد عدته قلما يقبل قومه على اقتنائها ·

اما بعد فان اللغة العربية لغة ايجاز ، ولا سلطان على عقول أبنائها أعظم من العبارات الموجزة وهذا العصر الذي نعيش فيه هو أيضاً عصر ايجاز واختزال يملّ أهله التطويل بلا طائل ، ويكرهون التزيد في غير محله · ولو كتب كاتب من أهل العصر الماضي ما كتبه طه حسين في تاريخ (الأدب الجاهلي) و (على هامش السيرة) وفي (الايام) لكتب ألوفاً من الصفحات وما أغنى غناء طه ولا ابدع ابداعه · ولو ألف مؤلف قبل مئة سنة ما كتبه احمد امين في (فجر الاسلام) و (ضحى الاسلام) و (ظهر الاسلام) ما كتبت له هذه الاجادة · ولو تم المنهاج الذي وضعه مع زميليه طه حسين وعبد الحميد العبادي على ان يكتب طه الحياة الأدبية في الاسلام كما كتب احمد امين الحياة العقلية ويكتب العبادي الحياة السياسية لكان فجر الاسلام وضحى الاسلام وظهر الاسلام وثم عصر الاسلام اعظم معلمة عربية في هذا الموضوع لأن هؤلاء الثلاثة المؤلفين رزقوا حظاً عظيماً من البلاغة وعرفوا اساليب الغرب والشرق في التأليف وطرق الافادة ·

وكتبت الاجادة في التأليف للعقاد والمازني وعنان على كثرة ما انتجوا ونشروا ، ويعود قسم وافر من الفضل في اجادتهم الى تشبعهم باللغات الغربية والأدب العربي · واكبر الظن ان لكثرة التمرين دخلاً كبيراً في هذا الاحسان · وقلّ ان كتبت الاجادة لمثل العقاد على كثرة ما خاض عبابه من الموضوعات السياسية والاجتماعية والفلسفية والأدبية والقصصية ، وقرينه في كثرة الانتاج محمد لطفي

جمة الا ان الرشاقة قد تخطئه لأنه نشأ مترجماً عن الانكليزية فأضعف النقل من ملكته . أما العقاد والمازني فقد نشآ نشأة أدبية وكان لهم في الشعر أيضاً فضلاً عن النثر يد طولى . ويكثر المؤلفون المحسنون في بيانهم بين طلاب دار العلوم والمعلمين العليا ومدرسة القضاء الشرعي (الملغاة) أكثر من أمثالهم في الأزهر والجامعة المصرية والجامعة الأميركية .

كان لكثير من المؤلفين يد باسطة في التعريب اكثر مما كان لهم في التأليف ، وفي مقدمتهم احمد فتحي زغلول واحمد لطفي السيد . يعقوب صروف وابراهيم مصور ونجيب شاهين ومحمد السباعي وفريد ابو حديد واحمد حسن الزيات ، وهذا اجاد في تعريب (رافائيل) للامرتين (وآلام فرتر) لجوته ، والزيات يبالغ في تنميق ما يكتب فيجمع بين ادب العصر واسلوب البديع والخوارزمي والصابي وهو سواء ومصطفى صادق الرافعي ومصطفى لطفي المنفلوطي وعبد العزيز البشري يتشابهون في طريقتهم ويمتاز الأخير بأسلوبه الخاص به أساوب الهزل في الجد . وكتابه (في المرآة) الذي ترجم فيه لمعاصريه من المصريين على نهجه الخاص به في السخرية لو خلا من مصانعة بعض من كانوا يوم كتبه من الصدور لكان من أجمل الكتب في بابه . وأحسن ايضاً في كتابه (المختار) وهي مقالاته التي نشرها في مناسبات مختلفة ومن أهم ما ساعد على اجادته اكثر الأوقات احاطته بحياة كبار المصريين وصغارهم فهو قاهري يعرف ما في القاهرة من سر وجهر ويحسن عرض أدب المجالس ويورد النكتة صائغاً لها صياغة أدبية يدخل بها المرح على القلوب . والمجودون في هذا الباب قلائل وما ذاك لأن الجد غالب على المؤلفين بل لأن الهزل صعب المراس على التدين . وكان عبد الله نديم وروفائيل بن صفوع (ابو نضارة) وابراهيم المويلحي من أول من خطا في هذا العصر خطة الهزل في الجد فتذوق معاصروهم هذا النمط من الكلام ، وكان البشري أحد أساطين هذا الهزل المحبوب لعهدنا وكان مع صديقيه محمد البابلي وحافظ ابراهيم من أعظم رجال هذا الشأن .

ومن تلاميذ دار العلوم الذين برزوا في التأليف حفني ناصف واحمد الاسكندري ومحمد الخضري وعبد العزيز جاويش وعبد الوهاب النجار وضرباؤهم واكثرهم من المقلين لأن تعاطي اكثرهم التدريس طول حياته العملية قطعه عن التأليف بعض الشيء ولكنهم أجادوا فيما نشروه للناس فيمكن ان يقال ان علمهم أكثر من عملهم وانهم عاشوا للتوظف لا لأنفسهم . وعلى هذا النحو يمكن القول فيمن لو تفرغوا للتأليف لبرزوا كل التبريز امثال مصطفى المراغي احمد حسنين علي ماهر بهي الدين بركات علي زكي العرابي محمد حلمي عيسى محمد علي علوبة محمود ابو العيون مصطفى عبد الرازق منصور فهمي مظهر سعيد عبد الرزاق السنهوري سنى اللقاني محمد احمد الغمراوي احمد فهمي العمروسي عبد الله عفيفي انطون زكرى ابراهيم مصطفى توفيق اسكاريوس عمر لطفي رزق الله منقريوس .

فان هؤلاء وامثالهم من الأحياء ابانوا بالقليل الذي نشروه عن كفاية تامة اما من الأموات فاحمد شفيق وتوفيق البكري عبد الحميد البكري عبد القادر حمزة علي يوسف علي بهجت اسماعيل رأفت ، محمد توفيق صدقي ، ابراهيم رفعت ، علي ابو الفتوح ، اسماعيل حسنين ولي الدين يكن ، حسن منصور ، حسن توفيق ، امين سرور ، محمد فريد ، مصطفى الدمياطي ، محمود مصطفى .

ومن المؤلفين المجودين احمد كمال الأثري ، محمود سامي البارودي ، حافظ ابراهيم ، احمد شوقي ، اسمعيل صبري وهؤلاء الأربعة انبغ شعراء مصر في هذا العصر واحمد تيمور (باشا) ، واحمد زكي (باشا) واحمد زكي (الدكتور) علي مصطفى ، مشرفة محمد ، مسعود حافظ عوض ، عبد الرحمن الرافعي ، عبد الوهاب عزام ، محمد عوض محمد ، محمد حسين هيكل ، محمد ثابت ، اسماعيل مظهر ، مصطفى كامل ، محمد دياب ، سلطان محمد ، عبد الرحمن الجزيري ، احمد عبدالسلام الكرداني حسن السندوبي ، محمود عرنوس ، زكي نجيب محمود ، محمود الخفيف ، محمد خالد حسنين عبد العزيز الخولي ، سعيد العريان ، محمد عبد الغني ، حسن محمد بدران ، امين

مرمى قنديل ، محمد محي الدين عبد الحميد فكري اباظة ، احمد الزين أحمد فريد الرفاعي محمد فهيم عبد الرحمن البرقوقي .

ومن ألفوا في العلم والطب والاجتماع والتاريخ والآثار والفقه احمد عيسى احمد الشايب زكي مبارك احمد ضيف شوقي ضيف احمد الحسيني عبد الرزاق السنهوري امين واصف مصطفى زيادة امير بقطر توفيق حبيب اسعد داغر زكي حسن فرنسيس ميخائيل يعقوب فام عزيز خانكي حسن ابراهيم حسن سلامة موسى يوسف كرم ابراهيم مدكور عبد الهادي ابو ريدة مصطفى عناني احمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر احمد زكي ابو شادي محمد امين حسونة وفريد وجدي وهذا أجاد في الرد على الماديين اجادة حسنة واجادته قليلة في الكتب الكبيرة الحجم التي كتبها وقد بدت عليها العجلة ولم يظهر الدرس والبحث فيها كثيراً فالاكثار اضرّ بعمل هذا المؤلف النشيط العالم . وارجو ألا يكون كذلك حال المؤلف امين سامي فاني لم يسعدني الحظ بقراءة ما كتب ، ورجال الرأي مجمعون على انه من أعظم المؤلفين .

وطوّس الادب العربي الحديث على اثر الأدب الغربي فكان من مستلزمات ذلك ان يستخدم القصة للتعليم والتسلية والعبث على أساليب الفرنج في هذا الضرب من الأدب ، فمن المجودين في الروايات التمثيلية شوقي والعقاد ومن المجودين في القصة المنثورة توفيق الحكيم ومحمود تيمور فالأول تلمح فيما كتب صورة من صور الغرب اكثر مما تحمل كتابته روح الشرق ، وفي قصص الثاني تتمثل لك الروح المصرية الشرقية وهناك غيرهم من كتاب القصص واكثرهم نقلة ومعربون لم أعرفهم اما لأني ضعيف الولوع بالقصة او لأن ضعف الكتابة فيما وضعوا وترجموا حال دون اعطاء الحكم فيهم .

ويكثر فيهم المؤلفون الذين وضعوا كتباً مدرسية للمدارس الابتدائية والثانوية وبعضهم اشتركوا مع زملائهم في وضعها وقد تجد كتاباً ليست له مكانة

كبرى تعاور تأليفه بضعة مؤلفين واظن الداعي الى ذلك الكسب لأن هذا النوع من الكسب يربح أرباحاً طائلة خصوصاً اذا كان له في وزارة المعارف من يساعد على انتشاره ·

وهناك عشرات من المؤلفين الذين كانوا من أصل سوري فنزلوا مصر وظهر فيها فضلهم ومنهم من تمصر وتحلى بالجنسية المصرية ومنهم من تعاطوا الطب والمحاماة والصحافة والوظائف فما انتجوا كثيراً لأن طبيعة أعمالهم اليومية حالت دون ما قد يشتهون تدوينه لنفع الناس · فمن هذه الفئات يعقوب صروف فارس نمر شبلي شميل خليل مطران عزيز خانكي نجيب حداد امين حداد محمد رشيد رضا رفيق العظم داود بركات خليل ثابت انطون الجميل نعوم شقير سعيد شقير جرجي زيدان محب الدين الخطيب فؤاد صروف وغيرهم ·

بقي ان اقول ان هنالك عشرات من المؤلفين لم تواتني الأيام ان اتشرف بمعرفتهم او استفيد من علمهم في كتبهم وذلك لأن كتبهم لم تشتهر الشهرة التي تستحقها او انهم خاضوا من العلم فروعاً لم اعرفها · وأنا لم أتكلم إلا على المؤلفين الذين عرفتهم وطالعت كتبهم مستحسناً او ناقداً · ولم اقصد بهذه العجالة الحصر فالحصر يحتاج الى نفس أطول · وما زلت شهد الله منذ عرفت مصر اتعرف الى كثير من المغمورين وأعتقد ان بعضهم لو نظموا اوقاتهم بنظام بعيد عن الفوضى الاضطرارية احياناً لاشتهروا في الأقطار بما يوازي مكانتهم الأدبية والعلمية · واني أمثل لذلك بأربعة فقط عملت معهم في مجمع اللغة العربية بمصر وهم حسين والي واحمد العوامري وعلي الجارم ومحمد احمد جاد المولى فقد اعجبت بما انطووا عليه من علم غزير في آداب العربية ومعرفة دساتيرها وأسرارها بيد ان ما نشروه للناس اقل مما كان يرجى منهم · وما عللت ذلك الا بأنهم صرفوا جزءاً عظيماً من أعمارهم في التدريس أو الاستخدام فضاقت أوقاتهم عن الاتساع لغيره من الأعمال الكبرى · نعم تخرج بهم كثيرون ولكن لم تتجاوز أنوار معارفهم البيئة التي اضطربوا فيها · ومن المتعذر ان يحرز الفرد كل المزايا فالمحاضر غير الخطيب

والكاتب غير الشاعر والمؤلف غير المدرس والصحافي غير السياسي ولا عبرة بالشواذ ٠

واكبر الظن ان علة ذلك كله تفضيل الناشئين العيش المنيء المضمون في أبواب الحكومات وايثارهم له على الصناعات الحرة التي يسرح صاحبها ويمرح على هواه ويتحمل وحده تبعة اعماله ٠ ولو ضعفت شهوة الاستخدام في بعض النفوس المصرية ربما زاد عدد الباحثين المجودين وتضاعفت جمهرة من ينتفع الناس منهم نفعاً عاماً وربما كان تغير بذلك وجه المدنية العربية ٠ والأمم التي تعلق كل مجد لها على حكوماتها فقط يكون حظها من الحضارة محدوداً بخلاف الأمم التي يعول بنوها على الاستقلال في الأعمال وتتقزز نفوسهم من الاتكال ٠ وليس من الغرابة في شيء ان يكون معظم مؤلفي مصر في هذا العصر من الذين اتصلوا بالحكومة مباشرة وقل ان رأينا ذا نعمة وسعة من العيش حاول نفع الناس بقلمه وبيانه اللهم الا ثلاثة عظماء من أمراء البيت العلوي الكريم وهم الأمراء عمر طوسون ويوسف كمال ومحمد علي توفيق فكتب الأول في تاريخ مصر الحديثة كتباً مفيدة جداً ووضع الثاني سفراً عظيماً سماه المجموعة الكمالية ضمنه جميع ما كتب في جغرافية افريقية باللغات القديمة والحديثة انفق عليه نحو خمسين الف جنيه مصري وصدر منه الى الآن ثلاثة عشر مجلداً طول الواحد نحو متر ٠ وكتب الأمير الثالث رحلاته الى انحاء العالم الشرقي والغربي فجود بها وأفاد ٠

هذا وقد يتساءل بعضهم فيقول اليس في كل هذا الرعيل من الرجال سيدات جارين الرجال في التأليف في مصر على عهدها الأخير فالجواب نعم ان منهن اليوم من هن موضع العجب فمن عهد عائشة عصمة التيمورية الى زينب فواز وملك ناصف (باحثة البادية) الى ماري زيادة (مي) الى نور الحكيم الى نظلة الحكيم الى زينب الحكيم الى انصاف فهمي الى احسان احمد القوصي الى سهير القلماوي الى امينة سعيد الى غيرهن من المؤلفات نرى طبقة ضاهت الرجال باخراجها ثمرات عقولها للناس وسيخرج من النساء عدد أكبر في الجيل المقبل ٠

محمد كرد علي

الغزالي وزعماء الفلاسفة

١ — تمهيد عام

لتطور الأفكار في تاريخ البشرية قانون عجيب يمكننا ان نسميه قانون التضاد او قانون التناوب في التهالك . وهو يدل على أن كل مذهب من المذاهب سياسياً كان او فلسفياً ، يمهد السبيل لظهور ضده .

والسبب في ذلك أن في الطبيعة البشرية نزعات متضادة كالميل الى التفاؤل والتشاؤم ، والميل الى الرخاء والتقشف ، والميل الى الحياة الروحية والمادية . فاذا سلكنا طريق نزعة من هذه النزعات وبالغنا في ارضائها أدى تهالكنا في ذلك الى إحياء ضدها . ان مبالغة بعض الناس في التفاؤل تدفع بعضهم الآخر الى التشاؤم ، كما ان التهالك في محبة الجديد يوقظ في قلوب الناس محبة القديم .

وما ينطبق على تطور الميول والنزعات يصدق أيضاً على تطور الأفكار . فاذا انكشف لمفكر مذهب جديد بحث أولاً عن أصوله ، ثم رتبها وهذبها ، ثم بالغ في استخراج النتائج اللازمة عنها . واذا لم يبالغ هو نفسه في النتائج قام اصحابه من بعده وبالغوا فيها . حتى يجيء مفكر جديد يصعب عليه التسليم بنتائج ذلك المذهب فيعود الى الأصول وينتقدها ، ثم يصوغها في قالب موافق لنزعته الجديدة . ان المبالغة في النتائج اللازمة عن مذهب (ديكارت) و (ليبنيز) أدت الى المذهب الخيالي وفسحت المجال لظهور المذهب التجربي . كما ان المبالغة في المذهب التجربي أدت الى الريبية ومهدت السبيل لظهور المذهب الخيالي . وهكذا تدور رحى الآراء والمذاهب حول قطبين متضادين ، وينتقل ميزان الفكر من طرف الى آخر حاملاً الى كل طرف ما ربحه من حركته الاولى . فكأن تاريخ الأفكار مسرح يمثل عليه كل مفكر دوره ، وكأن العقل البشري لا يحب الا المآسي .

مثال ذلك ان مذهب سقراط في الأخلاق كان مشتملاً على نزعتين متضادتين أدت المبالغة في كل منها الى ظهور مذهبين مختلفين هما السيرينائية والكلبية . فأصحاب المذهب الأول كانوا يقررون أن السعادة في اقتناص اللذات . واصحاب المذهب الثاني كانوا يعتقدون ان الفضيلة في التقشف واحتقار التقاليد الاجتماعية والتحرر منها . ثم تولد من هذين المذهبين مذهبان آخران هما الابيقورية والرواقية ، كان القائلون بكل منهما يتهالكون في الدفاع عن آرائهم والرد على مخالفيهم ، السابقون يضعون أساس البناء ، واللاحقون يهدمونه ، وفي تهديمهم هذا اصلاح لأصول المذهب ، واستئناف لانشائه .

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ايضاً رد (ارسطو) على كل من قبله من الفلاسفة حتى على استاذه افلاطون . ورد مفكري الاسلام منذ اتصالهم بالفرس واليونان على الثنوية والدهرية . فقد كان ابو الهذيل العلاّف وابراهيم النظام يستعينان بالفلسفة للرد على اعداء الدين . وكان الفلاسفة انفسهم يقتبسون من العقائد الدينية بعض مبادئهم ومقدماتهم ، حتى اصبحت المذاهب الفلسفية في ذلك العهد اشبه شيء بالمذاهب السياسية ، لا بل بالأدوار المسرحية . لكل مذهب زعماؤه ورؤساؤه ، كلما ظهر مذهب جديد انبرى فريق من المخالفين للرد عليه . والسبب في ذلك أيضاً ان كلام المترجمين الذين نقلوا كلام أرسطو الى اللغة العربية لم يخل من التحريف والتبديل ، حتى أثار ذلك نزاعاً شديداً بين الشارحين . وكان أقدم الفلاسفة بالشرح والتحقيق ابو نصر الفارابي وابن سينا حتى سمي الأول بالمعلم الثاني ، وسمي الثاني بالشيخ الرئيس فانتشر بهما مذهب الفلاسفة وتهالك الناس في اتباعه . فلا غرو اذا اطلق الغزالي عليهما وعلى اصحابهما اسم زعماء الفلاسفة وانبرى للرد عليهما في كتاب التهافت ، وزعم انه كشف عن فنون ما انخدعا به من التضليل والتخييل ، وانه برده عليهما انما ردّ في الوقت نفسه على كلام آرسطو . وكما رد الغزالي على الفارابي وابن سينا فكذلك ردّ ابن رشد على الغزالي في كتاب تهافت التهافت :

ان تهافت الناس على الفلاسفة ادى الى حملة الغزالي عليهم كما أن اعجاب الناس بكتب الغزالي دعا ابن رشد الى نقدها . وهكذا لم تزل أبداً حال الفلاسفة بعضهم مع بعض ، اذا عظم أمر أحدهم ، وأخذ الناس في اتباعه ، تصدّى له فريق من المخالفين وحملوا الناس على استنكار مذهبه .

٢ — أسباب حملة الغزالي على الفلاسفة وغايتها

ونريد الآن ان نبحث في الحملة التي شنها الغزالي على الفلاسفة ونبين أسبابها وغايتها وأثرها في تاريخ الفلسفة العربية .

أما **أسباب** حملة الغزالي على الفلاسفة فترجع الى ما شاهده في زمانه من اضطراب الفرق وتعدد المذاهب والطرق ، وانحلال العقائد الدينية . فقد قاسى الغزالي من جراء ذلك آلاماً نفسية عظيمة ، وحاذر ان يقضي هذا الاضطراب على العقائد الاسلامية ، فندب نفسه الذب عن حياض الدين ، واراد ان يكون اماماً مرشداً ومصلحاً دينياً ينقذ اخوانه مما غرقوا فيه من الضلالة . فخاض في ذلك كما يقول[1] «خوض الجسور ، لاخوض الجبان الحذور» . متفحصاً عن عقيدة كل فرقة ومستكشفاً أسرار كل طائفة ، لا يغادر باطنياً الا ويحب ان يطلع على بطانته ، ولا ظاهرياً الا ويريد ان يعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفياً الا ويقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلماً الا ويجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته[2] . فألّف في الرد على مذهب التعليم كتاب المستظهري و كتاب حجة الحق و كتاب مفصل الخلاف ، و كتاب القسطاس وغيرها والّف في الرد على علماء الكلام كتاب الجام العوام عن علم الكلام ، والّف في الرد على الفلاسفة كتاب **التهافت** .

ولكن الفلاسفة كانوا في نظر الغزالي أشد خطراً على الدين من غيرهم لما غلب على الناس من حب كتبهم وحسن الظن في علومهم . فهم قد أرادوا أن

---

(١) الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ص ــ ٦٦ طبعة مكتب النشر العربي بدمشق .

(٢) من المنقذ باختصار ص ــ ٦٦

يزنوا كل شيء بميزان العقل وان يوفقوا بين الحكمة والشريعة ، فكان الدين في يدهم آلةً خادمة للفلسفة حتى تفاقم أمرهم وبالغوا فيما ارادوه ، واصبحوا خطراً على الدين والاخلاق .

أما خطرهم على الدين فيرجع الى انهم اعتقدوا في انفسهم كما يقول الغزالي التميز على أترابهم ونظرائهم فرفضوا وظائف الاسلام والعبادات ، واحتقروا شعائر الدين واستهانوا بالشرع وحدوده ، وكان مصدر كفرهم بزعمه انهم سمعوا باسماء هائلة كسقراط وبقراط وافلاطون وارسطو وأمثالهم واطلعوا على مبالغة متبعيهم في وصف عقولهم وحسن اصولهم ودقة علومهم الهندسية والمنطقية وحكايتهم عنهم انهم مع رزانة عقولهم وغزارة فضلهم منكرون للشرائع والنحل ، جاحدون لتفاصيل الأديان والملل ، معتقدون أنها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة فتجملوا بالكفر واظهروا التكايس في تقليد الباطل . قال الغزالي :

« ولما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضاً على هؤلاء الأغبياء ، انتدبت لتحرير كتاب التهافت رداً على الفلاسفة القدماء ، مبيناً تهافت عقيدتهم ، وتناقض كلمتهم فيما يتعلق بالالهيات ، وكاشفاً عن غوامض مذهبهم التي هي على التحقيق مضاحك العقلاء[1] » .

ولا شك ان المعجب بأقوال الفلاسفة في المنطق والرياضيات يظن كما يقول الغزالي ان جميع علومهم في الوضوح ووثاقة البرهان هي كهذين العلمين ، ثم يسمع بعد ذلك اشياء كثيرة عن كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع فيقلدهم ويقول : لو كان الدين حقاً لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم . دع ان الجهال من اصدقاء الاسلام يكذبون كل ما جاء به الفلاسفة ويقولون انه مخالف للشرع مع ان الذي يقرأ العلوم الثابتة بالبرهان لا يشك في تلك العلوم ، بل يشك في مكذبيها وبسوء ظنه فيهم .

---

(١) التهافت ، ص ٣ ، طبعة مصر .

وأما خطر الفلاسفة على الأخلاق فيرجع الى انهم أهملوا أحكام الشريعة ، فشربوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة وقالوا مع ذلك أنهم ادركوا حقيقة النبوة وعلموا ان حاصلها يرجع الى الحكمة والمصلحة ، وان المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن الاسترسال في الشهوات . فاذا ترفع الانسان عن طبقة العوام سقط عنه التكليف ، وكشف عنه الغطاء ، وأصبح بصيراً بحكمته . وإنك لتجد بعضهم كما يقول الغزالي[1] يقرأون القرآن ويحضرون الجماعات والصلوات ويعظمون الشريعة بلسانهم . وهم مع ذلك لا يتركون فسقهم وفجورهم ، « حتى ان ابن سينا ذكر في وصية له انه عاهد الله على كذا وكذا ، وان يعظم الأوضاع الشرعية ولا يقصر في العبادات الدينية ، ولا يشرب تلهياً ، بل تداوياً وتشافياً ، فكان منتهى حاله في صفاء الايمان والتزام العبادات ان استثنى شرب الخمر لغرض التشفي[2] » . وفي هذا السلوك كما يرى الغزالي خطر على اخلاق الناس .

ولم تكن غاية الغزالي من نقد آراء الفلاسفة سلبية ، بل كانت غاية ايجابية . فهو لم يهدم البناء الذي اقامه الفلاسفة على اساس العقل الا لينشئ صرحاً جديداً على أساس الكشف الباطني والوحي القلبي . فشك في علم الكلام ، وشك في مذهب التعليم ، وشك في الفلسفة ، وشك في العقل ، وانحلت عنه رابطة التقليد وطلب العلم اليقيني ، « وهو العلم الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً ، لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم[3] » ، فوجد علومه غير متصفة بهذه الصفة . وطمع في اقتباس اليقين من الحسيات . فلما تأملها لم تسمح له نفسه بتسليم الأمان فيها ، لأن حاكم العقل كثيراً ما يكذب حاكم الحس ويخونه ويبطله . فلما بطلت ثقته بالحسيات تأمل الضروريات العقلية ، وكاد يثق بها لولا اعتراض الحسيات وقولها لعل وراء ادراك العقل حاكماً آخر ، اذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم

(١) المنقذ ص ١٠٠ (٢) المنقذ ص ١٠٠ (٣) أيضاً ٦٩

العقل فكذب الحس في حكمه . ويمكن ان تطرأ على الانسان حالة تكون نسبتها الى العقل كنسبة اليقظة الى النوم . فالعقل يكذب الحس والحس يكذب العقل كأن هناك مأساة جدلية محزنة ، تظفر فيها العقليات على الحسيات ثم تعود الحسيات فتتغلب بجدلها على العقليات . ولو استسلم الغزالي لهذا الجدل لبقي على مذهب السفسطة ، ولكانت غايته سلبية محضة . الا انه استطاع ان يخرج من الشك عن طريق الكشف الباطني والحدس الديني فعادت نفسه الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية موثوقاً بها على أمن ويقين ، لا ببداهة العقل كما فعل (ديكارت) ولكن بنور قذفه الله في الصدر ، وذلك النور في نظره مفتاح اكثر العلوم .

وها هنا مسألة لا بد من الاشارة اليها وهي ان الغزالي لم يحمل على الفلاسفة لعجزهم في الالهيات عن الوفاء بالبراهين التي اشترطوها في المنطق ، بل هدم آراءهم ليظهر عجز العقل عن الخوض في مسائل ما بعد الطبيعة . نعم انه يقول في بيان اسباب حملته على الفلاسفة انهم ما قدروا في الالهيات على الوفاء بالبراهين التي اشترطوها في المنطق[1] ، « وانهم يحكمون بظن وتخمين من غير تحقيق ويقين ، ويستدلون على صدق علومهم الالهية بظهور علومهم الحسابية والمنطقية ويستدرجون ضعفاء العقول . ولو كانت علومهم الالهية متقنة البراهين نقية عن التخمين كعلومهم الحسابية لما اختلفوا فيها »[2] . « وان ما شرطوه في صحة مادة القياس في قسم البرهان من المنطق وما شرطوه في صورته في كتاب القياس ، وما وضعوه من الأوضاع في « ايساغوجي » « وقاطيغورياس » لم يتمكنوا من الوفاء بشيء منه في علومهم الالهية »[3] وهذه الأقوال تدل بحسب الظاهر على ان الغزالي يؤمن بأحكام العقل ويعتمد على البراهين المنطقية وانه لم ينتقد الفلاسفة الا لعدم وفائهم بشروط البرهان المنطقي في مسائل ما بعد الطبيعة ، فأحكام العقل صادقة ، الا

(١) المنقذ من الضلال ، ص (٢) تهافت الفلاسفة ، ص - ٨ (٣) التهافت ، ص - ٢٦

ان الفلاسفة اساؤا استعمالها ، وخالفوا شروطها . ولو وفوا بهذه الشروط لسلموا من انتقاده اللاذع . ولكن من قرأ كتاب التهافت وتصفح المسائل التي أوردها الغزالي في الرد على الفلاسفة لم يشك أبداً في موقف الغزالي من العقل في علم ما بعد الطبيعة . فهو لم يحمل على الفلاسفة لتقصيرهم في الوفاء بشروط البرهان فحسب بل هاجمهم ، كما فعل ابن خلدون بعده ، لتهديم صرحهم الفلسفي من أساسه ، معتقداً أن أحكام العقل صادقة في الرياضيات والمنطقيات والطبيعيات اما في علم ما بعد الطبيعة فان العقل المحض عاجز عن الوصول الى اليقين ، وسيتضح لنا هذا الأمر عند استعراض بعض المسائل التي كشف الغزالي عن تناقضها الداخلي وهي كلها تدل على ان الغزالي لا يقتصر على تعجيز الفلاسفة عن اقامة الدليل وتخطيئهم في البرهان فحسب ، بل تشير الى ان مسألة الصفات الالهية ومسألة ازلية العالم وابديته ، ومسألة استحالة الفناء على النفوس البشرية وغير ذلك من المسائل ، لا توزن بميزان العقل البشري ، بل يحتاج العقل في ادراكها الى عامل آخر هو الكشف الباطني والايمان القلبي والوحي الديني .

٣ — طريقة الغزالي في الرد على الفلاسفة

اما طريقة الغزالي في الرد على الفلاسفة فتشبه رد رؤساء المذاهب او زعماء الأحزاب على آراء مخالفيهم . فهو ينقد أدلة الفلاسفة كما ينقد الصيرفي الماهر الدراهم الزائفة . ويخرج منها الزيف وغير الصحيح من الفاسد ، حتى لقد أظهر في ذلك حذقاً لا مثيل له في تاريخ الفكر العربي . لم ينتقد الغزالي مذهب الفلاسفة انتقاداً عاماً مبهماً كما يفعل النقاد في أيامنا هذه ، بل انتقده انتقاداً عميقاً منظماً . فحدد المسائل التي خالف فيها الفلاسفة عقائد الاسلام ، ففندها واحدة واحدة ، وانتقد ما فيها من جهات الضعف . ومن اجل الرد على الفلاسفة قرأ الغزالي مذهبهم وألف فيه كتاباً وجيزاً سماه كتاب المقاصد ، نظر فيه نظر الباحث الذي يقرر المسائل ويحكيها على وجهها ، غير متعرض لما فيها من حق أو باطل . والسبب

في ذلك انه لم يرض لنفسه ان يظن به الغفلة عن أصل حجة الفلاسفة ، فلذلك قررها الى أقصى حدود الامكان ، ثم عاد الى ذلك في كتاب التهافت ، فأفرد لكل مسألة من المسائل بحثاً خاصاً . ومن قرأ كتب ابن سينا وقرأ بعدها كتاب التهافت اعجب بقدرة الغزالي على عرض المسائل وايضاحها . وربما كانت قراءة كتاب التهافت ضرورية لكل من أراد ان يفهم مذهب ابن سينا . فهو قد قرر حجة الفلاسفة بلغتهم واصطلاحهم وهجر في رده عليهم الفاظ المتكلمين والاصوليين ، بل اوردها كما يقول بعباراتهم في المنطق ، ودخل عليهم في ذلك كله دخول مطالب منكر لا دخول مدع مثبت ، فقطعهم بإلزامات مختلفة فالزمهم تارة مذهب المعتزلة واخرى مذهب الكرامية ، وطوراً مذهب الواقفية وجعل الفرق جميعها إلباً عليهم ، واراد ان يتفق الجميع ويتظاهروا عليهم ، فعند الشدائد تذهب الأحقاد .

وطريقة الغزالي هذه تذكرنا بطريقة القديس توما الاكويني في رده على الملحدة فهو يعرض المسألة ثم يقسمها الى وجوه مختلفة ، ويعين المطالب ثم يذكر أجوبتها ، ويحدد الشبه ثم يبين وجه الخروج منها ، ثم يورد الاعتراضات المقابلة ويفندها . وربما كان كتاب التهافت اكمل ما وصل اليه فن الجدل المدرسي عند العرب ، فهو اكمل من كتاب الانتصار لأبي الحسين الخياط واكمل من كتاب تهافت التهافت لابن رشد من حيث اسلوبه وفنه . والفارابي وابن سينا لم يبرزا في هذا الفن ، كما ان ابا الحسن الأشعري لم يوفق في مقالات الاسلاميين لشيء من هذا ، لأنه اقتصر على عرض عام للآراء والمذاهب من غير ان يفصل المطالب ويجادل فيها . ومن قارن بين أسلوب الغزالي واسلوب ابن سينا اعجب بقدرة الأول على التحليل والافهام . فأسلوب ابن سينا هو أسلوب الفيلسوف الموزون كل لفظ من الفاظه مطابق لفكرة معينة ، ليس فيه زيادة او نقصان اما أسلوب الغزالي فهو أسلوب الخطيب ، او أسلوب الواعظ والمعلم تتدفق الفاظه كالسيل وتجيء مفعمة بالفكر والعاطفة . وقد تجد للمعنى الواحد عنده عدة الفاظ ،

وتجد للفظ الواحد عدة معان تختلف باختلاف الكلام وسياق العبارة ، وقد تتبدل معانيه بحسب ما يخاطب به كل سائل ومسترشد . وليس في الفلسفة العربية كتاب بلغ من دقة الألفاظ ورشاقة الأسلوب ما بلغه الغزالي في المنقذ من الضلال والاحياء من حسن الاشارة ولطف العبارة ، اللهم الا كتاب حي بن يقظان لابن طفيل .

وكثيراً ما كان الغزالي يعدل عن الفاظ الفلاسفة الى الفاظ مألوفة عند الفقهاء معتادة الاستعمال عند علماء زمانه ، كما فعل في كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر فأعانه ذلك على نشر أفكاره ، قال ابن طملوس : «غير اني عندما تصفحت كتب ابي حامد رأيت من تلويحاته واشاراته التي تكاد ان تكون تصريحاً ان له فيها (أي في صناعة المنطق) تآليف وورى في تسميتها عن ان يسميها باسم المنطق . وهذه الكتب منها معيار العلم له وكتاب محك النظر وهو دون المعيار وكتاب القسطاس المستقيم ومقدمة المستصفى في الفقه ، ومنها مقدمة المقاصد . فهذه الكتب التي الفها ابو حامد هي من صناعة المنطق ، لكن ابا حامد غير اسماء الكتب واسماء المعاني المستعملة فيها ونكب عن الفاظ أهل الصناعة الى الفاظ مألوفة عند الفقهاء معتادة الاستعمال عند علماء زمانه . وما فعل هذا كله الا حذراً وتوقياً من ان يجري عليه ما جرى على غيره من العلماء الذين اتوا بالغريب وغير المألوف من الامتحان والامتهان . فصانه الله عن ذلك بلطفه وبما اعطاه من بديع الحيلة . فانه عاشر جميع الاصناف وولج معهم الولوج الذي شاركهم به المشاركة التامة حتى صار اماماً في كل صنف ورئيساً في كل مذهب» (١)

فالغزالي لم يستعمل لغة الفلاسفة واصطلاحهم الا في كتاب المقاصد وكتاب التهافت أما في كتبه الأخرى فقد غير اسماء المعاني ، وفضل الألفاظ المألوفة عند أهل زمانه على الألفاظ الفنية الغريبة . ولولا ذلك لما أقبل الناس على مطالعة كتبه ولما اعجبوا بما فيها من حسن الترتيب وجودة النظام والتبويب .

(١) ابو الحاج يوسف بن محمد بن طملوس ، كتاب المدخل لصناعة المنطق ، طبعة مجريط ١٩١٦ ص ١٣

٤ — موضوع الخلاف بين الغزالي والفلاسفة

ولكن ما هو موضوع الخلاف بين الغزالي والفلاسفة ؟

لقد أشار الغزالي في كتاب التهافت الى ان الخلاف بين الفلاسفة وغيرهم انما يرجع الى ثلاثة أقسام :

١ — قسم يرجع النزاع فيه الى الفاظ مجردة كتسميتهم صانع العالم جوهراً مع تفسيرهم معنى الجوهر بأنه الموجود لا في موضوع اي القائم بنفسه الذي لا يحتاج الى مقوم يقومه . ولا مجال لابطال هذا في نظره لأن المعنى اذا اتفق عليه في الذهن يرجع الكلام في التعبير عنه الى اللغة والاصطلاح .

٢ — والقسم الثاني من هذه المسائل لا يصدم اصلاً من أصول الدين كالعلوم الرياضية والمنطقية فليس شيء منها يتعلق بأمور الدين نفياً واثباتاً . وهي أمور برهانيه لا سبيل الى مجاحدتها . ومن ظن ان المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وعلى نفسه معاً .

٣ — والقسم الثالث يشتمل على المباحث الالهية التي تصدم اصلاً من أصول الدين ذكر الغزالي منها في كتاب التهافت عشرين مسألة خالط فيها الفلاسفة فبدعهم في سبع عشرة مسألة وكفرهم في ثلاث هي القول بقدم العالم ، واقتصار علم الله على الكليات دون الجزئيات ، وانكار حشر الأجساد .

لا يتسع المقام الآن لاستعراض جميع هذه المسائل ، ولو أردنا استقصاء مسألة واحدة منها استقصاء تاماً لاحتجنا الى مقدمات طويلة من فلسفة ابن سينا والفارابي . فلنقتصر اذن على الاشارة الى بعض القضايا التي تدل على ان الغزالي قد وفق في نقده لوضع اصول جديدة لفلسفة عامة جديدة . وهذه القضايا التي نريد ذكرها على سبيل المثال هي مسألة المعرفة ، ومسألة العالم والزمان والمكان ، ومسألة السببية .

يتبع : جميل صليبا

آل بكتكين ـ مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(٥٢٢ هـ ـ ٦٣٠ هـ)

١ ـ كلمة

تكونت في العراق امارات عديدة نالت مكانة في التاريخ . وأغلبها لم تكسب ثقة الشعب ولا حصلت على الاعتماد المطلوب في الادارة أو في خدمة الحضارة والعلوم والآداب . والامارات الصغيرة لا يتعرض لذكرها أحياناً بأكثر من العلاقات المهمة الخاصة بالدول الكبرى ، مما أدى الى اغفال أعمالها الداخلية وأوضاعها الذاتية وبذلك صعب البحث لقلة وسائل الوصول الى حقيقة التاريخ لهذه الامارات وتفاصيل حياتها .

وان هذه الامارة من تلك الامارات الصغيرة تكونت في اربل سنة ٥٢٢ هـ ـ ١١٢٨ م وكانت أقطعتها دول الأتابكة في الموصل ايام عماد الدين زنكي (٥٢١ ـ ٥٤١ هـ) لأحد امرائها (زين الدين علي كوچك) . فصارت تابعة لها مدة . ثم تطورت بها الحالات فتابعت (الدولة الأيوبيه) في الشام ، ثم مالت الى (الخلافة العباسية) لما رأت من جفاء الأيوبيين ، فعدلت عنهم . تقلبت بها الأوضاع السياسية في أطوارها كلها . وهكذا كانت في علومها وآدابها تابعة لهذه الدول . فلم يطرأ عليها فتور ، ولا خلل فعاشت الى رمضان سنة ٦٣٠ هـ ـ ١٢٣٣ م ، فبلغت عمراً تجاوز المئة سنة تمكنت في خلاله من التوجيه السياسي والاجتماعي والثقافي ، وولدت اتصالاً سياسياً وعلمياً بالأقطار الاسلامية العديدة من عربية وغير عربية ، وأحسنت الادارة ، وقامت بمشاريع خيرية مهمة نالت

بها مكانة من نفوس الشعب ، وبقي ذكرها مردداً على الألسنة وفي بطون التواريخ ، لهج به القاصي والداني ، نالت من سموّ المكانة ما لم تبلغه الامارات التي توالت على إربل قبلها أو بعدها ...

وربما زاد ذكرها وفاقت غيرها من امارات كبيرة أو دول شغلها عن الأمر الأهم ما شغل من آمال خسيسة قضتها في حروب ، أو ألهتها الاضطرابات من جراء سوء التدبير ، ومن المغامرات التي لا طائل تحتها .

وهذه الامارة لا تزال آثارها شاخصة للعيان ، جليلة في ماهيتها وفي أثرها وتأثيرها ، وصلت الى أقصى ما استطاعت ، فكانت في كل صفحة من صفحاتها تدعو للالتفات ، وتستوقف النظر ، وتستحق التدوين في عامة أمورها حتى في علاقاتها الخارجية بل ان هذه العلاقات مدونة اكثر مما هو خاص بأصل الامارة وداخليتها . لا سيما أيام آخر امرائها (مظفر الدين كوكبري) سارت من أول نشأتها في طريقة مثلى التزمتها . واستمرت في تكامل وعظمة حتى أيامها الأخيرة . لم تدع لتطرق الفساد اثراً ، ولا لسوء الادارة مجالاً ولم تتسرب اليها الأهواء ، ولم يداخلها الغرور وأمل الاستيلاء . وانما اعتبرت استثمار المملكة واستغلالها من خير الوسائل وأجلها مقرونة بحسن الادارة ، وجليل العمران ، فأخذت بنصيب وافر مما غفل عنه كثيرون أعماهم الجهل أو الحرص والطمع ...

ويهمنا ان نعلم عن هذه الامارة ما كان من أمرها مجموعاً ، وندوّن ما عرف من حياة ، ومن اتقان عمل بقدر ما أمكن العثور عليه من الوثائق ، وما سمحت به النصوص التاريخية . وكأنّ امراءها تعاهدوا على الصلاح والتزموا الاصلاح ، وتعاقدوا على الخير فضربوا رقماً قياسياً للادارة الحقة ، والسياسة القويمة حتى جاءت أيام (كوكبري) ، فظهرت اكثر ، وبدت أوضح .

ولم يكن خيرهم مقصوراً على أعمالهم لأنفسهم أو لمدنيتهم ، بل تجاوزوها لخدموا الاسلام في جهادهم ، ورعوا الثقافة ببذلهم للمدارس ، وبالصرف بسخاء لاتصال العلوم والآداب ، فنالت هذه الامارة الفخر والأجر ، وعاشت بهناء واطمئنان

مرغوباً فيها من الأهلين ومن الخارج ، فكانوا في ارتباط بالعلماء لمختلف الاقطار .

كانت هذه الامارة في الأصل إقطاعاً كأمثالها من امارات عديدة ، تولت إربل أيام الاتابك عماد الدين زنكي في رمضان سنة ٥٢٢ هـ — ١١٢٨ م ، ودامت على الولاء والموالاة للأتابكة من أسرته الى ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٨٠ هـ — ١١٨٤ م وفي التاريخ المذكور مالت الى (الدولة الأيوبية) . وبقيت على الولاء لها مخلصة الاخلاص كله ، لم تلعب بها الأهواء الى سنة ٦٢٧ هـ . ولما رأت من حكم الملك الأشرف[1] ما رأت من جفاء وصدود ، بل من اتفاق بينه وبين بدر الدين لؤلؤ على الوقيعة بها وعزم بدر الدين على أخذ اربل منها مالت الى الخلافة العباسية ، وذهب مظفر الدين كوكبري في المحرم سنة ٦٢٨ هـ — ١٢٣٠ م الى بغداد بعد أن استنجد بالخليفة المستنصر بالله ، فنهى عن التدخل في أمره ، ومن ثم انتمى اليه .

وفي خلال ادارة هذه الامارة لم تدع مجالاً للاطماع ان تتحكم ، بل كانت في يقظة تامة وانتباه زائد لما كان يجري في العلن أو الخفاء فلم تقصر في إعداد العدّة للطوارئ وانما كانت على استعداد لكل ما يتوقع . وفي أيام انقيادها لحكم الأتابكة وتوسع ادارتهم كانت تستخدم قوة جيشها لمصلحة الأتابكة ، ولغاية التمكن من القضاء على حكم المجاورين فكان عملها كبيراً ، فالارتباط مشهود في السياسة العامة ، وملحوظ دوماً في عهد الأتابكة ؛ ونعرف درجة ذلك في الاتصال بدولة بني أيوب ، ثم بالخلافة العباسية .

من الضروري معرفة ذلك ، وادراك علاقته بالدولة السلجوقية ، وبالخلافة العباسية والا كنا بعيدين عن الاطلاع على كنه هذه الامارة والاحاطة بموقعها ، أو غافلين عن مجرى الأمور في التاريخ العراقي والاسلامي وسياسته الخارجية .

وهذه المعرفة لا تؤدي الى الهدف المطلوب حتى نعلم سياسة اربل الداخلية وادارتها

(١) تملك الرها سنة ٥٩٨ هـ ـ ١٢٠١ م وكذا حران ، وانتمى اليه بدر الدين لؤلؤ مما دعا الى أن يميل كوكبري الى المعظم والظاهر غازي . وهكذا توترت العلاقات .

المحلية ودرجة علاقتها بالاهلين عسكرياً وادارياً وثقافياً ، ومقدار ما أسدى أمراؤها من خدمات متصلة باربل مباشرة .

تحتاج كل هذه الى استعراض الوقائع وتثبيتها ، وهي مبعثرة هنا وهناك في طيات كتب التاريخ ، فمن الحتم علينا أن نثيرها ، ولا نبالي بالصعوبات ونبذل المستطاع في تنظيم هذه الجهود ، ونقدم ما يتجدد عندنا من المعرفة ليضاف ، فتنجلي الحالة بأمثلة لا تستغني بالموجود بل تتطلب الاكمل والكمال .

واذا كان مجرى الحوادث لا يدرك الا من الوقائع الثابتة والاستعانة بها ليؤدي الأغراض المطلوبة اشارة أو صراحة فان الاستكثار منها ، ومراعاة الحالة المشهودة والوضع الجغرافي مما يؤدي الى معرفة القدرة التي كسبتها هذه الامارة من ضبط الأمور فتظهر الادارة الحكيمة والسياسة المستقيمة التي بلغتها .

ولا يكفي هذا وحده ، وانما نحتاج أكثر الى ما يعين أوضاع الدول الاسلامية في حالاتها السياسية نحو الامارات ، ونحو بعضها . وليس لدينا الا ما يلهمه التاريخ مقروناً بالوضع المشهود ، فنرى الصعوبة كبيرة والمهمة شاقة . وربما كان التصدي لها تعرضاً لما يعدّ عملاً متعباً جداً .

وانا في هذه الحالة استنطقنا نواحي عديدة أمثال ما ذكر . ومن أهم ما هنالك العشائر وما فيها من طاعة ، وما يبدو من أوضاع جغرافية تفسر الحوادث ومثل هذه لا تدرك بسهولة ، فلا تفي الوقائع بالحاجة اذ قد تأتي من جهة واحدة ، ويتخللها اعلانات وتهويلات تتعلق ظاهراً بالخدمة العامة وينطوي باطنها على آمال ونيات تنزع الى الاستيلاء والتحكم ، أو اختلاق معاذير لا أصل لها ، فتظهر في العلاقات الخارجية . وهنا الانتباه واليقظة .

نرى المثبطات كثيرة في الوقوف على مثل هذه الأحوال وادراك كنهها ، والخذلان بين ، تكاد تكون القدرة مفقودة . ولعل في هذه النبذة ما يكون أصلاً للتوسع فيضاف ما أغفل أو أهمل فيتوالى التتبع العلمي ليكمل الغرض التاريخي .

وهذه الكلمة نتيجة إلهام وقائع ، ومجاري تاريخية تعين ما جال في الخاطر ،

وما رغبنا في بيانه من خلاصة المطالعات في تكوّن هذه الامارة، ودوامها، وانقراضها، أو معرفة سياستها الداخلية والخارجية حتى صارت في طيات التاريخ، ففي حياتها هذه غرابة وفي ادارتها قدرة التمكن من ناصية الأمور، ودوام حياتها من أغرب الغرائب بين دول عديدة لها آمالها وأمانيها، وقد ندرك نياتها من اتفاقاتها ومعاهداتها وما طرأ على هذه الامارة من جرائها، وللمجاورة دخل في الايضاح، وللعداء طريقة في الاظهار والاعلان. والنزعات لا تحصى، والتقصير في التدوين لاينكر. والعلوم والآداب نالت مكانة ونجحت نجاحاً باهراً لا يقل عما سبقه، زادت في المصانع الخيرية وأعمال البر، وقوت ماستطاعت من علاقات ثقافية.

نحن في حاجة عظيمة الى التنظيم والاظهار لتاريخنا هذا وأمثاله. جعلت (التاريخ السياسي) قسماً، و (التاريخي العلمي والأدبي) قسماً يتلوهما مايتعلق بالحضارة والعمران جعلناه قسماً آخر بعنوان (تاريخ المجتمع) وبعد ذلك كله أنهينا القول بكلمة ختامية.

٢ — التاريخ السياسي

١ — السياسة الدولية

عاشت الدولة العباسية بصولة وقوة من سنة ١٣٢هـ — ٧٤٩ م ودامت مدة بلغت بها أوج الكمال، ثم تناوبتها أحداث فلت من غربها وخضدت من شوكتها بحيث اضطرب فيها حبل الأمن داخلاً وخارجاً واستمرت على ذلك حتى قضي على استقلالها بتغلب (البويهيين) ودخولهم بغداد في ١٢ جمادى الاولى سنة ٣٣٤هـ — ٩٤٥ م. وأزيل حكم هؤلاء من بغداد بعد مضي اكثر من مائة سنة في ٢٥ رمضان سنة ٤٤٧ هـ — ١٠٥٥ م بتغلب (دولة آل سلجوق)، فحلت محلهم. وهذه الدولة ظهرت بقوة فائقة سيطرت بها على الخلافة وعلى أقطار عديدة. ولم تقنع بالطاعة وحدها، ولا اكتفت بالاذعان بل أرادت ان تكون هذه الامارات خالصة لها فأبدلت اماراتها بمماليك من الترك أو امراء منهم وبينهم من تسمى بـ (الأتابكة) مثل (الخوارزمشاهية)، و (أتابكة الموصل) و وأتابكة آخرين، فنحوا الامارات

الأولى وأقصوها عن الحكم، وصار أمر البلاد بأيديهم رأساً فلم يقنعوا بالسلطة العامة، بل انتزعوا الممالك، وقضوا على اماراتها، فصارت في حكم أمرائها اقطاعاً لم جروا على ذلك. وكادوا ينجحون في التسلط على الممالك واماراتها ويسيطرون على البلاد وأن يكونوا بمأمن من الغوائل لو لا ان الأمور لم تجر دائماً طبق المراد، وانما تولد الشقاق في نفس الأسرة المالكة فداخل أفرادها الطمع، وامراءها الاثرة، فتطرق اليها الخلاف مما ادى الى التطاحن والخصام، والهى عن السيطرة المنشودة أو التمكن من الادارة بتلك الهمة.

وشعر أهل الاقطاع من الأتابكة بقوة، وجل ماعملوا انهم ناصروا بعض الأمراء للتمكن واستعان هؤلاء الأمراء بهم لصد غائلة المطالبين بالسلطنة، أو الميل الى الثائرين من الأسرة المالكة، فولد ذلك نخوة في نفوس الأتابكة، فأضمروا الانفصال عن أصل الدولة. شعروا بأن الضعف استولى عليها، وكان هؤلاء الأتابكة قوة بيدها زمام الأمر، فتظاهروا بالتابعية، ولكنهم انسلوا منها، وهكذا مضوا في طريق الاستقلال، ومن أشهر هؤلاء (اتابكة الموصل)، وان امارة اربل كانت تابعة لها.

والخلافة العباسية حاولت الاستفادة من ضعف الدولة السلجوقية وانشقاقها على نفسها، وهي تحرق الارم على هؤلاء المتغلبة الذين سلبوها استقلالها، ولكنها كانت عاجزة لا تملك من القوة ما تستطيع عمله، وبغداد وحدها لا تكفي، وهي أيضاً في تشتت آراء، واضطراب أوضاع، وليس في وسعها رفع التغلب، وقد حرمت الوسائل. واذا كانت قد استطاعت في أيام المقتفي رفع التسلط عن بغداد سنة ٥٤٧ هـ ١١٦٢ م فلم تقدر أن تقاوم الأتابكة، ولا ان تسترد ما تغلبوا عليه، ولم تتمكن حتى من اربل، أو من دقوقا، أو تكريت، أو شهرزور، أو الحلة ... ولم تقدر ان تمس الأتابكة في الموصل، ولا الأيوبيين في الشام وانما تمكنت من بعض الأطراف.

وفي هذه الحالة من ضعف آل سلجوق، ومن الخلافة تيسر للأتابكة أن يعيشوا فيهددوا الامارات الصغيرة المجاورة والخلافة معاً حتى بعد انقراض الدولة السلجوقية

سنة ٥٩٠ هـ — ١١٩٤ م . ولم يكن في مقدور الخلافة أن تخضع أتابكة الموصل ولا أتابكة اربل ، بل كانت مهددة بالخوارزميين ، فصار هؤلاء يحاولون ان يحلوا منها محل الدولة السلجوقية ابان تغلبها مما ولد لها مشاكل بسبب هذه المشادة التي نهكت الدولة العباسية ، ونفرت الأهلين منها أيام الخليفة الناصر خاصة .

عاشت دولة الأتابكة ولم تخش الدولة العباسية ، ومثلها دولة الأيوبيين . وهكذا كانت الامارات المشتقة من الاتابكة و (امارة اربل) إحداها .

وموضوع بحثنا (امارة اربل) ، وهذه لم تتمكن الخلافة من اخضاعها ، ولا دولة الاتابكة في الموصل استطاعت القبض على قيادها . ولا الدولة الأيوبية قدرت أن تتسلط عليها ، بل كل واحدة كانت تخطب ودّها ، وترغب في أن تميل اليها لتعديل الكفة ، والاحتفاظ بالموازنة . وكانت سياستها التهديد للواحدة بالأخرى على الرغم من ضعفها بل برهنت مراراً على قدرة في جيشها في واقعة (حطين) ، وفي حادث هجوم أتابكة الموصل عليها أيام مجاهد الدين قايماز وانفصاله من اربل ، وفي حادث قطعها العلاقات من الدولة الأيوبية ...

ويصح أن تعتبر أدوارها التاريخية :

١ — تابعيتها لأتابكة الموصل . من سنة ٥٢٢ هـ الى سنة ٥٧٨ هـ .

٢ — انقيادها لآل أيوب . من هذا التاريخ الى سنه ٦٢٧ هـ .

٣ — طاعتها للخلافة العباسية . من ذلك العهد الى سنة ٦٣٠ هـ .

والنصوص التاريخية تعين أوضاعها . كانت تحسب بعيداً وتفكر في أمرها تفكيراً عميقاً ، ولم تترك شؤونهـا للمقدرات ، أو لتلاعب الأهواء بل كانت المسيطرة على الحالة . الحاكمة على الموقف .

وفي هذه كلها ما يعين وضعها السياسي بين (الدول الاسلامية) ويلتمس في حسن التدبير ، والالتفات الى تنظيم الحالة المالية في ميزانيتها . وفرت مبالغ مهمة للطوارئ ، وأخرى للجيش ، وهكذا للمشاريع الخيرية وسائر الأمور . ولم تقف في حالاتها عند ذلك بل راعت أمر المسلمين ، وقامت بالمصالح العامة من مساعدات

حربية ، وفكّ أسرى ، ومشاريع ثقافية ، وصلات علمية ، ومعاهد دينية . ولعل في إلمام الوقائع ما يبصر اكثر من هذا الاجمال فتنجلي أمورها التاريخية واضحة لا خفاء فيها ولا ابهام .

ولا شك ان تاريخ هذه الامارة يستحق البحث من وجوه ، وأرجو ان يكون هذا نواة صالحة للتوسع .

٢ — آل بكتكين

(امراء هذه الأسرة)

ان السياسة الخارجية تظهر جلياً في هذه الامارة وعلاقاتها بالدول ، وكذا الارتباط بالأهلين وأمر ادارتهم داخلياً وهذه كلها لا تتعين الا في وقائعها المعروفة وما قامت به من أعمال . وكل ما نعلمه ان هذه الامارة كانت إقطاعاً من أتابكة الموصل في شهر رمضان سنة ٥٢٢ هـ — ١١٢٨ م فقامت أعمال حربية وسياسية وثقافية .

ظهرت قدرتها فيما حكمته من أرض ما بين الزابين المسماة بـ (صهران) أو (صوران) من مملكة اربل . وفي إقطاعها ، ومتابعتها للموصل ، ثم انقيادها للدولة الأيوبية فالخلافة العباسية مما توضحه الحوادث التاريخية والشؤون السياسية في تفسير هذا الميل ، ويتخلل ذلك بعض الأوضاع الخارجية والداخلية معاً .

وفي امارتهم هذه أرضوا الأهلين ، فلم يكونوا عتاة جبارين ، ولا أرهقوا اربل اكثر مما تطيق ، وانما عاملوها بالحسنى ، وراعوا رغبتها ، وولدوا فيها ثقافة بلغت من الشهرة مبلغاً عظيماً ، فصارت مطمح أنظار العلماء ، ومحط رحال أهل الثقافة ، وآثار هذه الامارة في اربل لا تحصى . ويتعين ذلك بالكلام على كلّ واحد من امرائهم حتى نختمها بكبير هذه الأسرة وآخرهم مظفر الدين كوكبري ...

وهذه قائمة امرائهم .

١ — زين الدين علي كوچك بن بكتكين ولي اربل سنة ٥٢٢ هـ .

٢ — مظفر الدين كوكبري . حكمها من سنة ٥٦٣ هـ حين وفاة والده .

٣ — زين الدين يوسف ينالتكين بن علي كوچك . صار أميراً مكان اخيه سنة ٥٦٧ هـ .

٤ — مظفر الدين كوكبري للمرة الثانية والأخيرة . وليها بعد وفاة أخيه سنة ٥٨٦ هـ ودام حكمه الى ان توفي في رمضان سنة ٦٣٠ هـ .

وتهمنا معرفة تاريخ هـذه الامارة باعتبارها جزءاً من تاريخ العراق لا سيما وقد حصلت على مكانة ذائعة . وكان ابن المستوفي وضع تاريخاً لها سماه (نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل) لم يصل الينا منه إلاّ ما علم اخيراً من وجود جزء منه في لندن . وعرف بعض النقل منه مفرقاً هنا وهناك . وآخرون لخصوه أو كتبوا تاريخ اربل ممن لم تصل الينا تواريخهم [1] .

وغالب المراجع الأخرى تتعلق بالموصل ، أو بالشام وأنحائها ، وبالخلافة العباسية وصلتها بمؤرخيها ويغلب على هذه الشمول ، أو الخصوصية بدولة الأتابكة ، أو بدولة آل أيوب . وفي هذه تعرض لبعض المطالب . وقلما نرى من الحوادث ماوله شهرة عامة .

لم تصل الينا الا نتف من هذا التاريخ مبددة . وغاية ما يقال فيها انها (تاريخ علاقات) ، فالنقص فيها ظاهر ، وقد رجعنا اليها ، والى النقود المضروبة ، والمدونات العديدة . مزجناها بمشاهدات الأوضاع الطبيعية أو الجغرافية ، والعشائر والأهلين . والآثار الأدبية ، والعلمية . فجمعنا ما يصلح من تاريخ هذه الامارة بالرجوع الى الأتابكة وتاريخهم في العهد الأول ، والى الدولة الأيوبية في العهد الثاني ، والى الخلافة العباسية ومدوناتها في الزمن الثالث من أدوار حياتها . فتكونت جملة صالحة مما يأتي النقل منه في حينه . وعلى كل حال كانت هذه الامارة جديرة بالبحث .

٢ — زين الدين علي كوچك

هو ابن بكتكين ، أول أمراء هذه الأسرة باربل . كان استولى على اربل

---

(١) كشف الظنون ـ تاريخ اربل . والاعلان بالتوبيخ ص ١٢١ .

عماد الدين زنكي في رمضان سنة ٥٢٢ هـ[1] فجعلها اقطاعه . وعرف بـ (كوچك) لأنه كان صغير الجسم . أصله من التركمان من مماليك قسيم الدولة والد عماد الدين .

وفي الغالب لم يعرف عن الامارات الصغيرة مثل اربل ، ولا ذكر عن أمرائها ما يشفي غلة . فاذا علمنا بعض اسماء أمراء اربل مثل أبي الهيجاء ، وابنه الأمير فضل[2] فلا نعرف اكثر من ذلك . ولما قتل قسيم الدولة سنة ٤٨٧ هـ — ١٠٩٤ م ما كان عماد الدين بلغ العشر سنوات . وكذا كان زين الدين علي كوچك صغيراً . فتقلبت الأحوال بعماد الدين زنكي ، واجتمع اليه اعوان والده حتى دخل الموصل والياً في ١٠ شهر رمضان سنة ٥٢١ هـ — ١١٢٧ م فأسس امارة الأتابكة في الموصل وفي رمضان سنة ٥٢٢ هـ — ١١٢٨ م استولى على اربل ، فصارت اقطاعاً لزين الدين وأصبح تابعاً لامارة الموصل .

تحولت الأحوال بهذه الامارة وتغير وضعها فمالت للأيوبيين وتمّ الاتفاق بينهما في ذي الحجة سنة ٥٧٩ هـ - ١١٨٤ م وبعدها في سنة ٦٢٧ هـ انحرفت عن الدولة الأيوبية ، وفي المحرم سنة ٦٢٨ هـ — ١٢٥٠ م ألحقت بالخلافة العباسية حتى انقرضت هذه الامارة في رمضان سنة ٦٣٠ هـ بوفاة مظفر الدين كوكبري .

وزين الدين علي كوچك أرضى دولة الأتابكة لما قام به من خدمات فحصل منها على اقطاع اخرى مثل الهكارية (العمادية وأنحائها) ، وعقر الحميدية وحرّان وتكريت وشهرزور . وتقدّر مكانة هذا الاقطاع في الخدمات التي أسداها بل اعتقد ان دوام ملك الأتابكة وتوسعه مدين لاربل وحسن ادارة المترجم فيها ، والجيش الذي استخدمه في القضاء على الامارات الصغيرة .

وكان رجال عماد الدين زنكي أصحاب مواهب لم يتهيأ مثلهم في دولة الا قويت ادارتها ونشطت في حروبها ، واكتسبت سياسة مكينة في قوام حكم ،

---

(١) كتاب الروضتين طبعة سنة ١٢٨٧ وادي النيل بمصر القاهرة ج ١ ص ٣٠

(٢) الاعتبار لأسامة بن منقذ ص ٨٧ طبعة جامعة برانستون الولايات المتحدة .

وتجلت قدرتها . ومن أبرز رجالها نصير الدين جقر بن يعقوب ، كان نائب عماد الدين زنكي . ولما قتل في ذي القعدة سنة ٥٣٩ هـ — ١١٤٥ م استقر رأي الأتابك في ان يكون (زين الدين علي كوچك) نائبه على الموصل ، ولم يتعرض لاقطاعه في اربل وغيرها ، وبقيت هذه الاقطاعات في أيدي نوابه .

قال ابن الأثير في أتابكة الموصل :

« استقر زين الدين وتمكن ، وسلك بالناس غير الطريق التي سلكها نصير الدين ، فاطمأن الناس وأمنوا ، وازدادت البلاد معه عمارة . » اهـ

وقال الفارقي في تاريخه :

« كان قد قتله غلمانه في ٨ ذي القعدة من السنة ورتب في الموصل زين الدين علي كوچك وكان لقي الناس من نصير الدين شدة من الجور والظلم والقتل والمصادرات والأقساط فلما ولي زين الدين أزال ذلك جميعه فأحسن الى الناس والرعايا وجميع البلاد ورأى الناس منه كل خير الى ان مات » اهـ [1] ومدح ابن القلانسي سيرته على خلاف ما جاء في تاريخ الفارقي .

دام استقرار زين الدين علي كوچك مدة حياة عماد الدين زنكي ، وبعد ان قتل زنكي في ٥ ربيع الآخر سنة ٥٤١ هـ ١١٤٦ م تمكن زين الدين في الدولة الأتابكية تمكناً عظيماً [2] . أقره الأتابك سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي (٥٤١ هـ — ٥٤٤ هـ) في نيابة الموصل ، وزاد في اقطاعه كما كان ذلك ايام والده ، ولم يتغير شيء من الوضع . وكيف يتغير وكان قد أزال كل تذمر كان في نيابة سابقه ولو تجنب كل صاحب سلطة مما يتذمر منه من سلف لبلغت الادارة عندنا حداً لائقاً . فلم يختل أمر في الادارة ، ولا طرأ فساد .

ولا يهمنا التوسع في ادارة دولة الأتابكة ، وانما المقصود أن نعرف ادارة اربل في أيام هذه الامارة . والا فان اعمال المترجم الخيرية في الموصل لا تنكر ،

(١) تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي ـ هامش ص ٢٨١ وفصل ابن القلانسي قتله نصير الدين جقر .

(٢) تاريخ الأتابكة في الموصل ص ١٤٧ وفي ابن خلكان توفي عماد الدين زنكي في ١٥ ربيع الآخر .

واعماله مشهودة ، وهي مشرّفة له وقدوة لمن جاء بعده ومن أهمها مدرسته ، كما انه قبض على زمام الأمور ، وأبدى قدرة تضاءلت دونها غيرها ، فاكتسب الثقة التامة من الأهلين والأتابكة معاً . ورافقه التوفيق في ادارته ونال التوجه بكل معناه .

وهذه لم تمنع ان يلتفت زين الدين علي كوچك نحو اربل ، ومراقبة نوابه فيها . فكلّ منهم أراد ارضاءه في نيابته في الطريقة التي مشى عليها في الموصل ، فحاول هؤلاء النواب ان يتخذوا هذا الأمير قدوتهم في ادارة اربل ، أو رسم لهم ما أراد فنفذوا حرفياً ، وقاموا بمثل ما قام به هذا الرجل الكامل من اعتدال وتبصر وعمل نافع .

دام في الخلاصه لسيف الدين غازي الى ان توفي في آخر جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ — ١١٤٩ م ، فولي أمر الأتابكة بعده اخوه قطب الدين مودود (٥٤٤ هـ - ٥٦٥ هـ) فأبقاه على ما كان عليه ، وزين الدين مدبر دولته وصاحب رأيه ، فكان نعم المدبر والمشير اصلاحه وخيره وحسن مقاصده مع شجاعة تامة وفروسية مشهورة[1] .

وهنا نقول ان ادارة اربل ظهرت في نوابه وحوادثه الأخرى البارزة .

١ — انه سار بجيش على بغداد لمناصرة السلطان محمد بن السلطان محمود من رجال الدولة السلجوقية . وكان هذا الحادث سنة ٥٥١ هـ - ٥٥٢ . وفي حربه هذه كان يميل الى الدولة العباسية ، ويناصرها باطناً ، ولم يقصد الوقيعة بها ، وجرت مراسلات بينه وبين الدولة العباسية أظهر فيها ميله اليها[2] .

يدل على ذلك ما جرى من الاحتفال به عندما قصد حج بيت الله الحرام سنة ٥٥٨ هـ ، فمرّ ببغداد وكان قد نهاه كثيرون من جراء ما وقع من حرب

(١) ابن خلكان : طبعة سنة ١٢٧٥ هـ بولاق مصر . (٢) التفصيل في الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ٨٦ طبعة بولاق وابن القلانسي ص ٣٤٣ وفي أخبار الدولة السلجوقية المسمى (زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية) لصدر الدين الحسيني بتصحيح محمد اقبال مدرس اللغة الفارسية في فنجاب طبعه في لاهور سنة ١٩٣٣ م .

بغداد ، حذره اصحابه من جراء مناصرته الملك محمد السلجوقي . فلما وصل الى بغداد أكرمه الخليفة المستنجد بالله العباسي ، واجتمع به وأمر بالخلع عليه . وفي هذا الاحتفال أبدى أموراً كانت محل التفات الخليفة والزيادة في انعامه .

وذلك انه لما لبس الخلعة وكانت طويلة عليه لقصره مدّ يده الى كمرانه واخرج ما شدّ به وسطه ، وقصر الجبة ، فنظر الخليفة المستنجد اليه ، فاستحسن ذلك منه وقال لمن عنده مثل هذا يكون الأمير والجندي لا مثلكم . فلما دخل قبل يده ثم خرج من عنده بعد ان حادثه بالتركية وكان المستنجد يتكلم بها جيداً ، فلما خرج نظر اليه المستنجد من شباك وقد اخرج شيئاً من السيف الذي انعم به عليه من الديوان فلم يره جيداً ، وهو يومي برأسه يعني انه غير جيد ، فأرسل اليه سيفاً آخر ، وقال للرسول : — يقول لك أمير المؤمنين ذاك السيف يترك ، وهذا تقاتل به اعداء امير المؤمنين واعداء المسلمين .

فرد وجهه وقبّل الأرض ، وتقلده . ثم مضى في طريقه الى الحج ، فأحسن الى الناس في الطريق وكثر الصدقات [١] .

٢ — في سنة ٥٥٥ هـ كان قد سار سليمان شاه من الموصل الى همذان ، وكان زين الدين معه ليتولى السلطنة ، فرأى في طريقه ما رأى من خلل في ادارة الجيش وتسلط الأمراء ، فأبدى حكمة وعقلاً في الانسلال والرجوع لما عرف من نتائج تؤدي اليها الحالة [٢] .

٣ — في سنة ٥٥٩ هـ ارسله قطب الدين مودود منجداً الملك العادل نور الدين وكان قد كاتب نور الدين الأطراف ، وكاتب العباد والزهاد المنقطعين فذكر لهم ما يلقي المسلمون من الافرنج ، وما ينالهم من القتل والأسر والنهب ويستمد منهم الدعاء ، ويطلب منهم ان يحثوا المسلمين على الغزاة ، فأمدوه للهياج الحاصل في الممالك الاسلامية من جراء ما قام به هؤلاء الزهاد والعباد من دعوة ، فحذر

(١) الدولة الأتابكية ص ٢٠٧ . (٢) الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ١٠٣ .

الملوك والأمراء ان يفسد عليهم الأمر في ادارتهم ، فكانت (واقعة حارم) [١] .

٤ — في سنة ٥٦٣ هـ سار زين الدين الى اربل ، وسلم جميع ما كان بيده من البلاد والقلاع الى الاتابك قطب الدين ، فمن ذلك سنجار وحران ، وقلعة عقر الحميدية ، وقلاع الهكارية جميعها ، وتكريت وشهرزور .

وسبب ذلك انه طعن في السن واصابه عمى وصمم ، فتنازل عن كل ما في يده من اقطاعات وأبقى اربل وحدها بيده .

٥ — في السنة التي ذهب بها الى اربل توفي في ١١ ذي القعدة سنة ٥٦٣ هـ — ١١٦٨ م . وكان استولى عليه الهرم ، وضعفت قوته . وكان في اربل مرقده الأخير [٢] . ولا يزال معروفاً .

٦ — حياته الخاصة : كان خيراً عادلاً ، حسن السيرة جواداً ، محافظاً على حسن العهد ، واداء الامانة ، قليل الغدر بل عديمه . وكان اذا وعد بشيء لا بدّ له من ان يفعله وان كان فعله خطيراً . وكان حاله من أعجب الأحوال بينما يبدو منه مايدلّ على سلامة صدره وغفلته حتى يظهر منه مايدل على افراط الذكاء وغلبة الدهاء .

قال ابن الأثير : « بلغني انه اتاه بعض اصحابه بذنب فرس ذكر انه نفق له فأمر له بفرس فتداول ذلك الذنب ١٢ رجلاً كلهم يأخذ فرساً ، فلما احضره آخرهم قال له اما تستحيون مني كما استحي منكم قد احضر هذا الذنب عندي ١٢ رجلاً وانا اتغافل لئلا يخجل احدكم اتظنون انني لا اعرفه بلي والله انما اردت ان يصلكم عطائي بغير منّ ولا تكدير فلم تتركوني وامر له بفرس آخر ... » اهـ

وكان يعطي كثيراً ويخلع عظيماً ، وكانت له البلاد الكثيرة ، فلم يخلف شيئاً بل نفد جميعه في العطاء والانعام على الناس فكان يلبس الغليظ ويشد على وسطه كل ما يحتاج الجندي اليه من سكين ودرفش ومطرقة ومسلة وخيوط ودستركـ وغير ذلك .

---

(١) الدولة الأتابكية ص ٢٣٠ [وكتاب الروضتين ج ١ ص ١٣٣] والتفصيل هناك .

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٦٢٠ والكامل لابن الأثير ج ١١ ص ١٣٤

وكان من أشجع الناس ميمون النقيبة لم تهزم له راية وكان يقوم المقام الخطير فيسلم منه بحسن نيته . وكان تركياً أسمر اللون خفيف العارضين قصيراً جداً ، وبنى مدارس وربطاً بالموصل وغيرها . بلغني انه مدحه الحيص بيص[1] فلما أراد الإنشاد قال له انا لا أدري ما تقول لكنني اعلم انك تريد شيئاً وامر له بخمسمائة دينار واعطاه فرساً وخلعاً وثياباً يكون مجموع ذلك نحو الف دينار . ومكارمه كثيرة نقتصر على بعضها ولما توفي كان الحاكم باربل خادمه مجاهد بن قايماز وهو المتولي لأمورها[2] .

وجاء في اوراق قديمة لمؤلف مجهول : « كان قصيراً جداً ، عادلاً ، حسن السيرة ، كثير الأمانة ... ميمون النقيبة ، لم يكسر جيش هو فيه ، وكان بخيلاً ، ثم انه جاد في آخر عمره ، وبنى المدارس والربط والقناطر والجسور ... » اهـ[3] .

يتبع : (بغداد) عباس العزاوي

---

(١) ترجمته في ابن خلكان ج ١ ص ٢٨٥ (٢) تاريخ أتابكة الموصل ص ٣٦٦

(٣) الظاهر أن هذه الأوراق من تاريخ الذهبي ولم أتمكن من المقابلة .

عقدا نكاح

كُتبا في أواسط القرن الثامن

أعثرني الاتفاق بعقدي نكاح كتب أولهما في ٢٣ رمضان سنة ٧٠٤ الهجرية الموافق لسنة ١٣٠٤ الميلادية وكلاهما أجريا بثغر اسوان أحد الثغور المصرية القائمة على شاطئ نهر النيل وهما يتعلقان بأميرة تدعى أم الخير ابنة الأمير ركن الدين الحسين بن شجاع الدين بن فخر الدين مالك الى ان يتصل نسبها بمعد بن عدنان ·

فالأول اكتتبه الأمير علم الدين علي بن سراج الدين عمر بن جمال الدين حامد ابن رحال بن عمار بن حامد بن عمار الكاهلي ·

والثاني اكتتبه الأمير عز الدين أفرون (كذا) بن تاج الدين مرح (كذا) ابن شرف الدين محمود بن فخر الدين مالك الى ان يتصل نسبه بمعد بن عدنان أيضاً · والظاهر من هذا النسب ان افرون المذكور من بني عمومتها ·

وجاء في العقد الأول عن المعقود عليها الأميرة الجليلة المصونة والدرة المكنونة البكر البالغ وفي العقد الثاني الأوصاف ذاتها يتبعها المرأة المالكة أمر نفسها ·

وهذان العقدان لم يدوّنا بالرّق المصنوع من الجلد المدبوغ كعادة ذلك الزمان في تحرير الصكوك أو بالكاغد الصقيل الذي كانت تكتب به الكتب والدفاتر بل ان كل واحد منهما مكتوب على قطعة نسيج من الحرير الأخضر الذي لم يتخرّق ولم يتشقق الى الآن ولذلك فان اللذين كتبا العقدين أو الذين شهدوا عليهما من الشهود قد عانوا بعض المشقة في كتابتهم لأن القلم لا يجري على الحرير كجريانه على المواد الأخرى المعدّة للكتابة · ولذلك فقد عانى كاتب هذه السطور أيضاً بعض النصب في قراءة العقدين المذكورين عن النسيج الذي أتعب من كتبوا عليه ·

وهذه نسخة العقد الأول :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد النبي الأمي وعلى آله واصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

الحمد لله الذي شرّف الأنساب وفضلها ، وعظم الأحساب وكملها ، واوضح الأحكام وبينها ، الذي هدانا بملة الاسلام التي هي أفضل الملل ، وجعلها ميزان عدل معتدل ، وجاور من الأشياء ما دقّ وجلّ ، وتفرد بوحدانيته عزّ وجلّ ، هادي الألباب ، ومرشد النظر الى الصواب ، وحافظ الدراري والأعقاب ، الذي خلق أبا البشر من تراب ، واجرى النطف من الأصلاب ، الحاكم بعدله ، والهادي إلى الخير وسبله ، ومعمر البسيطة بآدم ونسله ، الذي جعل النكاح عصمة من الشيطان وحبله ، فهو ما أمرت الشريعة باعتماد فعله ، وأباحه الله على لسان رسله ، فقال عز من قائل في محكم منزله ، « وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » أحمده على ما يسره وأظهره وأشكره على ما قضى به من التواصل وقدّره ، وسهله من التصاهر ويسره ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تدرأ العذاب ، وتستنزل رحمة العزيز الوهاب ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله الذي اصطفاه من خلقه وآتاه الحكم وفصل الخطاب ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة الى يوم المآب ، قادرة بالعلم والعمل حاكمة بالأمان عند الفزع والوجل .

وبعد فان النكاح مما دعا الله اليه كافة الأنام وأباحه ليستغني بالحلال عن الحرام وقال جلّ ثناؤه في حق من خشي العيلة من كثرة أهله « وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » وقد ورد عن سيد ولد بني تهامة : « تناكحوا تكثروا فاني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة » وسيرفع حجاب ما سبق في هذا الكتاب .

فنسأل الله العظيم ان يجعل التوفيق مما حضرنا لأجله ، ويحوط هذا الأمر بالخير بعده وقبله ، وان يعضد هذا العقد بالدوام ويحسن له الفاتحة والختام .

وكان مما سُورع اليه ووقع التعويل عليه وهو ما يُقرأ عليكم في كتاب أوله

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

هذا كتاب صداق ، وعقد توفيق واتفاق ، وبركة تسمو على أصحابها ، وسعادة تنمو الى خطابها ونعمة قد منّ الله سبحانه بها ، اكتتبه الامير الأجل المحترم علم الدين علي بن سراج الدين عمر بن جمال الدين حامد بن رحال بن عمار بن حامد ابن عمار الكاهليّ لمخطوبته الأميرة الجليلة المصونة والدرّة المكنونة البكر البالغ المدعوّة أمّ الخير ابنة الأمير الأجل المرحوم ركن الدين الحسين ابن الأمير الأجل الكبير المحترم المرحوم شجاع الدين ابن الجناب العالي المولوي الكبيري الأجلي المجتبي المختار عضد الدولة ناصر الجيوش فخر الدين مالك بن الأمير الأجل المجاهد صارم الدولة وكنزها ابي عبد الله محمد ابن الأمير الأجل المجاهد سيف الدولة وعمدتها ابي الفتح نصر ابن الأمير الأجل عضد الخلافة كنز الدولة حسام أمير المؤمنين ابي الفتح ابراهيم ابن الأمير الأجل ابي عبد الله محمد بن علي ابن محمد بن يوسف ابن معدي كرب بن الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة ابن يربوع بن الدُوَل[1] بن حنيفة بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن ربيعة بن نزار ابن معدّ بن عدنان ويريد تزوجها أصدقها على بركة الله وعونه وحسن توفيقه من الذهب العين المصري المثاقيل المسكوك الجيد خمسمائة دينار الحالّ من ذلك مائة دينار واحدة وباقي ذلك وهو من عين الذهب اربعمائة دينار بالصفة المذكورة يقوم بها الزوج المذكور للزوجة المذكورة مقسطاً لها عليه الى تقضي عشر حجج من تاريخه وهو ثاني عشري شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وذلك بايجاب من ضياء الدين احمد بن طاهر بن سيدهم النقيب بباب الشرع الشريف بثغر أسوان المحروس وكيل أخيها شقيقها جمال الدين محمد وذلك بشهادة من يذكر كل منهم رسم شهادته آخره وعلى الزوج المذكور ان يتقي الله عزّ وجل

(١) هكذا في الأصل وقد وردت في عقد الثاني الدُئل والصواب الدُوَل رجل من بني حنيفة ابن لجيم وحيّ من بكر بن وائل كما جاء في القاموس . بيد أن المبرد في كتاب نسب عدنان وقحطان ذكره المؤمل .

فيها ويحسن صحبتها ويعاشرهـا بالمعروف ، وبالخلق الرضي المألوف كما أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وسنة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وله عليها مثل الذى لها عليه ودرجته زائدة عليها بقوله تعالى في محكم كتابه العزيز « وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم »

ولما وضح لسيدنا الفقيه الأجل الامام العالم العبد الكامل المدرّس الفاضل القاضي العدل الرضي نجم الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح العالم الورع الزاهد العدل الرضي ضياء الدين أبو العباس أحمد القرشي نسباً الاسنائي بلداً المستخلف في الحكم العزيز بمدينة أسوان عن حضرة سيدنا ومولانا أقضى القضاة حاكم الحكام بقية السلف الكرام شرف الدين أبي مدين شعيب ابن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى القاضي الأجل الفقيه الامام العالم العلامة جمال الحكام حلاّل الأحكام جمال الدين حاكم المسلمين أبي التقي يوسف القرشي الشافعي الحاكم يومئذ بمدينتي أسنا وأدفو وثغر أسوان المحروس وما مع ذلك من الوجه القبلي من الأعمال القوصية عن الناظر في الحكم العزيز بالديار المصرية الشافعي أدام الله اقبالهم وختم بالصالحات أعمالهم ان الزوجة المذكورة حرّة مسلمة صحيحة العقل والبدن خالية من الموانع الشرعية فحينئذ أمر بكتبه فكتب وزوجت من الزوج المذكور بالصداق المسطر أعاليه حاله ومؤجله قبل الزوج لنفسه ذلك قبولاً صحيحاً شرعياً فورياً خار الله لكل منهما في صاحبه وبلغه أقصى مآربه .

وبجميعه شهد على من سُمي فيه بما نُسب اليهم في التاريخ المقيد أعلاه بتاريخ الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

حضرتُ العقد المذكور
وشهدت على من
تسمى بما نسب اليهم
فيه وكتبه
محمد بن عبد العزيز

شهدتُ على الأمير علم الدين الزوج
المذكور بمعلوم الصداق المذكور
وعلى الزوجة المذكورة بقبض
الحال المذكور وكتبه
محمد بن الحسين بن محمد بن عبد العزيز

شهدتُ على الأمير علم الدين	حضرتُ عقد النكاح وشهدتُ
الزوج المذكور على الصداق المذكور	على المذكورين بما نسب اليهم
وعلى الزوجة بقبض الحال	وأشهد على الزوجة
المذكور علناً وكتبه	بقبض الحال
علي بن نعمة الله	وكتبه محمد بن احمد بن عبدالعزيز

وهذه نسخة العقد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الحمد لله الذي تعبدنا بطاعته ، وشرّفنا بعبادته ، وأنالنا من احسانه وفضله ورحمته ، الذي جعل النكاح من شريعته ، وحثّ عليه في كتابه وسنته ، وجمع بين شمل المتباعدين بلطفه وحكمته ، والف بين الزوجين فسكن اليها فصرف كلّ منهما الى الآخر غاية مودته ومحبته ، أحمده على ما أولى من نعمته ، وأشكره على آلائه ومنته ، وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة معترف بربوبيته ، مقرّ بوحدانيته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث الى كافة الأمم برسالته ، والمخصوص في المؤمنين بشفاعته ، صلى الله عليه وآله وصحابته ، ما أعقب ليل صباح بكرته .

وبعد فهذا عقد شمله التوفيق بكليته ، واكتنفه اليمن بجملته ، الزوج فيه من ذوي الأقدار المشهورة ، ومن ارباب البيوت المذكورة ، قد نشأ على قدم الخير والاصلاح ، وتعاطى أسباب التقوى والصلاح ، والزوجة بالدين والعفاف موصوفة وأبوتها بالأوصاف الجميلة معروفة ، فالله يقرن عقدهما بالتوفيق ، ويجريه على أبهج طريق ، وكان مما أراده الله عزّ وجل في القدَم ، وجرى به في اللوح المحفوظ بالقلم ، نكاح الأمير الكبير المجاهد عزّ الدين الذي هو عالمًا [1] بأنّ النكاح مندوباً [2] اليه ، ومحثوث من الشارع عليه ، وانه محصل لأسباب التحصين والعصمة ، وجامع لأسباب المودّة والرحمة ، وسبب التعاصر والتناصر ، ومقصود به التناسل

(١) و (٢) هكذا في الأصل والصواب عالم ومندوب

والتكاثر ، رأى المصلحة في تحصيل هذا المندوب ، ويحوز لنفسه هذا المطلوب ، وعزم على تزويج من ندب الشرع الى تزويجها ، والاتصال بها ودوام مصاحبتها ، وهي عقيلة ذات الدين والعقل والجمال ووُصفت بكمال الأحوال ونشأت في السعادة الكاملة ، وربيت في حجر النعمة الشاملة ، والدها من أكبر الأمراء قدراً وأسخاهم كفاً ، وأكملهم وصفاً ، وهو الأمير الكبير ركن الدين الحسين صاحب الصدقات والمعروف ، ومن هو بمكارم الأخلاق الدينية موصوف ، فالله يقرن هذا العقد بالسعادة والتوفيق ، ويجريه على أحسن طريق ، وكان مما سورع اليه ، ووقع التعويل عليه وهو مما يقرأ عليكم في كتاب أوله :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى خصوصاً ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وحسبنا الله ونعم الوكيل .

هذا كتاب عقد ، وسمة ود ، وتجديد عهد ، وعزم مبارك ، وساعة سعد ، واتفاق في الأمور ، وائتلاف في الصدور ، اكتتبه الأمير الأجل الكبير الأخص الأعز المجتبى المختار الموفق السعيد عز الدين أفرون ابن الأمير الأجل الكبير المجاهد المرابط الموفق السعيد تاج الدين متوح ابن الأمير الأجل الأكمل المجتبي المختار شرف الدين محمود ابن الأمير الأجل الكبير المجتبى المختار المجاهد المرابط الثاغر الأخص الأعز الأكمل المؤيد كنز العشائر فخر الدين أبي المنصور مالك ابن الأمير الكبير المجاهد المرابط المجتبي المختار تاج الأمراء فخر العرب صارم الدولة وعسكرها أبي عبد الله محمد بن الأمير الكبير الهمام كنز الدولة وفخرها سيف الدولة أبي الفتح نصر ابن الأمير المخلص المنصور المؤيد عصر الخلافة عز الملك تاج الدولة فخر العرب كنز الدولة وعهدتها ابي اسحاق ابراهيم ابن صارم الدولة أبي الحسن علي ابن الأمير حسام الدولة أبي العز متوح ابن الأمير كنز الدولة ابي المنصور محمد ابن الأمير كنز الدولة ابي المكارم هبة الله بن محمد بن علي ابن يوسف بن اسحاق بن ابراهيم بن مسروق بن مسمع[1] بن معدي كرب بن الحارث

(١) في الأصل تقرأ مِسمع ومُسمع وكلاهما باضافة أداة التعريف أبو قبيلة .

ابن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدئل[1] بن حنيفة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعما[2] بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن معد بن عدنان بخطوبته الأميرة الجليلة المصونة والدرّة المكنونة المرأة المالكة أمر نفسها المدعوة امّ الخير ابنة الأمير الأجل المرحوم ركن الدين الحسين ابن الأمير الأجل الكبير المحترم شجاع الدين ابن الجناب المولوي الآمري الأجلي المجتبى المختار عضد الدولة ناصر الجيوش فخر الدين مالك النسب المذكور ويريد تزوجها أصدقها على بركة الله سبحانه وتعالى وعونه ، وحسن توفيقه وظنه ، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم صداقاً جملته من الذهب العين المثاقيل الوازن المصري مائتا دينار حالاً ومؤجلاً فالحال من ذلك خمسون ديناراً أقرّت الزوجة المذكورة بقبضها من الزوج المذكور وبقية ذلك مقسطاً لها عليه في سلخ كل سنة تمضي من تاريخ العقد بينهما وهو الخامس من شهر جمادى الآخرة من شهور سنة اثنتي واربعين وسبعمائة عشرة دنانير والله ولي المتقين .

وولي تزويجها والقيام بعقد نكاحها عليه سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الفقيه الامام العالم الكامل صدر المدرّسين مفيد الطالبين القاضي العدل الرضي نجم الدين أبي عبد الله محمد ابن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ الصالح الورع الزاهد العدل الرضيّ ضياء الدين أحمد بن نجم الدين عبد القوي القرشي الحاكم يومئذ بثغر أسوان عن الناظر في الحكم العزيز بالأعمال القوصية أدام الله سعادته باذنها له في ذلك نسبها الأنسب سيضع خطه فيه في ذلك ان وضح خلو الزوجة المذكورة من موانع النكاح الشرعية أجمع وان الزوجة المذكورة يومئذٍ حرة مسلمة صحيحة العقل والبدن فحينئذ أمر بكتب هذا الصداق فكتب وزُوجت من وكيله أحمد بن منبه بن عبد الله على الصداق المذكور قبل الوكيل المذكور

(١) هكذا في الأصل وفي العقد الذي قبل هذا الدؤل

(٢) هكذا في الأصل وفي العقد الذي قبله دُعميّ

هذا النكاح لموكله قبولاً شرعياً بثغر أسوان المحروس بتاريخ الخامس من شهر جمادى الآخرة من شهور سنة أربعين وسبعمائة ·

حضرت العقد المذكور وشهدت
على سيدنا ومولانا أقضى القضاة
حاكم المسلمين زين المدرسين
علم العلماء المعتبرين نجم الدين
الحاكم المزوّج والوكيل القائل
بما نسب اليها فيه في تاريخه
كتبه خليل بن عيسى عريس
عفا الله عنهم

حضرت العقد المذكور وشهدت على
سيدنا ومولانا أقضى القضاة
رئيس المدرسين مفيد الطالبين
أبي عبد الله محمد الحاكم المنعوت
اعلاه والمزوج والوكيل القائل
بما نسب اليها فيه في تاريخه
محمد بن عمر بن علي القرشي

حضرت العقد المذكور وشهدت على
سيدنا ومولانا أقضى القضاة
صدر المدرسين مفيد الطالبين
ابي عبد الله محمد الحاكم المنعوت
اعلاه المزوّج والوكيل القائل
بذلك والزوجة بما نسب اليها فيه
في تاريخه المذكور اعلاه
كتبه صالح بن احمد بن محمد بن علي

عبد الله مخلص

الطرافة والابتذال

في الأدب العربي

(توطئة)

ليس كل ما كان جديداً في الأدب يستحق ان يحسب طرفة أو تحفة فقد يكون الجديد قبيحاً إما لخطأ فيه واما لنبو الطبع والذوق عنه واما لمخالفته الطابع العربي في كيفية الاداء والترتيب . ومما تلجأ اليه طائفة من أدباء العرب في نهضتنا الحديثة اتباع اوزان شعرية جديدة تشبه بعض الشبه نوعاً من الموشحات ولكنها ليست اياها ومن العسير ضبطها تحت أحكام معينة . هذا النهج الجديد يولع به انصاره بقصد الاغراب وادخال الدهشة على الآذان والأذهان آملين ان تجر الدهشة الى اعجاب واستحسان وهو امل يتحققونه في نفوس ضعفاء القراء ولكن هيهات ان ينال منالاً من نفوس اقويائهم . لأن القوي لا تهمه هذه الظواهر والزخارف بل يغربل ما يقرؤه ثم ينخله وينظر الى ما فيه من لباب لا من قشور متكاثفة وعلى هذه الصورة يصدر حكمه بجودة هذا الشعر الجديد أو برداءته . فمن اراد من أدباء العصر مواراة عجزه وتقصيره بهذه المستحدثات فاهمسوا في أذنه قائلين انها لا تحول دون نظر اهل الحصافة والخبرة . وحكم كل خبير يصدر عليه يفوق عشرة آلاف حكم من غير الخبراء الذين يحكمون له .

ثم ليس كل ما كان مطروقاً في الأدب يستحق ان يحسب مبتذلاً مستهجناً فقد يكون المطروق ضرورياً لايضاح ما اكتنفه من الكلام . وقد يكون مقبولاً محتملاً مماشاةً لسياق الحديث في سذاجته وصراحته . وهذا المطروق الساذج مغتفر بشرط ان لا يزيد على خمس القصيدة فان زاد فالقصيدة ليست بذات درجة عالية .

هذه تنبيهات اجمالية يجب ان لا يغفل عنها العاقل المنصف . ولكن ليس من حق هذه التنبيهات ان تجاوز حدودها فتخدع اذواقنا وبصائرنا وتخلط علينا بين المحاسن والمساوئ .

ومن اسرار البلاغة ومعادنها الفياضة تناول المعنى التافه وتزيينه من بعض نواحيه او تناول الفكرة المجملة وتفصيل شيء من زواياها . او الخاطر الناقص وتكميل نقصه . الى ما يشبه هذه التعديلات مما سميته توليداً في كتابي « كفيل البيان والشعر » وأوردت عليه مثلاً جمة مقتلعاً المعنى الأصلي من جذوره فإذا به مبتذل حقير في اصله حتى اذا عولج بأحد هذه القوالب أصبح مبتكراً باهي الجمال أو قريباً من قمة الابتكار . فالتوليد اذن منجم عميق رحب من مناجم حسن القول وأسرار البلغاء . ولا يليق بي ان أعيد هنا ولو باختصار ما تناولته هناك . بل أنوي الساعة ان أدل القارئ على منجم ثانٍ يتاخم طريقه طريق المنجم الأول وقد يتشابك الطريقان . ويمكنني ان اسمي هذا المنجم الجديد تنزهاً كما سميت ذاك توليداً وهو خير مرآة لوجوه الطرافة واختلافها عن وجوه الابتذال مما جعلته عنواناً للبحث الحاضر .

التنزه الأدبي اجمالاً

الذي أريده بالتنزه الأدبي الترفع عن مستوى منخفض الى مستوى أعلى مما ينطبق على الوضع اللغوي من لفظ التنزه ومعناه التباعد كما ينطبق على معنى له آخر شائع بين العامة والخاصة اي طلب النزهة في بستان او روضة أو رابية جميلة أو وادٍ ظليل او حقل ناضر او مرج بهيج الى ما شاكل ذلك . فكلا المعنيين من لفظ التنزه يلائم التشبيه المقصود بالانتقال من معنى مبتذل الى معنى طريف مستعذب . وللمجيدين من شعراء العرب في هذا الميدان قدم راسخة وباع طويل وأدل الدلائل على قدرتهم الشعرية واتساع مدى تصورهم وتفكيرهم انهم لم يقنعوا بالمعاني والتشبيهات التي طرقها كثيرون قبلهم عند ذكر ما كثرت إلفتهم

له من شمس وقمر وغيث وجبل وهواء وبحر ونحوها . بل تجاوزوا ذلك القديم المعتاد المطروق الى معانٍ جديدة ومناسبات لطيفة لا يتنبه لها الا امثالهم من فحول الشعراء وهم قليلو العدد في كل عصر وكل مصر . وهذا الذي انوي التصريح عليه في ما يلي من الشواهد الشعرية متعلقة بالشمس والقمر والنجم والغيم والمطر والطل والهواء والأرض والبحر والغدير والبئر والجبل والوادي والليل والتراب والناس وحديثهم ودموعهم وتبادلهم التحيات والسيف والرمح والسهم والحياة والموت . فان جميع هذه المحسوسات المشاهدات وجدنا لها في قرائح الشعراء المفلقين حيزاً جديداً جميلاً لا عهد لنا بمثله عند غيرهم . فقلما يرضى احدهم بالاقتصار على هداية النجم وبهاء القمر وعلو الشمس واتساع البحر ومضاء السيف الى آخر ما هنالك من المعاني المتداولة بل يستخرج لكل منها معنىً آخر طريفاً ومناسبة لطيفة . وقد حان لنا ان نسرد ذلك سرداً قريب المأخذ سهل المنال .

شواهد التنزه الأدبي في المحسوسات العلوية

اراد ابو تمام وهو حبيب بن اوس الطائي ان ينزه قريحته ويدفعها عن الالمام بضياء الشمس او رفعتها او تأجج نارها او تعميم فضلها على المخلوقات فالتفت الى ناحية جديدة ورأى ان الشمس تستحبها النفوس وان لم تحاول هي احراز هذه المحبة فقال في وصف حبيبته الحسناء :

هي الشمس يغنيها تودد وجهها   الى كل من لاقت وان لم تَوَدَّدِ

تودد بفتح التاء وأصلها تتودد . وحذف احدى التاءين بقصد التخفيف قياسي في مثل هذا الموضع وقد وفق ابو تمام الى نهج جديد آخر في التشبيه بالشمس حين أراد حض الناس على الهجرة والاغتراب استزادةً لأرزاقهم وقوتهم المعنوية فقال:

وطولُ مقام المرء في الحي مخلق   لديباجتيه فاغترب تتجـدّد

فاني رأيتُ الشمس زيدت محبةً   الى الناس أن ليست عليهم بسرمد

ولم تطب نفس ابي بكر الخوارزمي حين تصدى للتنويه بفضل احد اصدقائه

في ان يجعله عالي المقام كالقمر او مشرق الخصال والمبادئ مثل نور القمر مما هو رث قديم بال بل تنزه عن ذلك الى معنى جديد ابتكره في ايجاد وجه شبه بين ممدوحه والقمر فقال ان صديقه يتفقد اخوانه في اكثر الأحيان عندما يكون على سعة من العيش فان اعتراه عسر وضيق قلل من مخالطتهم والاجتماع بهم شأن القمر في طول مدة بروزه للبشر عندما يقوى نوره فان ضعف نوره وهو في أوائل الشهر القمري او اواخره لم يبرز لعيون الناس الا مدة قصيرة . وهذا الذي قاله الخوارزمي :

رأيتك ان ايسرتَ خيمتَ عندنا لزاماً وان اعسرت زرت لماما

فما انت الا البدر ان قل ضوؤه ألمّ وان زاد الضياء اقاما

ولم يقصر عن هذه الطرافة شاعر آخر اراد معاتبة صديق له ارتفع منصبه فأخذ يظهر له جفاء وفتوراً فقال فيه الشاعر الجفو :

سألت الله ان تسمو وتعلو علوّ النجم في كبد السماء

فلما أن علوت بعدتَ عني فكان اذنْ على نفسي دعائي

ومعلوم ان علو النجم في كبد السماء معنى مبتذل لم يكن لذلك الناظم فضل في الاشارة اليه وانما ظهر فضله وذكاؤه في كيفية الانتفاع بهذه الناحية المبتذلة حين شبه ابتعاد خليله عنه بعد ارتفاع منصبه بابتعاد النجم عن عيون الناس . وازداد شعره حسناً بما ذكره من سابق دعائه الصالح وكيفية انقلابه عليه شؤماً وحرماناً .

وقال كمال الدين بن النبيه في وصف كوكب الصبح :

وكوكب الصبح نجابٌ على يده مخلَّق تملأ الدنيا بشائره

وهو وصف جديد جيد للكوكب المذكور لا يتعب الذهن في استحضار صورته . وقد قصرت عن ذلك همة غيره من الشعراء فاكتفوا بما ألفوه وتوارثوه من التشبيهات . وأراد بقوله مخلق طرساً مخلقاً او كتاباً مخلقاً أي مضمخاً بالخلوق بفتح الخاء وهو نوع من الطيب يكثر فيه الزعفران .

وقال مروان بن أبي حفصة في رثاء الأمير الشيباني معن بن زائدة ذاكراً وجه شبه للمطر :

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد الغيث مجراه مرتعا

وقد تعودنا ان نرى الشعراء يشبهون ممدوحهم بالمطر في غزارة هطله وضمانه للخصب والخير . فانتقل ابن ابي حفصة من هذه الناحية الى ناحية جديدة قائلاً ان الأمطار قد تزول وتبقى آثار خيرها في المغارس والمزروعات وهكذا كان الأمير المرثي معن بن زائدة .

وقد عهدنا الشعراء يذكرون أوجه شبه متعدد للغمام من تبشيره بهطول الغيث أو من علوه في الجو او من اطراد سيره بين البطء والسرعة الى غير ذلك مما قرع الاسماع كثيراً ولكن شاعرية كثير عزة لم تقنع بهذه المعاني المبتذلة بل التفت الى ظل الغمامة ورأى خيبة من يعوّل عليه ويحاول ان يقبل ان ينام نومة الظهيرة في هذا الظل فقال متصدياً لذكر مقاطعة بينه وبين محبوبته عزة مما كان يحز في صدره :

واني وتهيامي بعزة بعدما تخليت عما بيننا وتخلت

لكالمرتجي ظلّ الغمامة كلما تبوأ منها للمقيل اضمحلت

وذكر احد قدماء الشعراء الرياح مشيراً الى حالة دقيقة من حالاتها اذ قال ان الرياح اذا تناوحت اي هبت من نواح مختلفة الصقت بجسم حبيبته الحسناء اجزاء ثوبها بحيث تظهر محاسن جسمها في تركيبه الطبيعي الجميل فتستثير حسد النساء لها وغيرة العاشقين عليها . وهذا الذي قاله الشاعر والشاهد في البيت الثاني . وفي البيتين رشاقة اداء وبلاغة المجاز :

ابت الروادف والثدي لقمصها مسّ البطون وان تمسّ ظهورا

واذا الرياح مع العشي تناوحت نبهن حاسدةً وهجن غيورا

شواهد التنزه الادبي في المحسوسات الارضية

من المعاني المستحدثة قول بعضهم في الأرض :

سألت الأرض لِمْ كانت مهاداً ولِمْ جعلت لنا طهراً وطيبا
فقالت غير ناطقة لأني حويتُ لكل انسان حبيبا

وقال الأمير ابو فراس الحمداني في التراب . والشاهد في البيت الثالث :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خرابُ
اذا صح منك الود ياغاية المنى فكل الذي فوق التراب ترابُ

واستخرج بعضهم معنىً شعرياً علمياً قائلاً ان السحاب لا فضل له على البحر لأنه اتخذ قطراته من قطرات البحر المتبخرة . فشبه بهذه الحالة حالته باهدائه الشكر الى المتفضلين عليه حيث قال :

أهدي له حسن الثناء وانما أهدي له ما حزتُ من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب وما له فضل عليه لأنه من مائه

واشار احد الشعراء ضمناً الى البئر — وأظنه ابا الأسود الدؤلي واضع علم النحو — فقال ان البئر قد تملأ الدلو ماء زلالاً صافياً وقد تملأها وحلاً يخالطه شيء يسير من الماء بحيث يمكن تصفيته والانتفاع به . مشبهاً بهذا المعنى الطريف سعي الانسان لمعيشته فيكون نصيبه الفلاح التام تارة ، وشيء زهيد من الفلاح تارةً أخرى ، قال :

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن الق دلوك في الدلاء
تجيء بملئها طوراً وطوراً تجيء بحمأةٍ وقليل ماء

وفي ذكر الجبل قال أحد الشعراء :

ويا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص اليَّ نسيمها

وقال آخر ذاكراً الليل وما فيه من حيرة وعجز عن دفع الضيم :

كالسيل في الليل لا يدري به احد من اين جاء ولا من اين يأتيه

وأحسن من هذه الاشارة الى الليل ماقاله ابو الطيب المتنبي في معرض تغزل وتشبيب :

وكم لسواد الليل عندي من يدٍ تخبر ان المانوية تكذب

أراد بالمانوية الملة المانوية نسبة الى مؤسسها ماني الفارسي ومن عقائدهـا الجوهرية ان الظلام هو إله الشر ٠

وقد ذكر النابغة الذبياني الليل أيضاً اعتذاراته الى ابي قابوس النعمان فقال :

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلتُ أن المنتأى عنك واسع

وعدل بعضهم عن وصف السيف بالمضاء والافناء الى ذكر حالة أخرى من أحواله قائلاً :

كذا السيف ان لاينته لان متنه وحداه ان خاشنته خشنان

وفي ذكر السهم قال الأمير ابو فراس الحمداني واصفاً احدى المعارك :

ولما سار سيف الدين ثرنا كما هيجت آساداً غضابا

وكنا كالسهام اذا اصابت مراميهـا فراميهـا اصابا

ان هذا البيت الأخير من أدل الأبيات على قوة شاعرية الناظم وجودة تصوره ٠ فقد عهدنا الشعراء يشبهون صاحب العزم بالسهم جاعلين المضاء والنفاذ وجه شبه ٠ وهو وجه حسن لا بأس فيه ٠ ولكن همة ابي فراس لم تقنع به لكثرة ما استعمل حتى ابتذل وسئمته الاسماع او كادت تسأمه بل التفت الى وجه جديد ادق وابعد غوراً فقد قصد في بيته المذكور انه لم يكن شيء يعوقهم عن الظفر بالأعداء الا عدم لقائهم فلما لقوهم أصبح النصر محققاً وكان مثلهم مثل السهام فبمجرد وصولها الى هدفها تفعل فيه فعلها الرهيب ويكون راميها قد أصاب ٠ فالبيت يحسب من معجزات الايجاز ٠

شواهد التنزه الادبي

في الناس وبعض شؤونهم

لقد حلق في الطبقة العليا من جو الفضيلة والانسانية من أوصى الانسان ان يعد البشر كلهم احباءه والأرض على رحب أقطارها داراً له ومأوى وملجأ أميناً من قال :

تصوّر الناس كلهم سكناً ومثل الأرض كلها دارا

والسكن بفتح الكاف هو الحبيب الذي تسكن اليه نفسك اي ترتاح اليه . وقال أبو الطيب المتنبي في دموع الحب :

أينكر خدي دموعي وقد جرت منه في سلك سابلِ
أأول دمع جرى فوقه وأول حزن على راحلِ
ولو زلتم ثم لم ابككم بكيتُ على حبي الزائلِ

وقال أحدهم في العيش :

ما العيش الا ان تحب وان يحبك من تحبه

وقال المتنبي في الموت :

ألف هذا الهواء اوقع في الأنفس ان المات مرُّ المذاق

وقال فيه أيضاً :

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تموتَ جبانا

كلمة ختام

ان هذه النماذج الشعرية فضلاً عما اشتملت عليه من طائفة طيبة تنبطن فائدة جليلة لكل أديب ومتأدب اذ تنبه ذهنه وتدله على كثير من الطرق في اجتناب المبتذلات والارتقاء الى سدة الطريف المستعذب في المعاني وأساليب الاداء وقد لا يقل الأسلوب مقاماً عن جوهر المعنى المقصود . ومعلوم ان

ناحية واسعة من منثور القول وهي الناحية الحاوية لموضوعات ألفها الشعر والشعراء تدخل تحت هذا الحكم وهذه النظرية ·

لحري بحزب الأدب واعوانه وخدامه العاملين في حقله ان يناقش كل منهم نفسه ادق مناقشة حين يؤدي قولاً منظوماً أو منثوراً لكي يتجافى به عن مواضع الرثاثة والابتذال ويسير قاصداً ردهة الاجادة فان لم يبلغ صدرها ولم يتوسطها فالأرجح انه لا تفوته عتبتها ومن ثم ينصف نفسه ويصون كرامته ويرضي القراء والسامعين اذ يعفيهم من السآمة والملل في الاصغاء الى قناطير من الكلام ليس تحتها شيء من الفائدة واللذة او تحت تلك القناطير درهم منها أو درهمان · ولعمري لا ادري لماذا لا يتحمل الأديب من الوقت والعناء في نظم أبيات يسيرة ما تعود ان يتحمله في نظم خمسين او ستين بيتاً · فلو اتخذ أولئك المكثرون المقصرون هذه الخطة في الاقلال من النظم مع زيادة اجتهاد فيه وعناية به لرأينا المجيدين من الناظمين حوالينا يزيدون على خمسين في المئة مع انهم في حالتهم الحاضرة يقلون عن عشرة في المئة · ويارحم الله القائل :

والناس مثل بيوت الشعر كم رجل منهم بألف وكم بيت بديوان

(اللاذقية) ادوار مرقص

على هامش النثر الفني

الاعجاب بالنفس أخطر ما يصيب الباحث المفكر لأنه يخيل اليه التفوق والنبوغ ، ويزين له الغرور بما يكون منه من عمل ، والفتون بما يرى من رأى أو يلفظ من قول . وكلما تتابعت الأيام تمكن منه ، وغلبه على عقله ، وران على فكره ، وغطى على بصره ؛ فلا يبصر الا محاسنه ، ولا يفكر إلا في عظمته ، ولا يعقل إلا ما يتصل بهذه المحاسن وتلك العظمة من قريب أو بعيد . ومن هنا كانت خطورته على المفكر لأنه ليس كغيره من الناس يفكر لنفسه ويحبس عليها تفكيرها أو يذيعه في تلك البيئة اليسيرة القصيرة التي تحيط به من المعارف والأصدقاء ؛ وانما هو مولع بالتفكير للناس لا يكاد ينتهي الى رأي في العلم ، أو نظرية في الفن ، أو نظرة عابرة فيما دون ذلك إلا وهو آخذ بأسباب اذاعتها ، عامل على نشرها بين الناس جميعاً ، لا يهدأ له بال ، ولا يطمئن له خاطر حتى يعرض فكره وعقله وقلبه ويظهر الناس على ما كان يعتلج فيها من أسرار ، ويتلج من آراء ، ويضطرب من مشاعر . فاذا لم يأخذ الباحث حذره من شيطان الاعجاب ويتهم نفسه في رغائبها ، ويجادلها عن منازعها ؛ ويفاتش ضميره جاهداً ، ويراجع عقله ، ويقايس بين أفكاره حتى يميز الخبيث من الطيب أهلكه الاعجاب ، وأخمل ذكره ، وعرّضه لألوان من النقد اللاذع ، وفنون من التهكم المرير لا قبل له بتحملها ، ولا صبر له على بأسها ، وان بأسها لشديد ، والحق الذي لا مرية فيه ان الوان الخطأ التي يدفع اليها الاعجاب على عظمها وغرابتها ما كانت لتقع لو لا تلك الحجب الكثيفة التي يضربها على العقل ، ويحول بها بين المرء

وقلبه . لا تكاد الفكرة تطرق ذهن المعجب بنفسه حتى تستحيل الى رأي ، ولا يلبث الرأي حتى يستحيل الى عقيدة تملأ مسارب النفس ، وتأخذ بمسالك الوجدان فيعتنقها ويجادل عنها ما وسعته المجادلة وأمده البيان ، وان كان خطؤها بادياً للعيان لأنها وليدة الاعجاب الفتان .

ومن هذا القبيل تلك الفكرة التي اعتقدها الدكتور زكي مبارك في أبي حيان التوحيدي ، وكانت مبعث خطئه في احكامه عليه . اعتقد انه رجل أنشأه الحقد على الموهوبين من أهل العلم والأدب والجاه ، وأديب متشرد أفاق يرجع نبوغه الى حسده وحقده وثورته على الحياة والأحياء . وهو فوق هذا وذاك مفتر كذاب . أنطق معاصريه بما شاء من الأقوال والآراء ، مسجلا في كتبه معزوة لهم زوراً وبهتاناً . وانه لصاحبها ومختلقها فعليه وحده تقع تبعتها ، واليه يرجع نقد الناقدين ، وطعن الطاعنين . وفي ضوء تلك الفكرة أو في ظلامها كتب الدكتور ما كتب عن أبي حيان ، وحكم عليه بما حكم فجاءت أحكامه بعيدة عن الصواب بعد الفكرة التي صدرت عنها . حكم الدكتور على التوحيدي بأنه متحامل على معاصريه وضرب لذلك أمثالاً لا تؤيد حكمه ، وانما تؤيد ظلمه العنيف له وقسوته عليه . ومن ذلك ما كتبه في ترجمة أبي عبد الله المرزباني (٢/ ١٢) : «كان معروفاً بسعة المعرفة وكثرة السماع ، وكان معاصروه يرونه من محاسن الدنيا ، ومنهم من يقدمه على الجاحظ . ولعل ذلك هو السبب في تحامل بعض المغرضين عليه [كأبي حيان التوحيدي الذي كان يقارنه بابن شاذان وابن الخلال ممن كان لهم جمع ورواية وليس لهم فيما جمعوه نقط ولا إعجام ، ولا إسراج ولا إلجام]» ومن المدهش حقاً ان الدكتور ينقم على التوحيدي هذا الرأي ويتهمه من أجله بالتحامل ، ثم لا يلبث الا قليلاً حتى يعرضه علينا على انه رأيه الذي ارتآه بعد طول البحث وكثرة المراجعة كتب في (ص ١٢٣) في نقد بعض كتب المرزباني يقول : « وبعد المراجعة المتعددة لم نظفر بما يميزه عن غيره من مصنفي الروايات والأخبار » .

وليس بين الرأيين من فرق إلا ان الثاني نفس الأول وقائله الدكتور فهو وليد الانصاف وحسن النية . وصاحب الأول ابو حيان فهو إذاً دليل التحامل وسوء الطوية . ومن ذلك ما كتبه الدكتور في ترجمة ابن مسكويه (١٤٦/٢) :
« قد أولع التوحيدي بمهاجمة ابن مسكويه . ورماه بمدح الجود باللسان ، وايثار الشح بالفعل ، وادعاء الحكمة ، والتكلف في الأخلاق . ولننظر كيف يقول : قال لي مسكويه مرة : أما ترى الى خطأ صاحبنا ابن العميد في اعطائه فلاناً ألف دينار ضربة واحدة ! لقد أضاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق . فقلت بعد ما أطال الحديث وتقطع بالأسف : أيها الشيخ ، اني أسألك عن شيء واحد فاصدق فانه لا مدب للكذب بيني وبينك : لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وبأضعافه وأضعاف أضعافه أكنت تخيله في نفسك مخطئاً ومبذراً ومفسداً أو جاهلاً بحق المال ؟ أو كنت تقول : ما أحسن ما فعل ، وليته أربى عليه ! فان كان الذي تسمع على حقيقته فاعلم ان الذي يرد ورد مقالك إنما هو الحسد أو شيء آخر من جنسه ، وأنت تدعي الحكمة وتتكلف في الأخلاق ، وتزيف الزائف وتختار المختار ، فافطن لأمرك ، واطلع على مرك وشرك » طار الدكتور فرحاً بهذا الحديث ونقله مرتين (في ص ١٣٧ وفي ص ١٤٧) وعقب عليه في الأولى بقوله : « ولو انه حاسب نفسه بمثل ما حاسب به ابن مسكويه لرأى ثورته على أهل زمانه تأخذ وقودها من قلب حاسد حقود » وعقب في الثانية بقوله : « ونحن نعرف سر هذا التحامل من جانب التوحيدي ، فقد كان شديد الحقد على المجدودين من أهل زمانه وخاصة من اتصلوا بالملوك والرؤساء . ولنا أن نضيف الى ذلك نجاح ابن مسكويه في حياته العملية فقد كان الرجل فيما يظهر متين الأخلاق ، ومتانة الخلق قوة مرعبة يرعد لها الأدباء المساكين الذين ابتلوا بالطمع في هدايا الملوك والوزراء وألفوا التزلف والتودد الى أقطاب المال والجاه . والأديب الذي يعتمد على نفسه وعلى خلقه وعلى كفايته الذاتية يعيش

في الأغلب غريباً بين معاصريه من الأدباء ، فليس عجيباً أن يتحامل أديب متشرد أفاق كالتوحيدي على أديب موفق مطمئن يعيش كابن مسكويه . ولو شئنا لأضفنا نزعة ابن مسكويه الفلسفية فهي كذلك من أسباب حقد التوحيدي عليه فقد كان التوحيدي واسع الثقافة إلى حد مدهش ، وكان يطمع في التفرد بالسمعة العلمية والأدبية والفلسفية بين رجال ذلك العهد » . ليس فيما قاله أبو حيان لابن مسكويه وهو يحاوره في جائزة ابن العميد تحامل دفعه اليه الحسد والحقد كما يقول الدكتور ، وانما فيه الصدق والانصاف اللذان يحمد عليهما أجل الحمد . أما الصدق فلأنه صارح ابن مسكويه برأيه ، وأبان له خطأه في لوم ابن العميد على إجزال عطيته لمن رآه أهلاً لها وأما الانصاف ففي دفاعه عن تصرف ابن العميد مع ما بينهما من ألوان العداء وصنوف الشحناء وان كان هناك حسد وحقد فيجب ان يوصف بهما ابن مسكويه الذي حسد صاحب الجائزة على جائزته ، وثارت ثائرته على صاحبه ابن العميد ونال منه على ما بينهما من صفاء وولاء . ومع هذا يصفه الدكتور بأنه متين الاخلاق ! ويصف التوحيدي بالحسد والحقد والتحامل ! وهذا تحامل عنيف واسراف في اختلاق المحاسن والمساوئ وتوزيعها وفق ما تشتهيه النفس المغرضة ، ويمليه الهوى الجموح . وقد دفعه تحامله الى ان يصف التوحيدي بأنه أديب متشرد أفاق ألف التزلف والتودد الى أقطاب المال والجاه قد تحامل على ابن مسكويه لأنه أديب مطمئن العيش قد اعتمد على نفسه وعلى خلقه وعلى كفايته الذاتية ولم يطمع في هدايا الملوك والوزراء . وليس ذلك من الحق في شيء فقد تزلف ابن مسكويه وتودد الى أقطاب المال والجاه ، وعاش ما عاش على مال الأمراء والوزراء الذين صحبهم وعمل لهم : خدم الوزير المهلبي ولما توفي سافر الى ابن العميد وظل في خدمته حتى قضى نحبه فاتصل من بعده بابنه أبي الفتح ابن العميد ، ولما دالت دولته سارع الى عضد الدولة بن بويه وهكذا كانت حياته سلسلة متصلة الحلقات

في خدمة الأمراء والوزراء . فلا يَفْضُل أبا حَيان من تلك الناحية ولكن الهوى الغلاب يسبغ على من يشاء ما شاء من الصفات والميزات وان لم تثبت للنقد إلا بمقدار ما يلقفها . ولعل أعظم دليل على إغراق الدكتور في التحامل على ابي حيان وإسرافه في ظلمه ما عقب به على رأي ابن خلكان الذي نقله عنه (١٩٦/٣)

روى ابن خلكان ان ابن نباتة السعدي مدح ابن العميد بقصيدة مطلعها :

برح اشتياق وادكار ولهيب أنفاس حرار

ولما تأخرت صلته عنه شفعها بأخرى ، وأتبعها برقعة فلم يزده على الاهمال فضاق بذلك ذرعاً ودخل عليه فأغلظ له القول حتى قال له : إن الغني إذا مطل لئيم فغضب ابن العميد وقال : ما استقدمتك بكتاب ، ولا استدعيتك برسول ، ولا سألتك مدحي ، ولا كلفتك تقريظي . فقال : صدقت أيها الرئيس ، ولكن جلست في صدر ديوانك بأبهتك وقلت : لا يخاطبني أحد الا بالرياسة ، ولا ينازعني خلق في أحكام السياسة ... فكأنك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال . فثار ابن العميد مغضباً ، ولما سكت عنه الغضب التمسه ليعتذر اليه فكأنما غاص في سمع الأرض وبصرها . قال ابن خلكان بعد ذلك : «ثم إني وجدت هذه القصيدة وصورة هذا المجلس منسوبين الى غير ابن نباته ، وكشفت في ديوانه فلم أر هذه القصيدة فيه ، ثم وجدت في كتاب مثالب الوزيرين لأبي حيان التوحيدي هذه القصيدة لأبي محمد عبد الرزاق بن الحسن المعروف بابن السياب اللغوي المنطقي الشاعر ، وهذه المخاطبة لشاعر من أهل الكرخ يعرف بوته والله أعلم» وعقب الدكتور على هذا بقوله : «ونحن نأسف على أن لم نتمكن من الاطلاع على مثالب الوزيرين ولو أتيح لنا الاطلاع عليه لاستطعنا تخطئة ابن خلكان فاننا نجزم جزماً قاطعاً أن هذا المجلس من صنع التوحيدي ، ولا يضيرنا أن النسبة لم تصح بطريقة علمية فانا نعرف التوحيدي معرفة قوية لطول ما صاحبناه وعاشرناه . ولو ألقيت جملة من كلامه في أكداس من الورق لميزناها

لأول نظرة ، فليكن الشاعر من يكون ، وليكن المخاطب من يكون فان واضع المجلس هو التوحيدي على كل حال . ولا يبقى الا أن نرجح أنه أداره على ابن العميد لا على غيره لان هذه الحفيظة ما كانت لتثور في هذه القوة على رئيس غير ابن العميد الذي شغل بثلبه وتجريحه حيناً من الزمان » ولست أدري ما الذي يستفيده الدكتور من الاطلاع على هذا الكتاب في تخطئة ابن خلكان ولا في ماذا يخطئه ؟ أيكذبه في أنه رأى القصيدة فيه منسوبة لابن السياب اللغوي والمخاطبة للشاعر الكرخي ؟ لا سبيل الى تكذيبه في ذلك ففي ماذا يخطئه إذن ؟ لست أدري وأعتقد ان الدكتور نفسه لا يدري ! ثم يجزم الدكتور جزماً قاطعاً بأن المجلس من صنع التوحيدي مع اعترافه الصريح بأن نسبته إليه لم تصح بطريقة علمية ! وهذا دليل وهاج على ان الدكتور لا يقيم للعلم وزناً ولا يسلك سبيله إلا إذا وافق ما يزينه شيطان الاعجاب ، أما إذا خالف عن أمره ، ولم يؤيد منطق الهوى فانه يتنكبه فخوراً ، ويتبع الظن الذي يغني — عنده — عن العلم والحق كل الغناء . ولا تثريب عليه من متابعة هذا الظن الذي يناهضه العلم ولا يقره بحال من الأحوال فانه — بزعمه — يعرف التوحيدي معرفة قوية لطول ما صاحبه وعاشره ، ومن أدرى بالصاحب من صاحبه ، وأعرف بالعشير من معاشره . ولو كان لهذا الادعاء العريض نصيب من الصدق لما أسرف في ثلب أبي حيان ووقف منه موقف العدو الذي لا يرقب في عدوه إلا ولا ذمه ، ولو راجع عقله ، وفاتش ضميره ، ونهى النفس عن الهوى لقضى في أمره بالحق والعدل كما يصنع العلماء المنصفون .

(القاهرة)

السيد أحمد صقر

المدرس بمدرسة الليسيه الفرنسية

بمصر الجديدة

مخطوطات ومطبوعات

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

تأليف ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢ ﻫ

القسم الرابع — المجلد الأول طبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

في القاهرة سنة ١٣٦٤ ﻫ ١٩٤٥ م في ٢٣٨ صفحة

لا تزال كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول توالي نشر أجزاء كتاب الذخيرة بعناية لا يصدر مثلها عن غير أساتذة محنكين • ويحتوي هذا الجزء على سيرة أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي ونثره وشعره وأخباره مع المنصور بن ابي عامر واخبار ابي مروان عبد الملك بن شهيد وأخبار دولة ابن ابي عامر وابنه بعده واخبار محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي وسليمان بن محمد الصقلي وثابت بن محمد الجرجاني وعبد العزيز بن محمد السنوسي الى امثالهم من العلماء الطارئين على الاندلس من المشرق وغيره وفي هذا الجزء أيضاً جملة من أخبار بني ذي النون وسيرة محمد بن شرف ومنثوره ومنظومه وأخبار ابن السقاء القرطبي وشعره وأبي الحسن علي بن عبد الغني الكفيف المعروف بالحصري •

وفي هذا الجزء وصف إعذار (ختان) حفيد المأمون يحيى بن ذي النون ومما جاء فيه في اكرام الطبقات في هذا الحفل : « ولما فرغت تلك الطائفة جيء بهم الى المجلس المرسوم لوضوئهم ، وقد فرش ايضاً بوطاء الوشي المرقوم بالذهب وعلقت فيه ستور مثقلة مماثلة فأخذوا مجالسهم منه وناولهم الوصفاء الطائفون بهم رفيع النقاوات والذرائر المطيبات في الأقداح والأشناندانات الفضيات المحكمة الصناعات كادت تغنيهم بطيبها عن الغسل ثم أدني اليهم إثر ذلك الوضوء في

أباريق الفضة المحكمة الصنعة يصبون على أيديهم في طسوس الفضة المماثلة لأباريقها في الحسن والجلالة فاستوعبوا الوضوء وأوفيت من أيديهم مناديل تتضاءل لها ما عليهم من سنيّ الكسوة ثم نقلوا الى مجلس التطيب افخم تلك المجالس وهو المجلس المطل على النهر العالي البناء السامي السناء فشرع في تطييبهم في مجامر الفضة البديعة بفلق العود الهندي المشوبة بقطع العنبر الفستقي بعد ان نُدّيت اعراض ثيابهم بشآبيب ماء الورد الجوري يُصب فوق رؤوسهم من أواني الزجاج المجدود ، وفيّاشات البلور المحفورة ثم أدني اليهم قوارير المها المحكمة الصنعة الرائعة الهيئة قد أترعت بالغوالي الذكية ، النامة بسرها قبل الخبرة ، المتخذة من خالص المسك التبتيّ ومحض العنبر المغربيّ ، لاءم بينهما رشح البان البرمكي فتناولوا من ذلك حتى لاقطر سبالهم ذوبانا ، واعادت شيبهم شبانا فلما استتم هؤلاء الخلة نم يومهم من طعمهم وطيبهم أقيموا للدخول على المأمون ... ثم وصف القصر والأبهاء ، ومافيها من صور ونقوش . قال ابن حيان (مؤرخ الأندلس) : وذهب المأمون الى تتميم تكريم زواره من رجال الأمراء الذين استحضرهم يومئذ لشهود فرحته ، بمشاهدة مجلس خلوته ، وتنعيم اسماعهم بلذات اغانيه ، وقد علم ان فيهم من يُرخص في النبيذ ولا يسوغ لهم نعيم دونه ، فاحتمل حرج ذلك مبالغة في تأنيسهم ، فاحتفل لهم في مجلس قد نُضد وأُحضر فيه جميع آلات الأنس ، فلما استوى بالقوم مجلسهم واشرأبوا الى الأخذ في شأنهم ، قرّب اليهم أطعمة تنورية ، جوامد وباردة ، وصنوفاً من المصوص والأشربة والطباهج ، موائد مترعة اتخذوها بُسطًا لنبيذهم ، ثم انثنوا الى الشراب ونفوسهم به صبة ، وقد مدت ستارة الغناء لأهل الحجاب ، ونظمت نوبة المغنين زمراً فهاجوا الإطراب واستخفوا الألباب ونقلوا الطباع فجاءوا بأمر عجاب ...

محمد كرد علي

يوسف شلحت : علم الاجتماع الديني

قد يكون من الصعب جداً في الوقت الحاضر ان يؤلف العلماء كتاباً في علم الاجتماع العام مستوفياً جميع الشروط العلمية الصحيحة . وقد يكون أصعب من ذلك ايضاً ان يضعوا كتاباً صحيحاً مضبوطاً في علم الاجتماع الديني .

والسبب في ذلك ان حقائق علم الاجتماع لم تصبح بعد نهائية كحقائق العلوم الرياضية والطبيعية . فاذا إراد العالم ان يعرض مسائلها بأسلوب علمي واضح ، ويرتب مبادئها وقوانينها . لقي في ذلك عناء كبيراً لفقدان كثير من الحلقات المتوسطة ، ولعدم استقرار الحقائق الاجتماعية على شكل نهائي ثابت . ان علم الاجتماع حديث النشأة ، وموضوعه كما قال (اوغوست كونت) اكثر موضوعات العلوم تعقداً واشتباكاً . والموضوعات المعقدة تحتاج الى طريقة علمية مضبوطة وقواعد ثابتة دقيقة . فاذا أخلّ العالم بأصل من أصولها ، او اهمل شرطاً من شروطها ، تاه في بيداء الوهم وضل سواء السبيل . وقد يظن انه ادرك ضالته المنشودة وبلغ العلم اليقيني ، وهو في الحقيقة لم يدرك الا البرق الخلب . ان السيارة المفككة المحاور تكفي للسير بسرعة في الطريق المعبدة ، اما الطريق الوعرة فتحتاج الى سيارة محكمة التركيب قوية المحرك . لذلك كانت المباحث الاجتماعية أحوج الموضوعات العلمية الى طريقة مضبوطة واستقصاء تام ، ولذلك ايضاً كان أقل خطأ في الاستقرار والتحليل باعثاً على التعليل الفاسد والتضليل .

وما يصدق على علم الاجتماع العام ينطبق ايضاً على علم الاجتماع الديني ، لا بل هو في هذا العلم اظهر وابين . لأن موضوع علم الاجتماع الديني كما قال (دوركهايم) ، انما هو البحث في العقائد والفرائض والأفعال المتعلقة بالأشياء المقدسة . فيه يميز الحرام من الحلال ، والمقدس من غير المقدس ، والطاهر من النجس . وهي امور منقولة الينا بالتربية والتقليد والتلقين . لا حيلة لنا في الأخذ بها أو في ردها . فقد ننشأ على العقائد الدينية الموروثة كما قال الغزالي بتقليد

الوالدين والمعلمين ٠ ثم قد يتحرك باطننا الى طلب اليقين فتنكشف لعقولنا حقيقة الدين انكشافاً لا ريب فيه فنرضى بها ونطمئن اليها ٠ وقد يتسرب الشك الى قلوبنا فنردها ، ونقاوم الرأي العام بخروجنا عليها ، الا انها في جميع هذه الأحوال لا تخلو من صفة الجبر ٠ بل تفرض علينا فرضاً ، وتضغطنا ، وتضطرنا الى اتباعها ٠ وهذا يدل على ان الأمور الدينية ليست من الأمور الخارجية المستقلة عن نفوسنا بل هي خارجية وداخلية معاً ٠ ومتى كانت الأشياء الخارجية ممازجة للارادات والعواطف كان اتباع الطريقة العلمية فيها اصعب وادق ٠

ومع ذلك فان علماء الاجتماع لم يعجزوا عن السير في طريقهم الذي انتهجوه فقرروا اولاً ان الظواهر الاجتماعية اشياء خارجية غير مسيرة بارادة الانسان ، وانه لا يجوز الاقتصار في تعليلها على العوامل النفسية الفردية ، وانها خاضعة لقوانين طبيعية ضرورية كغيرها من الظواهر ٠ ثم انهم سلكوا في بحثهم عن هذه القوانين طريقة علمية صحيحة ، مبنية على الاستقراء والتحليل ، والاستقصاء والمقارنة ٠ وساروا في ذلك قدماً حتى بلغوا بعلم الاجتماع ، خلال نصف قرن ، درجة من الضبط ، قلما بلغها علم من العلوم في نشأته الأولى ٠ وهذا يبشر علم الاجتماع بمستقبل عظيم ، قد يكون له في اصلاح الحياة الانسانية اثر عميق ، لأن نطاقه سيكون واسعاً ، تدخل فيه الحياة المنزلية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والحقوقية ، والدولية ، والدينية ، والفنية ٠

لقد اثارت آراء (دور كهايم) في علم الاجتماع بصورة عامة ، وفي علم الاجتماع الديني بصورة خاصة ، ضجة عظيمة ٠ فانتقده بعضهم لقوله بروح اجتماعية كلية مختلفة عن النفس الفردية ، وزعمه ان لهذه الروح وجوداً حقيقياً شبيهاً بوجود الذوات الروحانية والعقول المفارقة ٠ وانتقدوه ايضاً لزعمه ان العقائد الدينية والفرائض والأخلاق هي أشياء خارجية ليس غير ٠ ولكن علم الاجتماع قد صحح بعد ذلك كثيراً من هذه الآراء ، فأخذ بمبدأ التقيد الطبيعي ، واعتمد على الملاحظة ، والاحصاء ،

والتاريخ ، والمقارنة . ومهما يكن من أمر فان علم الاجتماع لا ينكر وجود الديانة ، بل يعتبرها اصلاً ضرورياً من أصول الحياة الاجتماعية . وغاية ما يرجوه علماء الاجتماع ان يعللوا نشأة الديانات المختلفة ، ويبينوا مراحل تطورها ، بطريقة علمية وضعية ، من غير ان يتعرضوا للبحث في أصلها السماوي بالنفي او الاثبات . وفي الكتاب الذي جمعه السيد يوسف شلحت دليل واضح على ذلك . وهو فيما نعلم اول محاولة باللغة بالعربية للبحث في نشأة الديانات بطريقة علمية . الا ان هذه المحاولة كغيرها من المحاولات في اللغات الأجنبية ، لم تبلغ بعد درجة العلم اليقيني . ففيها كثير من الآراء والنظريات ، وفيها كثير من التردد والالتواء ، وهي ستثير ، كما قال (دور كهايم) نفسه عن آرائه ، دهشة القراء . وهذا لا ينقص من قيمتها ، بل انه سيدفع الباحثين عن حقيقة الديانة الى الاقتباس منها ، او الى نقدها ، وبيان نقاط الضعف فيها ، للوصول الى ما هو اتم واكمل . ان العلم اليقيني لا يخلق كاملاً كما خلقت (فينوس) ، بل يتكامل شيئاً فشيئاً ، ويتبع في نشوئه مراحل كثيرة منها ما هو تقدم وارتقاء ، ومنها ما هو تأخر والتواء ، ان الأنهار الكبيرة لا تتكون الا من اجتماع الجداول الصغيرة . وحسب مؤلف هذا الكتاب ان يكون احد هذه الجداول .

جميل صليبا

الدكتور وليم ستكل : أقنعة الحب

نقله الى العربية وشرحه الاستاذ أحمد سامح الخالدي ونشرته مكتبة فلسطين العلمية
طبع بمطبعة بيت المقدس في القدس عام ١٩٢٦ ، وعدد صفحاته ١٦٦ من القطع الوسط

ليس في الكتب النفسية كتاب هو أمتع ولا أنفع من الكتب المشتملة على وصف الحياة الباطنية . تقرأ الكتاب في ليلة واحدة او ليلتين فيخيل اليك انك في عالم غير هذا العالم ، تطل منه على العواطف المكبوتة والغرائز المكنونة والأحلام المرموقة . ثم إنك اذا اطلعت على ذلك كله أدركت ان كثيراً من أفعالنا وانفعالاتنا

وإراداتنا إنما يرجع الى ميل مكبوت أو نزعة مخنوقة دفناها في القلب ثم حلنا بينها وبين العالم الخارجي بحجاب التربية وقيود المجتمع . ولكن هذه الرغبات المدفونة وراء حجاب الشعور لا تموت ، بل تتجمع بعضها فوق بعض ، ثم تمزق أكفانها وتحاول الظهور على مسرح الشعور بمظهر جديد . وقد تطالب بحقها أكثر من ذلك فتثور على الحياة الواعية ، ويبتدئ اذ ذاك نزاع شديد بينها قد يؤدي في النهاية الى الجنون .

وفي الكتاب الذي بين أيدينا وصف للأقنعة التي نغطي بها نزعاتنا ورغائبنا المدفونة كقناع العمى الارادي وقناع الحساسية الشديدة ، وقناع الباعث الجنسي ، وقناع التردد ، وقناع الخوف من طبيب الأسنان ، وارادة المرض والقبح ، وضعف الارادة واختيار المهنة وغيرها سلك المؤلف في تعليلها طريقة أستاذه (فرويد) الذي أرجع كل شيء الى الغريزة الجنسية .

فمن الأمثلة الدالة على العمى الارادي ضيق المجال البصري عند بعضهم وتعاميهم الارادي عن رؤية الأشياء ، وانصرافهم الى التحديق في فكرة محدودة راسخة ، ورغبة بعضهم الآخر في كل شيء حتى يشبهوا دوامة الماء التي لا تعرف الوقوف . فهم ابداً في شغل شاغل يخشون ان تمر بهم ساعة فراغ ، ويشغلون انفسهم ليمنعوها من التفكير فيما لا يريدون أن يفكروا فيه .

ومن الأمثلة الدالة على الحساسية الشديدة حال الذين تتوتر أعصابهم فيتألمون من أقل ضجة ولا ينامون الا اذا سكن كل شيء وقد يفرّون الى القرى طلباً للراحة فلا تعرف الراحة سبيلاً الى قلوبهم ، لأن آلامهم ناشئة عن سبب داخلي ، يخشون تمتمة صدورهم ويفرقون من سماع أصوات غريبة تدوي في آذانهم ، « بل من رنين او طنين او دق مستديم يشبه دق الأجراس » (ص — ٤٢) .

ومن الأمثلة الدالة على اقنعة الباعث الجنسي وقوع بعض الناس في امراض نعجز عن تعليل اسبابها ، وتكون امراضهم هذه بمثابة قناع يغطون به حبهم .

وأقنعة الحب ثلاثة : الحياء ، والشوق ، والاحتقار . اما الحياء فهو اعتراف بالغريزة الجنسية واخفاء لباعث الحب . واما الشوق فهو دليل على الخوف من الذات . وله أشكال مختلفة ترجع جميعها الى اصل نفسي يحوله المريض الى إحساس . فالسيدة التعسة بحبها تتنكر أسباب شقائها فتحولها الى ضيق في الصدر ، وأوجاع في القلب . والسيدة التي تكره زوجها وترغب في موته من نوبة صرع قد تصاب هي نفسها بخوف مرضي يشبه هذه النوبة . ومثل هذا كثير فهناك فتيات كن يعشقن رؤساءهن ، وطالبات كن يعشقن اساتذتهن ، ونساء كن يحببن اصدقاء رجالهن ؛ أخفين اسرارهن حتى عن أنفسهن فأصبن بآلام القلب وضيق التنفس العصبي او الربو او ببعض الاضطرابات العضوية الأُخرى . واما الاحتقار فهو رغبة نعبر عنها تعبيراً سلبياً فكم من أوجاع في المعدة ليست سوى اضطرابات عصبية يمكن ارجاعها الى احتقار لا شعوري . ان بعض الفتيات اللواتي يمتنعن فجأة عن أكل اللحوم يحتقرن كل ما يمت الى الجسد بصلة ، فينقلب احتقارهن للجسد الى احتقار للغذاء . واكثر النباتيين المتعصبين انما يرجع تعصبهم الى مثل ذلك . وقد وصف المؤلف كثيراً من أقنعة اله الحب كالأرق ، وجنون السرقة ، وجنون الحريق وغيرها . قال انه عرف طبيباً عنيناً أسس جمعية لمقاومة الأمراض التناسلية ، واستاذاً فاضلاً كان قد اخذ على نفسه ان يفتش جميع المخازن التي تبيع رسوماً مخلة بالآداب جاءه يوماً وهو يرتعش من شدة القلق لسلوكه سلوكاً شائناً مع إحدى الفتيات ، وقاضياً كان عديم الشفقة على الذين يخلون بالآداب العامة عثر عليه يوماً مقتولاً في مكتبه لارتكابه حادثة مخالفة للشرف .

وفي الكتاب أمثلة كثيرة غير هذه الا انها لا تخلو من المبالغة والتعميم . فمن هذه المبالغات الأدبية قول المؤلف ان الطبيب الجراح ليس سوى قاتل أعد نفسه لمطالب المدنية ثم صعد بواعثه الوحشية الى ميول سامية . وكذلك المتهالك في حب النساء يصبح طبيباً مولداً . ان المغرم بالأقدام الصغيرة يصبح صانع

أحذية ، كما ان عاشق الأنامل الجميلة يختار لنفسه مهنة قص الأظافر ، واذا كان رساماً قصر عمله على رسم الأيدي ، وقد يصبح ايضاً صانع قفازات الى غير ذلك من الأمور التي تصدق على بعض الأشخاص ولا يجوز تعميمها واطلاقها على كل انسان . فالغريزة الجنسية عامل قوي مؤثر في سلوكنا ، الا انها لا تنفرد وحدها بالتأثير .

وقد نقل الأستاذ سامح الخالدي هذا الكتاب الى اللغة العربية بأسلوب واضح وشرح بعض رموزه شرحاً مقتضباً ثم صدره بمقدمة وافية في التحليل النفسي . ولكن أسلوبه في الترجمة لا يخلو في بعض الأحيان من التردد ، وشرحه المقتضب لا يخلو من التكرار .

ج . ص

مجمع البيان في تفسير القرآن

ما أشد حاجتنا نحن معشر أهل السنة الى أمثال هذه التفاسير المعوّل عليها عند اخواننا علماء الشيعة الأمامية ولا سيما ما ألف منها قبل العهد الصفوي . فكم يكون زميلنا الاستاذ عارف الزين صاحب مجلة العرفان موفقاً في طبع هذا التفسير ونشره .

مؤلف التفسير من اكابر علماء الشيعة الأمامية في القرن السادس (توفي سنة ٥٤٨ هـ) واسمه (ابوعلي الفضل بن الحسن الطبرسي) نسبة الى بلاد طبرستان . والتفسير يقع في عشر مجلدات غير ان الناشر اصدره في خمس جاعلاً كل جزئين في جلد واحد . مجموع صفحاتها ٣٠٠٠ من القطع الكبير . وقد وقف على تصحيحها فئة من الأفاضل . وطبعت سنة ١٣٣٣ هـ في مطبعة العرفان بصيدا . وللكتاب ثلاث مقدمات (١) في ترجمة المؤلف بقلم العلامة محسن الأمين (٢) بعنوان كلمة في التفسير بقلم زميلنا الشيخ احمد رضا العاملي (٣) مقدمة المؤلف الطبرسي في القرآن وآياته وقراءاته وأساميه وعلومه وفضله وما يستحب من تزيين الصوت بقراءته . وقد تضمنت هذه المقدمات ما لا يحصى من الفوائد . والمؤلف اذا ذكر الآية فصّل القول فيها تفصيلاً حسناً

مميزاً بين المطالب التفسيرية بعنوانات خاصة : (القراآت) (اللغة) (الاعراب) (الحجة) (المعنى) . ويريد بالحجة بيان حجج القراآت المختلفة . وقد اعجبنا من المفسر توسعه في تحليل الكلمات اللغوية وسرد الشواهد عليها . كما اعجبنا إيراده معنى الآية إيراداً وسطاً لا هو بالمسهب الممل . ولا بالمقتضب المخل . بعبارة سهلة متينة لا تكلف فيها كما هو شأن الفحول من علمائنا الأقدمين رضي الله عنهم . وقد قال العلامة محسن في مقدمته :

اتفقت الأئمة على توثيق المؤلف وتبحره وغزارة مادته وقد جمع في تفسيره أنواع العلوم وما تشتت من الأقوال مع الاعتدال وحسن الاختيار في تلك الأقوال والتأدب وحفظ اللسان مع من يخالفه في الرأي بحيث لا يوجد في كلامه شيء ينفر الخصم أو يشتمل على التهجين والتقبيح . وقل ما يوجد في المصنفين من يسلم كلامه من ذلك . وانظر الى ما قاله في مقدمة كتابه (الكاف الشاف في مختصر الكشاف) في حق صاحب الكشاف وما فيه من التعظيم له والثناء البليغ على علمه وفضله — تعلم ان المفسر الطبرمي من الفضل والانصاف وطهارة النفس في مرتبة عالية انتهى)

وبالجملة فان هذا التفسير من امتع التفاسير واجمعها لفنون العلم واحسنها ترتيباً لها . وايراداً لمسائلها ، ووصفُ الشيخ محسن للمؤلف (بالاعتدال والتأدب وحفظ اللسان مع من يخالفه في الرأي) حق وهو من أجل الأوصاف التي يجب ان يتحلى بها رجال الفرق الاسلامية . وقد شاهدنا اثر اعتدال المؤلف وتأدبه في ص ٣٢ من الجزء الخامس عند تفسيره لقوله تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) وقد أرجع المؤلف ضمير (عليه) الى النبي ﷺ ثم قال ما نصه (وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي في هذه الآية بالسكينة – (اي دون ابي بكر) — كلا ما رأينا الاضراب عن ذكره أحرى لئلا ينسبنا ناسب الى شيء) اقول ولعمري ان الاضراب عن ذكره حسن . وأحسن منه عندي ان لا يضرب عنه بل يأتي عليه ثم يخاطب الفريقين الأخوين بتهجين هذه الأبحاث المتكلفة في تفسير القرآن الذي ألف بين قلوب المسلمين

فقام المسلمون وخالفوا القرآن: ففرقوا ذات بينهم . وجرّوا انفسهم بأيديهم الى حينهم .
وقال المؤلف في تفسير الآية نفسها قولاً نوافقه عليه كل الموافقة . وهو ان بعضهم جوز ان تكون الهاء في (عليه) راجعة الى ابي بكر (رضي الله عنه) على معنى ان الله ألقى في قلب ابي بكر ما جعله يسكن ويهدأ بعد الجزع . قال المفسر الطبرسي (وهذا بعيد لأن الضمائر المذكورة قبل (عليه) وبعده تعود كلها الى النبي بلا خلاف : (الا تنصروه فقد نصره) (إذ أخرجه) (لصاحبه) — وأيده) فكيف يتخلل هذه الضمائر ضمير (عليه) العائد الى غير النبي انتهى ما قاله المؤلف وقد اصاب فيه كل الاصابة : لأن كلام الله اذا ذاك يبقى حسن الرتل . متلائم الأجزاء . لاتشاخس فيه ولا تفكك ولاخروج عن الصدد . والخروج عن الصدد معيب اذا وقع في كلام الخطباء . وحديث الجلساء . فكيف نقرّه في كلام رب الأرض والسماء .

ويا ليت المؤلف مذ قال هذا القول هنا اي في آية (فأنزل الله سكينته عليه) قاله في آيات (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ... فلا تخضعن (أي يانساء النبي) وقُلن (اي يا نساء النبي) وقِرْن (اي يا نساء النبي) ولا تبرّجن (اي يا نساء النبي) وأقمن الصلاة (اي يا نساء النبي) وآتين الزكاة (اي يا نساء النبي) وأطعن الله (اي يا نساء النبي) انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً (اي يا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين) واذكرن ما يتلى في بيوتكن (اي يا نساء النبي) : فقد قال المؤلف اختلفوا في مراد الآية (بأهل البيت) : فقال عكرمة أراد أزواج النبي (ﷺ) لأن اول الآية متوجه اليهن . وقال ابو سعيد الخدري وانس بن مالك وواثلة ابن الاسقع وعائشة (إحدى الأزواج المخاطبات اولاً !) وام سلمة (إحدى الازواج المخاطبات أيضاً !) ان الآية (اي آية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس المتخللة في الآيات) مختصة برسول الله (ﷺ) وعلى فاطمة والحسن والحسين) ثم ذكر المصنف أحاديث ذكر فيها ان المراد بالآية سادتنا الخمسة المذكورين وختمها بقوله :

(فثبت ان الآية مختصة بهم لبطلان ! تعلقها بغيرهم . ومتى اعتُرض بأن صدر الآية وما بعدها في الأزواج فالقول فيه : إن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم ، فانهم يذهبون من خطاب الى غيره ويعودون اليه ، والقرآن من ذلك مملوء . وكذلك كلام العرب وأشعارهم اهـ قول المؤلف .

المغربي

عبد الله فكري (عصره) ، (حياته) ، (أدبه)

تأليف محمد عبد الغني حسن بمقدمة كتبها عبد الحميد العبادي بك

وقد طبع في مصر سنة ٩٤٦ م

أهدي الى مجمعنا هذا الكتاب في ترجمة حياة زعيم من كبار زعماء النهضة الأدبية المصرية . وقد شعرت وانا اتصفحه بعاطفة هزت نفسي وهاجت مسرتي واذكرتني ايام الحداثة والاهتمام بالطلب والتحصيل : ذلك ان صديقاً لي في ذلك العهد يعرف مني الحرص على مطالعة ما ينشر من الآثار الجديدة في العلم والأدب أطلعني على كتاب صغير لا يزيد على حجم الكف طبع حديثاً في مصر (أى في سنة ١٣٠٦) باسم (الرحلة البعلبكية) لمنشئها (سعادة عبد الله فكري باشا) فلم اكتف بمطالعة هذه الرحلة إعجاباً بها وحرصاً عليها بل اسرعت الى نسخها وما زالت نسختها الى اليوم بين أوراقي . وكنت اقرؤها على الاخوان المرة بعد المرة واستثير اعجابهم بما تضمنته من براعة في الأسلوب . وحذق في السجع . ولطف اشارة الى الملح العلمية والنكت الأدبية . وكنا في ذلك العهد ندرس الأدب القديم ونرى الحاجة ماسة الى تطوره والتجديد فيه . كما تنبهت عقولنا الى شيء يقال له الأدب الحديث أو العلوم العصرية ووجوب الاهتمام بها لتتم لنا نهضة صحيحة . فرأينا في تلك الرحلة ما دلنا على ان صاحبها من أولئك الذين يعملون على التجديد والنهوض : فهو يحاول تفكيك قيود الأدب القديم والأخذ به نحو طريقة حديثة

تجمع بين متانة اللغة العربية ، وصحة أسلوبها — وبين استعمالها في الفنون العصرية والمطالب الاجتماعية الحديثة ، غير انه لم يتح لعبد الله فكري التملص بتاتاً من السجع الموروث ، وكان يشايعه على هذا التجديد في الأدب زعيم آخر من وزراء مصر هو (علي باشا مبارك) مؤلف كتاب (علم الدين) الذي لم يصدر منه سوى اربعة أجزاء ، وقد كنت قرأته لأول ما صدرت طبعته في الاسكندرية ، فكنت اجد فيه وفي صاحبه ما وجدته في الرحلة البعلبكية ومنشئها من حيث محاولتهما التجديد في الأدب العربي وسلوك منحى عصري فيه وكان في الأستانة لذلك العهد أناس آخرون من أبناء العرب ينحون منحاهما ويعملون على شاكلتهما وهما (الطويراني) و (السلاوي) واشياعهما .

وقد بقي هذا الأدب الجديد المسجع موضع اهتمام القراء حتى ظهرت جريدة العروة الوثقى التي كان ينشؤها استاذنا (محمد عبده) في باريس على عين من السيد (جمال الدين الأفغاني) فكان هذا مبدأ عهد جديد في أساليب الانشاء العربي وتوجيه الأدب عامة الى خدمة الاجتماع الاسلامي والسياسة القومية وانعاش الاخلاق الدينية والدعوة الى الاصلاح في هذه المطالب الثلاث . فلا جرم ان كان هؤلاء المنشئون من كتاب العرب هم زعماؤنا في هذا الفتح الجديد وتمهيد الطريق اليه . والكتاب الذي أمامنا في ترجمة حياة عبد الله فكري فيه الشواهد الكثيرة على ما قلناه من أنه كان مجدداً في (عصره) و (حياته) و (أدبه) وقد فصل هذا كله الفاضل (محمد عبد الغني حسن) مؤلف الكتاب احسن تفصيل ، وابرزه في اجمل أسلوب ، والطف تعبير : والكلام في ترجمة المترجم يتصل بالكلام في حالة الجيل الماضي الذي عاش المترجم بينهم ، وكانوا تلاميذ مدرستين : مدرسة التعليم الديني ، ومدرسة التعليم المدني ، ولكل من المدرستين كتب وطرائق واساليب . فوصف المؤلف كل هذا وحدد موقف المترجم من تعاليم المدرستين ، ورجال المدرستين ، ثم وصف اخلاق المترجم وعصاميته وشعره ونثره وآثاره الأدبية ورحلاته الى اوربا وسورية ، وذكر اصدقاءه

هنا وهناك وهنالك ولا سيما علاقته بالشيخ محمد عبده وشهادة الشيخ فيه وتعلق الأمير شكيب بصداقته منذ حداثته . قال الأمير (وكان الشيخ عبده شديد الحب لعبد الله باشا فكري لا يفتأ يذكر محامده .... وكان يعجبه من شعره قوله مخاطباً للخديوي توفيق :

(ولو شئت كانت لي زروع وأنعم   ومال به الآمال أقتادها قسرا)
(ولكنها نفس فدتك أبيـة   تعاف الدنايا ان تمر بهـا مرا)

والكتاب بمجموعه طرفة أدبية لا تمل قراءته . ولا تنتهي فوائده . وللقارئ هذا النموذج منه وقد وصف المؤلف فيه (الرحلة البعلبكية) التي أشرت اليها في صدر الكلام . ولعل ما في هذه الرحلة أظرف مداعبات المترجم ومضاحكاته . وقد كان بينه وبين (الشيخ عبد المجيد الخاني) (وهو المخاطب في الرحلة) مكاتبات تدل على ما كان بين المترجم وبين أعيان دمشق من الحب وخلوص الود . وكان للسيد الخاني (لازمة) يستعملها في الحديث هي لفظة (المدهش والمدهشات والمنعش والمنعشات) فكان اصدقاؤه المصريون يتندّرون بها عليه . ويودعونها رسائلهم اليه . حتى ان الأستاذ الشيخ محمد عبده كتب اليه من رسالة فقال : (ويهدي الى حضرتكم التحيات المدهشات والتسليمات المنعشات حضرات الأساتذة (فلان وفلان) .

وافتتح عبد الله باشا فكري خطابه الى السيد الخاني في (الرحلة البعلبكية) بقوله (اهدي اليك من منعشات التحية والسلام ، واتلو عليك من مدهشات الشوق والغرام ما يجمل إجماله لواصفه ولا يلزم تفصيله لعارفه) .

وفي هذه (الرحلة البعلبكية) ما فيها من ظرف عبد الله فكري وأدبه وخفة روحه حتى لقد أرسل نفسه على سجيتها مع الشيخ الخاني (ينتقل به من دمشق الى دمر الى الفيجة . ويصف المكاري الذي حمله على حصانه وقد ضلت به السبل . وتشعبت أمامه الطرق . ولعن الحصان الذي تحته وسبه . وألحق به دينه ومذهبه . ومن باعه وركبه . وامواته واحياءه . وعشائره واحباءه . فلما وصل الى رأس السوق (سوق وادي بردى) التمس داراً للمقام والتمس غذاء فلم يجد غير دجاجات اضلتهن

أيدي الحدثان . وافلتتهن مخالب أنسر لقمان . قد وعين الطوفان . وتطاول عليهن تقادم الزمان . فما زلن يصاولن الأيام . ويواصلن الصيام . حتى يبسن وسمجن . وفني عليهن الحطب ولم ينضجن) ثم عاد فشكا في الرحلة نيبس المداد في بعلبك بقوله (أشكو من هذا المداد الجامد . مالا اشكوه من المكاري البارد) ووصف توقف القلم عن الجري على القرطاس بقوله (فيقف عن جولانه . وقفة الحمار في المدار . ويثبت في مكانه . ثبوت المسمار في الجدار الخ

أقول وللشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الى طرابلس المسماة التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية) وصف للصعوبات والمشاق التي قاساها في تلك الجبال وعقابها والأودية ووهادها تشبه في الجملة ما قاله عبد الله باشا فكري في رحلته البعلبكية وبين الرحلتين ٨٠ سنة .

(ملاحظة) قرأنا في احدى الصحف المصرية بالأمس ان كتاباً في ترجمة (عبدالله باشا فكري) ألفه الأستاذ السيد العناني وقدم له الشاعر خليل بك مطران .

المغربي

(من عبقريات نساء القرن ١٩)

جزؤه الأول تأليف السيد يوسف يعقوب مسكوني

طبع في بغداد سنة ١٩٤٦ م

عُني بوضع هذا الكتاب الأستاذ الموما اليه وقد أراد ان يجمع شتات ما تفرق من تراجم شهيرات النساء المعاصرات فضمن جزءه الأول ثلاثاً منهن وكأنه أراد ان يشير بهذا الجمع الى ان نهضة المرأة العربية لم تكن مقتصرة على طائفة واحدة من اقوام الأمة العربية وانما النهضة كانت عامة شاملة نساء الطوائف كلها فترجم للسيدة عائشة التيمورية (المتوفاة سنة ١٩٠٢) رامزاً بها الى المرأة العربية السنّية ثم للسيدة وردة اليازجي (المتوفاة سنة ١٩٢٤ م) رامزاً بها الى المرأة العربية المسيحية ثم للسيدة زينب فواز (المتوفاة سنة ١٩١٤ م) رامزاً بها الى المرأة العربية الشيعية

والكتاب في ٢٣٦ صفحة وزع المؤلف الكلام فيها على الثلاث توزيعاً يكاد يكون متساوياً . وقد بسط القول فيهن وفي آثارهن وأخبارهن بسطاً شافياً مزيناً بصورتين للمترجمتين الأوليين عدا مقدمة بقلمه أوجز فيها القول عن نهضة المرأة من حيث هي امرأة : ماهيتها وأخلاقها وطباعها والمقارنة بينها وبين الرجل وزواجها وأخيراً (هي تاج الرجل ولكن أين هي ؟ ؟)

وانا لشاكرون له سعيه الجميل في وضع هذا التصنيف المفيد وهو موفق الى إتمامه إن شاء الله .

المغربي

ضوء في تاريخ التوحيد

البحث الأول

التصوف في نظر الاسلام

تأليف الأستاذ احمد صبري شويمان

أهدى الينا صديقنا الأستاذ محمد افندي نصيف كتاب «الضوء» ورغب إليّ أن انشر في مجلة مجمعنا العلمي الكريم رأيي فيه ، والذي يمعن النظر في هذا الكتاب ويسير على ضيائه ، يرى أن عنوانه جزء من أجزائه ، فهو لم يقصر بحثه على التصوف في نظر الإسلام كما يؤخذ من عنوانه ، بل جاوزه إلى النظر في حقيقة التصوف العامة في العالم كله ، وعمد إلى تفسيرها وتجلية غوامضها ، وتعقب عواملها ، وأغراضها بين مختلف الشعوب كما أشار إلى ذلك في طليعة كتابه :

وقد رتب المؤلف هذا الكتاب على ستة أبواب كبرى أدخل في كل باب منها فصولاً تناسبه ، وجعل بعض تلك الفصول أصولاً لمباحث اشتقها منها وبناها عليها . والكتاب في جملته يقع في ثلاثمائة وسبعين صفحة بقطع الربع ، وها هي ذي عناوين أبوابه الستة :

(١) نشأة التصوف مع الانسان (٢) فطرة الإنسان واحدة وسلوكه مختلف

(٣) منابع الفطرة في الجزيرة العربية (٤) البيت العربي (٥) العقل العربي (٦) الدين العربي .

وأما الفصول التي جعلت أصولاً لغيرها فمنها فصل أصل العالم، وفطرة البدن السليم، وفطرة النفس المطمئنة، وهذه الفصول الثلاثة داخلة في الباب الثالث (منابع الفطرة).

ومن مباحثه الخلقية ما كتبه تحت عنوان: أمم مريضة بطبيعتها، الضعف العقلي أساس المرض التناسلي، الفسق من عوامل الانقراض، مصارع المراهقة، الشذوذ الجنسي، الصوفية والشذوذ الجنسي» .

هذه مجملات من أبواب الكتاب وفصوله، وهو في جملته ذم للتصوف عند جميع الأمم، ورمي لأهله بالفسوق والمروق والضعة والخمول، وهذا التعميم غير جار على سنة القرآن الحكيم، الذي يزن بالقسطاس المستقيم، فالتصوف في أول نشأته بين المسلمين كان زهداً في الدنيا وعرضها الأدنى وإيثاراً للآخرة عليها وجهاداً في سبيل الله واقامة لميزان الحق والعدل بين الناس، وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم باحسان، ولم يكن اسم التصوف معروفاً لهم، ثم حدث له هذا الاسم، ومن بعد أن كان مسماه نسكاً وزهداً وبعداً عن مظاهر الترف والنعيم، صار آراء فلسفية تنقل فيها أهلها الى القول بالحلول والاتحـاد . ثم انقلب إلى شعبذة وشعوذة وتغرير بالبسطاء وتزلف للحكام، وأكل لأموال الناس بالباطل .

وكان على المؤلف – وهو يستعرض التصوف القديم والحديث عند جميع طبقات البشر – أن ينوه بمتصوفة الوطن الذين جردوا أنفسهم لخدمته، واستنفدوا جهودهم في سبيله، كزعيم مصر سعد، وكغاندي الهند، وأن يتناول بذمه من اتخذوا لتصوفهم مواسم ومراسم يطلعون فيها على الناس بأزياء وألوان وهيئات غريبة تشبه في مظاهرها عيد المساخر عند بعض الأمم! وكان من حق الحكومة الإسلامية التي تدعى اليها وتشارك فيها أن تمنعها لأنها تقام باسم الدين الذي يبرأ منها، ويعد أهلها من الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعبا .

وقد وقع المؤلف في أغلاط دينية كبرى ما ندري ما الذي جرّه اليها أوجرّأه عليها! ، فمنها تعريفه للدين بأنه « تجنب السلوك بما يخالف الفطرة » « أو هو الكيفية التي توحي بها الفطرة السليمة حلّ المشاكل الانسانية اهـ ص ٤٣ » وهذا دين غير اسلامي ولا سماوي ، لأنه يستمد الإلهام والنظام من الفطرة الإنسانية لا من الشرائع السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه وأرسلهم بها الى الناس ، وليس منبع الدين النفس ولا مصدره الإلهام ، ولكنه وضع إلهي ، ووحي سماوي ينير للفطر السليمة طريق السعادة العظمى .

(ومنها) تفسيره للسبع المثاني بقوله :

« السبع المثاني — على خلاف رأي الأعاجم من المفسرين — هي الأربعة عشر حرفاً التي أقسم بها الله في أوائل السور في مثل قوله « الم » الخ « ثم قال » : وقد غلط المفسرون بطبيعة عجمتهم حين زعموا أن السبع المثاني هي سبع سور أوسبع آيات الخ .

أعلمت أيها القارئ الكريم من هؤلاء الأعاجم الذين فسروا السبع المثاني بأنها سبع سور أو سبع آيات ؟ إنهم أجلاء الصحابة والتابعين كعمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس ، وكمجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم ، واختاره ابن جرير واحتج بالأحاديث الواردة في ذلك ، [راجع تفسير الآية : ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ، والقرآن العظيم ، من سورة الحجر ، في تفسيري الحافظين ابن جرير وابن كثير] ثم من أين له العلم بأن الله تعالى أقسم بهذه الحروف الأربعة عشر ، وهي ليست إلا حروفاً مفردة ، وحروف القسم الثلاثة ليست منها ؟

حسبي بما أوردت شاهداً على جزمه بما ليس له به علم ، أو بما يعلم خلافه !!

ومن الأغلاط اللغوية إتيانه بكلمة « فقط » في غير موضعها كقوله ص ٥٤ تقوم فقط على غير الفطرة وص٨٣ لا يؤدي فقط إلى إنهاك قوى الجسم وإضعافه و ص٣٠٧ ولكننا نفسر فقط ما اشتهر من رأي العرب في الجن » والصواب أن تكون « فقط » في آخر هذه الجمل الثلاث ، فيقال : تقوم على صورة الفطرة فقط الخ كما هو ظاهر

وجملة القول : انا نرجو أن يكون هذا الكتاب داعياً الى الأخذ بمعالي الأمور ، وترك سفسافها .

محمد بهجة البيطار

مختصر تاريخ الحضارة العربية

تصنيف الأستاذين راتب الحسامي وجورج حداد، في (٥٤١) صفحة من القطع المتوسط يتخللها بعض الصور . وهو من منشورات دار اليقظة العربية بدمشق .

حاول الأستاذان في هذا الكتاب اختصار تاريخ الحضارة العربية في مختلف نواحيها . فبحثا في ادارة الدولة الاسلامية وحياتها الاجتماعية والاقتصادية وحركاتها الفكرية والفنية . وقد ادركا : «بأن وضع مثل هذا الكتاب ليس بالأمر السهل نظراً لاتساع موضوعه ووفرة مادته، خصوصاً والايجاز والاختصار اصعب في مثل هذه الأبحاث من التطويل والاسهاب» . ويلمس القارئ في كل فصل من فصول هـذا الكتاب أثراً لهذه الصعوبات، ويتبين له ما بذله المصنفان من جهد للتوفيق بين حاجة الطالب في أفقه المحدود ورغبة المطالع الطامع في زيادة المعرفة والاستفادة .

وهذا الكتاب هو غني بمادته، واسع بأبحاثه . والذي كنا نرجوه لو تجنب الأستاذان في أبحاثها بعض المسائل الخلافية والتوسع فيها — لا سيما فيما جاء في فصلي الحياة الفنية والحياة الفكرية — لأمنا العثار وسلم الكتاب من الزلات والأخطاء والجدل التي تشوش على التلميذ ولا ينتفع بها . ولا ننسى ان مايصح بحثه ومعالجته خارج النطاق المدرسي يحسن ان لا نتسامح به في الكتب المدرسية .

وقد عثرنا على أخطاء نشير الى اهمها . فقد جاء في :

ص ٢٣ شاب من العباسيين اسمه عبد الرحمن الخ . وصوابه شاب من الامويين

« ٨٦ محمود الزنكي المعروف بالملك العادل . وصوابه محمود بن زنكي والمعروف بالملك العادل هو سيف الدين ابو بكر بن ايوب وليس نور الدين

« ١٤١ بجاية في الأندلس وصوابه على ساحل افريقية

« ٢٥٩ زعما ان قصر المشتى من بناء الغساسنة والصواب انه من بناء الأمويين .

« ٢٧٥ قصر الخزنة . لايعرف قصر بهذا الاسم ولعله قصر خرانة الموجود في البلقاء .

ص ٣٢٢ زعما ان زرياب او الكندي قد زادا الوتر الخامس في العود . والحقيقة ان الوتر الخامس كان موجوداً في زمن هشام بن عبد الملك اي قبل زرياب والكندي بزمن طويل كما هو ظاهر في الصور التي عثر عليها في قصر الحير الأموي .

« ٣٢٦ البرونز . هي كلمة أعجمية وتعريبها الشبه .

« ٣٣٢ مدينة ليون باسبانيا ، وصوابه في فرنسا .

« ٣٤٠ قالا : « ويظهر انهم لم يذكروا اسم البلد الذي ضربت فيه النقود حتى اوائل القرن الثاني للهجرة » وهذا لا يتفق مع الحقيقة لأن اسم البلد قد ذكر على الدراهم الاسلامية منذ الوليد بن عبد الملك .

« ٣٤٦ قالا : « ليس العصر الذي سبق الاسلام عصراً جاهلياً لأن التاريخ أثبت ان الفكر العربي كان آنذاك نامياً ... الخ » وهذا تفسير مغلوط لأن اطلاق اسم العصر الجاهلي على العصر الذي سبق الاسلام يقصد منه الناحية الدينية فقط ولا يشمل الثقافة والفكر .

« ٤٣١ Monophysites وصوابه Monophysisme

« « Monothelites وصوابه Monothéisme

« « وكان مؤتمر خلقدونيا في سنة ٤٥١ لا في سنة ٤٤٨

« ٤٣٦ قالا عن مكتبة الاسكندرية « التي اتهم العرب باحراقها » وكان من من أولى واجبات الأستاذين ان يدفعا هذه التهمة الباطلة عن العرب لأن المكتبة حرقت قبل دخول العرب مصر بزمن طويل كما حققه وأثبته عدد كبير من مؤرخي الغرب حتى اصبحت اليوم حقيقة لا تقبل الجدل وبعد ان عرف بأنها فرية لفقها اعداء المسلمين .

وما نعيبه على هذا الكتاب المدرسي الاسراف في بحث منشأ الحضارة العربية حتى يكاد القارئ ان يتخيلها حضارة ملفقة من انقاض حضارات بائدة انتحلها العرب

لأنفسهم . ولا ننكر بأن العرب قد أخذوا عن سواهم كثيراً من معالم حضارتهم - شأن جميع الأمم في قديمها وحديثها . ولكن العرب قد امتازوا عن سواهم في صهر ما أخذوه في بوتقتهم فالبسوه حلة جديدة ضاع معها الأصل ، و كونوا منها حضارة لها شخصية واضحة مستقلة كأنها حضارة مبتكرة تتفق مع روحهم وعقلهم ودينهم الجديد ، وهذا ابرز ما في الحضارة العربية واروع ما حققه العرب وهي الحضارة الوحيدة من نوعها التي تتجلى فيها العبقرية في كل نواحيها .

جعفر الحسني

الدليل البريطاني لعام ١٩٤٥

تصنيف جوزيف هويتيكر لندن ١٠٥٢ صفحة

Whitaker's Alinanack

اعتادت دور النشر الكبرى وأحياناً بعض الصحف ان تصدر دليلاً أو تقويماً في كل عام يحتوي على مختلف المعلومات المفصلة المتعلقة بحياة البلاد التي يصدر فيها ، وعلى معلومات اجمالية عن سائر بلاد العالم . والدليل البريطاني الذي نبحث عنه هو المجلد السابع والسبعون من مجموعة تصدر منذ ١٨٦٨ بادارة اسرة هويتيكر . ويمكن القول ان هذا الدليل هو موسوعة صغيرة عن الامبراطورية البريطانية ويتألف من ١٠٥٢ صفحة مطبوعة بالحرف الصغير . وهو يبدأ بمعلومات فلكية مفيدة تتعلق بالأبراج والنجوم والمجموعة الشمسية والأرض والزمن وحساب الأوقات والروزنامات وكذلك يحتوي على معلومات عملية مفيدة تتعلق بالأوزان والمكاييل وبالرموز والاختصارات المختلفة . ولكن القسم الأكبر منه يتناول بريطانيا العظمى وحكومتها وأنظمتها الادارية . وفيه جداول كثيرة بأسماء ملوك انكلترا ونوابها ، ولورداتها ، والقاب الشرف فيها وحامليها ، واسماء الدوائر

الحربية المختلفة وموظفيها وجداول بالمحاكم وموظفيها ، والاسقفيات واساقفتها ، وبأسماء الجامعات والمدارس الكبرى وموظفيها ، واسماء الصحف والمصارف والنوادي .

والدليل يحوي زيادة على ذلك معلومات عن مختلف أجزاء الامبراطورية البريطانية من الوجهة التاريخية ثم من الوجهتين الجغرافية والادارية فيصف حكومة كل من هذه الأجزاء واسماء موظفيها ورواتبهم كما انه يصف حاصلاتها وتجارتها . وأهم الأبحاث في هذا القسم تتناول امبراطورية الهند . وهنالك قسم في الدليل يبحث عن البلاد الأجنبية فتتناولها بلمحة تاريخية موجزة وبلمحة عن حكومتها ثم جغرافيتها الاقتصادية وتجارتها بشكل خاص ، وكذلك يبحث في علاقة انكلترا بها . واسماء ممثلي انكلترا الدبلوماسيين والقنصليين فيها . ولا يخلو هذا الدليل من وصف حوادث الحرب العالمية الأخيرة ومجهودات انكلترا فيها ، كما ان فيه بعض الجداول التاريخية التي تتعلق باسماء الملوك والرؤساء في مختلف الدول والأمم المالكة .

والمهم في هذا الكتاب انه لا توجد ناحية من نواحي النشاط في حياة انكلترا وامبراطوريتها الا ويصفها ويعطي الاسماء والاحصاءات والتواريخ المتعلقة بها ، فهو من هذه الناحية كتاب جزيل الفائدة . وحبذا لو قامت البلاد العربية — متعاونة او كل قطر بمفرده — بتصنيف دليل مثله فيكون وسيلة عملية للتعارف فيما بينها وللتعرف على تفاصيل الحياة الادارية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في كل منها ، وعلى اسماء الرجال والهيئات القائمين بأعباء كل من نواحي النشاط فيها ، وللاطلاع على أهم الوثائق والأنظمة والقوانين التي لها علاقة بهذه النواحي .

جورج حداد

آراء وانباء

— ملاحظات لغوية —

نشرت في العدد الاول من المجلد الثامن عشر القسم الخامس من مقالي الذي عنوانه (نظرة في مجلة مجمع فؤاد الأول) . ومما ذكرته في ذلك القسم انه لا يوجد في العربية كلمة تدل على معنى (Ecussonnage) بالفرنسية وهو التطعيم بالبرعم، ويسمونه عندنا التطعيم بالرقعة ، وأنه من الضروري جعل كلمة (البرعمة) تتضمن هذا المعنى .

واذا بالدكتور مصطفى جواد يأتي بعد ثلاث سنين او أكثر فينشر في عدد آب من هذه السنة (ص ٣٨١) تتمة مقال له عنوانه (التنبيه والتوجيه) جاء فيه ان الكلمة الفرنسية المذكورة هي (التطعيم) بالعربية ، وانه لا حاجة الى (البرعمة)، ثم نراه بعد هذا الفوز بعثوره على كلمة (التطعيم) ينقل الينا عن المسعودي وعن المقريزي جملاً استُعملت فيها هذه الكلمة اي التطعيم . وينهي كلامه بقوله : (وربط الثقافة العربية القديمة بالحديثة واجب راتب) .

قلت ان من أدواء هذه اللغة كون بعض لغوييها يستسهلون البحث عن مصطلحات علوم لا يجيدونها . فالتطعيم بحث واسع من أبحاث زراعة الشجر ، وفيه مؤلفات ، وله اشكال عديدة كالتطعيم بالبرعم (الرقعة) والتطعيم بالغرز (القلم) والتطعيم بالشق والتطعيم بالترصيع والتطعيم بالإدناء والتطعيم بالتصفيح وتطعيم اللحاء الخ . الخ . فكلمة (التطعيم) هي عامة تشمل كل هذه الاشكال . وليس في العربية كلمة واحدة تدل على شكل واحد بعينه من هذه الاشكال . ولا يجوز قصر معنى التطعيم على التطعيم بالبرعم . واستعمال كلمة (التطعيم) مجردة لا يفيد معنى التطعيم بالبرعم وحده بل يفيد أيضاً جميع الأشكال الأخرى مما ذكرته وما لم اذكره . ولهذا طلبت في مقالي جعل كلمة البرعمة تتضمن معنى

(Ecussonnage) أي التطعيم بالبرعم . ويرى مجمع مصر أيضاً هذا الرأي . لكنه وضع كلمة التبرعم لهذا المعنى . وقلت في مقالي المذكور ان البرعمة اصلح . ويتضح من ذلك انه لو كان حضرة الكاتب الذي ألزم نفسه بالتنبيه والتوجيه عالماً بالعلوم الزراعية لكفى نفسه وقراء مجلة المجمع مثل هذه التوجيهات الخاطئة . أما تنبيهه الى (ربط الثقافة القديمة بالحديثة) فهو كلام يجب ان يوجهه الى نفسه ، لأن الذي يبحث عن التطعيم في كتب السلف لا يستشهد بجمل أوردها المسعودي أو المقريزي ، بل يراجع كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية وكتاب الفلاحة الأندلسية لابن العوام وكتاب الفلاحة الرومية لقسطا بن لوقا وغيرها من كتب السلف الزراعية فيجد فيها أبحاث التطعيم كما يجد الكلمات التي استعملوها مرادفة للتطعيم كالتركيب والإنشاب الخ . ومتى انتهى من تلاوة هذه الأبحاث ، وكان عالماً بالعلوم الزراعية الحديثة ، وعارفاً بمعاني الألفاظ الزراعية العربية ، جاز له بعد معالجة هذه الأمور سنين عديدة ان يدلي برأيه فيها .

أما الدكتور مصطفى جواد فان له علماً وفضلاً ولكن في غير هذه الناحية فليتجنبها وليكتف بما هو عالم به يفد قراءه والمعجبين به وأنا منهم .

(حلب)  مصطفى الشهابي

غلطتان مطبعيتان

جاء في بحثي عن كتاب « تطور الري في العراق » المنشور في الجزء السابع والثامن من المجلد الحادي والعشرين غلطتان مطبعيتان واليك تصحيحهما :

صفحة	غلط	صواب
٣٦٧	الخضروات	الخضراوات
٣٦٨	الفربن	الفَربْن

م . ش

التنبيه والتوجيه

— ٣ —

٨ — وورد في ص ٤٤ « بعض اصطلاحات يونانية » وليس هذا من تعابير الفصحاء لأن « بعضاً » اذا أريد بها الجزء الواحد من كل الأجزاء — وهو المعنى الأصلي الذي وضعت له — فيجب لها ان تضاف الى معرفة . فيقال « بعض الاصطلاحات اي قسم منها وأحدها ، وإذا أريد بها جزء الجزء فيجوز ان تضاف حينذاك الى النكرة فيقال : « كتبت صحيفة أو بعض صحيفة » ومنه قوله تعالى : « قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم[1] » ، ولعل الكاتب الفاضل أراد « ببعض » ما يريد الفرنسيون بكلمة Quelque فالصواب « اصطلاحات يونانية » لأن التنكير يدل على القلة ويفيدها إذا كان الجمع خالياً من وصف يدل على الكثرة كأن يقال « اصطلاحات كثيرة » فمن الأولى قولنا « اشتريت دجاجات ، وشرحت كلمات ، وأقمت أياماً » وما اليه من العبارات . ونقول القول بعينه في العبارة الثانية الواردة في الصفحة المذكورة وهي تتعلق « ببعض نظرات » .

٩ — وفي ص ٤٨ « فان السلف أخذها مباشرة عن اليونانيين » ومباشرة هذه هي ترجمة Directement الفرنسية ، وأقرب الأقوال العربية الفصيحة أن يقال «أخذوها قصداً » ولا محل هنا للمباشرة ولا وجه لاستعمالها ولو بالتأويل والتخريج .

١٠ — وجاء في ص ٤٩ أن كلمة « ابليس » على رأي الكاتب الفاضل من Epiaès اليونانية لا من Diasolos . قلت : ما أبعد هذين اللفظين عن لفظ «ابليس» ! واللفظة القريبة منه هي « Diabolus » اللطينيّة ومنها الفرنسية Diable .

١١ — وفي ص ٦٠ ما نصه « وقال الحاجب للنقيب ابي محمد قل لولدك محمد » والصواب « ابي احمد » وهو والد الشريف الرضي ، والغلط يسير ولكن السكوت عنه على أهل البحث والتحري عسير

(١) سورة الكهف في الآية ١٩ منها

١٢ — وجاء في ص ٦١ ما هذا نصه « هذا ما ساقه ابن ابي الحديد في شرحه على النهج من غير ان يذكر السنة التي كتب فيها المحضر » . أراد محضر طعن العباسيين على نسب الفاطميين الذين اسسوا دولتهم في مصر بعد المغرب ، قلتُ : وليس كتاب شرح نهج البلاغة مقصوراً على التاريخ ولا موضوعاً للحوادث ، فمن مبادئ العلم بتاريخ بني العباس علم انهم كتبوا ذلك المحضر في سنة (٤٠٢) اثنتين واربعمائة للهجرة[1] وأما ابن الطحاوي الوارد ذكره بين الفقهاء في المتن أو البطحاوي — كما جاء في الحاشية — فصوابه « ابن البيضاوي » نسبة الى بيضاء فارس ، وهو محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد الفقيه الشافعي قاضي ربع الكرخ ببغداد في زمان كان يسكن درب السلولي ويدرّس الفقه ويفتي على مذهب الامام الشافعي ، توفي فجأة ليلة الجمعة الرابع عشر من رجب سنة أربع وعشرين واربعمائة ودُفن صبيحة تلك الليلة في مقبرة باب حرب من غربي بغداد[2]

١٣ — وجاء في ص ١١١ من المجلد انّ القاف شاع لفظها بالهمزة من أزمن حلب ثم عمت المدينة ومنها انبثت في سائر المدن التي ذكرناها » ، قلت : من المستبعد جداً ان تشيع هذا الشيوع وتعمّ هذا العموم وهي لثغة أرمنية يهودية حلبية ، لأن طبيعة الأصوات تستوجب ان تنقلب القاف الى كاف وهذه تكون همزة وهي اللثغة الطبيعية ، وقد نقل ياقوت أنّ احد الفتيان كانت به الكنة شديدة حتى كانت لا يجري على لسانه حرفان من حروف المعجم « الراء والكاف » : يكون مكان الراء غيناً ومكان الكاف همزة فكان اذا اراد ان يقول كركيّ يقول « أغإي » واذا أراد أن يقول كركرة يقول « أغاغة » وينشد للأعشى

(١) ابو الفرج ابن الجوزي « المنتظم ج ٧ ص ٢٥٥ » وكرّرت كتابه المحضر سنة ٤٤٤ « المنتظم ج ٨ ص ١٥٤ » وكامل ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٢ والذهبي في دول الاسلام ج ١ ص ١٨٧

(٢) الخطيب البغدادي « ج ٥ ص ٤٧٦ »

«أغى غجلاً في أفه أئف» يريد «قالت أرى رجلاً في كفه كتف[1]» . فقلب القاف همزة يجب فيه ان يسبقه حتماً قلبها كافاً .

١٤ — وورد في ص ١٢٢ قول كاتب فاضل «وفي الديوان من التشبيه ما لم يعرف مثله لأبي العلاء أو لم يؤلف في عهده كقوله :

ذوائبه مسك ثناياه لؤلؤ   وخدّاه تبر والعذار زمرُّدُ

قلتُ أمّا أن ذلك لم يعرف مثله لأبي العلاء فصحيح واما أنه لم يؤلف في عهده فغير صحيح ، قال أبو محمد الحسن بن علي المعروف بابن وكيع التنيسيّ الشاعر المتوفى سنة ٣٩٣ قبل وفاة المعري باثنتين وأربعين سنة :

جوهريّ الأوصاف يقصر عنه   كل فهم وكل ذهنٍ دقيقِ
شارب من زمرّد وثنايا   لؤلؤ فوقها فمٌ من عقيق

وذكر ابو اسحق الحصريّ أبياتاً لبعض مشايخ القيروان ورواها عنه ، قال شمس الدين ابن خلكان : غالب ظني أنه [أبو] الحسن علي بن عبد الغني الحصريّ والأبيات ... رأيتها في بعض المجاميع منسوبة الى ابن الحجاج الشاعر المشهور وهي :

ومعذّرين كأنّ نبت خدودهم   أقلامُ مسك تستمدّ خلوقا
قرنوا البنفسج بالشقيق ونضروا   تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقا
فهُم الذين اذا الخليّ رآهم   وجد الهوى بهم اليه طريقا[2]

فهذه التشبيهات كانت مألوفة في زمان المعرّي ويضعف دليل الكاتب الفاضل من هذا الوجه .

١٥ — وورد في ص ١٣٠ « ذيل النفحة ونيل المنحة لمحمد بن السمان اوله : ربّ أوزعني ان اشكر نعمتك » قلت : وجدت في آخر النسخة التي في خزانتي ما هذا نصه «تمّ بحمد الله تعالى ذيل النفحة ونيل المنحة لمولانا المرحوم المغفور له السيد محمد أمين افندي المحبي ، جمع الأديب البارع الشيخ محمد المعروف بابن السمان

---

(١) ياقوت في معجم الأدباء «ج ٦ ص ٢٨٦»   (٢) الوفيات «ج ٢ ص ٥١٢» من طبعة العجم

عُفي عنها[١] » وفي ص ١٣٤ من نسختي أيضاً مانصه « ولجامعه الفقير محمد بن السمان عفا عنه الرحيم الرحمن ... » فالتأليف للمحبّي مؤلف خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر ، والجمع لابن السمان المذكور .

١٦ — وورد في ص ١٤٣ « فوجدناها لا تتفق ونسبة هذه المذكرات » . والصواب « لا تتفق هي ونسبة » لأنّ الاسم الظاهر اذا عطف مرفوعاً على الضمير المستتر او المتصل ، وجب[٢] تحقيق الضمير وتوكيده بلفظه او الفصل بين الفعل والظاهر بفاصل لفظي ، وشذّ من هذه القاعدة ما ينشده النحويون من الأبيات الغريبة منها :

زعم الأخطل من سفاهة رأيه   مالم يكن وأبٌ له لينالا

وقول آخر :

قلتُ إذ أقبلتْ وهند تهادى   كنعاج الفلا تعسفن رملا

ولا يجوز ان يجعل « نسبة » مفعولاً معه لأن الفعل « تتفق » مشترك لا يستغني بمرفوع واحد .

١٧ — وجاء في ص ١٨٢ « تقويم الأبدان لابن جزلة كتب سنة ٢٩٧ هـ » . قلتُ : لعل في الرقم التاريخي غلطاً مطبعياً فانّ اباعلي يحيى بن عيسى بن جزلة الحكيم الطبيب المستبصر في آخر عمره توفي في أواخر شعبان من سنة ٤٩٣هـ[٣] ، فلعلّ تاريخ كتابته سنة ٤٩٧ سبع وتسعين وأربعمائة ، او ما بعدها ، وجاء في الصفحة نفسها « منهاج البيان فيما يستعمله الانسان ليحيى بن عيسى الكاتب ٤٩٣ هـ في الطب» . وهو ابن جزلة نفسه وتاريخ وفاته صحيح .

---

(١) تراجع مجلة المجمع « مج ١٨ ص ٢٧٢ (٢) يجوز على مذهب الكوفيين وليس بشيء لأنه ورد في الشعر حسبُ ولا عبرة به اذا خالف النثر ولغة القرآن (٣) شمس الدين ابن خلكان في الوفيات « ج ٢ ص ٢١٠ » من طبعة العجم . وأبو الفرج ابن الجوزي في « المنتظم ج ٩ ص ١١٩ » ووتموهم في مختصر الدول لابن العبري « ص ٣٣٩ » طبعة اليسوعيين وتاريخ الحكماء للقفطي « ص ٢٦٠ » بجعل « التسعين » سبعين أي بجعل وفاته سنة ٤٧٣ فليصلح

١٨ – وجاء في حاشية ص ٢٠٢ ان خلافة الامام المقتفي لأمر الله ابي عبد الله محمد المقتفي لأمر الله العباسي ابتدأت من اليوم الثاني من ذي القعدة سنة ٥٣١ هـ . وفي ص ٢٠٩ من المقالة انّ « اول خلافة المقتفي بالله في سنة ثلاثين وخمسمائة » ، والصحيح انّ بيعته كانت في يوم الأربعاء ثامن عشر ذي القعدة من سنة (٥٣٠) هـ على ما ذكر ابن الجوزي وهو أعرف بها من غيره[1]

١٩ – وفي ص ٢٠٣ س ١ « ولا تعويل لدى معرفة عليه » والصواب « لذي معرفة » بالذال المعجمة لا الدال المهملة ، ومعناه انّ ذا المعرفة لا يعوّل عليه أبداً .

٢٠ – وجاء في ص ٩٩ ذكر لأبي عبد الله محمد بن علي العظيمي المؤرخ الحلبيّ ، وتاريخ ولادته دون وفاته ، قلت : جاء في المجلد السادس من وفيات الأعيان لابن خلكان « ص ٣٢٠ » من طبعة الدكتور فريد الرفاعي سنة ١٩٣٦ م = ١٣٥٥ هـ ما هذا نصه « ذكر ابن العظيمي الحلبيّ في تاريخه ان الأمين ... » وفي الحاشية ما هذه صورته « هو محمد بن علي بن محمد ابو عبد الله التنوخي الحلبي ، ولد بحلب وكان إماماً شاعراً فصيحاً بليغاً ومن شعره : يلقى العدى بجنان ليس يرعبه ... وُلد ابن العظيمي سنة ٤٨٣ وتوفي حوالي سنة ٥٦٠ ، احمد يوسف نجاتي » وقال هذا الفاضل المعلق في المجلد الثاني ص ١٠٧ ما نصه « هو ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد التنوخي الحلبي كان إماماً مؤرخاً وشاعراً بليغاً وأديباً واعياً توفي سنة ٤٨٤ » بجعله سنة الولادة تاريخ الوفاة التقريبي الذي ادعاه ، وله فضل السبق على كل حال مع ما أتاه من الاخلال .

٢١ – وورد في ص ٢١٥ سؤال كاتب فاضل عن كتاب « الطرديات » لكشاجم أقائم هو بنفسه ام داخل في حيز كتاب « المصايد والمطارد » ؟ قلت : يستدل مما اورده ابن خلكان في ترجمة ابن شرشير الأنباري انها كتاب واحد قال « ولابن شرشير أشعار كثيرة في جوارح الصيد وآلاته والصيود وما يتعلق بها كأنه

(١) المنتظم « ج ١٠ ص ٦١ »

كان صاحب صيد وقد استشهد كشاجم بشعره في كتاب المصايد والمطارد في مواضع منها قصائد ومنها طرديات على أسلوب ابي نواس ومنها مقاطيع وقد أجاد في الكل فمن ذلك قوله طردته في وصف باز : لما تفرّى الليل عن أنباجه[1] ...»
فدخول الطرديات في المصايد والمطارد واضح في هذا النقل .

٢٢ — وورد في ص ٢٠٨ س ٦ « وهجموا ربعتها » والصواب « ربضها » بالضاد المعجمة ، وربض البلدة او المدينة ما حولها من الأحوية والبساتين ، هذا هو الأصل وورد في تاريخ الخطيب البغدادي ما يدل على انّ أرباض مدينة السلام كانت في حيز سورها ومن محلاتها ، وفي المراصد « قيل الربض اساس المدينة ، بضم الراء وبالتحريك ما حولها وقال بعضهم هما لغتان »

٢٣ — وجاء في ص ٢١٦ « ونشر عن بعضها وصفاً مسهباً » وفي الجملة غلطان اولهما استعمال الكاتب الفاضل « عن » مكان اللام . فانه يقال « هذا وصف له » لا وصف عنه والثاني استعماله « مسهباً » من دون صلته « فيه » فانه يقال «أسهب فيه »

٢٤ — وورد في ص ٢١٩ « وأبي طمحان والقنبي » . والصواب « وأبي الطمحان القيني » وهو حنظلة بن الشرقي ، وفيها أيضاً « وذي الرمة محمد » والصواب « وذي الرمة غيلان بن عقبة » وفيها « عبد الصمد بن المعزّل » والصواب « المعذّل »

٢٥ — وفي ص ٢٢١ « ولم يخصص الكتاب للحيوان وحده » . والتصحيح « بالحيوان » يقال « خصّ الشيء بكذا وخصصته به » أما « خصّ » المتعدي في الظاهر فيحتاج الى مخصوص به مثل « اختصه » يقال « خصه بجائزة واختص فلاناً بجائزة »

٢٦ — وفيها أيضاً « انّ من اسباب ... هو خوفه » وهذا إضمار للظاهر قبل ذكره غير جائز أبداً ، فهو مخالف للفصاحة ، فالصواب « ان من إسبابه ... خوفه »

٢٧ — وفي ص ٢٢٢ « في القرون الغابرة » . أراد بالغابرة « السالفة والماضية »

(١) الوفيات « ج ١ ص ٢٨٥ » من طبعة العجم

وهو ضد ما استعملته فيه فصحاء الأمة وعلماء الملة ، فالغابرة للباقية من حاضرة ومستقبلة ، وأما دعوى أنها من الاضداد فلا يعاج عليها ولا يلتفت اليها لأن منشأ ذلك تصحيف حدث في العين المهملة ، فعدّوها غيناً معجمة ، فالسالفة هي « العابرة » بالعين المهملة والباقية بالغين المعجمة أي « الغابرة »

٢٨ — وفي ص ٢٤٢ « قلنا فليسمح لنا حضرته أن نخالفه في رأيه هذا » وهذا تعبير كسير لأن المخالف لا يطلب السماح ، ولا سماح في المخالفة ، فلا يقول أحد « ايذن لي في أن أعصيك » و« طبْ نفساً عما أنزّكهُ » وليس هذا من باب التهكيس كقوله تعالى « فبشرُهم بعذاب اليم »

٢٩ — وورد في ص ٢٥١ ما نصه « أما وجود النون بين القاف والطاء عند الغربيين[1] فمأخوذة[2] من لغة للعرب الذين يقحمون النون في بعض الأحيان فيقولون انجاص في إجاص و ... » قلت : ليس هذا إقحاماً وانما هو إبدال وله قاعدة مطردة القياس في باب الابدال في العربية وهي أنّ العرب تستثقل الحرف الثاني المضعف في الكلمة ، فتبدل من أحد ضعفيه إما حرف علة وأحرف العلة أخف الحروف ، واما نوناً وهي أخف الحروف بعد أحرف العلة ، واما راءً وهي تلي النون في السهولة ، فالنون في الانجاص والخرنوب والدرنوح والقنبرة والقنطيسة ، عوض من الضعف المبدل منه[3]

٣٠ — وفي ص ٢٥٣ « لأنه لا يبقى نصرانيّ ، الا حضره وتقرب منه » وفي الحاشية « يمكن ان تكون (فيه) بمعنى تقرّب الى الله فيه » . قلتُ : هذا صحيح يحتاج الى زيادة فيقال « بمعنى تقرّب الى الله فيه بقربان » لئلا يفهم من التقرّب معناه الحقيقي أو المجازي بغير القربان الذي أريد ها هنا .

٣١ — وجاء في ص ٢٥٧ قول المأمون « اسكم على حُرُمي أصحاب اخبار » بضم

(١) Contrée وما يماثلها في الانكليزية و للطينية واليونانية (٢) الصواب « فمأخوذ » لأنّ الوجود مذكر والاخبار عنه لا عن النون ، ولو قال « فأما النون فمأخوذة » لصح قوله ولعله من غلط الطبع (٣) ويراجع كلامنا على [القوضي] في هذه المجلة مج ١٨ ص ٢٥ - ٣

الحاء والراء من «حُرُمي» والصواب «حُرَمي» بفتح الراء جمع حرمه ، أراد «نسائي». قال الفيومي في المصباح «والحرمة» ايضاً المرأة والجمع حُرَم مثل غرفة وغُرَف» وقال ابو سعيد اسحق بن خلف البهرائي يرثي ابنة أخته :

قد كنتَ أخشى عليها ان تقدمني الى الحمام فيبلي وجهها العدم

فالآن نمت فلا هم يؤرقني يهدا الغيور اذا ما أودت الحرَم [1]

٣٢ — وجاء في ص ٢٦٦ «وقال التنوخي حضرتُ ببغداد مجلس الملك عضد الدولة في يوم عيد الفطر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة والشعراء ينشدون التهاني» . قلتُ : لعل الأصل «سبع وستين وثلاثمائة» لأن سنة ٣٢٧ لا توافق الحقيقة التاريخية ، وعضد الدولة لم يكن اميراً ببغداد قبل سنة ٣٦٧

٣٣ — وجاء في ص ٢٧٥ «ويسرنا ان نرى الأستاذ الفاضل حريص» . والصواب «حريصاً» ولعلَّ الأصل «نرى أن الأستاذ حريص» فسقطت «أنَّ» في الطبع ، لأن أمر الغلط هذا من البديهيات .

٣٤ — وجاء في ص ٤٠٢ ما نصه «فالعربية الأولى ... لم تعدّ فتش بحرف ما ثم عدّاها الزمان بعن وفي وعلى ولهذا الحرف الأخير من المعاني المذكورة في كتب اللغة والنحو ما يماشي الفعل فتش يمشي معه» قلتُ : ان المعنى هو الباعث على التضمين [2] والتقدير في كلّ الأفعال ، ومبلغ الدلالة هو الموجب للايجاز أو التطويل ، فليست القضية سماعية بل هي قياسية ، لأن أصل العبارة «فتشت

(١) المبرد في الكامل [ج ٣ ص ٢٥٢] من طبعة الدلجوني الأزهري ، ولا تزال العامة في العراق يسمون المرأة حُرمة

(٢) ضمن [فتش] معنى [دوّر] و [دار] عليه وهو مولد أيضاً ، قال أبو زكريا يحيى بن سعيد بن الدهان [٥٦٩ ـ ٦١٦] :

فصرت الآن منحنياً كأني أفتش في التراب على شبابي

ولذلك وجب ذكر الفضلة المحذوفة إذا نقل هذا الفعل الى [فاعل] قال ثمامة بن أشرس النميري يصف الفراء [فجالست اليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحراً وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيهاً [الوفيات ج ٢ ص ٣٧٠] من طبعة العجم .

الدار عن الشيء[1] فهي مفتوشة ، وفتشتها عنه فهي مفتشة » فاذا دلت إحدى الفضلتين على المعنى المهم فمن البلاغة حذف الثانية ، فكذلك قيل « فتشت عن الشيء » والفضلة الثانية مقدّرة بحسب طبيعة اللغة ، ومن أمثلة ذلك « دافعت عن البلاد وحافظت على المال ، وحاميتُ عنه وعليه وذبّ عن العشيرة » والأصل دافعتُ العدوّ وحافظت غيري وحاميتُ الناهب وذببتُ الهاجم » وهذا يستوجب ان يكون « فتش عنه » غير فتشه وان كانت المغايرة ناقصةً لا تامة ، واما اقسام المعنى في مثل « فتش » فهي « الفاتش » و « المفتوش » و « المفتوش عنه » واذا كان المفتوش ظرف مكان جاز ان يقال « فتش فيه » لأن الظرفية من ضروريات الكلام والأصل فيها الجر بالحرف ، أما النصب فهو حادث من حوادث الاختصار والايجاز

٣٥ — وجاء في ص ٤٠٦ « بل النسخة التي اختصها بنفسه » . ومعنى ذلك أنه وهب لها نفسه وهو تعبير عجيب في غرابته ، لأن العاقل لا يهب نفسه لنسخةٍ من مخطوط يُباع ويشترى ، فالصواب — ولعله مُراد الكاتب الفاضل — اختص نفسه بها »

٣٦ — وورد في ص ٤٠٨ من مقامات فخر الدين الجويني الحموئي « وزملكش وقواد » . وفي الحاشية ما نصه « كذا في الأصل وصوابه زملق ... وترى معناها في المعاجم والكلمة بذيئة » قلت : ومن بحث عن معناها لم يجدها بذيئة وانما هي تعني حالة طبيعية في البدن ، أما كون أصل زملكش « زملقا » فبعيد عن الصواب ، والظاهر ان أصل زملكش هو « مزكلش » اسم فاعل من زكلش يزكلش أي تبذّل وغنى في الطرقات أو فعل غير ذلك من الأفعال الدنيئة بحسب آراء المسلمين ، ونؤيد دعوانا بأن أبا منصور بن ابي بكر بن شجاع المعروف بابن نقطة الحنبلي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وصفه جماعة من المؤرخين بالمزكلش ، قال ابو شامة بعد ذكر اخيه عبد الغني بن أبي بكر الزاهد: واخوه ابو منصور بن نقطة المزكلش ، كان ينشد كان وكان في الأسواق ويسحّر الناس في رمضان ، قيل له : ما تستحي ،

---

(١) أصول التاريخ والأدب [مج ٦ ص ٣٢٩] من مجاميعنا الخطية .

أخوك زاهد العراق وانت تزكاش في الأسواق فقال مواليا ... » هذا ماورد في ذيل الروضتين لأبي شامة ومثله تقريباً في تاريخ الاسلام الذهبي ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وله ترجمة مختصرة في الجامع المختصر لابن الساعي الخازن .

٣٧ — وورد في الصفحة عينها « وذهبيّ ومدّاد » فعلق عليه ناشره الفاضل « الذهبي المشتغل بالذهب » وهو تعريف حسير ، وفي انساب السمعاني انّ الذهبي هو الذي يفتن الذهب ويخلصه من الغش ، والذي يعمل خيوطاً من ذهب[1] وبهذا التعريف خرج الصائغ والصيرفي والمستثير للذهب من معدنه واختص به صناع في دار الضرب والمعدّون لغزل السقلاطون وغيره .

٣٨ — وجاء في ص ٤٠٩ « ومتوز ودهّان ونداف وقطّان » وجاء في الحاشية تعليق عليه نصه كذا وردت في الأصل ولم نعرف الكلمة الأصلية التي صحفت عنها ولعلها « مصوّر » لأن الكلمة التي تليها هي دهان، فينسق المصورمع الدهان»اه. قلت : بل الظاهر انها « المزوّق » اسم فاعل التزويق ، وهو مشهور معروف المعنى كما في أنساب السمعاني وأساس البلاغة .

٣٩ — وورد في ص ٤٢٣ « كتاب الدر الثمين في سيرة نور الدين : نور الدين زنكي » قلت : والصواب « نور الدين ابن زنكي » لأنه محمود بن زنكي الملقب بنور الدين ولعلّ هذا من غلط الطباعة .

٤٠ — ونشر في ص ٤١٧ وما يليها مقال جامع في كتب الحسبة والنبذ المؤلفة قديماً فيها والمؤلفة حديثاً ، قلت : يجد الباحث في كتاب « تلخيص مجمع الالقاب » لابن الفوطيّ شيئاً من أخبار المحتسبين ونعت الحسبة ومن ذلك قول مؤلفه في أحدهم « علاء الدين أبو عبد الله عبيد الله بن يحيى بن ابي القاسم المذاري المحتسب كان فقيهاً عارفاً بأمور الحسبة ومُراعاة العوام في المتاجروالصناعات ومنعهم من الغش والتدليس في سائر المعاملات وامتحان المكاييل والاوزان وحياطتها من

(١) أصول التاريخ والأدب [مج ٦ ص ٣٢٩] من مجاميعنا الخطية

التطفيف والنقصان ومن فعل شيئاً من ذلك كان يناله بغليظ العقوبة وله في ذلك السيرة العادلة [1] . وجاء في هذه المقالة الجامعة (ص ٤٢٦) ذكر الكتاب كتبه رشيد الدين الوطواط في تقليد الحسبة ، وأحال فيه كاتبه على رسائل الوطواط . قلت : انّ الكتاب نفسه قد أورده ياقوت الحموي في ترجمة رشيد الدين المذكور قال « ومن انشائه أيضاً تقليد حسبة صدر عن ديوان خوارزم وهو : إنّ أولى الأمور بأن تصرف أعنة العناية الى ترتيب نظامه [1] ... » وبينهما فروق في الزيادة والنقصان وفي صور الألفاظ ومن الغريب ان الأستاذ مرغليوث المستشرق المشهور لم يكلف نفسه عناء المقابلة بين النصين مع احالته في الحاشية على رسائل الوطواط ، فمن ذلك ما ورد في معجم الأدباء [1] « وتقصر الهمم » وفي الأصل « تقصر غايات الهمم » وفي معجم الأدباء « ويتوقف عليه صلاح » وفي الأصل « يتعطف عليه »

٤١ — وفي ص ٤٢٩ كلمة موسومة بأسماء منتخبة لمسميات حديثة جاء فيها ان الكِنف وزان حبر هو الزنفليجة يكون فيها أداة الراعي ومتاعه . قال كاتبها الفاضل « فالكنف على هذا صالح لأن يطلق على محفظة الطبيب (جزدانه) الذي يضع فيه مقصه وشفرته وأداته وما يحتاج اليه احتياجاً قريباً » . قلت : الكِنف أداة من أدوات الراعي ، ومثله « الصُفن » بالضم ، في مختار الصحاح أنه « خريطة » تكون للراعي فيها طعامه وزناده وما يحتاج اليه » . وجاء في الصحاح أن هذا قول ابي عمرو لأن الصفن عند غيره مثل الركوة يتوضأ به أو وعاء من أدم مثل السفرة يستقى به . وفي مثل هذه المصطلحات يجب ان يُرجع الى التاريخ قبل غيره فيسأل أولو العلم به هل كان أطباء الزمن القديم يتخذون جزدانات ؟ وما اسم الواحد منها ؟ قلت إن المؤرخين كانوا يتساهلون في مثل ذلك وقد جاء في رسالة للامام ابي عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان الشافعي مدرس النظامية والمستنصرية ودار الذهب والثقتية ببغداد ، بعث بها إلى الخليفة الامام الناصر لدين الله أو الخليفة

(١) معجم الأدباء . [ج ٧ ص ٩٣]

الامام المستنصر بالله يشكو فيها اليه اهل الذمة ويقول فيهـا « ومنهم الاطباء أصحاب المكاسب الجزيلة ... يخرج الصبيّ منهم ولم يقرأ غير عشر مسائل حنين وخمس قوائم من تذكرة الكحالين وقد تقمص ولبس العمامة الكبيرة وجلس في مقاعد الأسواق والشوارع على دكة حتى يُعرف وبين يديه المكمة والملحدان يؤذي هذا في بدنه ويجرّب على ذا في عينه فيفتك من أول النهار الى آخره ويمضي آخر النهار الى منزله ومكمته مملوءة قراضة ...[1] » فالظاهر ان كيس الطبيب هو « المكمة » ، مأخوذة من مكمة الدابة ، ومن الألفاظ المعربة « الحرمدان » ومعناها الشنطة العصرية وقد استعملت في النجوم الزاهرة قال « وعندما يعزلونه من الوزارة يُصبح يأخذ غلامه الحرمدان خلفه ويروح يقعد في ديوان الانشاء[2] » وجاء في السلوك « واتفق أنّ الأمير طرنطاي النائب وقع على جماعة من أصحاب منكوتمر فأسرهم وفيهم حامل حُرَمدانه فوجد في الحرمدان كتباً من الأمراء[3] »

٤٢ — وجاء في ص ٤٣٠ « فالدنية وان كانت مولدة عراقية مستعملة منذ عصر الحريري » قلت أورد كاتبها الفاضل بيتاً لابن النكاك استعمل فيه « الدنية » وهذا الشاعر كان معاصراً للمتنبي وقد هجاه ، فالدنية كانت مستعملة إذن منذ أوائل القرن الرابع والحريري أدرك اوائل القرن السادس .

٤٣ — وورد في ص ٤٣١ « السوائل الملتهبة التي يقذف بها ايام الحرب » . قلت : الصواب « المائعات والموائع » لأن السيلان ليس بشرط أصلي في التسمية ولأن اكثر تلك الأشياء لا تسيل ، قال الشريف الرضيّ في قول الرسول ﷺ : ويل لأقماع القول . ما صورته « ... فشبه — ع — آذانهم بالأقماع التي يفرغ فيها ضروب القول إفراغ المائعات[4] » ولم يقل السائلات ولا السوائل مع ان الأقماع لا يُفرغ فيها إلا ما يسيل ويجري ، وذكر الامام الحافظ ابن عبد الهادي

(١) الحوادث الجامعة [ص٦٦ — ٧] من طبعتنا له وهي طبعة رديئة داخلها الخلل من جهة المنفق على طبعها وهو أحد الكتبيين التجاريين ببغداد ، فانه تصرف في نشره وطبعه طبع الجرائد العصرية

(٢) النجوم ج ٨ ص ٥٠ (٣) مج ١ ص ٦٩٧ وقد فسره طابعو النجوم بالاستعانة بمعجم اشتجاس وشرحه طابع النجوم بما ورد في مستدرك دوزي (٤) المجازات النبوية ص ٤٩ طبعة مصر

المقدمي" تواليف الامام العلامة الفقيه ابن تيمية ، وقال « وقواعد في المائعات والحياة وأحكامها[1] » فهي في الفقه معروفة بالمائعات أيضاً ، والكتب المدرسية لا يستعمل فيها إلا « السوائل » وهو غلط مُبين .

٤٤ — وورد في ص ٤٥٨ أن لباس أهل الأندلس في أيام الحزن هو البياض وفي ذلك يقول الحلواني : « لئن كان البياض لباس حزن ... » ، قلت : ذكر العلامة شمس الدين ابن خلكان البيتين المذكورين في الأصل — اعني ص ٤٥٨ — في ترجمة أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني قال « وقال في لباس أهل الأندلس البياض عند الحزن على الميت ويقال انهم استحسنوا ذلك من عهد الأمويين قصداً لمخالفة بني العباس في السواد : إذا كان البياض لباس حزن ... » ، ونود ها هنا ان نذكر أنّ العباسيين جعلوا السواد لباسهم المعتاد واتخذوا البياض لايام الحزن فقط — كما كان يفعل أهلُ الأندلس ، قال الشيخ المؤرخ المقريُّ أبو عبد الله بن الدبيثي في ترجمة أبي داود سليمان بن ارسلان « ولما افضت الخلافة الى سيدنا ومولانا المفترض الطاعة على كافة الأنام ابي العباس احمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين — خلد الله ملكه — شرفه بتوليته النيابة بديوان المجلس ... وخلع عليه بالتاج الشريف جبة ابريسم بيضاء مصمت وبقيار قصب ابيض لأجل العزاء بالامام المستضيء بأمر الله — رض — ...[2] » ، وقال الشيخ الأديب الكبير صلاح الدين الصفدي في ترجمة سلجوقي خاتون بنت قليج ارسلان بن مسعود السلجوقية والأمور التي حدثت لوفاتها « ورُفعت العذر والطرحات ولبسوا الأبيض ورُفعت البسملة ووضعت على رؤس الخدام » ، ذكر ذلك في الوافي بالوفيات ، وهذا يوضح ما ورد في الحوادث الجامعة « ص ١٧٢ » من أنّ الزعماء ركبوا بالأقبية البيض وأرباب الدولة كل واحد منهم بقميص أبيض وبقيار في ليلة الجمعة الحادي عشر من شعبان : ليلة نقل جثة الامام المستنصر بالله العباسي من الدار المثمنة بدار الخلافة من الجانب الشرقي ببغداد الى مقبرة الخلفاء العباسيين في محلة

(١) العقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٦٥

(٢) أصول التاريخ والأدب مج ٢٠ ص ١٨٩ ، من مجموعاتنا الخطية

الرُصافة قرب محلة الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت المعروفة اليوم بالأعظمية وقديماً بمقبرة الخيزران زوج الخليفة المهدي بن المنصور .

٤٥ — وجاء في ص ٤٥٩ « وكلا الناقل والمنقول عنه يُبدع الابداع كله » قلت : والفصيح « والناقل والمنقول كلاهما » و « وكلا الرجلين الناقل والمنقول عنه ... » إذ لم يكن من الفصيح اضافة « كلا » إلى المفرد وكذلك الأمر في « كلتا »

٤٦ — وجاء في ص ٤٧٠ ان بنفشا الرومية جارية الامام المستضيء بأمر الله العباسيّ توفيت يوم الجمعة في ١٩ ربيع الأول سنة ٣٩٩ هـ . قلت : وفي التاريخ خطأ عظيم صوابه سنة ٥٩٨ هـ قال الامام ابو المظفر سبط ابن الجوزي في وفيات سنة ٥٩٨ هـ « وفيهـا توفيت بنفشا بنت عبد الله جارية المستضيء كانت كريمة صالحة . ولما توفيت تولت أمرها والدة الخليفة [الناصر لدين الله] وجهزتها احسن جهاز ودفنتها في تربتها المجاورة لمعروف الكرخي وذلك في ربيع الأول[1] » . وكنت ذكرت أنّ التربة باقية الى اليوم بقيتها المخروطة وتعرف بقبة الست زبيدة ، في الجانب الغربي من بغداد ، وقال ابن الساعي في وفيات سنة ٥٩٨ : « الجهة[2] بنفشا بنت عبد الله التركية الجنس ، عتاقة الامام المستضيء بأمر الله — رض — كان لها بر ومعروف وصدقة جارية وقفت مدرسةً بباب الأزج على دجلة على فقهاء الحنابلة ووقفت عليها قرية وأمرت بعمل جسر على دجلة ، ولها بطريق مكة آثار جميلة توفيت يوم الجمعة تاسع عشري شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان وتسعين المذكورة وصُلي عليها بالجانب الغربيّ عند التربة المجاورة لقبر معروف الكرخي — رحمة الله عليه — ودفنت بها[3] » .

وذكر وفاتها في التاريخ المذكور شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام وابوشامة في ذيل الروضتين وابن الأثير في الكامل ، الا أن لفظة « المستضيء » في الطبعة المصرية تصحفت الى « المستنصر » فصارت « جارية المستنصر » وذلك خطأ واضح . ولها ولمدرستها التي درّس فيها ابن الجوزي أخبار جميلة لا محلّ لها ها هنا .

(١) مرآة الزمان مختصر المجلد الثامن ص ٣٣١ ـ ٢ طبعة شيكاغو (٢) الجهة هي حرمة الخلفاء والسلاطين والملوك الكبار (٣) الجامع المختصر ج٩ ص ٨٨ ـ ٩ من طبعتنا وهي الأولى

٤٧ – وجاء في ص ٣٢١ « كتاب » روضة البلاغة لأبي الحسن عبد الملك بن محمد ، هو مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقمه ١٤٨ أدب » قلت : الذي أعلمه من اسماء الرجال « أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن ابراهيم الهمذاني أحد المؤلفين المشاهير والمؤرخين البارعين » وله عدة كتب ذكر منها الحاجي خليفة في كشف الظنون ، وتوفي سنة ٥٢١ كما في تاريخ المنتظم لأبي الفرج ابن الجوزي « ج ١٠ ص ٨ » وكامل ابن الأثير في وفيات تلك السنة ، والظاهر لنا أنه مؤلف روضة البلاغة إلا ان اسمه تصحف ، وصحب بذلك تاريخ وفاته

٤٨ – وجاء في ص ٣٢٦ « سمع المأمون يقول كان لي خراساني يوماً عجيباً « كذا » وأولاني الله فيه بلسانه [١] الجميل وذلك ... » قلت : الظاهر أنّ الأصل هو « كان لي بخراسان يوم عجيب واولاني الله فيه بسائه الجميل » ، أراد ان النهار كان مشؤماً عليه فأولاه الله تعالى الجميل في المساء

٤٩ – وفي ص ٣٢٨ قول هازل متنادر « لا أعرف لك عملاً أولى بك من بريدات البحر وصدقات الوحش » . قلت : الصحيح « بزندات » جمع بزند على وزن سرخس وهو الجسر — على ما يظهر لي من الأخبار — ، فما نقله هلال في تاريخه للوزراء قول أحدهم « وقدّر للنفقة على بزند من بزندات نهر الرفيل ثلاثون ديناراً فلم يطلقها وقال : نفقة هذا البزند واجبة على صاحب الضيعة [٢] » وقد كرّر هذا اللفظ غير مرّة ، وقد جاء في أخبار هلال ما هذا نصه « يا معاشر الناس اجتزتُ الساعة على جسر قارون وهو بزندٌ من البزندات ، وتسمى البزندات بمصر جسوراً [٣] » وجاء في أحد الكتب « قال أبو الوفاء البوزجاني : المساحة تنقسم الى ثلاثة أقسام : بسيط وأجسام وأبعاد ... والجسم مثل الأنهار والبرك والآبار والأحواض والبزندات ... [٤] »

يتبع : (بغداد) الدكتور مصطفى جواد

(١) وهذه العبارة تستوجب [كذا] كذلك (٢) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص ٢٥٧
(٣) المرجع المذكور ص ٣٢٠ (٤) الحاوي في أعمال المتصرفين ، لمؤلف مجهول ، رقمه ٢٤٦٢ من عربيات دار الكتب الوطنية بباريس [الورقة ٢٢٩]

فهرس الجزء التاسع والعاشر من المجلد الحادي والعشرين

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء

الجزء الحادي عشر والثاني عشر ٢٥٣،٢٥٤ المجلد الحادي والعشرون

مجلة
المجمع العلمي العربي

تشرين الثاني وكانون الأول سنة ١٩٤٦ ذو الحجة ١٣٦٥ والمحرم ١٣٦٦

المؤلفون في الشام

كان العصر الماضي من أشأم العصور على العلم العربي ضعفت فيه أعمال العقل وتراجعت حركة التفكير وفسدت اساليب الكلام المنثور منه والمنظوم . طمست معالم القديم او كادت والناس لا يعرفون كيف يأخذون انفسهم بالنظام الحديث . ولم يبق من ذاك الماضي المجيد سوى بقايا علوم دينية ولسانية حفظت بقوة التسلسل من ذاك العهد الزاهر الذي امتد من القرن الأول الى القرن السادس من الهجرة . وكان عظيماً في كل مظاهره في الأصقاع العربية . وابتدأ عصر الانحطاط العلمي بالمئة التاسعة وانتهى بالمئة الثالثة عشرة ولكنه انحطاط اشبه بنار تحت الرماد تخبو ثم تتقد . ولما انبعثت النهضة الحديثة كانت الشام كسائر الأقطار العربية تغط في جهلها غطيطاً رثى لها منه حتى العدو الشامت . ويكفي في اثبات جهلها ان الطباعة انتشرت في القرن الخامس عشر للميلاد في بلاد الغرب وطبع علماء المشرقيات هناك بعض كتبنا العلمية والأدبية باللغة العربية ونحن لم نعرف شيئاً عن الطباعة الا بعد أكثر من مئتي سنة وما علمنا بما طبعه الغربيون من تراثنا العظيم الا بعد أحقاب طويلة .

الجهل يخرب البيوت العامرة . وعجيب من سلطان هذا الجهل الذي خيم على القلوب والأفكار أعصاراً وأصيبت به جميع أوضاعنا كيف نجا من براثنه الغليظة بعض أفراد احتفظت نفوسهم بشيء من بريق الحقائق وتجلى استعدادهم للاخذبطرق الرقي واسباب التجدد في عهد بلغ من خمول العقول فيه وفتور الهمم ان كان بعض المنورين يحفظون القرآن كالببغاء ولا يقرأون تفسيره ، ويتعلمون الفقه ولا يبحثون عن اصوله وفروعه ، ويتبركون برواية الحديث ويخلطون سليمه بسقيمه ويدرسون العروض ولا ينظمون الشعر ويقرأون ما يطلقون عليه علم المعاني والبيان والبديع ولا يحسنون كتب خطبة مؤثرة ولا صفحة مفهومة ، وبيانهم سجع مزعج ، وشعرهم سخيف ، ويستظهرون قواعد النحو ولا يتلون جملة صحيحة ويتدارسون دساتير التصريف ولا يصححون الرسم ولا الاملاء . ويعظ الوعاظ ويخطب الخطباء ولا يحسنون قراءة آية على وجه صحيح ولا يجودون القرآن ولا يحسنون ترتيله .

ولقد ادركت قضاة لا يحسنون كتابة سطر صحيح ويعجزون عن أخذ حكم من الاحكام الموجودة في الكتب ، ورأيت الأمية تكسوهم من فرقهم الى قدمهم ، وليس لهم من لوازم مناصبهم الا الشعار والجبة الفضفاضة . وليس هناك اطباء ولا صيادلة ولا مهندسون ولا محامون ولا فلاسفة ولا رياضيون ولا فلكيون دع العلوم الأخرى التي امتاز بها الغرب وكانت سبب تفوقه ، وظلت بلادنا منها صفراً بضعة عصور فأتت على اكثر قواها الحيوية ، وهي راضية عن عمايتها لا تتلمس سبيلاً الى الخروج منها .

وبينا كان المسلمون يتهافتون على تعلم اللغة التركية لتولي اعمال الدولة ويكادون ينسون لغتهم وقوميتهم راضين مختارين كان المرسلون الاميركان واللاتين ينشئون في بيروت وبعض قرى لبنان للدعوة الى البرتستانتية والكثلكة مدارس تعلم اللغة العربية في جملة ما تعلم وذلك منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر على حين كان هذا اللسان في حالة النزع في أمهات البلاد الداخلية ،

وبفضل النهضة التي أحدثها هؤلاء الغرباء الأعاجم في بلادنا وبعوامل أخرى جاء بها الزمن نشأ بين ظهرانينا أفراد تشعبت نفوسهم بحب العلم فعدوا مفخرة للآداب امثال عبد الغني الميداني محمود حمزة احمد فارس يوسف الاسير ابراهيم الأحدب عبد القادر الحسني امين الجندي ناصيف اليازجي ابراهيم اليازجي بطرس البستاني ابراهيم الحوراني عبد الله البستاني سعيد الشرتوني اديب اسحق رزق الله حسون ميخائيل مشاقة يوسف داود يوسف الدبس محمد الطنطاوي .

وكثر عدد المؤلفين في بيروت حاضرة لبنان قبل غيرها من الحواضر لأن مدارس الأجانب والمدارس الطائفية الوطنية عنيت بتعليم العربية ، وظهرت الصحف في بيروت وأنشئت المطابع فيها قبل غيرها من المدن وأخذ القوم في الساحل يتلقفون اللغتين الفرنسية والانكليزية ويحتكون بالأجانب ويتقبلون مدنيتهم بصدور رحبة وبدأ الغرام يزيد بقول الشعر وكتابة المقالات والقاء الخطب .

وكان من أول الرجال الذين تنبهوا الى اهمال المسلمين لغتهم وحاولوا جبر هذا النقص بكل حيلة عالم عصره الشيخ طاهر الجزائري فانه سعى فأنشأ المدارس الابتدائية الحكومية في ولاية سورية العظيمة ثم عاون معاونة فعلية في انشاء المدرسة الثانوية في دمشق وأسس دار الكتب الظاهرية بدمشق ودار الكتب الخالدية في القدس . وكان يؤلف كتب التدريس للمدارس الابتدائية وبعض الثانوية ولم ينشر كتبه الخاصة التي كان فيها هوى نفسه وآثر ان يضع الأسس للمدارس فيتعلم الناشئة ومنهم يكون العالمون والمؤلفون في المستقبل .

ولا أغلو اذا قلت ان معظم من تعلموا وكانوا على نباهة تؤهلهم للأخذ بتعاليم هذا العالم العامل هم الذين يتولون اليوم مناصب التدريس والادارة على اختلاف ضروبها وعم حركة البلاد في علمها وصناعتها وتجارتها وزراعتها . ومن لم يأخذ عن الشيخ الجزائري مباشرة أخذ عنه بالواسطة ، ومن لم يقرأ كتبه ويحضر مجالسه انتفع بكتب تلامذته ومجالسهم . وما بلد في الشام من بحرها الى

باديتها ومن عريشها الى فراتها تخلو من رجل تخرج به واقتبس من نور علمه واخذ عنه ما ساعدته قريحته وذكاؤه ·

وللشيخ من الكتب المطبوعة (توجيه النظر الى أصول الأثر) و (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) وهذا هو المقدمة الصغرى من مقدمتي تفسيره ، وتفسيره مازال في المخطوطة المحفوظة في دار الكتب الظاهرية في اربعة مجلدات · ومنها (التقريب لأصول التعريب) و (شرح خطبة الكافي) وهو معجمه اللغوي ضاع أكثره و (شرح خطب ابن نباتة) و (رسائل في علم الخط) و (جدول الحروف العربية القديمة والحديثة والهندية واليونانية الخ) · وكان الشيخ يتقن الفارسية والتركية والقبائلية ويلم بالفرنسية والعبرية والسريانية والحبشية · ومن تآليفه (اتمام الانس في عروض الفرس) و (ارشاد الالبا الى تعليم الف با) وهو كتاب في علم التربية · و (بديع التلخيص وتلخيص البديع) و (تسهيل المجاز الى فن المعمى والألغاز) و (التمرين على البيان والتبيين) و (الجواهر الكلامية في العقائد الاسلامية) و (الحكم المنثورة) و (دائرة في معرفة الاوقات والايام) و (عمدة المغرب وعدة المعرب) و (الفوائد الجسام في معرفة خواص الاجسام) وهو كتاب في الطبيعيات سماه بهذا الاسم لئلا يستريب منه المتزمتون المتعصبون · و (مدخل الطلاب الى علم الحساب) و (مد الراحة لأخذ المساحة) و (التجريد) وهو تدريب اللسان على تجويد البيان ، و(منية الاذكياء في قصص الأنبياء) و (ميزان الافكار شرح معيار الاشعار) و (مختصرات أمثال الميداني) و(مختصرشرح كتاب أمنيةالالمعي) و (مختصر أدب الكاتب لابن قتيبة) · ومن اهم الكتب التي ضاعت أكثر اجزائها كنانيشه لما عاد من القاهرة الى دمشق بعد تغيبه في مصر ثلاث عشرة سنة وفي كنانيشه خلاصة ما قرأ من المخطوطات وملاحظاته عليها وله مجموعة في مجلد ضمنها ذكر ما يجب احياؤه بالنشر من المخطوطات العربية الموزعة في خزائن الشرق والغرب · ولا يبعد ان يكون للشيخ تاريخ دون فيه ما سمعه ورآه فانه كان له

في فن السياسة وعلوم الاجتماع ولا سيما ما كان له علاقة بالحضارة الغربية يد طولى • ومما الفه وبقي مخطوطاً (الالمام بأصول سيرة النبي عليه السلام)و(مقاصد الشرع) • وقد نشر الشيخ كثيراً من كتب البلغاء أمثال كتاب (الحنين الى الاوطان) للجاحظ و (الادب الصغير) لابن المقفع و (روضة العقلاء) لابن حيان البستي وكتاب (الادب والمروءة) لصالح بن جناح • ومنها (ارشاد القاصد) لابن ساعد الانصاري (وتفضيل النشأتين) للراغب الاصفهاني و (الفوز الاصغر) لابن مسكويه • هذا الى ما نشره من هذا القبيل وكله مما علق عليه وشرحه فضلاً عن الكتب القديمة التي نشرت بعنايته وارشاده في مصر والشام وهي كثيرة • وللشيخ فوق هذا مقالات علمية كثيرة نشرها في المجلات المصرية والشامية وأكثرها بدون توقيعه •

أليس هذا الشيخ مثلاً أعلى للمؤلفين المحدثين ، ألايحق لدمشق ان تفاخر بأن كانت مثابة علمه ومنبعث نبوغه في هذه المئة الرابعة عشرة ، كما كانت في المئة السالفة مباءة نبوغ أعظم فقهاء عصره السيد محمد عابدين صاحب الحاشية المشهورة والفتاوى المحررة الذي نظم علم الفقه بنظام دقيق قرّب مناله على الدارسين كما نظم طاهر الجزائري في هذا الجيل حركة النهضة العلمية وما ذهب من هذا العالم حتى رأى تلاميذه يؤلفون ويشتهرون في العالم العربي والغربي بتآليفهم •

أما في الساحل فقد حاول بعض رجال النهضة فيه ان يلبسوا العلم العربي ثوباً جديداً تخيلوا فيه النفع لفئة مخصوصة اكثر من الطرق القديمة فأنشأوا يحذفون من الكتب الاسلامية ما لا يروقهم ويصوغون الأدب في قالب وقع استحسانهم عليه حتى انهم وضعوا في أوقات مختلفة سبعة معاجم عربية منها (محيط المحيط) (قطر المحيط) لبطرس البستاني و (أقرب الموارد) لسعيد الشرتوني و (البستان وفاكهة البستان) لعبد الله البستاني و معجم الطالب والمنجد والمعتمد ومنجد الطلاب نقلوها من أمهات المعجمات المشهورة وعرّوها عما استبشعوه من الفاظ زعموا انها نابية عن الادب العصري الحديث •

ومن أهم ما نشره بطرس البستاني وبعض النابهين من أسرته (سليم ونجيب وسليمان) دائرة المعارف العربية وهو عمل عظيم كان له في الاقدام على تأليفه فضل السبق فهو مؤلف اول معلمة عربية وساعد على نشرها الخديوي اسماعيل جد جلالة فاروق الاول ملك مصر ولم يصدر منها سوى احد عشر جزءاً ضخمة . ومهما يكن فهذا الكتاب العظيم عنوان الجد السوري وراموز الولوع بالعلم والغيرة على نشره ولم تقدم مصر على مثل هذا العمل الى اليوم مع وفرة أسباب التأليف فيها اكثر من سورية قبل ستين سنة . ولا غرو فان لبني البستاني أيادي بيضاً على الآداب في هذه الديار خدموها بأقصى ما وصلت اليه طاقتهم وساعدتهم بيئتهم . وممن اشتهر منهم سليمان مترجم الياذة هوميروس شعراً وضع لها مقدمة ممتعة وكذلك كان شأن نسيبه عبد الله فانه كان اماماً في اللغة الا ان تآليفه ليست على مقدار علمه وممن أخذ عنه تلميذه شكيب ارسلان فبرز في الكتابة والشعر وتآليفه كثيرة ومقالاته اكثر من أسفاره ورسائله تدل على عبقرية نادرة ونشاط عظيم . وتخرج بعبد الله هذا وبالمعلم سعيد الشرتوني وبالشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ ابراهيم الحوراني كثير من رجال العصر من المؤلفين المجودين . ومن اشهرهم امين تقي الدين وبشارة الخوري الشاعر وشبلي ملاط ونسيب ارسلان وعادل ارسلان . ونشأ من الشعراء والكتاب والمؤلفين في بيئات أخرى كثيرون امثال قاسم الكستي مصباح رمضان عبد الحميد الرافعي شاكر شقير سليم الجندي فؤاد الخطيب خليل مردم بك احمد تقي الدين رشيد تقي الدين سعيد عقل امين ناصر الدين سليم عنحوري سليمان ظاهر ابراهيم طوقان محمد الشريقي خير الدين الزركلي شفيق جبري طانيوس عبده اديب التقي عمر حمد محمد الهلالي محمد الشهال فخري البارودي عمر ابوريشة انور العطار علي الناصر صالح طه حليم دموس الياس ابوشبكة ايليا ابو ماضي عمر الفاخوري عمر يحيى بدر الدين الحامد سليم قصاب حسن عبد الرحمن القصار امجد الطرابلسي زكي المحاسني عبد الكريم الكرمي جميل سلطان محمد علي

الحوماني محمد سليمان احمد ، احمد عبد الرؤوف الامين عبد الحسين صادق . ومن هؤلاء الشعراء من كان له ناحية بارزة في الأدب ألف فيها وأفاد وكان في الكتابة آية ومنهم الزركلي وجبري ومردم بك والمحاسني والكرمي وسلطان والعطار والتقي

ومن نشأ من المؤلفين في العلوم الطبيعية والطبية والزراعية والكيماوية والرياضية والاقتصادية والفلسفية شبلي شميل بشارة زلزل عبد الرحمن شهبندر منصور جرداق مصطفى الشهابي مرشد خاطر حسني سبح محمد محرم صلاح الدين الكواكبي شوكة الشطي منيف العائدي عاطف المالح جميل صليبا جميل الخاني اسعد الحكيم عبد الوهاب قنواتي احمد حمدي الخياط مصطفى الخالدي جمال الفراوصفي زكريا سامي الحداد فؤاد غصن منير الشريف قدري حافظ طوقان جمال زربق اسكندر بارودي رئيف ابي اللمع جمال نصار شريف عسيران حكمة المرادي أمين معلوف عمر ترمانيني خليل سعادة خليل سعد حسين سري الدين وغيرهم .

ومن المؤلفين في العلوم الادبية والتاريخية والسياسية لويس شيخو عبد الرحمن كواكبي محمد المبارك احمد رضا فيليب طرازي محسن الأمين سليم البخاري سويريوس افرام جرجس همام داود عمون نعوم لبكي نعوم مكرزل احمد عبيد معروف الارناؤط عيسى اسكندر معلوف اسعد منصور فيليب حتّي عبد القادر المغربي خليل بيدس امين الريحاني جبران خليل جبران ابراهيم سليم النجار ادوار مرقص نقولا فياض سليم سركيس عبد القادر القصاب عبد القادر بدران خليل طوطح عمر الاتامي عجاج نويهض عبد الله مخلص نزيه المؤيد ميخائيل نعيمة كامل الغزي راغب الطباخ قسطاكي حمصي سليمان عز الدين جبر ضومط بدر الدين النعساني بندلي جوزي انيس المقدسي يوسف الخازن عمر فروخ مصطفى الغلاييني محي الدين الخياط احمد الصابوني زكريا النصولي عز الدين التنوخي امين سعيد عبد الرحمن الكيالي طاهر النعسان عبد الحسيب الشيخ سعيد ، عمر كحالة عمر الصالح البرغوثي سعيد ابو جمرة بولس الخولي صلاح الدين السعدي يوسف البستاني أسد رستم

جرجي بني فؤاد افرام البستاني يوسف غصوب احمد الكرمي جعفر الحسني عيسى اسعد جميل العظم احمد نصرت الشلق احمد فوزي الساعاتي ابو اليسر عابدين محمود النحاس محمود النجار محمد خير الطباع عبد الحكيم الافغاني سعيد الجرة فيليكس فارس امين السفرجلاني عبد الحميد الزهراوي جميل نخلة مدور حقي العظم انطون صالحاني نسيب شهاب نعمان قساطلي وجيه الكيلاني محمد الفراتي داود ابو شعر عبد الغني شهبندر اسعد خليل داغر محمد علي الجزائري امين ضاهر خير الله جرجي شاهين عطية زكي مغامز محمد احمد دهمان جميل الشطي فائز الغصين سعيد الأفغاني حنا خباز علي الطنطاوي صلاح الدين المنجد ابراهيم الكيلاني اسعد طلس خلدون الكناني سليم قبعين جرجي باز عيسى بندك امين الغريب امين الكيلاني (وهذا كاتب من الطراز الأول في السخرية) فؤاد حمزة عارف الزين خليل تقي الدين نجيب الريس قسطنطين زريق عادل زعيتر عادل جبر داود قربان يوسف ضياء الدين الخالدي محمد روحي الخالدي فيضي العلمي شكيب الجابري جرجس شلحت بطرس البستاني (الخوري) حبيب الزيات سامي الكيالي محمد الحسيني ياسين الحموي يوسف العش نجيب نصار عمر أبو النصر وجيه بيضون شكري العسلي سعيد حيدر احمد كرد علي نجيب صليبا عبد القادر المؤيد محمد الداوودي عبد المجيد المغربي حسن بيهم سليمان مصوبع عبد القادر الكرماني ~~عمر فروخ~~ وغيرهم .

وفي العلوم الفقهية والحقوقية والادارية والاجتماعية والدينية طاهر الأتاسي عبد المحسن الأسطواني جمال القاسمي حسين الجسر يوسف النبهاني ابو الهدى الصيادي سليم باز جرجس صفا اسماعيل الحافظ بد الدين الحسني عارف النكدي اسعاف النشاشيبي سعيد النعسان ناجي أديب حسني عبد الهادي بهجة البيطار نجيب ابو صوان مصباح محرم فارس الخوري سعيد المحاسني عثمان سلطان احمد السمان شاكر الحنبلي احسان الشريف نجيب ارمنازي ابراهيم هاشم سعيد الباني

نجيب خلف محمد علي حشيشو يوسف صادر سامي الميداني محسن البرازي محمد سعيد العرفي فوزي الغزي واصف البارودي محي الدين الخاني عبد المجيد الخاني عبد الحميد الجابري امين عز الدين فائز الخوري صبحي المحمصاني ٠

ويكثر العلماء في هذه الفروع ولما كان كلامنا لا يتناول الا من ألفوا وصنفوا لم نعرض لذكرهم كما اننا لم نشر الى من ألفوا تآليف مدرسية فهؤلاء كثيرون أيضاً ، وعلى من يعرفهم معرفة احاطة ان يتقدم بالكلام عليهم تنويهاً بفضلهم وحسن بلائهم في خدمة الناشئة ٠

ومن المؤلفات سلمى صائغ وداد سكاكيني ماري عجمي منيرة علي مليحة سعيد نجلا صعب أديبة فارس فلك طرزي نظيرة زين الدين وغيرهن ٠ ولا بد من الاشارة الى أن تآليف المصريين الحديثة اليوم تكتب بلغة أسلس من كتب المؤلفين الشاميين لعهدنا وكانت كتب هذه الديار منذ نحو نصف قرن اعرق في البلاغة من كتب المصريين يومئذ وعلى كل فقد سبقت مصر والشام جميع الأقطار العربيه الى التأليف ويجيء بعدهما العراق وتونس ثم سائر الأقطار وكل قطر لم يكن فيه حظ للغربيين تقل على ما يظهر حركة العقول في أبنائه وقد لوحظ أن حركة التأليف في بيروت فترت بعض الشيء منذ نحو عشرين سنة وهبت هبة مباركة في دمشق لوجود الجامعة السورية والمجمع العلمي العربي وغيرهما من المعاهد والجمعيات الساهرة على نشر العلم والآداب ٠

وبعد فان الانصاف يتقاضانا ونحن في آخر هذا الحديث الا نغفل عن التنويه بفضل من كانوا مثال الغيرة على لغتنا وتاريخنا أولئك الأعاجم الذين نزلوا بلادنا واستعربوا وكتبوا تآليفهم بلساننا وأفادونا بعلمهم وبما ألفوا لنا من كتبهم الممتعة فكانوا من أعظم العوامل في نهضتنا ، امثال فانديك وورتبات وبوسط وبورتر ولامنس وعالي سميث وغيرهم فانهم مهما كانت الغاية من تآليفهم قد أسدوا جميلاً الى أدبنا فحق لهم ان يدمجوا في جملتنا ويعدوا من عشيرتنا فعلى أرواحهم الذكية منا السلام ٠

ونرسل سلاماً ممزوجاً بالحرمة والاعجاب الى أولئك الذين هاجروا من أبناء هذه الديار الى الاميركتين وتوفروا هناك على نشر لغتنا واصدروا صحفاً ومجلات وكتباً ورسائل وعزّ عليهم ان يخرجوا عن العروبة وما زالوا يدأبون ليحتفظ أبناؤهم بعربيتهم فهؤلاء أهلنا ومفخرة العرب حيث حلوا . وقد رأينا تآليفهم نمطاً آخر من أنماط التآليف الشامية لمكان البيئة التي انشأتهم بعد موطنهم الأول نشأة جديدة وطبعتهم بطابع طريف من طوابع العالم الجديد فعلى من يعرفهم أو يعرف جلهم ان يتفضل فيكتب لنا فصلاً في أعمالهم .

وأختتم هذه العجالة بالاعتذار عما يكون وقع لي من نقص في سرد أسماء المؤلفين فربما فاتني اشخاص لم أذكرهم عند وضع هذا وعلى كل فأنا لا أدعي الاحاطة والاحاطة تتطلب درساً أوفى وأطول .

محمد كرد علي



الأدب العربي في بلاد فارس [1]

(١)

الساميون والايرانيون قبل الاسلام

ليس من قصدي أن أتكلم في الصلات اللغوية والأدبية التي كانت بين الساميين عامة والعرب خاصة وبين الايرانيين قبل الاسلام . فأجتزئ بأن أقول ان الآشوريين والبابليين كان لهم سلطان سياسي ، وسيطرة أدبية على ايران ، ولا سيما غربها منذ الف سنة قبل الميلاد ويتبين هذا في الأمور الآتية :

١ — ان آثار الدولة الفارسية الأولى التي نسميها الآثار الفارسية هخامنشى ، ويسميها الأوربيون الاكمينين وتسمى بأسماء أخرى في اساطير الفرس — آثار هذه الدولة كتبت بلغات إحداهـا سامية ، وكتبت بخط مسماري مشتق منه الخط الآشوري .

٢ — وان لغة ايران ايام الساسانيين ، اللغة التي تسمى الفهلوية كتبت بخط مأخوذ من الخط الارامي ، واشتملت على كثير من الألفاظ السامية ولا سيما الارامية منها .

وكان من أثر هذا الاختلاط هذا الخط العجيب الذي سماه ابن النديم هزدارش . وهو خط تكثر فيه الكلمات الارامية بل تجد فيه ما لا يستعار من لغة الى أخرى من الضمائر واسماء الاشارة والاستفهام والموصولات وحروف العطف والجر ، وعلامات الجمع والأعداد .

وقد فسر هذا تفسيراً عجيباً ذلكم ان الكاتب بالخط الفهلوي الغامض كان

(١) محاضرة ألقيت في المجمع العلمي العربي ما ١٣ ايلول سنة ١٩٤٦

اذا خشي أن تتبهم الكلمة اذا كتبها باللغة الفارسية وضع مكانها كلمة ارامية تتضح في هذا الخط فإذا أراد أن يكتب « كوشت » مثلاً وهو اللحم بالفهلوية كتب « بسرا » بالارامية وقرأها « كوشت » وان أراد ان يكتب « نان » وهو الخبز بالفهلوية كتب « لحما » بالارامية وقرأها « نان » وهكذا ...

ومعنى هذا ان الكاتب الفهلوي على هذه الطريقة كان يعرف الارامية فيستعين بها في مواضع اللبس .

⁂

وأما العرب فقد جاوروا الفرس وخالطوهم وكان بين القبائل العربية والدولة الفارسية احداث وغير من سلم وحرب ومودة ومعاداة وسيطر الفرس على أقاليم عربية . وقد روي أن سابور الملك الساساني صالح العرب وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمان وتوج والأهواز .

وقد ذكر مؤرخو الفرس أن بهرام كور الملك الساساني نشأ في الحيرة في كفالة المنذر أحد أمرائها وتأدب بآداب العرب وعرف لغتهم ونظم بها الشعر وكان أول من نظم الشعر الفارسي وقد أنكره عليه الموابذة ونهوه عنه .

وكذلك دخلت الفاظ فارسية في العربية وعرف بعض العرب الفارسية ، وكان عدي بن زيد ، وابنه زيد بن عدي يكتبان لكسرى بالعربية والفارسية .

وفي أساطير الفرس صلات كثيرة بين العرب والفرس لها دلالتها .

في العصور الاسلامية

فتح العرب إيران لنشر الدعوة الاسلامية وشمل الفرس عدل المسلمين وإحسانهم ، وسارعوا الى الدخول في الاسلام فعمتهم الأخوة الاسلامية .

قال الطبري : فكانوا كأنما هم في ملكهم الا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم . فاغتبطوا وغبطوا بل أسلم بعض الايرانيين ونصروا العرب في وقائع الفتح . أسلم الديلم بعد القادسية وشاركوا في فتح جلولاء ونزلوا الكوفة ، وشارك أحد

أعيان الفرس في فتح الري وتولاها بعد الفتح . وطلب سياه أحد زعمائهم أن يفرض له كأكثر ما يأخذ عربي ليشارك في الفتح .

وقد انساح العرب في أرجاء ايران منذ عهد عمر ، أذن لهم الخليفة في الانسياح حين ثار أهل فارس والجبال . وقد روى الطبري قول عمر : ألا وان المصرين (البصرة والكوفة) من مسالحها اليوم كأنتم والمصرين فيما مضى من البعد . وقد وغلوا في البلاد والله بالغ أمره .

وبالفتح صارت لغة القرآن لغة الدولة ولغة العلم والأدب في إيران ، يستعملها العربي والعجمي في علوم الدين وغيرها . وبقيت زهاء مائتين وخمسين عاماً منفردة بالعلوم والآداب لا تشاركها لغة أخرى الا كتب دينية قليلة كتبها المجوس بالفهلوية تبييناً لدينهم ودفاعاً عنه .

وصارت العربية كذلك لغة الخطاب بين المثقفين ، وفي الأمصار الكبيرة ولا سيما في خراسان وغربي ايران .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري شرع الفرس يستقلون عن الخلافة في أرجاء من ايران . وكانت دولهم تعظم على مقدار تأخرها زماناً وبعدها عن دار الخلافة مكاناً :

نشأت امارة الصفاريين في سجستان شرقي ايران وامتدت شطر المغرب حتى قاربت العراق وبدأت عهدها بالثورة على الخلافة . وقد قرنت الأساطير الفارسية نشوء هذه الدولة بنشوء أبيات من الشعر الفارسي .

ثم قامت فيما وراء النهر وشمالي إيران الدولة السامانية وقد انتقل مؤسسوها من ولاة للعباسيين الى ملوك مسلّطين يقرون بالطاعة للعباسيين قولاً .

وفي رعاية هذه الدولة التي نشأت في إقليم قصي نشأ الأدب الفارسي وحاولت الفارسية أن تشارك العربية في العلوم والآداب .

فشرع الفرس يترجمون الكتب العربية الى لغتهم كما ترجم العرب من قبل الكتب الفارسية الى العربية فترجم تاريخ الطبري وتفسيره مختصرين .

وشرع الفرس يؤلفون بالفارسية ابتداء · ككتاب ابي منصور الهروي في الطب ·

وشرع الشعراء ينظمون بالفارسية ونبغ الرودكي السمرقندي أول شعراء الفرس الكبار أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع · وقد ذكرت كتب الأدب الفارسي ثلاثين شاعراً في عهد بني سامان ·

وأما الدولة البويهية التي قامت في غربي ايران سنة ٣٢٠ ه واستولت على بغداد بعد أربعة عشر عاماً ودام لها السلطان على دار الخلافة أكثر من مائة سنة فكانت في سلطان الأدب العربي ونظم معظم أمرائها بالعربية ، وكان من كتابهم أئمة في الكتابة العربية وحسبكم ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، والوزير المهلبي ، وأبو اسحاق الصابي ·

ومما يصح به القياس بين اللغتين في دولة البويهيين أن الصاحب مدحه بالعربية خمسون شاعراً ولم يمدحه بالفارسية إلا شاعران : المنطقي والخسروي ·

والدولة الزيارية التي سيطرت على الاقليم الذي بين جبال ألبُرز وبحر قزوين، وهو الاقليم الذي احتجز عن سائر أقاليم إيران واستعصى على العرب سنين طوالاً بعد ان فتحوا ايران — اعني اقليم طبرستان فقد تسمى ملوكها وتلقبوا بالأسماء والألقاب الفارسية مثل : قابوس وكيكاوس ·

وقد مدح قابوس صاحب الرسائل العربية المعروفة باسم كمال البلاغة شاعران من شعراء الفارسية : الخسروي والسرخسي · وألف كيكاوس حفيد قابوس كتاب « قابوس نامه » بالفارسية ·

وأما الدولة الغزنوية فهي دولة تركية النسب وقد امتد سلطانها على ايران الشرقية والشمالية وبلغت من السطوة ما لم تبلغه دولة قبلها في ايران في العصور الاسلامية · وكان الأدب الفارسي قد ازدهر فاجتمع حول السلطان محمود بن سبكتكين كثير من شعراء الفارسية · والى محمود أهدى الفردوس الطوسي كتاب — الشاهنامة — المنظومة التي تضمنت أساطير الفرس وتاريخهم منذ العصور الخرافية الى الفتح الاسلامي · وكتبت بالفارسية كتب قليلة : كتب اليميني

الشاعر تاريخ السلطان محمود ، وكتب البيروني كتاب التفهيم في التنجيم بالفارسية والعربية وترجم نصر الله بن عبد الحميد كتاب كليلة ودمنة الى الفارسية .

وحينما امتد سلطان السلاجقة على إيران في القرن الخامس والسادس ، وكانوا تركاً بداة ، كان الأدب الفارسي استحكم ونضج . وقد عدّ عوفي مؤلف لباب الألباب في تاريخ شعراء الفرس أكثر من مائة شاعر عاشوا في ظلال هذه الدولة .



نشأ الأدب الفارسي الحديث في أواخر القرن الثالث الهجري ونما وترعرع على مر الزمان ، ونبغ الشعراء والكتاب باللغة الفارسية . فكيف كانت مكانة العربية في العلم والأدب بعد أن نشأ لإيران لغة علمية أدبية :

تختلف أحوال اللغتين في الشعر ، وفي النثر ، وفي كتابة التأليف . أعني في البيان الذي يغلب فيه العاطفة والخيال ، والبيان في الحقائق التي لا شية فيها من العاطفة والتخيل ، وما هو وسط بين هذا وذاك .

فأما الشعر فقد أولع به الفرس منذ نشأت لغتهم ، وكثر الشعراء على مر العصور ، ونبغ عظماء الشعراء فيستطيع مؤرخ الأدب أن يعد منذ القرن الرابع الهجري من أئمة الشعر الفارسي من لا يجد نظيرهم كثرة ومكانة من شعراء العربية في ايران ولقي هؤلاء الشعراء من الملوك تأييداً وتشجيعاً فالتفوا حولهم ونظموا لهم القصائد والقصص المطولة .

ولكن الشعر العربي لم يضمحل بظهور الشعر الفارسي بل بقي مزدهراً شائعاً في أرجاء إيران . عد الثعالبي في الجزأين الثالث والرابع من كتاب اليتيمة مائة وواحداً وخمسين شاعراً نظموا بالعربية في عصره . وهؤلاء أكثر من كل من ذكرهم محمد عوفي في لباب الألباب من شعراء الفارسية منذ نشأ الشعر الفارسي الى حين تأليف الكتاب .

وقد ألف في أوائل القرن السابع الهجري وعدد صاحب دمية القصر ثلاثمائة

شاعر بالعربية وسنبين بعدُ أثر الشعر العربي في هذا الشعرالفارسي الذي زاحمه منذ القرن الرابع كما قدمت ·

ويدل على أن إيران بقيت إلى غارات التتر على الأقل، موطناً رحيباً للشعر العربي أن ثلاثة من كبار شعراء العرب عاشوا فيها ووجدوا مجالاً ومستقراً · وحسبنا أن ينشأ في إيران في القرن الخامس الشاعر القرشي الأموي ، الذي أشاد بمجد العرب وأخلاقهم وأدبهم، ومثل في شعره طموحهم وإباءهم، وصور مواطنهم وعاداتهم وبيئاتهم وهو أبو المظفر الأبيوردي المتوفى سنة ٥٠٧ ﻫ فقد نشأ في أبيورد من خراسان ونبغ في الشعر هناك وتردد من بعد بين العراق وإيران ومدح خلفاء العباسيين وأمراء العرب من بني صدقة أمراء الحلة وغيرهم ومدح ملوك الدول الأعجمية كذلك · وما يخرج شاعراً كالأبيوردي إلا موطن للأدب العربي خصيب، وجناب للغة العرب رحيب ·

والشاعر الثاني القاضي ناصح الدين الأرجاني ينتسب الى أرجان في إقليم فارس وهو الصقع الجنوبي الغربي من إيران وهو شاعر أنصاري يُعدّ من كبار شعراء العربية ولد سنة ٤٦٠ وتوفي سنة ٥٤٤

وأدل من هذين على تمكن الأدب العربي في ايران حتى القرن السادس الهجري أن أبا اسحاق الغزي الكلبي هاجر من بلاد العرب الى إيران فأمضى النصف الثاني من عمره فيها ومات بها ومدح كثيراً من ملوكها ورؤسائها · ولد الغزي سنة ٤٤١ وتوفي سنة ٥٢٤ ·

***

والنثر يخالف الشعر وقد بقي السبق فيه للعربية الى غارات التتر سواء في هذه الرسائل الديوانية والرسائل الخاصة المعروفة بالأخوانيات · وقد حاكى الفرس كتاب العرب ولم يدركوا شأوهم ·

ولسنا في حاجة الى بيان مكانة الكتابة العربية في دولة بني بويه ، وحسبنا ان نذكر من وزراء هذه الدولة أبا الفضل بن العميد والصاحب بن عباد ·

ولم تكن العربية دون الفارسية فيما وراء النهر في دولة السامانيين . ونجد نتفاً من الأخبار تدل على أن كبار كتاب الدولة كانوا يكتبون بالعربية : مثلاً الاسكافي كاتب نوح بن منصور الساماني كتب حينما هزمت الجيوش السامانية ما كان بن كالي : «وأما ما كان فقد صار كاسمه والسلام» .

وأحمد بن الحسن الميمندي ، وزر للسلطان محمود الغزنوي ولابنه مسعود عشرين سنة ، وكان يكتب بالعربية في هذه البقعة النائية . ومن توقيعاته المأثورة ما كتبه لجماعة طلبوا أن يحط الخراج عنهم : «الخراج خراج ، دواؤه أداؤه» .

ومن الدلائل على أن العربية كانت ذات المكانة الأولى في دواوين هذه الأصقاع وان كانت لغة العامة اعجمية أن أحد وزراء الغزنويين اتخذ الفارسية لغة الدواوين ، ولو ان العربية كانت غريبة في تلك الأقطار لوجد هذا قبولا ، واستقرت الدواوين بالفارسية لغة البلاد . ولكن الوزير احمد بن حسن الميمندي ردّ الدواوين الى العربية . ومن الممتع في هذا ان نقرأ ما كتبه في هذا الصدد العتبي الذي كتب تاريخ محمود بالعربية مسجوعاً كله . قال في كتابه :

«وكان الوزير ابو العباس قليل البضاعة في الصناعة لم يعتن بها في سالف الأيام ، ولم يرض بنانه بخدمة الأقلام ، فانتقلت المخاطبات مدة أيامه من العربية الى الفارسية . حتى كسدت سوق البيان ، وبارت بضاعة الاجادة والاحسان . واستوت درجات العجزة والكفاة ، والتقى الفاضل والمفضول على خطي الموازاة .

ولما سعدت الوزارة بالشيخ الجليل ... جزم على أوشحه ديوانه أن يتنكبوا ويتحاشوا الفارسية الا عن ضرورة من جهل من يكتب اليه وعجزه عن فهم ما يتعرب به عليه» .

فهذه حال العربية في أفغانستان في القرن الخامس الهجري .

وأما الرسائل الاخوانية فلم تبلغ الفارسية فيها هذه القرون مبلغ العربية . ولم تنشئ الفارسية كاتباً كبديع الزمان والخوارزمي وابن العميد وأبيه والصاحب ورشيد الدين الوطواط .

وكان البديع والخوارزمي يكتبان بالعربية الى أمراء البلاد وأعيانها شرقاً وغرباً كأنهم في بلاد العرب ولولا معرفة المكتوب اليهم العربية وتقبلهم هذه الرسائل بقبول حسن ما كتب كتابها بالعربية ·

***

ومما يبين ما بين اللغتين من صلات في تلك العصور الترجمة من العربية الى الفارسية ، والانشاء باللغتين ·

ولم تقتصر الترجمة على الكتب التي ألفت بالعربية قبل أن تكون الفارسية لغة كتابة كالطبري وكليلة ودمنة بل ترجمت كتب وضعت بالعربية بعد ان صارت الفارسية لغة تأليف كتاريخ بخارى للنرشخي · كتب لنوح بن نصر الساماني سنة ٣٣٢ وترجم الى الفارسية ٥٢٢ · وكتاب اليميني الذي ألفه العتبي للسلطان محمود بالعربية ترجم من بعد الى الفارسية ·

وكتب كثير من الأدباء باللغتين شعراً ونثراً وسمي كل منهم ذا اللسانين (دوزبار) وعطاء بن يعقوب له ديوانان عربي وأعجمي · وللبستي والباخرزي شعر فارسي ولابن سينا والشيخ سعدي الشيرازي بل بديع الزمان الهمذاني نظم بالفارسية قليلاً ·

ويقول صاحب المعجم في معايير أشعار العجم وقد ألفه في أوائل القرن السابع ان شعراء زمانه يعرفون اللغتين والحق ان معظم شعراء الفرس كانوا يعرفون العربية على اختلاف حظهم منها · وكثير منهم أنشأ بها كثيراً أو قليلاً ·

على أن أمر العربية كان يضعف على مر الزمان شيئاً فشيئاً فمؤلف كتاب راحة الصدور في تاريخ السلاجقة يروي شعراً عربياً ويقول ان قليلاً في زماننا من يفهم مثل هذا الشعر ·

ويقول عوفي في أوائل القرن السابع ان كل مستعرب يعرف الفارسية وليس كل فارسي يعرف العربية وقد ألف كتابه في العروض بالعربية فنقم عليه أدباء زمنه فكتب ما يتعلق بأشعار العجم بالفارسية ·

وأما اللغة العلمية لغة التأليف فقد كانت العربية مسيطرة عليها الى غارات التتار ثم شاركت فيها بعد التتار، وما زال التأليف بها يقل على مر الزمان ولكنه لم ينقطع حتى عصرنا هذا .

وقد قال أبو الريحان البيروني ان الكتاب إذا ألف بالفارسية ذهب بهاؤه، وقال ان لغته الخوارزمية وانّ الفارسية والعربية سواء لديه ليست احداهما لغته ولكنه يرى الفارسية لا تصلح للتأليف .

قال : « والى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفئدة ، وسرت محاسن اللغة فيها في الشرايين والأوردة .

وقال : والهجوُ بالعربية أحب اليّ من المدح بالفارسية وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل الى الفارسيْ كيف ذهب رونقه، وكسف باله، واسودّ وجهه، وزال الانتفاع به إذ لا تصلح هذه اللغة الا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية » .

وقال أبو هلال العسكري في القرن الرابع :

ولا نعرف اليوم علماً جاهلياً ولا اسلامياً الا وأهله عربيون ومتعربون يكتبون باللفظ العربي والخط العربي .

وإذا نظرنا الى جماعة من كبار المؤلفين كابن سينا، وابي الريحان البيروني، والغزالي، والرازي، والزوزني والبيضاوي ونصر الدين الطوسي وهم من مؤلفي القرون الرابع، والخامس، والسادس، والسابع وجدنا لغة التأليف عندهم العربية لم يكتبوا بالفارسية إلا كتباً صغيرة لا تقاس بما كتبوا بالعربية .

فابن سينا وتأليفه بالعربية لا يحتاج الى بيان، كتب بالفارسية دانش نامه علائي لعلاء الدولة كاكوية أمير أصفهان .

والبيروني كتب بالعربية كتبه الخالدة وكتب بالفارسية كتيباً في التنجيم وكتبه بالعربية أيضاً .

والغزالي لا يعرف له بالفارسية إلا كيمياء السعادة وقد كتبها بالفارسية

لإفهام العامة كما يقول . وكتاب آخر يسمى نصيحة الملوك كتب بالفارسية كذلك .

والرازي له ثلاثة وثلاثون كتاباً منها واحد بالفارسية .

والبيضاوي له كتاب بالفارسية صغير اسمه نظام التواريخ ، وسائر مؤلفاته بالعربية .

والطوسي ، وهو من علماء القرن السابع وقد صحب هولاكو ، له زهاء خمسين كتاباً قليل منها فارسي .

وقد استمرت العربية لغة للتأليف في إيران بعد غارات التتار على تقلب الغير بها وتحيف الزمان إياها . ولم يخل عصر من التأليف بها الى عصرنا هذا . وحسبنا أمثال صدر الدين الشيرازي والسيد الشريف الجرجاني وسعد الدين التفتازاني .

أثر العربية في الفارسية

وهذه اللغة الفارسية التي نشأت وترعرعت في رعاية العربية وكفالتها هي اللغة الفهلوية التي كانت لسان الدولة ولغة العلم أيام الساسانيين ولكن كتبت بالخط العربي واشتملت على الفاظ عربية كثيرة . وقد أمدت العربية الفارسية غير ضنينة . والألفاظ العربية في الفارسية تختلف كثرة وقلة باختلاف الموضوع ، فهي في الشعر أقل منها في النثر ، وهي في النثر الأدبي أقل منها في لغة التأليف ، ويجد قارئ النثر الفارسي أحياناً ألفاظاً عربية متوالية ليست للفارسية فيها إلا التراكيب والصلات . وقد استمر هذا الى يومنا ولا تزال العربية في هذا العصر تمد الفارسية بألفاظ جديدة الى الألفاظ التي أمدتها بها في العصور الخالية .

وكذلك استعمل شعراء الفرس الأوزان العربية والقوافي ، ولكن تصرفوا بها بعض التصرف فزادوا في البحور وفي التفعيلات ، والزحافات والعلل ، وافتنوا في نظام التقفية .

وبقيت الأوزان العربية في معظم أشعارهم وبقيت اصطلاحات العروض والقافية كلها . ومن العجيب أن شعراء الفرس هجروا الأوزان الشائعة في الشعر العربي، وأكثروا من أوزان لم يكثر النظم فيها شعراء العرب . هجروا أوزان الدائرة

الأولى كلها فلم ينظموا في الطويل والمديد والبسيط إلا محاولة بعضهم أن يستكمل الأوزان العربية ، ويبين عن قدرته على استيعابها .

وعمدوا الى أبحر الدائرة الرابعة التي فيها المقتضب والمجتث والمضارع ، الأبحر التي يندر فيها النظم العربي فأكثروا النظم فيها وتفننوا . وشاركوا العرب في الأبحر الأخرى .

وفي هذا برهان على اختلاف مزاج الأمتين ، وتباين أذواقهما في توالي الحركات والسكنات في الأوزان . وعلم البلاغة العربي يسيطر على الفارسية بقواعده وألفاظه . وكتاب حدائق السحر لرشيد الدين الوطواط لا يختلف عن الكتب العربية إلا بأمثلة فارسية معها أمثلة عربية .

وأخذ الأدب الفارسي موضوعات الأدب العربي كذلك فهو يستمد من الاسلام وتاريخه ومن تاريخ العرب ، ويزيد موضوعات مستمدة من تاريخ الفرس .

ويمتاز من الأدب العربي امتيازاً واضحاً في موضوعين :

الأول : الشعر الصوفي : فقد ذهب فيه شعراء الفرس مذاهب عجيبة ، وأبانوا عن دقائق النفس الانسانية ، ونظموا المنظومات المطولة كحديقة الحدائق لمجد الدين سنائي ومنطق الطير لفريد الدين العطار ، والمثنوي لجلال الدين الرومي ، ومنظومات أخرى يضيق بها العد .

وما أحسب أدباً يجاري الأدب الفارسي في هذا الصدد .

والموضوع الثاني القصص : فقد افتن فيه شعراء الفرس بين قصص حماسي مستمد من أساطير الفرس وتاريخهم كالشاهنامة ، وقصص غرامي كقصة ليلى والمجنون ، وخسرو وشيرين ، ويوسف وزليخا ، وهم في هذا لا يملون الإطالة وقل أن تنقص القصة عن خمسة آلاف بيت وكثيراً ما تجاوز عشرة الآلاف . وقد نظم القصة الواحدة شعراء عدة في عصور مختلفة .

عبد الوهاب عزام

الغزالي وزعماء الفلاسفة

- ٢ -

٥ — دراسة بعض المسائل

لنبحث الآن في المسائل الثلاث التي أشرنا اليها في المقال السابق

١ — مسألة المعرفة

مسألة المعرفة هي الأساس الذي يرجع اليه الخلاف بين الغزالي والفلاسفة . فقد كان الفلاسفة يقولون ان المعرفة لا تتم بطريق التجربة ، بل تتم باشراق الصور من العقل الفعال على العقل الانساني . فالعقل يكون في أول امره عقلاً بالقوة ، ثم يصير عقلا بالفعل ، وذلك بما يصل اليه من الصور التي تؤديها اليه الحواس الظاهرة والباطنة . ولكن هذا الانتقال من القوة الى الفعل لا يتم الا بتأثير العقل الفعال . وتتمايز العقول الانسانية بعضها من بعض بمقدار استعدادها للاتصال بالعقل الفعال الذي تتلقى عنه المعرفة . وفي ضوء هذا العقل يستطيع عقلنا ان يدرك الصور الكلية ، وبه يصير الاحساس معرفة .

فأنت ترى ان الفلاسفة قد بنوا المعرفة على العقل . لأن العقل هو الذي يجرد الصور الحسية من اللواحق المشخصة ، وينتزع من الصور المخيلة صوراً كلية . ولكن الصور المنتزعة من الاحساس والخيال لا تصبح صوراً عقلية الا بتأثير العقل الفعال او كما يقول ابن سينا بنور يفيض عليها من واهب الصور . نعم ان طريقة اكتساب المعرفة عند ابن سينا ترجع الى النظر والقياس اولاً ، ثم الى الحدس ثانياً . ولكن هذا الحدس الذي يتكلم عنه ، انما هو حدس عقلي شبيه بالحدس الذي اشار اليه ديكارت وغيره من الفلاسفة العقليين . ومعيار صحة المعاني عنده هو وضوحها بذاتها وخلوها من التناقض .

اما مذهب الغزالي في المعرفة فيختلف عن مذهب الفلاسفة في مبادئه وغاياته لانه قد بنى المعرفة على التجربة والكشف الباطني . وللبقين عنده ثلاث مراتب : اولها ايمان العامة المستند الى الخبر . فهم يصدقون ما يخبرهم به اهل الثقة ، كأن يقال لهم ان فلاناً في الدار ، وثانيها معرفة العلماء التي يصلون اليها بالاستنباط ، فهم قد سمعوه يتكلم فاستنبطوا انه في الدار . غير انه يوجد فوق ذلك مرتبة ثالثة هي يقين العارفين الذين يشهدون الحق دون حجاب . وهم قد دخلوا الدار ورأوا الرجل بأعينهم . والعلوم انما تثبت في القلب بطريق الاستدلال والتعلم ، أو بطريق الوحي والالهام . والغزالي يفضل العلم الذي يحصل في القلب عن طريق الالهام على العلم الذي يحصل فيه عن طريق التعلم . ومن أجمل ما في كتاب الأحياء من التشبيهات تشبيه القلب بحوض محفور في الأرض . فاما ان يساق اليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ، واما أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء الصافي فيتفجر الماء من أسفل الحوض . قال الغزالي :

« والقلب مثل الحوض ، والعلم مثل الماء . وتكون الحواس الخمس مثل الأنهار . وقد يمكن ان تساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار والمشاهدات حتى يمتلئ علماً ، ويمكن ان تسدّ هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ، ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ، ورفع طبقات الحجب عنه حتى تتفجر ينابيع العلم من داخله . فان قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا من عجائب اسرار القلب ، ولا يسمح بذكره في علم المعاملة بل القدر الذي يمكن ذكره ان حقائق الأشياء مستورة في اللوح المحفوظ ، بل في قلوب الملائكة المقربين . فكما ان المهندس يصور أبنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله الى آخره في اللوح المحفوظ ، ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة . والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة اخرى الى الحس والخيال .

فان من ينظر الى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر اليها . ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر اليهما ، ثم يتأدى من خياله أثر الى القلب ... والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجاً من خيال الانسان وقلبه ، والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ .. فكأن للعالم أربع درجات في الوجود : وجود في اللوح المحفوظ ، وهو سابق على وجوده الجسماني ، ويتبعه وجوده الحقيقي ، ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي ، اعني وجود صورته في الخيال ، ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب[1] » .

وهذا القول يدل على ان المعرفة تحصل في النفس بطريقين مختلفين الأول هو طريق الحواس والاعتبار والمشاهدة . وهو طريق التجربة الخارجية او طريق المعرفة غير المباشرة . والثاني هو طريق القلب وتطهيره ورفع الحجب عنه . وهو طريق التجربة الداخلية المباشرة . وكلا الطريقين يؤدي الى نفس النتائج ، لأن صورة العالم الخارجي محفوظة في النفس . فاما ان تتوجه النفس الى العالم الخارجي فتتأدى اليها المعرفة عن طريق الحواس ، واما ان تتوجه الى ذاتها وتدرك صورة العالم المحفوظة في داخلها ، فتتفجر منها المعرفة . والمعرفة التي تتفجر من داخل القلب اصفى وأدوم ، لا بل هي كما يقول الغزالي اكثر وأغزر . وهذا الرأي شبيه كما ترى برأي (ليبنيز) الذي قال : « يظهر لنا لأول وهلة ان جميع تصوراتنا تأتي من العالم الخارجي بواسطة الحواس وترتسم في صفحات النفس الفارغة . ولكننا اذا تعمقنا في التأمل ادركنا ان كل شيء حتى الادراكات والانفعالات انما يأتينا من داخلنا بعفوية تامة وما نظنه خارجياً او آتياً عن طريق الحواس ان هو الا تبدل في احوالنا الداخلية[2] » .

---

(١) الغزالي ، احياء علوم الدين الجزء الثالث ، ص ١٧ ـ ١٨ المطبعة العثمانية المصرية ـ القاهرة ١٩٣٣ .

(٢) كتاب الالهيات « Théodicée » ـ ٢٩٦ .

ولكن هذه الادراكات والانفعالات الداخلية هي كما يقول (ليبنيز) صور ومعارف مطابقة للحقائق الخارجية • وهي لا تنشأ عن تأثير متبادل بين العقل والطبيعة ، بل تنشأ عن توافق قديم بينهما • ومعنى ذلك ان تتابع الادراكات في الجوهر العاقل مطابق لتتابع حوادث الكون وجريانها • فهناك اذن عالمان عالم العقل وعالم الطبيعة • وكل منهما مطابق للآخر في تتابع صوره وجريان حوادثه • وهذا شبيه بقول الغزالي ان صور العالم الحقيقي مطابقة للصور المرسومة في اللوح المحفوظ وموافقة للصور الحاصلة في القلب والخيال ، وسواء أتوجهت النفس الى العالم الحقيقي أم غضت البصر عنه وتوجهت الى داخلها ، فان المعرفة التي تحصل لها واحدة •

وحقيقة القول ان القلب في نظر الغزالي مستعد لأن تتجلى فيه حقائق العلوم مباشرة وذلك بالتعرض للنفحات الالهية • قال الغزالي : « ان العلوم ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الأحوال ، فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري ، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاماً ، والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً »[1] •

يتضح من هذا القول ان الغزالي يسمي الطريق الأول الذي نحصل به على المعرفة طريق الاعتبار والاستبصار ، ويسمي الطريق الثاني بطريق الالهام • وفوق طريق الالهام درجة من المعرفة يعرف معها المدرك كيف حصل له ذلك الالهام ومن أين حصل وتسمى هذه المعرفة وحياً • وهي مما يختص به الأنبياء ، اما الالهام فيختص به الأولياء • والعلم المكتسب الحاصل بطريق الاعتبار والاستبصار والاستدلال انما يختص به العلماء •

ويرى الغزالي ان الفلاسفة اقتصروا في أصل المعرفة على طريق الاستدلال والتعلم وأهملوا العلم الحاصل في النفس عن طريق الوحي والالهام • انهم يفنون

(١) الاحياء ، ص ١٦

انفسهم في تجريد المعاني الكلية من الكيفيات الجزئية ، مع ان المعاني الكلية المجردة أقل من أن تستنفد كل ما نشعر به في نفوسنا . واحباب الله يبلغون من الرياضة درجة يتلقون بها علماً لدنياً لا يطلع عليه العلماء الا بالاستنباط العقلي ، ولا يرتقي الى ذلك المقام الرفيع الا قليل من الناس .

ما هي قيمة هذه المعرفة التي تحصل لنا بأحد هذين الطريقين وما هي حدودها ؟

لقد ذكر لنا الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال صفة المعرفة التي يريد الحصول عليها ، فقال ان مطلوبه هو العلم بحقائق الأمور ، لذلك ظهر له « ان العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغي ان يكون مقارناً لليقين مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه مثلاً من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكاً وانكاراً »[1]

وفي سبيل الحصول على هذه المعرفة اليقينية شك الغزالي في العلم الموروث ، ثم شك في الحسيات ، ثم شك في الأوليات العقلية ، ولم تعد نفسه الى الصحة والاعتدال الا بنور قذفه الله في الصدر . وهذا النور كما يقول هو مفتاح اكثر العلوم . وهذا يدل على ان الغزالي لم يكن ريبياً ، بل كان شكه شكاً فلسفياً ، وهو واسطة الوصول الى اليقين . فقد كانت الأوليات العقلية موثوقاً بها في الأصل ، ثم لما عادت النفس الى الصحة والاعتدال رجعت الأوليات موثوقاً بها أيضاً على أمن ويقين . ولولا النور الالهي الذي قذف في الصدر لم ينقذ الغزالي نفسه من غياهب الشك الذي غرق فيه . ولكن هذا الجود الالهي لم يكن الا مفتاحاً لليقين ، ولولا استعداد العقل لقبوله لما بدد نوره ظلمات الشك . فالعقل قادر اذن على الوصول الى الحقيقة ، واذا وقع في الشك استطاع ان ينقذ نفسه منه بالتعرض للالطاف الالهية . على ان الحقائق التي يتوصل اليها العقل بنفسه

(١) المنقذ من الضلال . طبعة دمشق (مكتب النشر العربي) ، الطبعة الثانية ٦٩

لا تشمل كل شيء، وهي تختلف بحسب الطريق الذي تسلكه في الوصول الى المعرفة . فاذا كان الطريق الذي سلكناه هو طريق الاستدلال كانت معرفتنا مقصورة على امور التجربة وما يتصل بها، واذا كان طريق معرفتنا هو الوحي والالهام امكننا الوصول الى معرفة الأمور الالهية . وهذا النوع الأخير من المعرفة هو التعليم الذي جاءنا به الأنبياء . فقد علمونا أشياء كثيرة منها ما هو داخل في نطاق الاستدلال العقلي، ومنها ما هو خارج عن نطاقه . ولولاهم لما أدركنا حقيقة الأمور الالهية .

فالغزالي قد حدد اذن نطاق الاستدلال العقلي المجرد عن الوحي، وجعله قاصراً على ادراك أمور التجربة . وجعل الأمور الالهية خارجة عن نطاقه . وهو في ذلك قريب من ابن خلدون .

أما الفلاسفة فقد آمنوا بسلطان العقل، وجعلوه قادراً على حل جميع المشكلات . وعدم وصول التعليم اليهم عن طريق الأنبياء لايمنعهم من الوصول الى الحقائق الأبدية . أما الغزالي فيرى ان محاولة معرفة الأمور الالهية بطريق العقل المجرد عن الوحي والالهام فضول وطمع في غير مطمع، لأن هذه الأمور كما صرح غير مرة، ليست مما تتسع له القوى البشرية . ولا تنال بنظر العقل، بل تنال بطريقة أخرى للاطلاع، هي طريقة الكشف الباطني والشعور الوجداني، وقد اقتبس الغزالي هذا النوع من المعرفة الوجدانية من الطريقة الصوفية لجعل الكشف الباطني اساس اليقين الديني ومفتاح العلوم .

ولا يشترط في الحق عنده ان يكون واضحاً بنفسه مؤيداً بالبرهان العقلي فحسب، بل يجب ايضاً ان يكون موافقاً للكتاب والسنة . وهكذا تنقسم المعرفة عند الغزالي الى قسمين : معرفة حسية ومعرفة دينية . فالعقل والتجربة هما اساس المعرفة الحسية، اما المعرفة الدينية فترتكز على الكشف الباطني . وهذا يوضح لنا السبب في حملة الغزالي على الفلاسفة، واظهاره تناقض مذهبهم في ايضاح

الأمور الالهية، واستنباطهم اياها على طريقة العلماء · فهم لم يكتفوا بالخبر كما نقله اليهم الأنبياء، ولا ارتقوا في المعارف اللدنية الى المشاهدة والمكاشفة، ولكنهم ارادوا ان يزنوا حقيقة الإله والنفس بميزان العقل، وان يستنبطوا بهذا الميزان احكاماً لا يمكن الوصول اليها الا عن طريق الوحي والالهام · فوقعوا فيما وقعوا فيه من التوهم والضلال ·

٢ — مسألة العالم : الزمان والمكان

والمسألة الثانية التي نريد ذكرها على سبيل المثال هي مسألة العالم والزمان والمكان · وهي مسألة كلية تشتمل على عدة مسائل، كقولنا هل العالم ازلي أم حادث، وهل هو أبدي ام فانٍ · واذا كان ازلياً هل يحتاج الى صانع، وما البرهان على احتياجه الى صانع واحد · لماذا يستحيل على العقل ان يتصور إلهين قديمين ·

فالفلاسفة يقولون : إن العالم كرة متناهية في الامتداد، ولكنهم يقولون في الوقت نفسه إنها قديمة لا نهاية لها في الزمان، وإنها بالرغم من قدمها محتاجة الى صانع · ولا مجال الآن لتفصيل القول في هذا كله، وانما نريد ان نبين ان الغزالي لم يبطل أدلة الفلاسفة على قدم العالم وأزليته، الا ليحدد لنا نطاق الاستدلال العقلي المجرد عن الوحي، ويبين عجزه عن ادراك مسائل ما بعد الطبيعة · فهو قد اورد أدلة الفلاسفة على قدم العالم ثم بين تناقضها، وأورد بالاضافة الى ذلك ادلة مختلفة على حدوث العالم، وجعل مسألة عدم تناهي الزمان، مماثلة لمسألة عدم تناهي المكان · فاذا كنا لا نستطيع ان نتصور للزمان مبدأ أو نهاية، فكذلك لا نقدر ان نتصور للمكان حدوداً · ولو قيل ان المكان يتعلق بالحس الظاهر، وان الزمان يتعلق بالحس الباطن لما تغير من المسألة شيء، لأننا مع هذا لا نخرج من المحسوس · فالبعد المكاني تابع للجسم والبعد الزماني تابع للحركة · وكما اننا نستطيع ان نقيم الدليل على تناهي أقطار الجسم، فكذلك يمكننا ان نبرهن على تناهي الحركة من طرفيها · وهذا كله يدل على ان الزمان والمكان انما هما عبارة

عن علاقات بين تصوراتنا ، فهما اذن نسبيان . وهذا يقرب رأي الغزالي من رأي (كانت) الذي يقول ان الزمان والمكان هما صورتان سابقتان للتجربة نستعين بهما على ادراك العالم الخارجي . والفرق بين (الغزالي) و (كانت) في ذلك هو ان الغزالي يقول ان الزمان والمكان هما علاقات بين التصورات ، تخلق بخلقها أو بالأحرى يخلقها الله بين الصور الذهنية في عقولنا ، اما (كانت) فيقول ان مقولتي الزمان والمكان هما صورتان من خلق العقل يستخرجها من داخله وينشرهما ليرتب فيهما ظواهر الطبيعة ويؤلف منها سلاسل منظمة . ولكن (كانت) لم لم يوضح لنا كيف تولدت هذه المقولات من العقل ، فهل هي مثل مخلدة ، ام هي اشراق إلهي . انك لاتجد لهذه المسألة في فلسفة (كانت) جواباً شافياً أما الغزالي فقد تجنب الشبهة بارجاع الزمان والمكان الى تصورات ذهنية خلقها الله في عقولنا .

وفي تقرير الغزالي لحجة الفلاسفة ، على قدم العالم ، وابطالها دليل آخر على مشابهته (لكانت) . اننا اذا قلنا مع الغزالي ان العالم حادث ورد علينا اعتراض الفلاسفة وهو قولهم يستحيل صدور حادث من قديم . لأن الشيء لا يمكن ان ينتج الا مثله . واذا قلنا مع الفلاسفة إن العالم قديم ورد علينا اعتراض الغزالي ، وهو قوله ان في العالم حوادث ، ولها أسباب ، ولا يمكن ان تستند الحوادث الى الحوادث الى غير نهاية ، ولو كان ذلك ممكناً لا ستغنينا عن الاعتراف بالصانع واذا كانت الحوادث لها طرف ينتهي اليه تسلسلها ، فيكون ذلك الطرف هو القديم ، فلا بد اذن على أصل الفلاسفة انفسهم من تجويز صدور حادث من قديم . وهناك أدلة أخرى لكل من هذين الرأيين المتضادين تتفرع بعضها من بعض ، فتشتبك وتتعقد وتزيد الأمر اشتباهاً . وهي كلها تدل على عجز العقل عن ادراك هذه المسائل ، لأنها من طور فوق طوره . وتذكرنا بتناقضات العقل المحض التي جاء بها كانت لاثبات عجز العقل عن ادراك كنه مسائل ما بعد الطبيعة . فمن متناقضات العقل المحض قضية تناهي العالم في الزمان والمكان ونقيضها . فالأدلة التي جاء بها كانت للبرهان على هذه القضية ونقيضها لا تختلف كثيراً عن الأدلة

التي جاء بها الغزالي ، على لسان الفلاسفة ، لاثبات قضيتهم من جهة ، ولاظهار تناقضها من جهة أخرى . ومن تعمق في درس تهافت الغزالي وتهافت ابن رشد استطاع ان يجد فيها بذوراً لمتناقضات (كانت) الاخرى كمتناقضة تركيب الجوهر من أجزاء بسيطة وعدم تركيبه ، ومتناقضة السببية والحرية . ومتناقضة وجود الموجود الواجب وعدم وجوده ، حتى ان الغزالي نفسه يقول عند الكلام عن أبدية العالم ، ان العالم يجوز أن يبقى ، وان يفنى ، ولا ترجيح عنده لأحد هذين النقيضين على الآخر إلا بالرجوع الى الشرع لا الى العقل .

٣ — مسألة السببية

والمسألة الأخيرة التي نريد ذكرها على سبيل المثال هي مسألة السببية . فقد كان الفلاسفة يفرقون بين فعل الله وفعل العقول المريدة وفعل النفس والطبيعة والاتفاق . ولكن الغزالي يرى انه لا يوجد الا فعل واحد وهو فعل الموجود المريد . وهو ينكر فعل الطبيعة انكاراً تاماً . لأننا لا نستطيع ان نرد هذا الفعل الى مجرد علاقة زمانية بين شيئين . ولا شك اننا نجد مثيلاً لهذه الآراء عند المتكلمين السابقين . ولكن جرأة الغزالي على انكار الضرورة العقلية لقانون السببية ، قد فاقت كل ما ألفناه حتى الآن ، من الاقدام على التهديم . ومن السهل علينا ان نلخص رأي الغزالي في مسألة السببية بايراد العبارة الآتية ؛ قال الغزالي

« ان الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا . بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ، ولا اثبات احدهما متضمن لاثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر . فليس من ضرورة وجود احدهما وجودُ الآخر ، ولا من ضرورة عدم احدهما عدمُ الآخر ، مثل الريّ والشرب ، والشبع والأكل ، والشفاء وشرب الدواء وهلم جرا ، الى كل المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف ، وان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه لخلقها على التساوق ، لا لكونها ضرورية في نفسها » . وقال ايضاً :

« وليس لهم دليل إلا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار ، والمشاهدة تدل على الحصول عنده ، ولا تدل على الحصول به وأنه لا علة سواه » . فنحن نرى ظاهرة معينة تعقبُ ظاهرة أخرى معينة ، فنسمي الأولى معلولاً والثانية علة . اما كيف تحدث العلة معلولها فهذا سر لا يطلعنا عليه الحس ، ولا ندركه بالعقل . ومجرد اعتيادنا مشاهدة التعاقب بين ظاهرتين لا يسمح لنا بأن نقول إن الظاهرة الأولى علة الظاهرة الثانية . فالغزالي ينكر اذن الضرورة العقلية في مبدأ السببية ، ويعلن بجرأة اننا لا نعرف فعل الأشياء الطبيعية بعضها في بعض وليس في الفلاسفة القدماء والمحدثين من يشبهه في جرأته هذه الا (داودهيوم) الذي انكر أيضاً ارتباط العلة بالمعلول ارتباطاً ضرورياً . فقال ان كل ما يراه الانسان بحواسه هو ظاهرتان متعاقبتان . وليس هذا التتابع دليلاً على السببية ، ولا يمكن ان يُعلم منه ان الحادثة الأولى علة الحادثة الثانية . والعادة وحدها كما يقول (هيوم) هي التي أوحت الى الانسان بهذه النتيجة ، اذ توهم انه ما دامت هاتان الحادثتان قد ارتبطتا في الماضي ، فلا بد ان ترتبطا لذلك في التجارب المقبلة ، واذن ففكرة السببية ذاتية محضة ، وهي خدعة من الخيال ليس لها وجود الا في العقل الذي يدركها . واذا قال قائل إن رفع الأسباب مبطل للعلم ، وإن ذلك يؤدي الى قلب الكتاب حيواناً والعصا ثعباناً قال الغزالي ان الله تعالى خلق لنا علماً بأنه لم يفعل هذه الممكنات ، وهو لم يقل ان هذه الأمور واجبة ، بل هي ممكنة يجوز ان تقع ويجوز ان لا تقع . واستمرار العادة بها مرة بعد أخرى يُرسّخ في أذهاننا جريانها وفق العادة الماضية . وفي هذا القول ايضاح كاف للأسباب التي حملت الغزالي على انكار السببية . فهو قد أنكر السببية ليترك باب المعجزات مفتوحاً . فعلق الأسباب والأفعال كلها بارادة الله . فالشمس عنده ليست علة الضوء ، والدواء ليس علة الشفاء ، والنار ليست علة الاحتراق ، بل الفاعل الحقيقي هو الله . فالله قد خلق هذه الظواهر ، بعضها بعد بعض على

التساوق ، لا لكونها ضروورية في نفسها ، ولكن لغاية نجهل حكمتها . وفعل الله لا ينقطع ، بل هو يتجدد في كل وقت ، فيربط اذا شاء ظاهرة بظاهرة ، وحركة بحركة ويقطع اذا شاء هذا الارتباط . وهذا قريب من رأي (ديكارت) الذي قال ان الله يخلق العالم في كل آن . ومن رأي (مالبرانش) الذي زعم ان الله هو المنفذ المباشر لكل فعل من افعال الانسان ، لا بل هو العلة الحقيقية في ارتباط الظواهر بعضها ببعض . وبديهي ان السبب في تعليق الأسباب والمسببات بارادة الله ، انما يرجع الى العقيدة الدينية . ولولا حرص الغزالي على اعطاء الله جميع الصفات التي تعلمها من الشرع لما انكر الضرورة العقلية في قانون السببية . فهو قد أرجع هذا القانون الى الاعتياد تخلصاً من انكار المعجزات ، وجعل الطبيعة مسخرة لله تعالى ، لا تعمل بنفسها ، بل هي مستعملة من جهة ناظرها . فالله تعالى وحده هو السبب الحقيقي لكل شيء ، والسببية الحقيقية ترجع الى علاقة ارادية بينه وبين العالم . اما ارتباط الأسباب والمسببات الطبيعية بعضها ببعض ، فلا قيمة له بنفسه ، ولا معنى له الا اذا ارتكز على ارادة الله .

٦ — النقد

هذه أمثلة سريعة تبين لنا موقف الغزالي من فلسفة زمانه . فقد كان الفلاسفة يعتقدون ان العقل قادر على الاحاطة بكل شيء ، فبين لهم الغزالي ان نطاق العقل مقصور على ادراك أمور التجربة . وكانوا يعتقدون ان العالم قديم فألزمهم الغزالي بأن العالم حادث ، وكانوا يقولون بارتباط الأسباب والمسببات ارتباطاً ضرورياً فأثبت لهم الغزالي ان السبب الحقيقي هو الله ، وان الله هو المريد بارادة قديمة وانه لا فاعل سواه . وما ذهب الغزالي الى ذلك كله الا ليحافظ على العقائد ويذب عن حياض الدين . فهاجم الفلاسفة مهاجمة عنيفة ، واهتدى في أثناء ذلك الى آراء جديدة لا نجدها الا عند (ديكارت) و (ماليرانش) و (كانت) و (هيوم) من فلاسفة العصور الحديثة . ففلسفة الغزالي هي بهذا المعنى فلسفة دينية

أو فلسفة مثالية شخصية اما فلسفة المشائين فهي فلسفة عقلية . والغزالي قريب من ابن خلدون في قوة الابتكار ، وهو أكثر فلاسفة العرب تحرراً من سيطرة آرسطو ، ولكنه لم يتحرر من سيطرة آرسطو الا ليستسلم لدواعي القلب ، ويلجأ الى أحضان الدين . وقد كان لرده على الفلاسفة أثر عميق في مصير الفلسفة في الشرق . فلم يقم أحد من تلاميذ ابن سينا للرد عليه فتداعى بناء الفلسفة المشائية وتفرقت عناصرها وتلقفها رجال الدين وصبغوها بألوان العقائد ، أما في الأندلس فلم يكن حظ الغزالي في أول أمره أحسن من حظ الفلاسفة ، فأعرض الناس عن كتبه ، واحرقوها كما أحرقوا كتب الفلسفة . قال ابن طملوس :

« ولما امتدت الأيام وصلت الى هذه الجزيرة كتب ابي حامد الغزالي ، فقرعت اسماع الناس بأشياء لم يألفوها ولا عرفوها ، وكلامٍ خُرج به عن معتادهم من مسائل الصوفية وغيرهم من سائر الطوائف الذين لم يعتدْ أهل الأندلس مناظرتهم ولا محاورتهم ، فبعدت عن قبوله أذهانهم ، ونفرت عنه نفوسهم ، وقالوا ان كان في الدنيا كفر وزندقة ، فهذا الذي في كتب الغزالي هو الكفر والزندقة ، وأجمعوا على ذلك واجتمعوا للأمير إذ ذاك ، وحملوه على أن يأمر بحرق هذه الكتب المنسوبة الى الضلال ، بزعمهم ، وعزموا عليه في ذلك حتى أجابهم الى ما سألوه منه ، فأحرقت كتب الغزالي وهم لا يعرفون ما فيها ، وخاطب الأمير اذ ذاك جميع أهل مملكته يأمرهم بحرقها ، ويعلمهم أنه هو الذي أدى اليه نظر العلماء ، وقرئت مخاطبته على المنابر ، وشنع الأمر بذلك تشنيعاً عظيماً . وامتحن من كان عنده منها كتاب ، وخاف كل انسان على نفسه أن يرمى بأنه قرأ منها كتاباً أو اقتناه ، وكان في ذلك من الوعيد ما لا مزيد عليه ... ثم لم تكن تمتد الأيام الا قليلاً حتى جاء الله بالامام المهدي رضي الله عنه ، فبان به للناس ما كانوا قد تحيروا فيه ، وندب الناس الى قراءة كتب الغزالي رحمه الله ، وعرف من مذهبه انه يوافقه ، فأخذ الناس في قراءتها واعجبوا بها ، وبما رأوا

فيها من جودة النظام والترتيب الذي لم يروا مثله قط في تأليف ، ولم يبق في هذه الجهات من لم يغلب عليه حب كتب الغزالي الا من غلب عليه افراط الجمود ، من غلاة المقلدين ، فصارت قراءتها شرعاً وديناً بعد ان كانت كفراً وزندقة[1] » .
فالناس في الأندلس قد عاملوا الغزالي بما عامل به الفلاسفة في الشرق فكفروه في أول أمرهم كما كفر الفلاسفة ، وبدّعوه كما بدّعهم . ثم لما حمى كتبه أمير راجت بضاعتها وانتشرت . ولم يوفق ابن رشد رغم حملته على الغزالي في كتاب تهافت التهافت الى منع الفلسفة من الانقراض ، فقد اتهم الغزالي بانه انما كفر الفلاسفة ارضاء للعامة ، وسبقه ابن الطفيل الى ذلك فقال ان الغزالي يربط في موضع ويحلّ في آخر ، ويكفر بأشياء ثم ينتحلها . ومهما يكن من أمر فان العامة قد أحرقوا كتب ابن رشد كما أحرقوا كتب الغزالي ، واعراضهم عن كتب الغزالي في أول الأمر ثم استحسانهم اياها يدل على ما جرى اليه أمرهم في كل قديم وحديث . فهم ينكرون أولاً ما يألفونه ويستحسنونه آخراً . ولو لم يخب مصباح الحضارة العربية تحت تأثير العناصر الأجنبية التي سيطرت على الاسلام لأدّى تهالك الناس في استحسان آراء الغزالي الى ظهور مفكر جديد بعده ، لا يكتفي برد اعتراضاته على مذهب آرسطو كما فعل ابن رشد ، بل يرجع الى أصول مذهبه الصوفي ويفندها ، ويستبدل بها غيرها . إن قانون التضاد الذي اشرنا اليه سابقاً لا يعمل عمله في تطور الأفكار الا اذا كانت الأفكار حرة طليقة . فاذا انطلقت الأفكار في فضاء الحرية دعا بعضها بعضاً . ولكنها اذا حبست في طبقات من حجب التقليد والتعصب الأعمى نضب ماؤها وانطفأ نورها .

جميل صليبا

---

(١) ابن طملوس ، كتاب المدخل لصناعة المنطق ، مجريط ، ١٩١٦ ، ص ١١ — ١٢

آل بكتكين ـ مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(٥٢٢ هـ — ٦٣٠ هـ)

— ٣ —

٤ — نوابه

لا تظهر ادارة زين الدين علي كوچك واضحة في اربل ، وانما تتعين بذكر نوابه ، وما قاموا به من أعمال ، فلا ريب أنهم تابعون لأمره ، منقادون لتوجيهه . وهو في الحقيقة المؤسس لهذه الامارة ، كانت اقطاعه ، فتمكن أخلافه فيها . ولا يمتّ بنسب الى الدولة الزنكية ، وانما هو من مماليك آق سنقر والد مؤسسها ، وقد أرضت ادارته الدولة والأمة . وكان قد ولي اربل كثيرون ، فلم يعرف لهم اسم ، ولكنه ذاع صيته ، وانتشر خبره . فقام بما يمكن القيام به ، فعرفت اربل بعد ان كانت خاملة مهملة . فقضى آخر أيامه فيها . وكان فيها مرقده الأخير . وهؤلاء نوابه :

١ — سرفتكين الزيني نائب اربل :

كان زين الدين علي كوچك متصلاً بالموصل اتصالاً غير منفك ، فيعين نواباً عنه في اربل . وان المترجم أحدهم . كان أرمنياً فأسلم ، وربي تربية صالحة فأعتقه سيده ، وتقدم عنده ، واعتمد عليه في كثير من أموره ، واستنابه في اربل من تاريخ فتحها سنة ٥٢٢ هـ .

وللتربية الاسلامية أثرها فيه ، فكان من الأخيار ، وادارته قويمة ، أرضت الأهلين كما كانت أعمال سيده كذلك . ومن أعماله المبرورة :

١ — بنى مساجد كثيرة في اربل وغيرها .

٢ - بنى مدرسة القلعة سنة ٥٣٣ .

٣ - بنى سور مدينة فيد التي في طريق مكة من جهة بغداد .

أثر آثاراً صالحة أمثال ما ذكر . وكل ما فعله من ماله . ولا شك انه تمشى ورغبة زين الدين وظهرت مكانة زين الدين بنائبه المذكور .

توفي في شهر رمضان سنة ٥٥٩ هـ[1] .

٢ — أبو منصور مجاهد الدين قايماز الزيني (نائب اربل) :

هو ابن عبد الله الملقب مجاهد الدين الخادم . كان عتيق زين الدين علي كوچك ، وأصله من سجستان ، أخذ صغيراً ، وكان أبيض اللون ، نسب الى زين الدين فقيل (الزيني) . وكانت مخائل النجابة لائحة عليه ، فقدمه معتقه وجعله أتابك أولاده ، وفوّض اليه أمور اربل نيابة عنه في ٥ رمضان سنة ٥٥٩ هـ — ١١٦٤ م أي صار نائب اربل اثر وفاة سرفتكين مباشرة وبعد وفاة زين الدين علي كوچك سنة ٥٦٣ هـ - ١١٦٨ م خلفه ابنه مظفر الدين كوكبري فكان نائبه .

ثم خلع مظفر الدين من الامارة ، وولي أخوه الأصغر زين الدين يوسف ابنالتكين ، فكان نائبه ايضاً . ودام الى سنة ٥٧١ هـ . وفي هذا التاريخ انتقل الى الموصل ، وتولى أمورها في ذي الحجة سنة ٥٧١ هـ — ١١٧٦ م ، صار نائب الموصل في دولة الأتابكة ، فراسل الملوك وراسلوه ، وكان يبلغ منهم بكتبه ما لم يبلغ سواه . وكان منشيه (مجد الدين ابن الأثير) ، فوض اليه الأتابك سيف الدين غازي بن مودود (٥٦٥ هـ — ٥٧٦ هـ) الحكم في بلاده ، لما رآه من اخلاصه وحسن مقاصده ، واعتمد عليه في جميع أحواله .

ومن المهم ذكره هنا ان مجاهد الدين هذا كان يحمل اكثر أموال اربل أيام نيابته ويقدمها الى الأتابك . وبهذا تقرب الى أتابكة الموصل ، وجلب النفرة

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٤٢٠ .

والنقمة عليه من الاربليين . ومن جهة أخرى انه أثر آثاراً جميلة في الموصل ، ولم يكن لاربل نصيب منها .

وفي أيام الأتابك عز الدين مسعود (٥٧٦ هـ - ٥٨٩) قبض عليه في جمادى الأولى سنة ٥٧٩ هـ - ١١٨٣ م وبقي مقبوضاً عليه عشرة أشهر ، ثم أطلقه وأعاده الى ما كان عليه [١] . وتوفي في ربيع الأول سنة ٥٩٥ - ١١٩٩ م .

هذا . ولما كان انتقاله الى الموصل سنة ٥٧١ هـ فهذا بعد مبدأ تولي أبي المظفر زين الدين يوسف اينالتكين الأمور بنفسه ، وقيامه بأعباء الحكم مباشرة . وقد علمنا أن نيابة مجاهد الدين قايماز بدأت من وفاة سرفتكين الزيني ، ودامت الى التاريخ المذكور وقد انتقل الى الموصل . وكان في أيام زين الدين علي كوچك قد ظهر بمظهر المخلص ، وبعد وفاته استبد بالحكم الا انه أخلص للأتابكة حتى صار نائب الموصل . وفي اربل حدثت بينه وبين زين الدين يوسف مشادة ، كما ان فعلته مع كوكبري غير مجهولة .

قال ابن الأثير في الكامل : « كان عاقلاً أديباً خيراً فاضلاً يعرف الفقه على مذهب أبي حنيفة ويحفظ من التاريخ والأشعار والحكايات شيئاً كثيراً . » اهـ [٢]

وتفصيل حياته في أتابكة الموصل ، وفي الكامل ، وفي كتاب الروضتين وابن خلكان ومؤلفات عديدة .

٥ - امارة مظفر الدين كوكبري الاولى

هذه الامارة قصيرة الأجل ، قليلة المدة . وكان أبو منصور قايماز رضي سيده زين الدين علي كوچك حتى نال نيابة اربل ، وجعله اتابك أولاده ، وبعد وفاته تمكن من نزع الامارة من ابنه كوكبري . قال ابن خلكان في وفياته : « لما توفي زين الدين علي كوچك ولي موضعه ولده مظفر الدين كوكبري ،

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ٣٠٣ وهو الصواب بخلاف ما ذكر في ابن خلكان ج ١ ص ٦٠٩ . وهناك ترجمته .

(٢) الكامل لابن الاثير ج ١٢ ص ٦٠ وهناك تفصيل حياته .

وعمره ١٤ سنة وكان اتابكه مجاهد الدين قايماز ، فأقام مدة ، ثم تعصب مجاهد الدين عليه ، وكتب محضراً انه ليس أهلاً لذلك ، وشاور الديوان العزيز في أمره واعتقله ، وأقام أخاه زين الدين أبا المظفر يوسف مكانه ، وكان أصغر منه ، ثم أخرج مظفر الدين من البلاد ، فتوجه الى بغداد ، فلم يحصل له بها مقصوده ، فانتقل الى الموصل ومالكها يومئذ سيف الدين غازي بن مودود ... ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين وحظي عنده الخ» اهـ[1] .

ومن هذا نعلم ان قايماز كان قد تحامل عليه بل تعصب وان ذهابه الى الموصل يوافق أيام سيف الدين غازي بن مودود (٥٦٥ هـ — ٥٧٦ هـ) أي انه من حين علم بالأتابك الجديد مال اليه مستنصراً به بعد ان لم ينل قبولاً من بغداد .

وقال ابن الأثير في كامله : «ولي — قايماز — اربل سنة ٥٥٩ هـ فلما مات زين الدين علي كوچك سنة ٥٦٣ هـ بقي هو الحاكم فيها ، ومعه من يختار من أولاد زين الدين ليس لواحد منهم معه حكم .» اهـ[2]

ومن هذا نعلم أن قايماز قد تحامل عليه ، وأهانه بالحبس ، وطرده ، فذهب الى بغداد فخاب مسعاه ، ولما سمع بأن سيف الدين غازي بن مودود قد صار أتابكاً مال اليه مستنصراً به بعد ان خذل من دار الخلافة وكان يظن ان الخليفة يتخذه وسيلة للتدخل في أمور اربل ، فلم يخيب سيف الدين أمله ...

٦ — حياة مظفر الدين كوكبري خارج اربل

ان طرد مظفر الدين من اربل بعد حبسه واهانته وتعصب مجاهد الدين قايماز عليه لم يفل من عزمه ، فيمضي الى دار الخلافة ، ثم الى الموصل الى الأتابك سيف الدين غازي . وكان قد ولي الموصل بعد الحادث الذي جرى عليه ، فاتخذه وسيلة للذهاب اليه . وهذا الأتابك لم يرده خائباً ، واقطعه حران . ودامت امارته عليها مدة . وهو تابع للأتابكة منقاد لأوامرهم .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٦٢٠ طبعه بولاق . (٢) الكامل لابن الاثير ج ١٢ ص ٩٦ .

وفي سنة ٥٧١ صار مجاهد الدين قايماز نائب الموصل ، وولي أمر الأتابكة بالنيابة، فكان ذلك داعية التذمر من ادارة الاتابكة لما كان بينه وبين مجاهد الدين من العداء والنفرة من معاملته .

ولم يتعرض المؤرخون لذكره الا قليلاً . وكان أهل الاقطاع لا يذكرون حتى يظهر ما يستوجب . كأن يقوم بالخدمات المطلوبة بلا تردد . ومن أهم الحوادث ان المشادة بين الأتابكة وبين السلطان صلاح الدين قد بلغت منتهاها ، ففي شوال سنة ٥٧١ هـ — ١١٧٦ م جرى مصاف بينهما ، فانكسرت ميسرة السلطان صلاح الدين بمظفر الدين كوكبري ، وكان مظفر الدين في هذه المعركة في ميمنة الأتابك سيف الدين ، فانتصر من جهته . ولما رأى السلطان صلاح الدين تكون الخطر حمل بنفسه وجازف بقوته ، فانكسر سيف الدين ومن معه كسرة هائلة ، وتركوا أثقالهم ، وخيامهم وما نجحت المفاوضات قبل هذه المعركة في أمر الصلح لتمنّد سيف الدين وأمله في القضاء على صلاح الدين ، اذ انه في حالته لم يتحمل انتصارات السلطان صلاح الدين ، فخذل خذلاناً عظيماً وكانت هذه الواقعة قاصمة الظهر .

والى هذه الأيام كان مظفر الدين موالياً للأتابكة ، ومثله زين الدين يوسف أخوه . ولكنه بتولي مجاهد الدين قايماز الأمر في هذه السنة (نيابة الموصل) ، وتسلطه على دولة الأتابكة لم يبد شيئاً ، كتم غيظه ، ولم يجاهر بالخلاف عليه وبعد وفاة الملك الصالح بن نور الدين الشهيد في ١٣ رجب سنة ٥٧٧ حدث ماحدث بين الأتابكة وصلاح الدين وكان الأتابك عز الدين وصاحب أمره مجاهد الدين أيضاً ، فلم يعتد بأمراء الشام ، ونعته المؤرخون بأنه كان ضيق العطن ، فرحل الأتابك من حلب وكان قد أقام بها الى ١٦ شوال من هذه السنة ، حتى أتى الرقة ، ولقي الأتابك أخاه عماد الدين فاستقر بينهما مقايضة حلب بسنجار لاعتقاد الأتابك انه لا يمكنه حفظ الشام مع الموصل لحاجته الى ملازمة الشام لاجل السلطان صلاح الدين ، فتسلم عماد الدين حلب في ١٣ المحرم سنة ٥٧٨ هـ وأرسل عز الدين من تسلم سنجار .

وبلغ السلطان صلاح الدين أن رسل الموصل وصلوا الى الافرنج يحثونهم على قتال صلاح الدين ، فعلم أنهم نكثوا اليمين ، فقصد الأتابكة لجمع كلمة العساكر الاسلامية على العدو ، فأخذ في التأهب لذلك وقد زادت حوادث الأتابكة في أشغاله ... ولما بلغ عماد الدين ذلك سير الى الموصل يشعر بالخبر ويستحث العساكر ، وسار السلطان صلاح الدين حتى نزل على حلب ، فكان الأتابكة شغله الشاغل ، لأنهم صدوه عن حرب الصليبيين وصاروا عليه مع الافرنج . وكان وصوله الى حلب في ١٨ جمادى الأولى سنة ٥٧٨ هـ فأقام ثلاثة أيام ثم رحل في ٢١ منه يطلب الغزاة .

وفي هذه الأثناء استقر الحال بينه وبين مظفر الدين كوكبري ، وكان آنئذ صاحب حران . استوحش من أتابكة الموصل ، وخاف من مجاهد الدين قايماز ، فالتجأ الى السلطان صلاح الدين ، وعبر الى قاطع الفرات ، وقوى عزم السلطان على قصد بلاد الأتابكة ، وسهل أمرها عنده ، ودخل الرها والرقة ونصيبين ... فكان هذا التاريخ زمن اتصال مظفر الدين بالسلطان صلاح الدين وهو جمادى الأولى سنة ٥٧٨ هـ — ١١٨٢ م . وكان قد حثه على فتح الموصل الا انه لم يوفق ، ورجع عنها لأسباب اقتضتها الأوضاع الحربية ، لئلا يترك خلفه خالياً ... وكفاه منهم ان أرعبهم ، وجعلهم في ريب من أمرهم ، وليس لهم قوة المهاجمة .

وفي سنة ٥٧٩ هـ توسط رسول الخليفة وآخرون معه في الصلح فذهبوا الى صلاح الدين ودخلوا دمشق في ١١ ذي القعدة سنة ٥٧٩ هـ — ١١٨٤ م فلم يتفق الأمر . فان صلاح الدين اشترط في الصلح ان يكون صاحبا اربل والجزيرة على خيرتها في الانتماء اليه أو الى الموصل وهذا دليل على النفرة من مجاهد الدين قايماز قبل هذا التاريخ . وكان صاحب اربل زين الدين يوسف أخو مظفر الدين كوكبري قد حدث بينه وبين مجاهد الدين ما حدث من وحشة بعينها كانت موجودة بين مظفر الدين وبينه ، ثم كان القبض على مجاهد الدين أيام الأتابك عز الدين وكان نائبه ، فأدى ذلك الى أن تخرج اربل وغيرها من يده لحرص الأمراء على مطالبهم الخاصة وذلك باقصاء مجاهد الدين وضياع امارات عديدة .

وفي ذي الحجة من هذه السنة ورد على صلاح الدين رسول اربل فحلف له ، فتوثقت الالفة وحصل الاتفاق ، فأمن بهذا غائلة صاحب الموصل ولم يكن الأمر مجهولاً في الموصل فقد شعروا به قبل ان يكون موضوع البحث . ففي ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٨٠ وصلت رسل زين الدين يوسف صاحب اربل مستصرخاً بالسلطان صلاح الدين يخبره ان عسكر الموصل وعسكر قزل بن يلدكز صاحب ديار العجم ومجاهد الدين قايماز قد نزلوا على اربل ، ونهبوا وأحرقوا في قراها فنصر عليهم وكسرهم . وكان أملهم أن يقضوا عليه فخابوا . ومن هذا يعلم انهم وقفوا على جلية الأمر فلم تخف خافية عليهم ، فقاموا بما قاموا به .

ولما سمع صلاح الدين ذلك رحل من دمشق يطلب بلاد الموصل فتقدم الى العساكر فتبعته ، وسار حتى أتى حران والتقى مع مظفر الدين بالبيرة في ١٢ المحرم سنة ٥٨١ هـ ، ووصل السلطان الى حران في ٢٢ صفر من السنة المذكورة وفي ٢٦ منه قبض على مظفر الدين بن زين الدين لشيء كان قد جرى منه ، وحديث كان قد بلغه عنه رسول فلم يقف عليه وانكره ، فأخذ منه قلعة حرّان والرها ، ثم أقام في الاعتقال تأديباً الى مستهلّ ربيع الأول ، ثم خلع عليه وطيب قلبه ، وأعاد اليه قلعة حرّان ودياره التي كانت بيده ، وأعاده الى قانونه في الاكرام والاحترام ، ولم يتخلف له سوى قلعة الرها ، ووعده بها . وهذه الحادثة اشارة الى ان السلطان داخلته الشبهة في أنه فاوض الموصل على اربل أو فاوضته الموصل عليها .

ثم رحل صلاح الدين في ٢ ربيع الأول من السنة الى راس العين ، ووصل اليه رسول قليج ارسلان يخبره ان ملوك الشرق بأمرهم قد اتفقت كلمتهم على قصد السلطان ان لم يعد عن الموصل وماردين ، وانهم على عزم ضرب المصاف معه ان اصر على ذلك . ولكنه بعد ان قام بأعمال عدة رحل نحو الموصل في ١١ منه حتى نزل موضعاً يعرف بالاسماعيليات قريب الموصل بحيث يصل من العسكر كل يوم نوبة جديدة تحاصر الموصل ... وفي هذه الأثناء في ربيع

الآخر سنة ٥٨١ توفي صاحب خلاط ، فطمع السلطان في خلاط وارتحل عن الموصل متوجهاً نحوها .

ويهمنا أمر الموصل وصاحب اربل ، فان صلاح الدين قد صالح المواصلة وكان سبب ذلك ان الأتابك عز الدين صاحب الموصل سير ابن شداد الى الخليفة يستنجده فلم تحصل منه زبدة . ثم بلغهم ان صلاح الدين قد مرض فاتخذوا ذلك فرصة ، فبعثوا بالرسل اليه . فتمّ ما بينهما وبينه في ذي الحجة سنة ٥٨١ هـ[1] .

كلّ هذه تعين توجه علاقات صاحب اربل نحو صلاح الدين . وهكذا حالة مظفر الدين ... ودام الصلح بين الأتابكة وصلاح الدين الى تاريخ وفاته بل ان المواصلة اشتركوا فعلاً في حروب الصليبيين في المصاف الأعظم في عكا ، وهكذا مظفر الدين بن زين الدين قد اشترك بجحفله ...[2] ومن اهم ما اشترك فيه مظفر الدين (وقعة حطين) وقد أبدى فيها بسالة تذكر . وقف هو وتقي الدين صاحب حماه وانكسر العسكر بأمره . ثم لما سمعوا بوقوفهما تراجعوا حتى كانت النصرة للمسلمين وفتح الله سبحانه عليهم[3] .

وكان في سنة ٥٨٣ هـ قد سار مظفر الدين كوكبري ففتح الناصرة وصفورية وقد وصفها العماد الاصفهاني ببلاغته المعروفة وأطنب في الثناء عليه لربحه المعركة[4] .

وهكذا كانت له مواقف في سنة ٥٨٤ هـ ذكرها العماد[5] . كما ذكر من أبلى البلاء الحسن ، وخصّ من قام بمهمة .

نقود مضروبة :

ويهمنا أن نعين بعض النقود التي عثر عليها ، وكانت باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، واسم حسام الدين بولق بن ابلى غازي من آل أرتق (٥٨٠ هـ — ٥٩٧ هـ) ضرب عليها اسم (كوكبري بن علي) . وهذه تدل على

---

(١) سيرة صلاح الدين : ابن شداد ص ٥٧ . (٢) ابن شداد ص ٩٣ .
(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٦٢١ (٤) الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٢٥ — ٢٦
(٥) الفتح القسي في الفتح القدسي ص ١٠٠

انهـا من ضرب امارته في حرّان وتلك الجهات بعد ان انفصل من الأتابكة أيام حسام الدين بولق من بني ارتق أي في سنة ٥٨٠ هـ أو بعدها حتى سنة ٥٨٦ هـ، ولم يوجد فيها محل ضرب ولا تاريخه . ولا يصح ان يقال انها من ضرب اربل كما وهم الأستاذ (اسماعيل غالب) في كتابه (المسكوكات التركمانية) من قسم (المسكوكات الاسلامية) ، فلم تكن لهذا النقد علاقة باربل وانما ضرب أيام حكمه على حرّان والرها وفيه انه على وفاق مع الدولتين من آل ارتق وآل أيوب . . . (1)

وهذا النقد من نحاس ، ولما كان خالياً من التاريخ ومحل الضرب فانه ضرب في أيام مظفر الدين كوكبري من سنة ٥٨٦ – الى سنة ٦٣٠ هـ أي بين هذين التاريخين وليس هذا بصواب . في هذا التاريخ لم تكن علاقة لآل أرتق باربل، وانما العلاقة بالسلطان صلاح الدين وحده ، وبأخلاقه . . .

ونوضح هذا النقد بايراد المكتوب فيه فقد جاء في صفحة منه تصوير حاكم لابس لامة الحرب في جانب منه ذكر حسام الدين بولق بن ايلغازي وفي الآخر كوكبري بن علي .

وفي الصفحة الأخرى في الوسط الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن أيوب (وفي الأطراف) محيي دولة أمير المؤمنين .

وفي هذا ما يغني عن الايضاح . ولعل التصوير لمظفر الدين نفسه ، وهو الذي نرجحه . . . وان العلاقات بين كوكبري وبين آل أرتق لا تزال مجهولة لم يعينها المؤرخون ، لتعرف جهة الاتصال . وكل ما نعلمه من الاستدلال بالحالة المشهودة ان مظفر الدين كوكبري انفصل عن الموصل ، فولد اتفاقاً بينه وبين آل أرتق كما انه مال إلى صلاح الدين ، وأخلص له في التعاون لحرب الصليبيين ، فتمكنت الألفة ، فاشترك آل ارتق ، وآل أيوب ، في ضرب النقود وكان آل أرتق يقرنون أسماءهم بأسماء آل ايوب .

(1) المسكوكات التركمانية من قسم المسكوكات الاسلامية ص ١٤٠

ولما كان حسام الدين بولق ولي الأمر سنة ٥٨٠ هـ فلا شك ان ضرب النقود جرى في هذا التاريخ أو بعده · وهو محدد بسنة ٥٨٦ هـ لأن كوكبري انفصل من هناك في هذا التاريخ، فعلم ان النقد المضروب كان خلال المدة بين ٥٨٠و٥٨٦ هـ ·

وفي سيرة صلاح الدين لابن شداد : « في أواخر ذلك اليوم ـ ٢٨ ربيع الاول سنة ٥٨٦ هـ — ١١٩٠ م ـ قدم ـ الى السلطان صلاح الدين ـ مظفر الدين بن زين الدين جريدة مسارعة للخدمة ، ثم عاد الى عسكره في لامة الحرب ، فعرضهم السلطان حتى وقف بهم على العدو ، وكان ما تقدم عسكر الا يعرضهم ويسيرهم الى العدو ، وينزل بهم في خيمته يمدّ لهم الطعام · وينعم عليهم بما يطيب به قلوبهم اذا كانوا أجانب ثم تضرب خيامهم حيث يأمر ، وينزلون بها مكرمين »[1] ·

ثم جاء أخوه زين الدين يوسف ، واستقبله السلطان ، وبعد مدة قصيرة مرض فتوفي ، فصار مظفر الدين كوكبري مكانه على امارة اربل ، و تنازل عما كان بيده من اقطاع الى السلطان صلاح الدين فأنعم بها على الملك المظفر تقي الدين · فتكون مدة مظفر الدين خارج اربل قد دامت الى ٣ شوال سنة ٥٨٦ ·

ابو المظفر زين الدين يوسف ينالتكين

(أمارته على اربل) من سنة ٥٦٦ هـ الى سنة ٥٨٦ هـ

ولي زين الدين يوسف ينالتكين بعد اخيه كوكبري · ومدة امارته نحو ٢٠ سنة · ومن الغريب ان المؤرخين لم يذكروا أعماله فيها ، كأنها لمحة بصر أو برق خاطف · ولا شك ان سني الوصاية كانت إلى سنة ٥٧١ هـ · وهذه ليس له عمل فيهـا · فاستقل الا انه لم يذكر له حادث مهمّ خلال هذه المدة من سنة ٥٧١ هـ الى سنة ٥٨٦ هـ ·

وبمراجعة حوادث المعاصرين واستنطاق جملة من المؤرخين كتب لنا العثور على بعض الحوادث الغامضة عن أيام امارة زين الدين يوسف فهل كان خامل الذكر

(١) سيرة صلاح الدين لابن شداد ص ١٠٣ ·

في حين انه استكبر عمل قايماز من جراء ارساله فضلة دخل اربل الى الأتابكة ، واستبداده في الأمور ، فتمكن من اخراجه ، أو انه قربه الأتابكة اليهم لما رأوا من اخلاصه لهم . وكان المأمول أن يكتب ابن الأثير ، ولكنه أغفل ذلك ، وذكر أعماله المهمة التي تستدعي مدحه واكتفى بها وكان المتوقع ان يكتب المؤرخون الآخرون ، ولم تصل الينا جميع الوثائق التاريخية للعماد الكاتب الاصبهاني ، ولا مخابرات مجد الدين ابن الأثير . فلا تزال الوثائق مطمورة أو ادركها الفناء .

ولم نتوصل الا الى :

١ — واقعة اربل . وهذه زادت في المشادة . أدرك زين الدين يوسف توتر الوضع . ولعل العلاقة ولدها قايماز نفسه . وتفصيل الخبر ان دولة الأتابكة في الموصل كانت تتطلب ما كان يقدمه قايماز أيام نيابته على اربل ، فرأى ذلك أمراً كبيراً وان عددناه السبب في ذهاب قايماز من اربل ، وذهابه الى الموصل ، فلا ينبغي أن تعاد التجربة ...

ولّد ذهاب قايماز وتولية نيابة الموصل توتراً بين اربل والموصل ، فلم يشأ زين الدين يوسف ان يحمل الأموال لدولة الأتابكة فأدى ذلك الى النفرة بل يعتبر العامل الأكبر في انفصاله من الموصل ، وشموسه على دولة الأتابكة ، وميله الى صلاح الدين وقد ظهرت قوته ، وعظمت مكانته في كسره قوة الأتابكة الذين تولى أمرهم قايماز وهذه الواقعة قربت أكثر من صلاح الدين بل ان صلاح الدين في رغبة لمن يمد يد المعونة اليه .

كان ذلك في سنة ٥٨٠ هـ — ١١٨٤ م ، وصلت رسل صاحب اربل صلاح الدين في ١٤ جمادى الآخرة من هذه السنة فسار صلاح الدين يطلب بلاد الموصل انتقاماً من هذه الفعلة .

٢ — قيامه بمعاونة فعلية لصلاح الدين في حرب الصليبيين ، وظهرت له حوادث أخرى . فلم يهمل أمر المساعدة بالمال والنفوس . وكانت اربل يد الأتابكة القوية

الفتاكة في حروبها ، فخرمها الخرق ، والحرص الزائد دون العقل بل كان عملها طيشاً ، ولذا كانت اقطاعات أميرها زين الدين علي كوجك بقدر ما كان يقوم به من الأعمال ، وهذا ما كان صلاح الدين يترقبه لجلب أمير اربل زين الدين يوسف كما أنه للغرض نفسه قرب اليه مظفر الدين وكان قد نفر دولة الأتابكة في الموصل لأن مدبر أمرها مجاهد الدين قايماز وكان قد طرده من أمارته وامارة أبيه وجعله مشرداً يتطلب استعادة ملكه المنتزع منه .

٣ — وفاته . كانت في أيام جهاده في سبيل الله نصرة للإسلام في الحروب الصليبية . وكان ذلك في ٢٨ رمضان سنة ٥٨٦ هـ — ١١٩٠ م بالناصرة بالقرب من عكا ، ويقال ان المسيح (عليه السلام) ولد بها .

أما حياته في أيام الوصاية فانها لا تذكر ، وانما ذكرها المؤرخون لنائبه قايماز ، والأيام الأخرى في نفرته من قايماز ، وممن التزم جانبه من الأتابكة فأدى الى انفصاله عن دولة الأتابكة واتصاله بالسلطان صلاح الدين ، ثم وفاته في سبيل الله مجاهداً ...

نعته في الفتح القدسي بقوله : «كان جاراً للكتائب ، بارّاً بالأباعد والاقارب ... فمرضت الأيام بمرضه أياماً ، وتلهبت القلوب منا للتلهف عليه وقد أمست مراضاً ضراماً ، وعدته بطبيب السلطان فلم يأنس به ، ولم يسكن الى طبه ، لما كان يعلم من منافسة أخيه مظفر الدين في موضعه ، وانه ينتعش بمصرعه ، فاكتفى بصاحب له يطبه ، يوافقه على ما يحبه ، وهو جاهل بمزاجه ، ذاهل عن علاجه ، فشبّ الحمام في حمى شبابه ناره ، وأذوى غصنه غداة قلنا ما أزهى أزهاره ، وما أنضر نضاره ... ولزمه أخوه مظفر الدين حتى فارقه ، وما ظهر عليه الغم حتى قيل انه سرّه موته ووافقه ، وقصدناه معزّين على ظن انه جلس للعزاء ، فاذا هو في مثل يوم الهناء ، وهو في خيمة ضربها في مخيم أخيه ، واحتاط على جميع ما يحويه ، ووكل بالامراء أصحاب القلاع ليسلموها ، وخشي ان يعصوا فيها اذا رجعوا اليها ويحموها ، وخدم

بخمسين الف دينار حتى اخذ اربل وبلادها ، ونزل عن حران والرها وسميساط والبلاد التي معه وأعادها ، وزاده السلطان شهرزور ، وأحكم بسيره الأسباب والأمور ، فاستمهل الى حين وصول الملك المظفر تقي الدين لينزل في منزلته بجنده وصحبه الميامين ، فوصل يوم الأحد ٣ شوال سنة ٥٨٦ فحلى بعد العطل الأحوال ...» اهـ[1]

وجاء في سيرة صلاح الدين لابن شداد : «ثم كان وصول زين الدين صاحب اربل في العشر الأواخر من جمادى الأولى (سنة ٥٨٦ هـ — ١١٩٠ م) وهو زين الدين يوسف بن علي بن بكتكين ، قدم بعسكر حسن وتجمل جميل ، فاحترمه السلطان وأكرمه وأنزله في خيمته ، واكرم ضيافته ، وأمر بضرب خيمته الى جانب خيمة أخيه مظفر الدين . » اهـ[2]

أما أخوه فقد جاء الى صلاح الدين بتجريدة في ٢٨ ربيع الأول سنة ٥٨٦ هـ — ١١٩٠ م .

وعن مرضه ووفاته قال : «وفي ذلك اليوم ـ ٩ ارمضان سنة ٥٨٦ هـ ـ ١١٩٠ م ـ مرض زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب اربل مرضاً شديداً بحميين مختلفتي الأوقات واستأذن في الرواح فلم يؤذن له ، فاستأذن في الانتقال الى الناصرة فأذن له في ذلك اليوم ، وأقام بالناصرة أياماً عديدة يمرض نفسه ، فاشتد به المرض الى ليلة الثلاثاء ٢٨ رمضان وتوفي رحمه الله ، وعنده أخوه مظفر الدين يشاهده وحزن الناس عليه لمكان شبابه وغربته ، وأنعم السلطان على أخيه مظفر الدين ببلده ، واستنزله عن بلاده التي كانت في يده وهي حرّان والرها وما يتبعهما من البلاد والأعمال ، وضم اليه بلد شهرزور أيضاً ، واستدعى الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه ليكون نازلاً مكانه جابراً لخلل غيبته ، وأقام مظفر الدين في نظرة قدوم تقي الدين ، ولما كان ضحاه نهار ٣ شوال سنة ٥٨٦ قدم وعاد صحبة معز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي وهو صاحب الجزيرة إذ ذاك ...» اهـ[3]

---

(١) الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٣١٨ . (٢) سيرة صلاح الدين لابن شداد ص ١٠٦

(٣) سيرة صلاح الدين لابن شداد ص ١٢٩ وابن أبي طيبة ج ٥ ص ٧٩ وابن خلكان في ترجمة للموفق . وهناك قصيدة مدحه بها ج ٢ ص ٣٦ .

مظفر الدين كوكبري

امارته الثانية (٥٨٦ هـ : ٦٣٠ هـ)

من أعظم (آل بكتكين)، وأكابر من اشتهر من رجالها. وجاء لقبه في النقود (ملك الأمراء) مظفر الدين أبو سعيد كوكبري. لم يسبقه أحد من أمرته في فضل، وان كانوا ذوي مكانة لا تنكر، ولا شاركه في ما قام به مشارك في مكرمة وانعام وان كان لا يصح ان تهمل قدرتهم على الادارة وقوتهم في الحروب، بل قد تتضاءل عنه عظمة الملوك، لا في السفك والنهب، بل في اعمال البر والخير، وما يعلي شأن المملكة ويقوي ثقافتها وآدابها.

ويعد بحق رجل التاريخ لا يزال ذكره منتشراً في الأوساط العلمية، وفي التاريخ السياسي والأدبي والديني: أرضى صنوف الجماعات، ووجه المملكة توجيهاً حقاً. لم يطوح بها في المآزق الحرجة، ولم يكن من الفاتحين السفاكين المجازفين، أو العتاة الجبارين. كان الفذ من نوعه بين أمراء الشرق، أحيا اربل حياة طيبة، وأنعشها وأعلى مداركها بما لا مزيد عليه في امارة لم يكن لها من الشأن قبل هذه الأمرة ما تستحق ان تذكر به ...

قام بادارة حقة، وبأعمال سياسية مقبولة معتدلة، ومكن من ثقافة لائقة وراعى الأمور الدينية، والأخلاق القويمة، فكان لتنظيمه أثره، ولادارة ماليته وجيشه المكانة الفعالة في الترتيب المرضي بين عوامل متنوعة، متنازعة الأهواء، فهو محاط بدولة الأتابكة، وبالخلافة، ودولة الأيوبيين، أوقف المجاورين عند حدودهم، وهم يتحفزون للوثوب، ويتأهبون للغنيمة، فتمكن بحكمته وحسن سياسته، أن يضرب بعضهم ببعض، يتفق مع هذه مرة، ومع تلك أخرى، ويداري الخلافة.

كان في أهبة من الطوارىء، لم يستطع أن يتحكم به أحد، ولم يغتر أو يبطش، بل استخدم القوة ولم يطوح بها، وآماله مصروفة للتفاهم لا للحرب في حين ان قوته لا يستهان بها، فيهدد بها الدول الأخرى، ولا يركن إلى المشادة. تمكن من اعلاء شأن هذه الامارة، فأبقى لها حسن السمعة، ولم يكن كملوك مضوا غير

مأسوف عليهم . ذهبت أعمالهم هباء ، أو كانت محل الاعتبار والسخط ، وذكراها ذكرى الجبابرة السفاكين . كانت حياته بنشاط كبير ، ولم تكن خاملة مهملة .

تبتدئ حياته في اربل من تاريخ ذهابه من عند السلطان صلاح الدين بعد وفاة اخيه ، وتنازله عن بلاده ، وطلب العودة الى اربل والاكتفاء بها ، فذهب اليها في ٣ شوال سنة ٥٨٦ هـ .

ظهرت مواهبه ، وبدت أعماله المستقلة ، وظل على ولاء صلاح الدين الى ان توفي ، ثم والى الملك العادل بالوجه المذكور . وكانت العلاقة بالأتابكة قد قطعت من أيام اخيه زين الدين يوسف بن التكين ومالت الى الدولة الايوبية وصلته بها كانت قبل أخيه .

النقود المضروبة في أيامه

وهذه وصل الينا أقدمها ، ولعلها أول ماضرب . وهو النقد المؤرخ في سنة ٥٨٧هـ ، فان مجيئه الى اربل كان في ٣ شوال سنة ٥٨٦ هـ — ١١٩٠ م ولا شك انه بعد وصوله اليها لم يستطع ان يقوم بالضرب في تلك السنة التي دخلها أي لم نشاهد له في هذه السنة نقداً مضروباً ، وانما شوهد هذا النقد وجاء فيه ذكر الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مقروناً باسمه (كوكبري بن علي) .

ولا شك انه كان على ولاء هذا السلطان فذكر اسمه في صفحة ، والخليفة الناصر لدين الله امير المؤمنين ، وولي عهده عدة الدنيا والدين أبا نصر محمداً في الصفحة الأخرى . مضى كوكبري على ضرب النقود مصرحاً باسم الملوك من آل أيوب الى أيام الملك الأشرف ابي الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر الأيوبي ، ففي سنة ٦٢٧ هـ من أيامه شعر باتفاق كان بينه وبين بدر الدين لؤلؤ للقضاء على امارة اربل ، فمال الى الخليفة المستنصر بالله ، ولكننا لم نقف على نقود له في هذه السنة ، ولا السنين التي بعدها .

كان الأمير كوكبري قد ذكر في نقوده السلطان صلاح الدين ، والملك العادل ، والملك الكامل الى تاريخ الانفصال من الأيوبيين .

يتبع : (بغداد) **عباس العزاوي**

كنز من كنوز الجاحظ

«أربع رسائل من رسائله عُثر عليها حديثاً»

أصبحت بلاغة الجاحظ وعبقريته وتفوقه على غيره في ابتكار المعاني وموضوعات الكتابة على اختلاف انواعها -- أمراً متعالماً مشهوراً . كما أن الحديث عنها يكاد يصبح مملولاً مأجوماً . فلم تبق حاجة للقراء في هذا وانما الحاجة ماسة الى وصف آثاره ، وما اشتملت عليه من مواطن للحسن والابداع ، أو مواضع للمؤاخذة والانتقاد .

وهناك أمر آخر له خطره في خدمة آثار الجاحظ : ذلك أن الأغلاط التي تقع فيها ليست كالأغلاط التي تقع في آثار غيره : لأن آثاره هو تقرأ مراراً . وجمله وتعابيره تعاد تكراراً : فاذا كان ثَمّ خطأ عَلِقه الذهن وأُشربته النفس . وخاصةً نفوس الناشئين والأحداث . فأصبح من الواجب تتبع ما يُنشر من كتابات الجاحظ جملة جملة . وتفليتها فقرة فقرة . والتنبيه الى ما عساه يكون وقع فيهـا من خطأ فيصحح . أو تحريف فيقوّم . ويشار الى الصواب فيهما . أو ما يقرب من الصواب .

والمطوّلات من مصنفات الجاحظ إن كادت تعدّ وتحصى ، فإن رسائله وهي القصار من آثاره لا تكاد تعدّ . أو ينفد لها مدّ . وترانا من وقتٍ الى آخر نسمع أنه عُثر على جديد من أخباره . أو طريف من رسائله وآثاره .

من ذلك أربع رسائل عثر عليها المستشرق العلامة (پاول كراوس) ضمن مجموعة من رسائله (أي رسائل الجاحظ) محفوظة في مكتبة (الداماد ابراهيم باشا) وقد صحح (كراوس) هذه الرسائل الأربع وعلق عليها وحقق ألفاظها جهد طاقته وطاقة رفيقه في العمل الأستاذ (محمد طه الحاجري) وبعد ان عارضاها بنسخ منها في مصادر أخرى طبعاها في مطبعة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) في القاهرة سنة ١٩٤٣ م . وهذه عنواناتها :

(١) المعاد والمعاش

(٢) كتمان السر وحفظ اللسان

(٣) الجد والهزل

(٤) فصل ما بين العداوة والحسد

وقد كان الأستاذ (كراوس) أهدى الي وانا في القاهرة مجموعة هذه النسخ : فإذا هو يقول في مقدمته لها معترفاً ببقاء غوامض فيها : (وما يزال أملنا كبيراً في أن نجد من نقد الناقدين ما عسى أن يجلو هذه المواضع المغشاة فيها) فعلمت أن الناشر الفاضل على أكمل ما يكون من أخلاق العلماء ، وأنه لا معنى لقبول هديته إلا العمل بأمنيته ، فأساعده على رفع الغشاوة عن بعض ما في الفاظ هذه الرسائل من تحريف أو تصحيف .

(وما الكتب إلا كالضيوف لحقها بأن تتلقى بالقبول وأن تقرا)

وأزيد على ما قاله هذا الشاعر : إن من حقها ايضاً أن تخدم وتكرم ، بتصحيح أغلاطها ، وتقويم اعوجاجها ، وإزالة الغموض إن وجد عنها ، فتكون الفائدة منها أتم ، والانتفاع بها أكمل .

الرسالة الأولى

وقد عثر الى اليوم من رسائل الجاحظ وقصار آثاره على عشرين رسالة طبع منها احدى[1] عشرة رسالة في مصر وثلاث رسائل في ليدن ثم ثلاث في مصر وهي التي نشرها (فنكل) سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) وأخيراً ثلاث الرسائل التي ظفر بها الأستاذ (كراوس) .

قلنا إن عنوان الرسالة الأولى منها (المعاد والمعاش : في الأدب وتدبير الناس ومعاملاتهم) وقد بعث الجاحظ بهذه الرسالة إلى (أبي الوليد محمد بن أحمد بن ابي دؤاد) ، ومن مواضع العجب أن مجموعة مكتبة (الداماد) التي وجدت فيها هذه الرسالة بالعنوان المذكور احتوت على الرسالة نفسها لكن بعنوان

(١) نشرها السيد الساسي سنة ١٣٢٤ هـ ثم أعاد طبعها مع زيادة ونقصان السيد السندوبي (١٣٥٢ هـ ١٩٣٣ م)

آخر ، ورواية أخرى ، اما العنوان الآخر فهو : (الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة كتبها الى محمد بن عبد الملك) (وهو المعروف بابن الزيات وزير المعتصم) ولعل السبب في هذا الاختلاف ان النسخة الأصلية المروية عن الجاحظ قد أغفل فيها اسمها واسم المخاطب بها . فرجح أحد رواة الأدب أن المخاطب بهذه النسخة هو ابو الوليد محمد المذكور واختار لها اسم (المعاد والمعاش) أما الراوي الآخر فرجح ان يكون المخاطب بها (ابن الزيات) وسماها (الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة) . واخذ الرواة من يومئذ يتداولون النسختين بالعنوانين المختلفين . وكان أحد أولئك الرواة يرويها بسندٍ وتعابير وبعض ألفاظ غير ما يرويها به الآخر . وهذا ما جعلهم يقولون إن للرسالتين روايتين .

والرجلان اللذان اختلف الرواة في نسبة الخطاب اليهما في الرسالة كانا من أشهر رجالات العلم والحكم في عصر الجاحظ : كان احدهما قاضياً ، والآخر وزيراً ، وكان للجاحظ اتصال بهما . ودالّة عليهما . يُعرف ذلك من التأمل في الأسلوب وطريقة الخطاب الذي كان يوجهه اليهما في رسائله . وتوجد طائفة من رسائل الجاحظ غير الأربع المذكورات قد وُجه الخطاب فيها الى هذين العظيمين أيضاً . و (أبو الوليد محمد) هذا ولاّه الخليفة المتوكل القضاء بعد وفاة أبيه القاضي احمد بن ابي دؤاد .

ومن يتصفح أقوال الجاحظ . ويتأمل أساليبه في هذه الرسائل . وهو يتكلم في الأدب والأخلاق . وما يحمد منها وما يذم . وما يجب ان يُتوخى في معاشرات الناس ومعاملاتهم . لحين المواصلة والمقاربة ، ولحين المجافاة والمباعدة — من تأمل ذلك في كلام الجاحظ خُيل اليه أنه انما يقرأ كتابات ابن المقفع في هذه الموضوعات لولا اسهاب واستطراد أحياناً في كلام الجاحظ . وهذا ما وقع لي بالفعل فإني ذهلت عن نفسي قليلاً وانا اقرأ أقوال الجاحظ في رسائله هذه فحسبتني أعيد قراءة كلام مخبوء في نفسي . واذا المخبوء رسالة (الأدب[1] الكبير) لعبد الله

(١) ويسمى أيضاً الدرة اليتيمة طبعت في بيروت سنة ١٨٩٧ مع مقدمة وتعاليق للأمير شكيب أرسلان ثم طبعت في مصر مضبوطة بالشكل باسم الأدب الكبير بتحقيق أحمد زكي باشا .

ابن المقفع وقد كنتُ لخصت معظم ما فيها بخطي في زمن (الطلب) فرجعت إلى هذا الملخص وجعلت أقرؤ منه جملةً ، ومن رسالة الجاحظ جملة ، فاذا الكلامان متشابهان في كثير من الألفاظ والأساليب وطرق الإيراد . حتى كأن قلماً واحداً نطقهما . او معدناً واحداً من التبر لفظهما . ولا عجب فإن الأديبين يكادان يكونان نسخة واحدة مصححة من ثقافة زمنهما وادب عصرهما . يشهد لذلك الجاحظ نفسه : فقد وصف في الرسالة الرابعة (العداوة والحسد) ما يلاقيه من عنت حساده له . واستهزائهم بما كان يكتبه ويؤلفه : فكان يعمد الى بعض مصنفاته وينسبها الي غيره من ابناء عصره . فيعجب إذ ذاك حساده بها . وينوهون بمحاسنها وبلاغة صاحبها على مسمع من (الجاحظ) مؤلفها ، وهم لا يشعرون . والى مَنْ كان الجاحظ ينسب مصنفاته المغفلة هذه ؟ قال انه كان ينسبها الى طائفة من فضلاء عصره وفي طليعتهم ابن المقفع .

اما السبب الذي حمل الجاحظ على مخاطبة القاضي ابي الوليد برسالة (المعادوالمعاش) فهو ما ذكره في فاتحتها . وملخصه انه كان يسمع بأبي الوليد ، وعظيم مواهبه ، وغُرّ مناقبه ، وتفوقه على أترابه ، فشوّقه هذا الى الاتصال به ، واختباره في شتى حالاته . فوجد لديه من الفضل والنبل والكرم أكثر مما بلغه . وقد وصله (ابو الوليد) بمودّته ، وخلطه بنفسه . فكافأه الجاحظ على نعمته عليه بتقديم هذا الكتاب اليه .

وقد قال — مخاطباً له — (فرأيت ان اجمع لك كتاباً من الأدب جامعاً لعلم كثير من المعاد والمعاش أصف لك فيه علل الأشياء وأخبرك بأسبابها الخ) .

ثم ان الجاحظ انتهز ذكر (العلل) و (الأسباب) التي توخاها في كتابه فقارن بينه وبين مصنفات غيره من العلماء . ففضل كتابه من حيث انه (اي الجاحظ) يبين علل الأشياء ويكشف عن اسبابها . بينما غيره من المصنفين لا يفعلون شيئاً من ذلك . وانما اقوالهم (روايات رَوَوْها عن اسلافهم ، ووراثات ورثوها عن

اكابرهم) ثم جعل الجاحظ صنيعهم هذا من قبيل فضيلة أداء الأمانة ! ! اما فضيلة الاستنباط والاستشهاد والتعليل فليسوا منها في شيء . قال : (ولن تجد وصايا أنبياء الله ابداً الا مبينة الأسباب . مكشوفة العلل . مضروبةً معها الأمثال) هذا ما قاله الجاحظ وهو فيه يوافق من يلمز علماءنا الأقدمين (الذين كتبوا في التاريخ والأخبار والآداب) من جهة انهم إنما يتتبعون في مصنفاتهم جزئيات الحوادث، ورواياتها المختلفة ، ويوردونها من دون تمحيص ، ولا مقارنة، ولا استنتاج، ولا محاكمة ، كما يقول ابناء هذا العصر . فمؤرخونا واخباريونا عشاق رواية ولا قيمة (للدراية) في نفوسهم : فهم لا يُعملون عقولهم في تعليل الأشياء ، ولا في امكانيّة حدوثها . ولو رأى الجاحظ ما كان من ابن خلدون في (مقدمته) المشهورة لقرّت عينه واشتفت نفسه ، ولعده ابنه الوحيد الذي يسرُّ به ، ويغتبط بذكائه وادبه .

على ان الجاحظ مها قرَّظ نفسه . ونوّه بحسن مآتيه في مصنفاته . فإن فيها ما يؤاخذ عليه . وكم سمعناه يعيب كلام غيره ويصمه بالمراوغة والاحتيال (ونقول نحن اليوم اللفّ والدّوَران) ثم لا نلبث ان نرى ذلك في كتاباته ، ونلمحه في الكثير من محاولاته ومناظراته . فهو كثيراً ما يهوّل على قرّائه . ويدعهم وقد وقد يُبهرِجُ[1] بهم الطريق: بحيث يريهم التافه من الأمور خطيراً ، والخطير حقيراً ، ويذهب بهم في مذاهب الغلوّ والتلطف في القول كلّ مذهب . حتى ليخيل اليهم أن الجبل هباء . والأرض سماء . وحتى ليكاد يقنعهم بأن اللؤم من مكارم الأخلاق . والمشخلب من نفائس الأعلاق . وان السلحفاة قد تبذّ الجرد العتاق . في ميادين السباق . ولو شئتُ لاستخرجت من كلامه عدة شواهد[2] على ما ذكرت .

قلت آنفاً إنني سأعمل على تصحيح بعض الفاظ هذه الرسائل . أما تصحيح

(١) في الأساس : يُبهرج بهم الطريق (بالبناء للمجهول) إذا أخذ بهم في غير المحجة وعدل بهم عن الجادة النافذة الى غيرها ، وأصل الكلمة هندية نقلت الى الفارسية ثم عربت

(٢) واذا تعجل القارئ نموذجات من هذه الشواهد فليراجعها في كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة صفحة (٧١ — ٧٢) .

ما وقع فيها من إبهام في البحث او غموض في الجمل والأساليب فإن هذا قد يتعسر • ومعرفة وجه الصواب فيه قلما تتيسر • ولذلك ستبقى صفحة او صفحات احياناً من رسائل الجاحظ مغلقة المعنى في وجه القراء ، إلى ان يفجأوا بالعثور على نسخ جديدة مصححة لهذه الرسائل •

وهذا الغموض في اساليب الجاحظ يكون ناشئاً في اغلب الأحيان من جهل النساخ فيمسحون ما خلق • ويهدمون ما بنى • وقد يكون الغموض ناشئاً من جهل القارئ بأساليب الجاحظ وطريقته في تركيب الجمل ، وتأليف الفِقَر ، التي اعتادها هو (اي الجاحظ) وبعض فحول الكتاب في الصدر الأول : ففهم كلام الجاحظ إذن يحتاج الى إطالة النظر في بعض المواطن من مصنفاته وتصفح الوجوه التي تحتمله من المعاني • ثم التثبّت مما يريد من هذا اللفظ أو ذاك التعبير • والا فقد يقرأ القارئ صفحات من آثاره ويتخلل فصولها فصلاً فصلاً • وابوابها باباً باباً ثم يخرج من دون ان يعلق بكفه منها اثر •

فالاستفادة من كتب الجاحظ متوقف على شيئين (اولا) تصحيحها وتحقيق الفاظها • (ثانياً) ألفة اساليبه ، والمران عليها • وتتوفر هذه الألفة في من تضلع من اللغة ، واتقن قواعدها •

ومن امثلة الألفاظ التي يستعملها الجاحظ ويكون لها من المعنى عنده غير ما اعتدنا ان نفهمه منها — ماجاء في ص ٨ من رسالة « المعاد والمعاش » وهو قوله : (واعلم ان الآداب انما هي آلات تصلح ان تستعمل في الدين وتستعمل في الدنيا الخ) فهو يريد بالآداب غير ما نفهمه اليوم منها : يعرف ذلك بالتأمل في بحثه وتتبعه الى منتهاه • فقد اراد بها المصالح البشرية • والمعاملات الدنيوية : فهو يقول إنها من الدين • وليس الدين بخارج عنها ولا منافياً لها : فالضرّتان (اي الدنيا والآخرة) متكافلتان متضامنتان : لاتستقلّ إحداهما عن الأخرى • واستشهد لذلك بما قاله (ابن عباس) في تفسير آية (ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة

اعمى) . فقد قال ابن عباس (من كان ليس له من العقل ما يعرف به كيف دُبرت أمور الدنيا . فكذلك هو إذا انتقل الى الدين : فانما ينتقل بذلك العقل . فبقدر جهله في الدنيا يكون جهله بالآخرة اكثر : لأن هذه (اي الدنيا) شاهدة وتلك غيب . فاذا جهل ما شاهد . فهو بما غاب عنه أجهل)[١]

ومن قوانين الحياة العامة التي نصح الجاحظ للبشر او لمخاطبه (القاضي ابي الوليد) ان يسيروا او يسير عليها — ما يصح ان نسميه قانون[٢] (الرغبة والرهبة)

فقد قال الجاحظ ص ١٣ ما نصه (فإذ كان العباد لم يصلحوا لخالقهم ولم ينقادوا لأمره الا بما وصفتُ لك من « الرغبة والرهبة » فأعجز الناس رأياً . واخطأهم تدبيراً . واجهلهم بموارد الأمور ومصادرها . من أمل او ظن او رجا ان احداً من الخلق — فوقه او دونه — يصلح له ضميره او ينصح له بخلاف مادبرهم الله عليه في ما بينه وبينهم . فالرغبةُ والرهبة اصلا كل تدبير . وعليهما مدار كل سياسة . فاجعلها (يا ابا الوليد) مثالك الذي تحتذي عليه . وركنك الذي تستند اليه) اه

وقد نظم الشاعر هذا المعنى فقال :

(انما تنظر العيون من النا س لمن ترتجيه او تخشاه)

ومن قوانين الحياة العامة او السياسة العامة التي اشار بها الجاحظ ما يصح ان نسميه ايضاً (قانون المكافأة) وخلاصته ان رئيساً من الرؤساء اذا اراد مكافأة عامل على عمله كان عليه ان يزن المكافأة ونوعها بأدقّ الموازين : فإنّ شخصاً لم ينصح لك . ولم يكن ذا حُرمة بين الناس . ولا كفاية للمهمّ من الأعمال

(١) ولي في هذا المعنى كلة جريئة كنت قلتها في صدد تحذيرنا معشر المسلمين من التفريط في توفير الأسباب الدنيوية الموصلة الى العزة والغلبة : قلت ان الدنيا مطية الآخرة فاذا أضعفنا المطية حتى أضعناها كنا للآخرة أكثر إضاعة . ثم عللت ذلك بما علل به ابن عباس غير ان قوله رضي الله عنه أشد صراحة وأكثر بياناً .

(٢) مضمون هذا القانون يشبه من بعض الوجوه ما قرره الوزير الايطالي (ميكيافيلي) في قوانينه السياسية التي دونها في كتابه (الأمير) وقد تجاهل فيها عاطفة الرحمة والرفق بالانسانية . والقول بأن هذا مطابق لسنن الله في سياسة عباده دعوى باطلة وافتراء على حكمة الخالق .

شخصاً مثل هذا إذا آثرته بالمكافأة إيثار هوى (فإن الأثرة على الهوى توجب السخطة، وتوجب استصغار عظيم النعمة، وُيمحق بها الأفضال، وتفسد بها الطائفتان : من آثرته ومن آثرت عليه) ثم أوغل الجاحظ في تحليل هذا المعنى . وتصوير كيف ان من آثرته بالنعمة يسخط أيضاً . وفصَّل احوال المستحقين للمكافأة وغير المستحقين لها . حتى قال إن العقوبة احياناً تكون من المكافأة التي بها صلاح البشر .

(من لا يؤدّبه الجميل ففي عقوبته صلاحه)

ومن قوانين الحياة التي اشار بالتزامها قانونٌ جاء به الدين من قبل . وطالما شكا منه ومن الإخلال به رجال الاصلاح الديني : وهو (قانون التوكل) : فقد حدده الجاحظ ص ١٨ وكشف عن معناه بما يحمده عليه كلُّ من عرف مبلغ الضرر الذي لحق المسلمين من جرّاء التوكل الكاذب . قال الجاحظ احسن الله اليه (واحذر كلَّ الحذر ان يختدعك الشيطان عن الحزم فيمثّل لك التواني في صورة التوكل . ويسلبك الحذر . ويورثك الهوينا بإحالتك على الأقدار : فان الله إنما أمر بالتوكل عند انقطاع الحيل ، والتسليم للقضاء بعد الإعذار[1] . بذلك انزل الله كتابه . وامضى سنته . فقال تعالى : خذوا حذركم . ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة . وقوله ﷺ : إعقلها وتوكل . وسئل ما الحزم؟ قال الحذر . فتحفَّظ من هذا الباب . وأحكم معرفته إن شاء الله تعالى) .

وما ذكرناه من كلام الجاحظ وطريقته في تمييز الأخلاق . ومقارنة صالحها بفاسدها كاف في الدلالة على منزعه في الرسالة الأولى (المعاد والمعاش) ولنقبل الآن على ما في هذه الرسالة نفسها من الأبحاث اللفظية ، والفوائد اللغوية . ونرجئ ذلك الى العدد الآتي .

المغربي



(١) أي بعد أن يكون الانسان توسل بالأسباب جهد طاقته وعجز عن الوصول الى غرضه وإذ ذاك يعذره الناس . ويقولون إنه قد أعذر .

فهارس المخطوطات

في العراق

في بلدان العراق المختلفة ، خزائن عديدة للكتب ، بعضها خاص بملكه طائفة من الباحثين والمغرمين بجمع الكتب ، وبعضها عام ُعنيت الحكومة بفتحها لجمهور المطالعين . ولا يخلو بعض هذه الخزائن من مخطوطات قديمة نادرة الوجود ، إلا ان عناية الباحثين في العراق ما زالت ضئيلة من حيث وضع « فهارس » مفصلة ، تصف ما في هاتيك الخزائن من مكنونات ومخلّفات ثمينة . وهذا تقصير مرجعه في الغالب قلة مبالاة الناس بالفائدة المرجوّة من أمثال هذه الفهارس .

ولقد سبقنا المستشرقون من أبناء الغرب في هذا المضمار وقطعوا فيه أشواطاً بعيدة . فلم يدعوا مجموعةً خطية في خزانة من خزائنهم تقريباً ، الا تولوا وصفها ودرسها . فالفهارس العديدة المتنوّعة التي صنفوها ، قد أغنت العلماء وفتحت لهم أبواباً للبحث والتنقيب كانت موصدة من قبل .

فكبريات دور الكتب الأوربية في لندن وأكسفورد وكمبردج وباريس وبرلين وليبسيك وڤينّة ورومة وليدن والاسكوريال وغيرها، حافلة بفهارس مخطوطاتها التي تعدّ من أنفس المراجع وأوثقها في الوقوف على دفائن المؤلفات الخطية التي تشتت شملها وتناثر في كثير من بقاع الأرض .

وإذا استقصينا ما ُنشر من « فهارس المخطوطات » في دور كتب العراق ألفينا عددها قليلاً ، لا يعدو أصابع اليدين . وسنذكر في هذه الكلمة ما ُنشر منها بالطبع ، وما لا يزال مخطوطاً لدى أصحابه .

والذين ُعنوا بتصنيف هذه الفهارس المطبوعة ثلاثة من أفاضل العلماء المؤلفين :

أولهم : السيد أدّي شـير : المؤلف العراقي الشهير ، مطران الكلدان في سعرت سابقاً ، المتوفى سنة ١٩١٥ م . فقد وضع باللغة الفرنسية فهرسين ثمينين في هذا الباب :

الأول : فهرست المخطوطات السريانية المحفوظة في خزانة كتب دير السيدة حافظة الزُرُوع ، بجانب القوش التي في شمالي الموصل . وقد نشره مؤلفه في المجلة الآسوية الفرنسية بباريس (Journal Asiatique) سنة ١٩٠٦ ، ثم طبعه في السنة نفسها ، في رسالة لطيفة تقع في ٦٥ صفحة ، وصف فيها ١٠٣ مخطوطة[١] .

الثاني : فهرست المخطوطات السريانية والعربية ، المحفوظة في خزانة كتب دار البطريركية الكلدانية بالموصل . وقد طبعه مؤلفه في باريس سنة ١٩٠٧ [٢] ونُسخه اليوم نادرة .

وثانيهم : الدكتور داود الجلبي الموصلي . فقد نشر كتاباً عظيم الشأن ، وسمه بـ « مخطوطات الموصل » [٣] ، ذكر فيه الكتب العربية ، والمكتوبة بحروف عربية ، التي وقف عليها في مدارس الموصل الدينية وجوامعها ، ذلك الى مجاميع يملكها بعض الباحثين والسراة وغيرهم في مدينة الموصل .

وقد بلغت المخطوطات التي تطرّق المؤلف لذكرها أو وصفها ، قرابة أربعة آلاف مخطوطة ، مفرّقة بين نيف وخمسين خزانة ، نذكر منها ما اشتملت على خمسين مخطوطة أو أكثر من ذلك :

(١) Addai Scher (Mgr.) : Notice sur les Nanuscrits Syriaques conservés dans la Bibliothèque du Couvent des Chaldéens de Notre - Dame des Semances .

(٢) Catalogue des Mss . Syr . et Arabes de la Pibl . Patriarcat Chaldéen de Mossoul .

(٣) مخطوطات الموصل ، وفيه بحث عن مدارسها الدينية ومدارس ملحقاتها . (مطبعة الفرات ، بغداد ١٩٢٧ ؛ ٣٨٩ ص) .

عدد المخطوطات	الخزانة
٢٦٠	المدرسة الأحمدية
٦٨	〃 الاسلامية
٣٦٨	مدرسة جامع الباشا
١١٥	〃 〃 بكر افندي
٥٥	〃 〃 الخاتون
٦٨	〃 الجامع الكبير
١١٥	〃 الحاج حسين بك في جامع السلطان أويس
٣٠٦	〃 الحجيات
٣١٧	المدرسة الحسنية
١٣٥	مدرسة الخياط
٢٦١	〃 عبدالرحمن جلبي الصائغ

عدد المخطوطات	الخزانة
٥٧	المدرسة العبدالية
٥٠	〃 العثمانية في جامع الرابعية
٣٠٧	〃 المحمدية في جامع الزيواني
٢٩٥	مدرسة الملا زكر (الحاج زكريا)
٢٢١	〃 النبي شيث
٥٣	المدرسة النعمانية
٣٧٢	مدرسة يحيى باشا
٧٦	خزانة كتب المؤلف الدكتور داود الجلبي

وثالثهم: المستشرق الفرنسي الأب ڤوستي الدومنكي: فانه صنف ثلاثة فهارس مفيدة، وصف فيها مخطوطات ثلاث خزائن عراقية، وهي:

١ — فهرست المخطوطات السريانية المحفوظة في خزانة كتب دير السيدة[1]. وهو على غرار الفهرست الذي صنفه المطران أدي شير لهذه الخزانة، وقد أشرنا اليه، بيد ان هذا أكمل وأتم. لأن ڤوستي وصف فيه ثلاثمائة وثلاثين مخطوطة وصفاً حسناً.

٢ — فهرست المخطوطات السريانية المحفوظة في خزانة كتب الأبرشية الكلدانية في كركوك[2]. وقد نشره بالفرنسية في مجلة الشرق المسيحي (Orientalia

(١) Vosté (J.-M., O.P.): Catal. de la Bibl. Syro - Chaldéenne du Couvent de Notre - Dame des Semances près d'Alqosh. (Rome, 1929; 130 p.).

(٢) Catal. des Mss. Syro - Chaldéens conservés Dans la Bibl. de l'Archevêché Chaldéen de Kerkouk.

(Periodica Christiana) الصادرة في رومية سنة ١٩٣٩ . وقد وصف المؤلف في هذا الفهرست ٤٩ مخطوطة .

٣ — فهرست المخطوطات السريانية المحفوظة في خزانة كتب الأسقفية الكلدانية في العقر[١] . وقد نشره بالفرنسية في المجلة المذكورة سنة ١٩٣٩ ، وفيه وصف ٦٧ مخطوطة .

هذا ما أتيح لنا الوقوف عليه من الفهارس « المطبوعة » ، التي تصف المخطوطات في العراق .

ونضيف الى ما تقدم ذكره ، ثبتًا صغيراً صنعه الأستاذ كاظم الدجيلي لخزانة كتب الأمير (عم) في النجف ، ونشره في مجلة لغة العرب (٤ [بغداد ١٩١٤][٢] ص ٤٠ — ٤٥) وقد وصف فيه ١٧ مخطوطة .

وللأستاذ الشيخ علي الخاقاني ، صاحب مجلة « البيان » التي تصدر في النجف ، وصفٌ حسن لأربع وعشرين مخطوطة ، منثورة في بعض خزائن كتب النجف ، نشره في جملة مقالات ظهرت في مجلة « الاعتدال » النجفية[٣] . وقد استلّ هذه المقالات من كتابٍ نفيسٍ له يُعنى بتأليفه في وصف أهمّ ما تحويه خزائن كتب العراق من مخطوطات .

* * *

وهنالك غير ما ذكرنا ، فهارس لخزائن عراقية أخرى ، وقفنا على بعضها مخطوطة لدى اصحابها ، نذكرها فيما يأتي استتماماً للفائدة ورجاء ان يتحقق طبعها :

١ — فهرست مخطوطات المتحف العراقي : يشتمل على وصفٍ مفصل لجميع المخطوطات

---

(١) Catal. des Mss. Syro - Chald. conservés Dans la Bibl Episcopale de ‘Aqra.

(٢) بدأت لغة العرب بسنتها الرابعة سنة ١٩١٤ فصدر منها جزآن وبعض الثالث ، ثم دهمتها الحرب الكبرى الأولى فاحتجبت ثم ظهرت سنتها الرابعة ثانية سنة ١٩٢٦ مبتدئة بالجزء الأول باغفال تسلسل الأجزاء المذكورة الصادرة قبل الحرب . فليتنبه الى ذلك .

(٣) الاعتدال (٥ [١٩٣٨ — ١٩٤١] ص ٥٧ ، ١١٣ ، ١٧٤ ، ٢٧٣ ، ٥٣٣ ، ٥٧٤ ؛ ٩ [١٩٤٦] ص ٧٥ ، ١٥٥ ، ٢٣٨) .

العربية والفارسية والتركية والسريانية والعبرية المحفوظة في خزانة كتب المتحف العراقي . عُني بتأليفه بالعربية الدكتور مصطفى جواد وكوركيس عواد . ويتألف هذا الفهرست من ثلاثة اجزاء ، فيها وصف نحو من اربعمائة مخطوطة ، وستشرع مديرية الآثار القديمة العامة العراقية في طبعه عما قريب .

٢ — فهرست مخطوطات دير الكرمليين ببغداد : صنفه بالعربية العلامة الأب انستاس ماري الكرملي . وهو في ثلاثة مجلدات كبار ، تصف بايجاز نحواً من ١٥٠٠ مخطوطة . وكان مؤلفه قد نشر اقساماً منه في وصف المخطوطات النصرانية في هذه الخزانة ، في نيّف وعشرين مقالة ظهرت كلها في « نشرة الأحد » المجلة الأسبوعية المعروفة التي كانت تصدر في بغداد [1] .

٣ — فهرست مخطوطات قلاية الموصل وكنائسها السريانية : للبطريرك اغناطيوس افرام الأول برصوم . وهو بالعربية .

٤ — فهرست مخطوطات دير مارمتّى وكنائس القرى التابعة له : للبطريرك أفرام برصوم . وهو بالعربية ايضاً .

وهذان الفهرسان الأخيران ، لم اقف عليها ، وإنما رأيت مؤلفهما العلامة يشير اليهما في بعض تآليفه [2] .

٥ — فهرست خزانة الدار البطريركية الكلدانية بالموصل : وضعه بالفرنسية الخوري اسطيفان كچو ، على غرار الفهرست الذي صنفه المطران أدّي شير لهذه الخزانة . فان نفاد نسخ فهرست ادي شير منذ زمن بعيد ، وحصول زيادة على مخطوطات هذه الخزانة ، اوجبا وضع هذا الفهرست الجديد الذي ننتظر ان يُنشر بالطبع يوماً ما .

٦ — فهرست مخطوطات خزانة عوّاد ببغداد ، ألفه بالعربيه صاحبا هذه الخزانة ،

(١) نشرة الأحد (المجلدات ٨ ، ٩ ، ١٠ الصادرة سنة ١٩٢٩ — ١٩٣١) .

(٢) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية (حمص ١٩٤٣ ؛ ص ١٧ ، الرقم ٢٤ و ٢٥) .

كوركيس عوّاد واخوه ميخائيل عوّاد • وقد وصفا فيه المخطوطات العربية والفارسية التركية والسريانية ، وعددها جميعاً ٢٣٤ مخطوطة •

٧ — فهرست خزانة كتب آل باش اعيان العباسي بالبصرة : للأستاذ علي اقاني • وقد شرع بنشره في مجلة «الغري» النجفية ، فظهرت منه جملة اقسام والأمل ان يتم نشره بكامله•

* * *

على ان هنالك فهارس او قوائم غير ما ذكرنا ، لم نتمكن من حصرها هنا ، إما لأننا لم نستطع الوقوف عليها ، او لأنها موضوعة بوجهٍ لايصلح ان تُنشر به •

ومهما يكن من أمرٍ ، ففي بلدان العراق كنوز خطية مجهولة لدى كثير من العلماء والباحثين ، يحسن ان يُذاع امرها ويُعلن عنها للملأ ، فتدرس دراسةً وافية تليق بها •

ففي بغداد والنجف وكربلاء والبصرة والموصل وغيرها من المدن ، مخطوطاتٌ لا تُحصى ، تنتظر مَن يُعنى بأمرها ويخرجها من مكامنها ، ويفتح للناس سبيل معرفتها والوصول اليها • وليس من وسيلة تيسر ذلك غير نشر فهارس محكمة لها•

(بغداد) كوركيس عواد

مجموعة أشعار

مصعبة المباني مغمضة المعاني

في خزانة كتب مسجد احمد باشا الجزار في مدينة عكا مجموعة خطيه تحتوي على عدّة رسائل صغيرة الحجم نسخها احمد بن سليمان المفتي الشافعي في ٢١ ربيع الأول من سنة ١١٨٨ الهجرية وفي أوّلها رسالة بدون اسم او عنوان جاء في مقدمتهـا :

بسم الله الرحمن الرحيم ·

قال الفقير الى رحمــة ربه الغنيّ مسعود بن احمد الشافعي رحمه الله تعالى

الحمد لله موسع العطاء مسبغ الغطاء مسبغ النعم والآلاء المحمود على السراء والضراء المشكور في الشدّة والرخاء أحمده ولا محمود على الحقيقة سواه وأشكره شكر الذاكر الأوّاه وصلى الله على سيدنا محمد نبيه المرسل من خير العناصر اصطفاه ومن أكرم الآباء والأجداد اجتباه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خير آل وأشرف اصحاب واتقاه وعلى الخلفاء الراشدين الأئمة المجتهدين ومن استنّ بسنته وهداه ·

وبعد فاني لما نظرت في علم العربية ووقفت على دقائقه وحقائقه وراجعت كتب العلماء وتصانيفهم وجدتها مشتملة على أبيات من الشعر مصعبة المباني مغمضة المعاني قد ألغز قائلوها اعرابها ودفن في غامض الصنعة صوابها وهي في الظاهر فاسدة قبيحة وفي الباطن جيدة صحيحة ·

وقد كان العلماء المتقدمون كالأصمعي وغيره يتساءلون عنها ويتفاخرون بها أردت ان أجمع منها ما تيسر لأوضح مشكله وأبين مجمله مشيراً الى موضع

النكتة منه غير مشتغل بإيراد النظائر والأمثال فيفضي الى الضجر والملال فيكون ذلك داعياً للنظر فيه وأنساً لحافظيه ومتأمليه وأقدم على ذلك الكلام بإعراب حديث عنه صلى الله عليه وسلم فتكثر فائدته وتعظم بركته وجعلته برسم الخزانة المولوية السلطانية الملكية الكاملية أدام الله ملك مالكها اذ كان الله سبحانه وتعالى قد خصه من العلم بأوفر نصيب وحاز قدحه منه بالسهم المصيب لا سيما علم العربية الذي هو مفتاح الفهوم وسر العلوم والسبب الموصل الى علم البيان المطلع على دقائق معاني القرآن قد خصه الله بالفضل العميم والقلب الرحيم حتى شهدت له بذلك الضمائر والقلوب واستوجبت شكر نعمه في الحضرات والغيوب وأقرت بالتقصير عن ادراك مداه فاعترفت بانه لا يصلح لملك الدنيا مالك إلا إياه فأسبغ عليه نعمته وفضله كما بسط في العباد طوله وعدله وجعل بقاءه ما بقي الأبد وملك مملكته في النفس والولد .

القول على ما رُوي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال :

« إنَّ مِنْ أَمَنِّ الناسِ عليَّ في صُحبتِه ومالِهِ أبو بكرٍ »

وبعد ان توسع في اعراب هذا الحديث الشريف المشرّف للصدّيق رضي الله عنه تناول الأبيات التالية وننقلها بنصها وشكلها .

لشاعر : إنَّ مَنْ يدخلِ الكنيسة يوماً فهوَ يلقى جآذراً وظباء

مما أنشد سيبويه :

كأنك من جمال بني أقيشٍ يقعقع خلف رجليه بشنِّ

مما أنشد سيبويه :

وما الدهرَ إلاّ تارتانِ فمنهما أموت وأخرى ابتغي عيشة الرخا

مما أنشد علي الفارسي :

لا تيأسنَّ وكنْ في الله محتسباً فبينما أنت ذا يأسٍ أتى الفرجا

مما أنشد علي الفارسي :

سأتركُ مهرَتي رجلٌ فقيرٌ وأركب في الحوادث مُهرَتانِ[1]

مما أنشد بعض العلماء :

دجاجتانِ وبطتانِ كما ركَب المهلب بغلَ تانِ[1]

مما أنشد علي الفارمي :

فرعونَ مالي وهامانٌ وقد زعموا اني بخلتُ بما يعطيه قارونا

مما أنشد ابن السكيت :

قالَ زَيدٍ سمعتُ صاحبِ بكرٍ قائلٌ قدْ وقعتُ في اللأواء

لشاعر: لا يكونُ العَيرِ مُهراً لا يكونُ المهرُ مهرُ

مما انشد بعض الفقهاء :

صلْ حِبالي فقد سئمتُ الجفاء يا قتولي واحفظْ عليَّ الإخاء

مما انشد بعض العلماء :

هيهاتَ قدْ سفهتْ أميةُ رأيها واستجهلتْ سفهاؤها حلماؤها

حربٌ تردّدَ بينهمْ قد كفّرتْ آباؤها أبناؤها

مما انشد بعض العلماء :

كساني أبي عثمانَ ثوبانِ للوَغى وهل ينفع الثوبُ الرقيقُ لدى الحرب

مما انشد بعض العلماء :

فلوْ وَلدتْ فقيرةَ جروِ كلبٍ اسُبَّ بذلك الجرْوِ الكلابا

لشاعر: أبا الكوزُ فاشربْ قهوةً بابلية لها في عظامِ الشاربين دبيبُ

مما انشد بعض العلماء :

لقد قال عبدَ اللهِ شرُّ مقالةٍ كفى بكَ يا عبدَ العزيزُ حسيبُها

لشاعر: ستعلمُ أنه يأتيك بكرٍ وأنْ أخوكَ فيه مِنَ اللغوبِ

(١) قال والثان التاجر

لبعض العلماء :

لقدْ قالَ عبدَ اللهِ قولاً عرفتهُ أتاني أبي داوُدَ في مرتعٍ خصبِ

لشاعر: أتانا عليٍّ في ديارِ محمدٍ وفارَقنا عمرو ومرَّ بنا بكرِ

قال أتانا تثنية اتان مضاف الى عليّ وفار فعل ماضٍ وقنا فاعل وعمرو مضاف اليه ومرَّ فعل ماض ايضاً وبنا فاعل وبكر مضاف اليه .

ما انشد ابن أسد :

رأيتُ عبدَ الله يضرب خالدٌ وأبا عميرةُ بالمدينة يُضربُ

ما انشد ابن أسد :

وإنا رُعاةٍ للسيوف أكارماً سمتْ فرآها الأقربون على قربِ

لشاعر: أقوالُ خالداً يا عمروِ لما عاتتنا بالسيوفُ المرهفاتُ

قال عاتْ نابي السيوفُ والنابُ هو الجمل المسنّ .

لشاعر: وأنتم • معشرٍ لئـام نلقى لديكم كلّ أذى وبؤسِ

قال ان قوله معشر يعني اي معَ شرٍّ ولكنه خفف لاقامة الوزن وبؤس مخفوضة بالعطف على شرّ .

وجاء على اعراب اثني وعشرين بيتاً أخر من هذا النوع ومن جملتها هذا البيت :

قيلَ لي انظرْ إلى السهام تجدْها طائراتٍ كما يطيرُ الفراشا

وبعدُ : فاننا لم نطلع على ترجمة لمؤلف هذا الكتيب الصغير الذي يرجح انه لم يمثل بالطبع بعد وعلى كلّ حال فهو مما أُلف برسم خزانة الملك الكامل ابن الملك العادل من بني أيوب وقد ولي الملك بمصر سنة ٦١٥ ﻫ وتوفي في شهر رجب من سنة ٦٣٥ ﻫ « ١٢٣٨ م » فيكون من مؤلفات القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي .

عبد الله مخلص

مخطوطات ومطبوعات

ظهير الدين البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام

عني بنشره وتحقيقه الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

وهو من مطبوعات المجمع ، طبع بمطبعة الترقي بدمشق عام ١٩٤٦ ، عدد صفحاته (٢٠٤)

اسم هذا الكتاب بالتحقيق : (تتمة صوان الحكمة) ، كما جاء في ترجمة مؤلفه في معجم الأدباء . وانما سمي مؤخراً : (تاريخ حكماء الاسلام) لاقتصاره على ترجمة فلاسفة الاسلام من رجال القرن الثالث والرابع والخامس والسادس . وقد نسج مؤلفه فيه على منوال أبي سليمان المنطقي السجستاني في كتابه : (صوان الحكمة) ، إلا ان كل من ذكره ابو سليمان لم يترجم له البيهقي لاعتقاده ان ابا سليمان قد أنصف في ذكره ، فجاء كتابه مقصوراً على ترجمة مائة واحد عشر حكيماً ومهندساً وطبيباً وفلكياً ومنجماً من ابناء الشرق القريب . فليس فيه اذن ذكر لفيلسوف من فلاسفة اليونان ، ولا ترجمة لحكيم من حكماء الأندلس .

وربما كان تاريخ الحكماء للقفطي أتم واكمل من كتاب ظهير الدين البيهقي ، الا ان البيهقي صنف كتابه قبل القفطي بمائة سنة . وترجم لحكماء لم يتعرض لهم غيره . فله في ذلك فضل التقدم ، وله ايضاً مزية خاصة لا يشاركه فيها كتاب آخر ، وهي اشتماله على تراجم بعض المعاصرين ممن عرفهم البيهقي واتصل بهم وعاشرهم كالفيلسوف حجة الحق عمر بن الخيام ، والامام محمد الشهرستاني ، والامام احمد بن حامد النيسابوري ، والامام محمد الحارثان السرخسي ، وغيرهم .

وأحسن ما في الكتاب ترجمة ابن سينا . فقد توسع فيها المؤلف خاصة ، واكثر من اخبار الشيخ الرئيس ، وذكر تلاميذه ومعاصريه وما جرى بينهم من المناظرات والمشاجرات كالفيلسوف ابي الفرج بن الطيب الجاثليق ، والحكيم ابي القاسم

الكرماني ، وابي الريحان البيروني وغيرهم . وهذه الأخبار تصور لنا عصر ابن سينا احسن تصوير ، وتبين لنا كيف كانت مدن الشرق تعج بالفلاسفة ، وكيف كان الملوك والأمراء يرتبطون الحكماء والأطباء ويشاركونهم في العلم .

أشار الأستاذ الرئيس محمد كردعلي الى ذلك كله في مقدمة الكتاب ، ثم قال : وقد عرفنا من كتاب المؤلف « ان التعصب كان بعيداً جداً عن الحكماء ، وعهدنا بأكثر المؤلفين في تلك القرون يترجمون لأهل الاسلام كما يترجمون لمن لم ينتحل ملته بدون غرض ولا هوى » وقال أيضاً ، : « وأتانا هذا الكتاب ببرهان آخر على ان المدنية الاسلامية وحدة لا تتجزأ ، وان كل قطر متمم للأقطار الأخرى ، فاذا كانت خراسان خصت برجال الحكمة ،فان الأقطار السائرة أخرجت رجالاً في فروع العلم غير قليلة » (ص : ٧ — ٨) . وقال أيضاً : « ترجم البيهقي من ترجم لهم بإيجاز ... وانا لنجد من الأخبار في هذه التراجم المختصرة ما لا نجد من تراجمهم في بعض كتب السير المطولة . ومن أهم ما حرص على ذكره ما أثر لهم من حكم لطيفة اهتم بالتقاطها اكثر من اهتمامه بتدوين سني ولاداتهم ووفياتهم . وقد يفصل ترجمة الرجل ويكتفي بنقل ما عزي اليه من كلام جميل » .

فمن الحكم الدالة على فلسفة ذلك العصر ما نقله المؤلف من حكم القاضي الفيلسوف محمد الأفضل عبد الرزاق التركي (ص ١٣) . قال : « إذا أردت ان تعرف مثالاً لترتيب الوجود فانظر الى الخليفة بنصب السلطان ، والسلطان ينصب الوزير ، والوزير ينصب الأمير ، والأمير ينصب الوالي ، والوالي ينصب القاضي ، والقاضي ينصب المزكي والعدول » . فهذا القول يشير الى ترتيب الوجود في نظر ابن سينا وغيره من فلاسفة الاسلام ، يدل على تأثير الحياة السياسية والاجتماعية في النظريات الفلسفية . فكأن المبدأ الأول في نظرية الفيض هو الخليفة وكأن العقل الأول هو السلطان ، وكأن العقل الثاني هو الوزير . والكون أشبه شيء بدولة فصلت فيها القوة المدبرة عن القوة المحركة كما فصلت

القوة الروحية في المجتمع السياسي عن القوة التنفيذية ، والمبدأ الأول يخلق العقل الأول كما ينصب الخليفة السلطان ، والكواكب والأفلاك كلها تتحرك في السماء تسبيحاً لله تعالى كما يتحرك الأمراء والسلاطين في خدمة الخليفة المقيم في بغداد .

وقصارى القول ان كتاب البيهقي عظيم الفائدة لأنه صور لنا ناحية جميلة من نواحي التفكير الاسلامي وكشف لنا النقاب عن حياة بعض الحكماء الذين لم يترجم لهم القفطي ولا ذكرهم ابن ابي اصيبعة وابن خلكان .

وقد حقق الأستاذ الرئيس محمد كرد علي هذا الكتاب أحسن تحقيق ، وقدم له بمقدمة جامعة ، وشرح معانيه وعلق عليها ، وقارن بين ما أتانا به البيهقي وبين ما ذكره صاحب طبقات الأطباء وصاحب تاريخ الحكماء من الأخبار والسير . وختم الكتاب بفهارس في التراجم ، والأعلام ، والأمكنة ، والبقاع ، والشعوب ، والقبائل ، والمذاهب ، والكتب ، فجاء عمله هذا متمماً لكتب التراجم الأخرى ومعيداً الينا كثيراً من الحلقات المفقودة من تاريخ الفكر الاسلامي .

جميل صليبا

كريم عزقول : العقل في الاسلام

طبع بمطابع صادر في بيروت عام ١٩٤٦ ، عدد صفحاته ١٨٠ من القطع الوسط.

عنوان هذا الكتاب لا يدل بالضبط على موضوعه ، لأن عنوانه العقل في الاسلام ، وموضوعه البحث في قيمة العقل وحدوده عند الغزالي . ومن قرأ هذا العنوان الضخم ظنّ ان المؤلف سيتكلم في كتابه عن قيمة العقل عند مفكري الاسلام ، جميعاً من الفقهاء والمفسرين ، والمحدثين ، والمتكلمين ، والفلاسفة ، والعلماء ، والكتاب ، والمؤرخين ، والشعراء . ولكن ليس في الكتاب شيء من هذا . وما ذكره المؤلف عن طريق المعرفة في الاسلام قبل الغزالي لا يروي غلة ، ولا يشفي علة ، بل هو استعراض سريع لآراء الفلاسفة والمتكلمين والأثريين واهل التعليم والمتصوفين لا يزيد على عشرين صفحة .

أما ما بقي من الكتاب فهو مشتمل على قيمة العقل وحدوده عند الغزالي ، اتانا المؤلف فيه بشيء عن حياة الغزالي ثم ذكر موقفه العام من المعرفة على الاطلاق وتكلم عن شكه في العلم وعن كيفية خروجه من الشك ورجوعه الى اليقين ، ثم أشار الى رأيه في قيمة العقل ومبادئ المعرفة وميزان النظر وحدود العقل في الأدبيات والغيبيات وموقفه من علم الكلام والفلسفة وطريقة الصوفية . كل ذلك بعبارة واضحة وأسلوب حسن وتبويب جيد .

ولعل الصفة الأساسية البارزة في هذا الكتاب هي دفاعه عن ايمان الغزالي بالعقل ومبادئ المعرفة . فالغزالي في نظر المؤلف يعتقد أن مبادئ المعرفة ضرورية يقينية يقرها العقل من دون برهان لمجرد حضورها في الذهن وهي تفرض نفسها على العقل بنفسها وتستمد قيمتها من ذاتها لا من معونة خارجية .

نعم ان الغزالي يصرح بأن نفسه قد عادت الى الصحة والاعتدال بنور قذفه الله في الصدر ، وان الخلق كلهم يتعلمون العلم من الرسل ، وان الإمام الذي علمنا الموازين هو امام الأئمة محمد بن عبد الله (القسطاس المستقيم ص ٢٢) مما يوهم ان هناك معونة خارجية . ولكن هذه الأقوال لا تكفي لحملنا على الاعتقاد ان محك المعرفة الأخير عند الغزالي هو عامل خارجي . اذ ان أثر المعلم مقصور على الارشاد الى مبادئ المعرفة والتنبيه اليها . وسواء أفطن العقل الى هذه المبادئ عن طريق التعليم أم اقتنع بها عن طريق النظر والتجربة والاختبار فانه لا يعتقد صحتها الا لوضوحها بذاتها . فالتعليم لا ينفي العقل ، بل يقتضيه ويوجبه (ص ١٠٦) . والمحك الأخير لمبادئ المعرفة انما هو الوضوح والبداهة ، اما المعونة الخارجية فلا تنفع الا على سبيل الدعم والتثبيت (١٠٠) . وما صب النور الإلهي على مبادئ العقل ليكسبها وضوحها ولكن ليزيل عنها مداخل السفسطة ويعيد النفس الى الصحة والاعتدال . ولولا مداخل الشك لما احتاج العقل الى هذا النور . فالغزالي في نظر المؤلف ليس اذن ريبياً ، بل هو من انصار الاثبات العقلي ، والعقل في نظره

آلة سليمة ضرورية لاقتناص المعرفة ، أساسه الضروريات وسبيله النظر وميزانه قواعد المنطق ومحكه الوضوح واليقين .

وهذا كله صحيح . اننا نعتقد مع المؤلف ان الغزالي يؤمن بصلاح النظر ومنفعته ، وصدق العقل في حكمه على أمور التجربة ولكننا نخالفه في زعمه ان العقل المجرد عن الشرع يصلح في نظر الغزالي للخوض في مسائل ما بعد الطبيعة . لقد قال ابن خلدون ان الميزان الذي يوزن به الذهب لا توزن به الجبال ، وقال الغزالي ان من وزن الذهب بميزان يمكنه ان يزن به الفضة وسائر الجواهر ، فهل يفهم من هذا القول ان الغزالي لم يحدد نطاق العقل ؟ ان الفضة وسائر الجواهر هي والذهب من جنس واحد ، فلا غرو اذا قال الغزالي انها توزن بنفس الميزان . اما مسألة الصفات الالهية وقدم العالم وبقاء النفس بعد الموت ، ومسائل الحشر والنشر فهي من الأمور التي لا يحكم العقل فيها الا بظن وتخمين من غير تحقيق ويقين (التهافت ص ٨) .

لقد أعدت قراءة التهافت والمنقذ من الضلال والقسطاس المستقيم ، وغيرها من كتب الغزالي فلم أجد فيها ما يسمح بالقول ان العقل قادر على ادراك مسائل ما بعد الطبيعة ، بل خلصت من ذلك الى نتيجة ذكرتها في غير هذا المكان وهي ان الغزالي يؤمن باحكام العقل ويرى انها صادقة في أمور التجربة وما يتصل بها ، أما الأمور الالهية فهي من طور فوق طوره . وكتبه مملوءة من الأقاويل التي تدل على عجز العقل عن ادراك اسرار الحقائق الالهية . فقد قال :

«وبفساد ذلك يفسد هذا كله على من يأخذ هذه الأمور من نظر العقل . فجميع ما ذكروه من صفات الأول او نفوه لا حجة لهم عليه الا تخمينات وظنون تستنكف الفقهاء منها في الظنيات . ولا غرو لو حار العقل في الصفات الالهية ولا عجب . انما العجب من عجبهم بأنفسهم وبأدلتهم ومن اعتقادهم انهم عرفوا هذه الأمور معرفة يقينية مع ما فيها من الخبط والخبال» (تهافت ص ٥٣) .

وقال أيضاً :

« وهكذا يفعل الله بالزائغين عن سبيله ، والناكبين عن طريق الهدى ، المنكرين لقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق انفسهم ، الظانين بالله ظن السوء المعتقدين ان أمور الربوبية تستولي على كنهها القوى البشرية المغرورين بعقولهم زاعمين ان فيها مندوحة عن تقليد الرسل واتباعهم » (تهافت ص ٣٠) .

وقال أيضاً :

« فاستحالة هذا لا تعرف بضرورة ولا نظر . وقد وردت به الأنبياء والمؤيدون بالمعجزات . فيجب قبوله منهم . واما البحث عن كيفية صدور الفعل من الله بالارادة ففضول وطمع في غير مطمع » (تهافت ص ٣٢) .

وقال أيضاً :

« فلتقبل مبادئ هذه الأمور من الأنبياء وليصدقوا فيها فان العقل ليس يحيلها ، ولنترك البحث عن الكيفية والكمية والماهية فليس ذلك مما تتسع له القوى البشرية . ولذلك قال صاحب الشرع تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله » (تهافت ص ٣٣) .

وقال أيضاً :

« في الناس من يذهب الى ان حقائق الأمور الالهية لا تنال بنظر العقل ، بل ليس في قوة البشر الاطلاع عليها » (تهافت ص ٤٤) .

وقال أيضاً : -

« وان هذا ان كان صحيحاً فلا يطلع عليه الا الأنبياء بالهام من الله أو وحي وقياس العقل ليس يدل عليه » (تهافت ص ٥٧) .

وقال أيضاً :

« وما ذكرتموه وان اعترف بامكانه ، فلا يعرف وجوده ولا يتحقق كونه وانما السبيل فيه ان يتعرف من الشرع لا من العقل » (تهافت ص ٦٢) .

وقال أيضاً :

« ومن الأشياء ما تعرف استحالته ومنها ما يعرف امكانه ، ومنها ما يقف العقل عنده فلا يقضي فيه باستحالة ولا امكان » (تهافت ٦٩) .

وقال أيضاً :

« وانما انكرنا عليهم من قبل دعواهم معرفة ذلك بمجرد العقل » (تهافت ٨٤)

فهذه الأقوال وغيرها تدل على ان العقل عاجز في نظر الغزالي عن الوصول الى حقائق ما بعد الطبيعة وانه لا يطلع عليها الا عن طريق الوحي ، وانه بعد الاطلاع عليها من الشرع يحكم النظر فيها لتفهمها . فهو اذن آلة صحيحة الا انه مقيد في مسائل ما بعد الطبيعة بقيود الوحي والالهام .

ونعتقد ان المؤلف اراد ان ينقذ الغزالي مما وصم به من احتقار العقل فبين لنا أولاً ان العقل عنده ميزان صادق ثم بين لنا ثانياً ان نطاق العقل عنده غير محدود فأصاب في الأولى واخطأ في الثانية .

وفي كتابه بعض الهنات اللغوية والنحوية . كقوله في ترجمة « Tabula Rasa » (الطاولة المعراة) وصوابه الصفحة الصقيلة أو الصفحة البيضاء لأن (طاولة) لاوجود لها في لغة العرب . وقوله: فلن نتنكر على الأقل ان معرفة الله وشكر نعمته مثلاً (امرين حسنين) بحكم العقل ، وصوابه (امران حسنان) . وقوله : ولكن هاتين الدعوتين (واهيتين) ، وصوابه (واهيتان) الى غير ذلك من الهنات التي لا ينبغي لمثله الوقوع فيها .

ج . ص

ديوان ابن عنين

شرف الدين ابي المحاسن محمد بن نصر الأنصاري الدمشقي

عني بنشره وتحقيقه الأستاذ خليل مردم بك

هذا الديوان من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهو يقع مع مقدمته في ما يزيد على ثلاث مئة صفحة ، مطبوع طبعاً حسناً على ورق صقيل .

وابن عنين شاعر دمشق ، ووزير من وزرائها ، وسفير من سفرائها ، فهو بذلك من رجالات السياسة في عصره ، وحامل راية شعره . واذا شئت ان تعرف هذا الشاعر معرفة صحيحة ، فعليك بالمقدمة الممتعة التي وضعها الأستاذ المحقق الناشر . فانها تبرزه لك في صورة صادقة ، تعرف بهـا محاسنه ومعايبه ، وعلمه وأدبه ، وسياسته واخلاقه ، ومنزلته بالشعر .

استمع له يقول فيه :

« قبل ان يولد ابن عنين بسنة واحدة ، مات شاعران انتهت اليهما الرياسة في الشعر ببلاد الشام . هما ابن القيسراني ، وابن منير الطرابلسي . ولم يقم بعدهما من هو في طبقتهما حتى نبغ ابن عنين ، فأشبه الأول ، بجزالته ومتانته ، وضارع الثاني بالهجاء ونهش الأعراض . وفاقهما بخفة الروح ، والدعابة والتهكم والسخرية .

حاكى في كثير من شعره جزالة المتقدمين ، ولكن الطابع الشخصي ، واللون المحلي ظاهران في شعره أشد ظهور ، وقل في الشعراء من تراءت على شعره صورة بيئته وزمانه كما تراءت على شعر ابن عنين . فأكثر قصائده تنادي على نفسها ان قائلها شاعر دمشقي عاش في العصر الأيوبي ...

وشعره كثير الفنون ، متعدد النواحي ، جم الأغراض ، وعناصره منتزعة من مصادر شتى ، يتجارى فيه طبع الشاعر ، وفن الصانع ، وتتبين فيه مقدرة اللغوي ، وتهذيب العالم المثقف ؛ فهناك محسنات البيان والبديع ، وهناك استعمال مصطلحات العلوم من نحو وصرف ، ونقد وحديث ، ومنطق وطب ، وفلك وهندسة وحساب ...

اما لغته فجزلة منقحة اذا جد ، وحفظه للمفردات وحسن انتقائه لها عجيب ...

وهو على طول باعه في اللغة ، ومقدرته على حسن السبك ، ومتانة الرصف ، وحسن ذوقه في انتقاء الفصيح ، لا يتحرج في مواضيعه الهزلية من اللحن أو ما يشبهه ، واستعمال الألفاظ والتراكيب العامية الشائعة في دمشق لعصره ، مما له اصل فصيح أو لا ...

الى ان يقول :

وأجل ما في شعره واطرفه – في رأيي – الحنين الى دمشق ، والدعابة والتهكم والسخرية .

قلنا : اما ان يكون اطرف ما في شعر الرجل ، الدعابة والتهكم والسخرية ، فنعم . ولو قال الناشر : وارق ما في شعر ابن عنين وأشعره ، الحنين الى دمشق لقلنا له أيضاً : نعم . اما أجله ، فليس الحنين الى دمشق ، ولا هو الدعابة والتهكم والسخرية ، ولكنه الشعر الذي قاله في واقعة دمياط . والذي يقول فيه الناشر نفسه :

« ... على ان لابن عنين موقفاً من انبل المواقف الشعرية المحمودة في هذا الباب ، وذلك في واقعة دمياط التي انجلت عن كسر الصليبيين سنة (٦١٨) فاستجاشت الشعر في صدره وكان قد بلغ السبعين ... »

هذه القصيدة – في رأينا – هي عروس الديوان ، وآية الشاعر ، واجل ما قاله واجزله وافخره . وهذه بعض ابياتها :

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا – اذا جهلت آياتنا – والقنا اللُدنا
غداة لقينا دون دمياط جحفلاً من الروم لا يحصى يقيناً ولا ظنا
قـد اتفقوا رأياً وعزماً وهمةً ودينا وان كانوا قد اختلفوا السنا

* * *

واطمعهم فينـا غرور فارقلوا الينـا سراعاً بالجيـاد وارقلنا
فما برحت سمر الرماح تنوشهم بأطرافهـا حتى استجاروا بنا منـا
سقيناهم كأساً نفت عنهم الكرى وكيف ينام الليل من عدم الأمنا
لقد صبروا صبراً جميلاً ودافعوا طويلاً فما أجدى دفاع ولا اغنى
لقوا الموت من زرق الأسنة أحمراً فألقوا بأيديهم الينـا فاحسنا
منحنـا بقاياهم حيـاة جديدةً فعاشوا بأعنـاق مقلدة منـا
ولو ملكوا لم يأتلوا في دمائنا ولوغاً ولكنـا ملكنا فاسجحنا

* * *

وقـد عرفت اسيافنـا رقابهم مواقعها فيهـا فان عاودوا عدنا

هذا الشعر العجيب المطرب ، السهل الممتع ، والفخر الصدق ، ليس من غاية وراءه في الاحسان والابداع .

أما ماعاناه الناشر في تصحيحه وتحقيقه ، من صعوبة في المعارضة والموازنة والمراجعة بين مختلف نسخ الديوان التي عثر عليها — وكلها ممسوخة مغلوطة — فشيء ليس يعرفه ، ويعرف قدره ومقداره ، إلا من تصفح الديوان ، ورأى هذه الروايات القلقة المضطربة التي أحالت الكلمات عن مواضعها وعن أصولها ، مما يستحيل ان يهتدي اليه إلا من أوتي من البصر بالأدب واللغة والشعر ، ما أوتيه الأستاذ الخليل .

وحبذا لو أن الأستاذ زاد في تفسير بعض الكلمات ، وفي شرح بعض المعاني ، وهو أمر كان يسيراً عليه في جانب الجهد الذي بذله في التنقيح والتصحيح . ولو انه فعل لكان جمع بين الحسنيين ، ووجب له علينا الشكر مرتين . بل مرات .

عارف النكدي

كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة

تأليف عبد الرحمن بن نصر الشيزري

يقع الكتاب في نحو من مئة وخمسين صفحة ، جيد الطبع والورق ، حسن الترتيب والتبويب . قام على نشره السيد الباز العريني : المدرس بمدرسة الخديوي اسماعيل الثانوية ، بإشراف الدكتور محمد مصطفى زياده : أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة فؤاد الأول . فجاء هذا الكتاب في احسن ما يكون من التحقيق والتدقيق ، كما انه جاء دليلاً ناطقاً على مآثر السلف وما كانوا عليه في حياتهم الاجتماعية من حضارة ونظام ، قد يكون اكثره مجهولاً عند اكثرنا . وفي اخراج هذا السفر ومدارسته ، احياء لعدد غير قليل من المفردات العربية ، والمصطلحات الفنية ، مما نحن في أشد الحاجة الى مثله .

وهذه جملة مما قاله الدكتور زيادة ، في تصدير الكتاب ، تظهر مزاياه ، وتفصّل ما أجملناه . قال :

«وكتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة .. نبع من منابع التعريف بأحوال المجتمع الاسلامي عامة — والشرق الأدنى خاصة — في العصور الوسطى . وهو لذلك مورد من أقرب الموارد الصافية التي سيغترف منها المشتغلون بكتابة التاريخ الاسلامي حسب الأسس الجديدة ..

غير ان اهمية الكتاب لا تنحصر في مجرد اسبقيته وافضليته على سائر الكتب المشابهة ، كما انها لا تستند الى افاضة مؤلفه في بيان ما ينبغي للمحتسب ان يتحلى به من الصفات ، أو يقوم عليه من مراقبة السوقة والأسواق ؛ بل تظهر اهميته كذلك في ما جاء به من ذكر ما كان يقوم به اصحاب الحرف والصناعات من انواع الغش في مبيعاتهم ومعاملاتهم ، مما ينبئ ببعض احوال التجارة والتجار ، في عصر المؤلف على الأقل . يضاف الى ذلك ما بالكتاب من الحقائق الكاشفة عن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية في القرن الثاني عشر الميلادي ، كاستخدام النساء في تنظيف القطن والكتان على ابواب الحوانيت بالطريق العام ، وشغف نساء بغداد بالاخفاف التي تصر عند المشي لاجتذاب الأنظار . وفي الكتاب كذلك كثير من الألفاظ العربية الفصيحة والمولدة الصحيحة ، مثل الدَّوارين ونصاب المبضع والملزم ونحوها ، مما يغوص اهل العربية في بطون المطولات والأمهات لالتقاطه ... والذين يقيسون الكتب بما فيها من تسلية ، يجدون .. كثيراً من الأخبار الطريفة ...»

وهذا باب من الكتاب ، يعلن عن نفسه ، وبنوه بهذا النظام ، وبهذه الحضارة ، اللذين كانا عليهما السلف ، في حياته الاجتماعية : والباب هو الباب السادس وعنوانه :

الحسبة على الخبازين :

« ... ينبغي ان تُرفع سقائف حوانيتهم ، وتفتح ابوابها ، ويجعل في سقوف الأفران منافس واسعة يخرج منها الدخان ، لئلا يتضرر بذلك الناس . واذا فرغ الخباز من احمائه ، مسح داخل التنور بخرقة نظيفة ، ثم شرع في الخبز .

ويكتب المحتسب في دفتره اسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم ، فان الحاجة

تدعوه الى معرفتهم ، ويأمرهم بنظافة اوعية الماء وتغطيتها ، وغسل المعاجن ، ونظافتها وما يغطى به الخبز ، وما يحمل عليه .

ولا يعجن العجان بقدميه ولا بركبتيه ولا بمرفقيه ، لأن في ذلك مهانة للطعام ، وربما قطر في العجين شيء من عرق ابطيه وبدنه ، فلا يعجن الا وعليه ملعبة [1] او بشت مقطوع الاكمام ، ويكون ملثماً أيضاً ، لأنه ربما عطس او تكلم فقطر شيء من بصاقه او مخاطه في العجين . ويحلق شعر ذراعيه لئلا يسقط منه شيء في العجين . واذا عجن في النهار فليكن عنده انسان في يده مذبة يطرد عنه الذباب . هذا كله بعد نخل الدقيق بالمناخل السفيقة مراراً .

وبعد هذا فصل في منع الخبازين من غش الخبز ، وان لا يخبز حتى يختمر ، فان الفطير ثقيل في الوزن والمعدة . .

ثم الباب السابع في الحسبة على الفرانين : يفرقهم المحتسب على الدروب والمال واطراف البعد . . ويأمرهم بإصلاح المداخن ، وتنظيف بلاط الفرن في كل ساعة ، من اللباب المحترق ، والشرر المتطاير ، والرماد المتناثر ، لئلا يلصق في اسفل الخبز منه شيء . . .

وينبغي ان يكون له مخبزان : احدهما للخبز والآخر للسمك ، ويجعل السمك بمعزل عن الخبز ، لئلا يسيل من دهنه على الخبز . ولا يأخذ من العجين زيادة عما جُعل له . . .

الى غير ذلك من الأبواب والفصول التي تتناول جميع اهل الحرف والمهن والصناعات المعروفة في عصرهم .

وأضاف الناشر الى الكتاب ثلاثة ملاحق ، اورد في الملحق الثالث من النصوص الفرنسية القديمة ما يدل على ان منصب الحسبة واعمالها ، انتقلت من الدولة الاسلامية الى المملكة الصليبية ببيت المقدس . وقد نشرت هذه النصوص في ذيل الكتاب ، وعقب عليها بترجمتها الحرفية الى العربية .

ع . ك

(١) الملعبة الثوب من غير كم . والبشت رداء من صوف يلبسه الفلاحون والنساء والمجانون.

الجهاد السياسي

وضعه الطبيب عبد الرحمن الكيالي

يقع الكتاب في مئة صفحة او تزيد . اراد المؤلف من كتابه على ما قال في كلمة الاهداء : « بحث الجهود السياسية التي بذلها رجالات سورية المجاهدون لخلاص أمتهم ، وتحرير بلادهم ، ودفع الغاصب عن وطنهم .. »

وعرف الأستاذ في مقدمة الكتاب : الجهاد السياسي ، وما يتطلبه ، والمقصود منه ، وكيف ينشأ ، وعلاقة السياسة بالوطنية ، وشروط الجهاد .

ثم نوه بجهود سورية في الماضي والحاضر في سبيل استقلالها ، وبما كان لأهلها العرب من حضارة وفتوحات في جاهليتهم وفي اسلامهم .

وفي جملة ما قاله المؤلف : انه بزوال حكم العرب عن الشام ، وغلبة غيرهم عليه ، ضعفت فيه الحضارة ، وضعف العلم ؛ وان استبداد الأعاجم وعنجهيتهم كان سبباً في يقظة العرب ، وفي ما كان منهم من هذا الجهاد السياسي الذي يصفه .

وتبسط المؤلف في ذكر العهد العثماني ثم عاد فأجمله بقوله : « حكم الرعية لمصلحة الراعي » وانه كان يقوم على « الاخضاع بالقوة ، واخذ المال بالقوة ، وتسيير الأمور بالقوة » ولم ينكر على بعض السلاطين العثمانيين ما كانوا عليه من عدل وصلاح ، حالت دونها بطانة السوء ، وقال : « ان الترك لم يستعدوا لقبول التجدد والتحول »

وأسهب في النهضة العربية ، وأشاد بعهد فيصل ، وبما كان فيه — على قصره — من جهاد سياسي . وان فيصلاً — رحمه الله — اذا لم يأت بالمعجزات ، فانه لم يقصر بالممكنات . وتعرض بالذكر الأسباب التي قضت بانهيار الحكم العربي في الشام ، فكان مما ذكره منها : ضعف الأخلاق ، وما نتج عنه من شراء فرنسة لضمائر بعض السوريين ، وافسادها الأمر على فيصل ، بالقلاقل والدسائس والفتن تهيجها ، وبالنعرات المذهبية والطائفية والجنسية تثيرها .

هذا وصف مجمل للكتاب ، وهو اذا لم يكن من الكتب التاريخية ، لأن صاحبه كتبه في معتقله ، حيث لم تكن تصل يده الى الكتب والوثائق يعتمد عليها ، ويستمد منها . ولأنه مكتوب بلغة الخطابة لا لغة التاريخ ؛ فالكتاب فائدته انه

ضم صفحات من صفحات الجهاد ، وصفحات من صفحات الاستعباد ، خليق بالعرب ان يراجعوها ، وبالناشئة ان يعرفوها . فيعرفوا اي بلاء يحيق بالأمة اذا حكمها اجنبي عنها .

ع . ن

محاضرات نقابة المحامين

في السنة القضائية بحلب ١٩٤٥ — ١٩٤٦

كتاب يقع في قرابة ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير . جيد الورق والطبع ، والترتيب والتبويب . يضم ثماني عشرة محاضرة من امتع المحاضرات موضوعاً ، وأنصعها أسلوباً ، ألقاها ثمانية عشر فاضلاً : اربعة منهم من رجال القضاء ، واربعة عشر من رجال المحاماة ، ويطول بنا الكلام ان نحن رحنا نعددها محاضرةً محاضرة ، ونصف ما فيها من الفوائد . ونظلم القارئ ونسيء الى انفسنا ان نحن نوهنا ببعضها وأغفلنا البعض الآخر ، لذلك ندعو القراء ، ولا سيما القضاة والمحامين ، الى مطالعة هذا السفر الجليل ، والاغتراف من مباحثه القيمة

ويمتلئ قلب الانسان غبطة وسروراً ، وهو يرى ما بلغته المحاماة في البلاد السورية من علم صحيح ، وثقافة واسعة ، بعد ذلك الركود والجمود ، وبعد ان كنت لا تجد — قبل بضع سنين — الا في الندرى من يحسن ان يعالج موضوعاً من مثل هذه الموضوعات ، بشيء من العلم والفهم ، وبأسلوب عربي ، تفهم معه ، ما يراد منه .

ولا يسعنا الا ان نشكر للأستاذ الكوراني : نقيب المحامين ولزملائه اعضاء النقابة الفاضلين ، هذا الجهد الموفق الذي كان سبباً في اخراج هذه المحاضرات . كما نشكر للمحاضرين : قضاة ومحامين ، حسن تخير المحاضرات واجادتهم فيها : موضوعاً وبياناً .

ع . ن

عصر السريان الذهبي

للفيكنت فيليب دي طرازي

طبع بمطبعة جدعون في بيروت سنة ١٩٤٦ في ١١٩ صفحة

هذا كتاب وضعه صديقنا وزميلنا المؤلف بعد ان بحث موضوعه في المظان

المعتبرة . والسريان الذين كتب هذا المختصر في نشأتهم وعلاقتهم بالأمم القديمة وما أقاموه من معالم الحضارة وتعاليم الدين وما ابدعوه في الفنون الجميلة وشادوه من اديار وخزائن كتب وألفوه من كتب وترجموا من علوم - قبل الاسلام وبعده - هذه الأمة حرية ان يكتب تاريخها وما تاريخها الا جزء من التاريخ العربي يصح ان يدعى بهذا الاسم منذ قام رجال العلم فيهم وخرجوا ابناءهم في العلوم وتوفروا على نقلها للسانهم من الألسن الأخرى ونقلوا الى العربية ما كان عندهم منها .

« فنحوا منذ المائة الرابعة للتاريخ المسيحي عصراً سعيداً ذهبياً بما انشأوه من المدارس الشهيرة والمعاهد الفخمة والمكتبات الزاهرة وبمن انجبوه من الأعلام ... وظل يسطع نور عصرهم الذهبي حتى القرن السابع بل امتد الى القرن الثامن وتوسع بعضهم فقال الى القرن التاسع . ثم عادت فبزغت انوار ذلك العصر الذهبي الميمون في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد » .

« ولقد ذهب رهط من اهل البحث الى ان السريان هم الذين استنبطوا الكتابة لأن بلاد الفونيقيين الذين علموا الكتابة لليونان ليست الا بقعة صغيرة من بلاد السريان اشهر مدنها صور وصيدا وبيروت وجبيل . والفونيقيون كما هو ثابت كانوا أمة شامية اي سريانية . وكانت لغتهم اما سريانية محضة واما قريبة الى السريانية اكثر من سائر اللغات السامية » « انتشر السريان انتشاراً عجيباً لا في اقطار سوريا وما بين النهرين والعراق وبلاد فارس وملبار بل في الأنحاء اللبنانية » و « أجمعوا على ان عدد السريان في القرنين العاشر والحادي عشر ناهز المليونين من النفوس اما عدد الملكيين في تلك الحقبة فلم يتجاوز النصف مليون .. والموارنة اربعين الفاً » و « عمت عقيدتهم بالطبيعة الواحدة شعوباً جمة غير شعبهم السرياني كالأقباط والأحباش والأرمن والعرب ونصارى مليبار وغيرهم » .

نشروا عقيدتهم « بين العرب جيرانهم بني غسان ونجران وتغلب ومعد وبني كلب وغيرهم ، وكان بطاركة السريان ينصبون اسقفاً او اكثر لكل قبيلة من تلك القبائل العربية ودعي بعضهم بأساقفة « المضارب » فكانوا يرافقون القبائل العربية المتنقلة ويقيمون الرتب الدينية تحت الخيام » .

وكان لعلماء السريان حظوة وحرمة عند الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين والعباسيين وكان منصور بن يوحنا السرياني وزيراً للمالية في عهد الخلفاء الراشدين «أما ابنه سرجون وحفيده يوحنا المشهور بالقديس يوحنا الدمشقي فقد توليا ديوان الأعمال والجبايات في عهد الخلفاء الأمويين» .

ولا عجب ان كانت علاقات علماء السريان مع خلفاء العباسيين مستحكمة الاستحكام كله «فقد تفجرت ينابيع المعارف على يدهم وسالت الصحف بأقلام مترجميهم ومصنفيهم واطبائهم في طول البلاد وعرضها وأغنوا العالم بنفائس الأسفار التي استخرجوها الى العربية عن اللغات السريانية واليونانية والفارسية والعبرية والهندية» «وكان أولئك العلماء والأطباء يلازمون الخلفاء في بلاطهم ويجلسون الى مائدة طعامهم ويسامرونهم ويعالجون مرضاهم ويرافقونهم احياناً في حروبهم واسفارهم . وكان الخلفاء يجلون أطباءهم ويرحبون بهم ويسنون لهم أعطيات سخية ويعودونهم في منازلهم حين مرضهم ويراسلونهم ويتسمحون معهم في قضايا دينهم ويحضرون أحياناً الصلاة عليهم بالشمع والبخور في جنازاتهم .

وألمع المؤلف الى ذكر رجال العلم والدين من هذه الأمة القديمة وتوسع ما ساعده المقام في الاشارة الى ما أقاموا من بيع وديارات قال : «وعلى رغم ما تهدم من كنائس السريان بالزلازل والحروب ونوازل الدهر فقد بقيت لهم علم ١٢٣٦ عشرون الف كنيسة» ولما تكلم عن خزائن كتبها قال : «غير ان الرزايا الجسيمة التي حلت بديار الشرق في مختلف العصور اجهزت على كل ما فيها ومن فيها فلم تبق ولم تذر . وحسبنا ان نذكر أسماء الطغاة زنكي (؟) وهولاكو وجنكز خان وتيمورلنك وأشباههم ممن أعملوا السيف والنار في البلاد حتى جعلوها خراباً يباباً» .

وبعد فالمؤلف العالم يهنأ على توفيقه بابراز هذه التحفة خدمة للعلم والتاريخ ونرجو ان يوفق الى وضع أمثال هذا التأليف المفيد .

محمد كرد علي

آراء وأنباء

رد على تنبيه

نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي م ١٨ ص ٤٢٩ كلمة بعنوان « اسماء منتخبة لمسميات حديثة » جاء فيها ان « الكِنف (وزان حِبر) صالح لأن يطلق على محفظة الطبيب (جزدانه) الذي يضع فيه مقصّه وشفرته وأدواته وما يحتاج اليه احتياجاً قريباً » .

ورأيت اليوم في المجلة نفسها م ٢١ ص ٤٧٥ بحثاً وسمه صاحبه التحرير « بالتنبيه والتوجيه » جاء فيه ان الكنف انما هو من أدوات الراعي ومثله الصفن وانه في مثل هذه المصطلحات يجب ان يرجع الى التاريخ فيسأل أولو العلم به هل كان اطباء الزمن القديم يتخذون جزدانات وما اسم الواحد منها ؟ وعقب كلامه هذا بذكره شيئاً من رسالة لابن فضلان بعث بها الى الناصر لدين الله أو المستنصر بالله يشكو فيها دجالي ذلك العصر . ومحل الشاهد فيها قول ابن فضلان « وبين يديه المِكَّة والملحدان ... ويمضي آخر النهار ومكّته مملوءة قراضة ... » وذكر أيضاً الحرمدان وقال ان معناها الشنطة العصرية واستشهد عليها بما جاء في النجوم الزاهرة وهو « وعندما يعزلونه من الوزارة يصبح يأخذ غلامه الحرمدان خلفه ويروح يقعد في ديوان الانشاء » وبأن الأمير طرنطاي اسر جماعة من اصحاب منكوتمر وفيهم حامل حرمدانه فوجد في الحرمدان كتباً من الأمراء» .

والذي ظهر لي من هذا كله ان المنتقد الفاضل يعترض ما جئت به من هذا الاختيار ويفضل استعمال المِكّة والحرمدان على استعمال الكِنف للشنطة العصرية او جزدان الطبيب بحجة ان القدماء من الأطباء قد استعملوها . اي اطباء زمن طرنطاي ومنكوتمر اللذين كان لأمثالها زمام ذلك العصر الذي نفخوا فيه روح العجمة في لغتنا الشريفة وبدأ الانحطاط في اللغة يطغى على كثير من اقلام مؤلفيه . ذلك العصر الذي كانت سلامة التعبير في اللغة تكدّر بمثل قولهم « يصبح يأخذ غلامه الحرمدان خلفه ويصبح يقعد » فهل مثل هؤلاء يوجب حضرة المنتقد

الفاضل ان نرجع اليهم في تقويم كلامنا والى كلماتهم يجب ان نسند اصطلاحاتنا وأوضاعنا الحديثة المعنى ؟ ؟

اني اخترت الكنف لأن الطبيب يضع فيه مقصه وشفرته وأداته كما كان يفعل الراعي فيصح حينئذ استعماله في كليهما · على ان الكنف ليس خاصاً بالراعي في كتب اللغة فقد جاء في اللسان انه وعاء طويل يكون فيه متاع التجار واسقاطهم ومنه قول عمر في ابن مسعود الخ وانه وعاء يضعُ فيه الصائغ اداته · فكما صح عند الأئمة استعماله للتاجر والصائغ فليصح لنا استعماله للطبيب ما دام في كليهما حافظاً للشفرة والمقص ولا ريب ان اختيار السائغ العذب في لغة العرب الفصحى للمعاني الحديثة افضل من اختيار الكلمات المستهجنة ولاسيما اذا كانت دخيلة كالجرمدان · بل وافضل ايضاً من اختيار الكلمات البعيدة في اصل معناها عن المعنى المراد · وقد فسر الأئمة كما في القاموس المحيط المكمة بشبه كيس يوضع على فم الحمار وليس كل ما استعمل في العصر الذي عرفت فيه المِكَمَّة والجرمدان للمحفظة يجب علينا الأخذ به ويكون ضالتنا عن رجوعنا الى التاريخ وسؤال أولي العلم ، مادمنا لم نخرج في اختيارنا للمستعذب المستملح عن سنن الفصحى · وقد استعمل اهل ذلك العصر كلمات لم تعذب في أذواق هذا العصر ولم ترعها اسماعهم فهجروها والا فما بالنا لا نحتفظ بالدقدان لما ينصب عليه القدر وبالكردناك او الكردناج للمَصْلِيّ من الشواء وبالشامرك او الشامرغ للفتي من الدجاج وامثال ذلك مما شاع في ذلك العصر واستعمله بعض مؤلفيه فقال اهل اللغة في الأول العنّة وقلنا المنصب والمنقل وقلنا في الثاني المصليّ في الفصيح والشاورمة في العامي وهي أخف من الكردناك وقلنا في الثالث الفرّوج ·

السوائل والموائع

ويقول المنتقد الفاضل ان الصواب ان يقال في السوائل الملتهبة : المائعات او الموائع لأن السيلان ليس بشرط أصلي في التسمية · واقول انني لما قلت السوائل الملتهبة راعيت الاسم المشهور عند اهل هذا العصر لهذا الذي يُقذف أيام الحرب ولو قلت الموائع الملتهبة لم يتبادر المعنى المراد لكثير منهم ·

على ان اطلاق السائل على المائع او العكس لا يعد غلطاً مبيناً كما جزم به الكاتب الفاضل لأن الميع والسيلان يتعاقبان على المعنى الواحد قال في اللسان : «ماع الماء والدم والشراب ونحوه يميع مَيْعاً جرى على وجه الأرض جرياً منبسطاً في هيئته ومنه سميت الميعة لأنها سائلة .. وفي حديث جرير ماؤنا يميع وجنابنا مريع .. والميعة سيلان الشيء المصبوب» ويقول في مادة س ي ل «سال الماء والشيء سيلاً وسيلاناً جرى واساله غيره وقال الراغب الاصفهاني في مفرداته «سال الشيء يسيل وأسلته انا قال وأسلنا له عين القطر اي اذبنا له والاسالة حالة في القطر تحصل بعد الاذابة وقال ابن الاثير في النهاية «ماع الشيء يميع وانماع اذا ذاب وسال» .

فكيف يكون بعد هذه النصوص استعمال السوائل في موضع المائعات او الموائع غلطاً مبيناً ؟ وفقنا الله للصواب .

احمد رضا

التنبيه والتوجيه

— ٤ —

٥٠ — وجاء في ص ٣٥٣ «ثم علامَ يستندان في ...» ، قلت : الصواب «إلامَ» فانه يقال استند اليه لا عليه ، وذلك لأن الاستناد يكون من الجوانب لا من الأعالي ، وعلى العكس الاعتماد ، يقال «اعتمد عليه»

٥١ — وورد في ص ٣٨١ ما نصه «ولكنَّ كتّابنا كثيراً مايتأثرون بالأسلوب الأعجمي في استعمال اسم الموصول [1] (كذا) فيقول بعضهم مثلاً : سيف الدولة الذي حكم في حلب ، والتدقيق في هذه العبارة يوهم أن هنالك اكثر من سيف دولةٍ حكم في حلب» ، قلت : دققنا النظر فيها فلم نفهم ما فهم الكاتب الفاضل ، وإنْ جاز أن يفهم منه وجود سيوف دولة — وهو بعيد — فليس يدلُّ على أنهم كلهم حكموا في حلب ، لأن الوصف بالذي وصلتها يجعل الصفة — أي حكم

(١) هنا خطأ صوابه [الاسم الموصول] لأنه موصوف وصفة لامضاف ومضاف اليه

حلب — مقصورة على هذا السيف وحده ، ولذلك يصح أن يقال « سيف الدولة الذي حكم في حلب وسيف الدولة الذي حكم في الحلة على نهر الفرات وهو سيف الدولة صدقة بن دبيس الأسدي المزيدي مؤسس مدينة الحلة واليه نسبت فقيل لها « الحلة السيفية »

٥٢ — وجاء في ص ٣٨٠ أيضاً قول هذا الفاضل « وبما أن الكلام في اغلاط العوام خليق بنا ان نوسع » ، وفي هذا التعبير أوهام وصوابه « ولما أن الكلام في أغلاط العوام كنا خليقين أن نوسع » وذلك باحلال « لما » بكسر اللام وتخفيف الميم محل « بما » وهذا من أسلوب الجاحظ وبحذف « الفاء » لعدم وجود الشرط الذي يستوجبها ، وبادخال فعل في الجملة ليتعلق به « لما أن » وبجعلنا خليقين جديرين قمينين لا جعل التوسيع خليقاً بنا ولا اختيار له ولا إرادة ولا ذات .

٥٣ — وجاء في ص ٤٩١ « إنه ليس في حاجة الى غيرها » وهو مخالف لأسلوب القرآن الكريم وأساليب الفصحاء وذلك أن القرآن الكريم والعرب يستعملان الحاجة استعمالين اذا كانت مع الحرف الجار ، أحدهما استعمالها في الجملة الاسمية وإذ ذاك يجب جعل الحاجة في المحتاج فيقال « لي وبي وفي نفسي وفي صدري حاجة ، وليس بفلان حاجة » والاستعمال الآخر في الجملة الفعلية او مع شبه الفعل نحو « جاء اليهم في حاجة » وذهب في حاجة وأرسله في حاجة ، وقول الشاعر :

إذا كنت في حاجة مرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصه

أي اذا كنت مرسلاً أحداً في حاجة فأرسل حكيماً ... وفي هذا الاستعمال وحده تجر الحاجة بحرف الجر ، ومن الأول قوله تعالى « إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها . ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم »

٥٤ — وورد في ص ٤٩٥ « من الأشجار التي تنبتها الطبيعة » قلت : إن العرب قالت « الأشجار البرية » وهي ضد المزروعة فلا حاجة بهم إلى نسبة إنباتها الى الطبيعة » قال المبرد في وصف الضال « والضال : السدر البري وما كان من السدر على الأنهار فليس بضال [1] » فالذي على الانهار مغروس .

(١) كامل المبرد ج ١ ص [٦٩] من طبعة الدلجموني الأزهري .

٥٥ — وورد في ص ٥٠٦ « بحمده وآله آمين » والصواب بحمده وآله آمين » والنقد واضح .

٥٦ — وجاء في ص ٥٠٦ وما بعدها ترجمة الأمير فخر الدين يوسف بن أبي الحسن محمد الحموئي الجويني ، منقولة من عدة مراجع وقد رأينا مرجعاً جديداً لترجمة هذا الكبير ، قال ابن الفوطي : « فخر الدين ابو المظفر يوسف بن شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن ابي الفتح عمر بن علي بن محمد بن حمويه بن محمد بن محمد بن نصر بن الأمير حمويه بن علي الجويني المصري الأمير ، من البيت العريق في المشيخة والتصوف والامارة واصله[1] من بحراباذ من رستاق جوين من اعمال نيسابور ، انتقل الى مصر وسكنها وصار شيخ الشيوخ بها وأعقب أولاداً نجباء ، وكان فخر الدين في خدمة الكامل بن العادل وانفذه رسولاً الى بغداد في ايام الناصر وكان يلبس العامة فلما رأوا شهامته خلع عليه القباء والقلنسوة من دار الخلافة وأعطي الكوسات والأعلام وقيل [له] : ما تصلح أن تكون الا أميراً[2] . واستمر حاله في اللباس مدة ايام الكامل وله غزوات في الفرنج واستشهد بالمنصورة في ذي القعدة سنة سبع واربعين وستمائة[3] » .

٥٧ — وجاء في ص ٥٢٤ « ثم وقع الجبل[4] بيد احد امراء الأطراف وهو احمد بن مروان أبو نصر الكردي صاحب ديار بكر وميافارقين ... » ذكر ذلك الكاتب الفاضل بعد نقله خبر اهداء السلطان طغرلبك الجبل الياقوت المذكور الى الخليفة القائم بأمر الله ، وسياقة التاريخ توجب تأخير خبر الاهداء عن خبر الامتلاك ، ألا تراه — أعني كاتب المقالة — نقل بعد ذلك قوله « وأنفذ[5] السلطان طغرلبك هدايا عظيمة ومنها الجبل الياقوت الذي كان لبني بويه وابتاعه

(١) لعل الاصل [وأبوه أصله] (٢) قلت : هذه من غرائب الحكايات وتؤيد ما قيل في سيرة أمير المؤمنين الناصر لدين الله من أنه كان آية في اختيار الرجال ومعرفة أهل الفضل وذوي الكمال (٣) كتاب « تلخيص مجمع الآداب المرتب على معجم الأسماء في معجم الألقاب » ص ٢٨٢ من نسختنا الخطية المنسوخة على نسخة فطغرافية في المكتبة العامة ببغداد وهذه الفطغرافية مصورة على نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق . (٤) هو فص ياقوت عظيم كتبت المقالة النفيسة فيه . (٥) الضمير يعود الى الأمير أحمد بن مروان المذكور

من ورثة الملك أبي منصور بن أبي طاهر ...» وقال سبط ابن الجوزي في ترجمة الأمير الكردي المذكور «وكان عنده الجبل الياقوت الأحمر الذي كان لبني بويه اشتراه من ورثة الملك ابي منصور بن ابي طاهر وأنفذه الى طغرلبك مع هدايا كثيرة تساوي ثلاثمائة الف دينار ومعها مائة الف دينار عيناً . وهذا الجبل الياقوت هو الذي قدمه السلطان للخليفة لما نزل من الحديثة واجتمع به في النهروان [1]» .

فالصواب إذن أن يقال «وكان الجبل الياقوت قد وقع بيد أحد الأمراء ...» ليطّرد التاريخ ، وقد فات الكاتب الفاضل شيء من أولية «الجبل الياقوت» قال ابراهيم بن محمد البيهقي «قال الكسائي : دخلتُ على الرشيد ذات يوم وهو في ايوانه وبين يديه مال كثير قد شق عنه البدر شقاً وأمر بتفريقه في خدم الخاصة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيراً ما يحدثني فقال : هل علمت مَن أول من سنّ هذه الكتابة في الذهب والفضة ؟ قلت : يا سيدي هذا عبد الملك بن مروان . قال : فما كان السبب في ذلك ؟ قلت : لا علم لي غير انه أول مَن أحدث هذه الكتابة . فقال : سأخبرك ... ثم رمى بالدرهم الى بعض الخدم وقال : عليّ بالخازن . فأقبل الخازن ، فقال : ائتني بالجبل . فأتاه بحقّ فيه خاتم ياقوت يتقد كأنه مصباح ، فقال للخادم : ضع لنا هذا على هذا الدرهم الذي معك وليكن على مقدار اصبعي . ثم قال : أتعرف هذا الخاتم ؟ فقلت : لا ياسيدي . قال : إنّ ملك الترك كان غزا في زمن أبي مسلم سمرقند وعليها عامل له يقال له صبيح بن اسماعيل ومع ملك الترك قائد لملك الصين كان جليلاً عنده عظيم القدر بمنزلة ولي العهد أمدّه به اصهر كان بينهما في سبعين الف رجل وان صبيح بن اسماعيل ظفر بعسكر التركي وهزمه وغنم عامة ما فيه وأسر كافة رجاله وأسر القائد الصيني فيمن أسر فكان هذا الخاتم في اصبعه [2] فأخذه منه وبعث به الى ابي مسلم فبعث به ابومسلم

(١) أصول التاريخ والأدب [مج ٣٠ ب ص ١٩٦] نقلا عن مرآة الزمان . (٢) وهذا الخبر يخالف ما نقله الكاتب الفاضل من مروج المسعودي من كون الجبل من جواهر الأكاسرة وكون الرشيد اشتراه بأربعين الف دينار وليت شعري ماالذي ذكر المسعودي في أخبار الزمان من تاريخ ذلك الفص الياقوت الذي أدخله في تاريخ « خواتم ملوك الفرس » من كتابه ذلك ؟

الى أبي العباس فأعجب به اعجاباً شديداً ودعا له من يبصره من الجوهريين والمقوّمين وسألهم عن قيمته فلم يُحسنوا ان يقوّموه ، فلم يزل مرفوعاً في خزانته الى أن مات فلما أخرج ما كان في خزانته من الجواهر والذخائر لتباع أخرج هذا الخاتم فنودي عليه وطلبه المنصور وعيسى بن موسى وتزايدا عليه فبلغ به المنصور اربعين الف دينار وحرص على شرائه واشتدت عليه مزايدة عيسى اياه فيه ، فلما رأى عيسى ان ذلك قد غاظه أمسك عن مزايدته فاشتراه المنصور بأربعين الف دينار فما ظنك بشيء يشتريه المنصور بهذه الجملة في ذلك الزمان وكان الدرهم أعزّ من الدينار في زماننا ، فلم يزل الخاتم في خزانته الى أن ولي المهدي فأخرجه ووهبه لي من دون أخي الهادي وذلك أنه جعل ولاية العهد له فأرضاني عن ولاية العهد بهذا الخاتم وبأشياء أُخر فلما ولي الهادي طلب مني الخاتم فمنعته ولجّ فيه لجاجاً شديداً وبعث الي سعيد بن سلم الباهلي يدعوني فعلمت لِمَ يدعوني فأخذت هذا الخاتم وأخرجته من اصبعي فلما توسطت الجسر قلت لسعيد : انظر الى هذا الخاتم . ثم رميت به في دجلة . ومضى سعيد الى الدار فأخبر الهادي بما كان مني فبعث بالغواصين الى الموضع الذي ألقيت فيه الخاتم فطلبوه أشد طلب فلم يقدروا عليه فلما صار الأمر الينا بعثنا الغواصين فأخرجوه فها هو ذا عندي . ثم قال : ياعلي أتعبناك بذكر هذه الأموال وقد عوضناك لاصغائك الينا بخمسين الف درهم . فحملت بين يدي .

قال ابراهيم البيهقي : وحكي بعد ذلك أنّ هذا الخاتم صار الى المأمون فوهبه لبوران ابنة الحسن بن سهل ذي الرياستين ثم صار الى المعتصم ثم الى المعتز والمستعين فنقشه المستعين ثم صار كل خليفة ينقش عليه اسمه حتى نقصت من قيمته وهو الآن عند الخليفة المقتدر بالله [1] » .

قلت : وقد صار الجبل الياقوت المذكور الى علي بن بويه الديلمي على ما جاء في أخبار ابن مكتوم الشيرازي فانّ يوسف بن وجيه احد ارباب الدولة والسلطان في ذلك الزمان سأل ابن مكتوم المذكور عما ادّخره علي بن بويه المقدم ذكره

(١) ابراهيم البيهقي في المحاسن والمساوئ [ج ٢ ص ١٢٩ — ١٣٠] .

من الذخائر والجواهر فقال ابن مكتوم «لا أعلم الا ما سمعت أنّ الجبل الذي كان للمقتدر قد وصل اليه ، فقال: وما الجبل؟ قال: فصٌ ياقوت أحمر فيه خمسة مثاقيل[١] .

ولا يعلمُ بعد ذلك ما صار اليه ذلك الجبل الياقوت أما تكرار اسم «الجبل» في التواريخ فلا يعني أنه ذلك الجبل بعينه لأنّ الجبل كان خاصاً ثم صار عاماً لكل جوهرٍ كبير من الياقوت وغيره من الحجارة الكريمة ، وإلا فكيف يصير الجبل من خزائن دار الخلافة العباسية الى دار الخلافة الفاطمية بالقاهرة ولم تجر عليها حادثة كحادثة أرسلان البساسيري . قال سبط ابن الجوزي في ترجمة ابي محمد عبد الله بن يوسف العاضد بالله الفاطمي «وكان في القصر من الجواهر النفيسة ما لم يكن عند خليفة ولا ملك مما قد جمع على طول السنين فمنه القضيب الزمرّد وطوله قبضة ونصف والجبل الياقوت الأحمر والدرّة اليتيمة مثل بيض الحمام والياقوتة الحمراء وتسمى الحافر وزنتها أربعة عشر مثقالاً[٢] » ولو كان لذلك الجبل اتصال «بجبل بني العباس لنبّه عليه سبط ابن الجوزي كما نبه قبل ذلك . وكذلك سكت عن الاشارة من تأخر زمنه عن ابن الأثير وسبط ابن الجوزي كأبي شامة فانه قال «وحصل صلاح الدين على اليتيمات وقطع البلخش والياقوت وقضيب الزمرد» ثم نقل بعض كلام ابن الأثير عز الدين[٣] وذكر المؤلف المذكور أنّ صلاح الدين بعث فيما بعث به من النفائس الغريبة الى نور الدين محمود بن زنكي حجر ياقوت وزنه سبعة مثاقيل[٤] .

هذه تعليقاتي على ما قرأته من المجلد الثامن عشر من هذه المجلة الزاهرة ، وقد اقتصرت فيها على ما لم أجد بداً من التعليق عليه في أثناء قراءتي اياه ، وسأبدأ التعليق على المجلد التاسع عشر مستعيناً الله تعالى مستهدياً له — عز وجل — الى السبيل السويّ .

الدكتور مصطفى جواد (بغداد)

(١) أبو علي التنوخي في [نشوار المحاضرة ج٨ ص١٥١] . (٢) مختصر المجلد الثامن من مرآة الزمان [ص١٨١] . (٣) كتاب الروضتين [ج١ ص٢٠٠] (٤) المرجع المذكور ص[٢١٩]

فهرس الجزء الحادي عشر والثاني عشر من المجلد الحادي والعشرين

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء

الفهرس العام لمواد المجلد الحادي والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الأعلام

لكتّاب مقالات المجلد الحادي والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء